


وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر2-أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الانسانية

قسم التاريخ

المغول والعالم الاسلامي
من القوة الى الانهزام في عين جالوت
603-658هـ/1206-1260م

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الوسيط

إعداد الطالب
داود جمال

إشراف
أ.د أحمد شريفي

السنة الجامعية :1440-1441هـ/2019-2020م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر-02-أبو القاسم سعد الله
كلية العلوم الانسانية
قسم التاريخ

المغول والعالم الاسلامي
من القوة الى الانهزام في عين جالوت
603-658هـ/1206-1260م

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الوسيط

إعداد الطالب **إشراف الاستاذ الدكتور**
داود جمال **أحمد شريفي**

لجنة المناقشة المكونة من:

أ.د.بشار قويد................ رئيساً

أ.د.أحمد شريفي.............. مقرراً

أ.د.ة.نبيلة عبد الشكور...... عضواً

أ.د.موسى هيصام........... عضواً

د.موسى هواري............. عضواً

د.عبد القار بوعقادة......... عضواً

السنة الجامعة:1440-1441هـ/ 2019- 2020م

إهـــــــــــــــداء

أهدي هذا العمل المتواضع:

إلى والديّ الكريمين الذان صهرا على تربيتي وتعليمي

وإلى زوجتي وبنتّاي أسماء وشيماء.

والى إخوتي جميعا .

وإلى زملائي الأساتذة بجامعة البليدة.2

الى رفقاء الدراسة خاصة الاستاذ حمزة حاجي، والأستاذ محمد زرقوق.

إلي كل من أضاء بعلمه عقل غيره
أو هدى بالجواب الصحيح حيرة سائليه
فأظهر بسماحته تواضع العلماء
وبرحابته سماحة العارفين

الى روح المرحوم الاستاذ بشير مديني رحمه الله

الى اساتذتي الاجلاء الذين تعلمت على أيديهم ،وأخص بالذكر أستاذي ومشرفي،الاستاذ شريفي أحمد،والأستاذ بشار قويدر.

والى كل الاصدقاء والأحباب

.

جمال

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

أشكر الله سبحانه وتعالى على فضله وتوفيقه لإتمام هذا العمل

أتقدم بجزيل الشكر الى كل من ساعدني في انجاز هذا العمل ،وكل الاساتذة الذين درست لديهم ،وعلى رأسهم الاستاذ الدكتور أحمد شريفي،الذي أمدني بالدعم المادي والمعنوي،من خلال اشرافه ومتابعته لهذا العمل ،كما أكن له كل التقدير والاحترام ،على كل ما قدمه لي من نصائح وتوجيهات علمية ،فكان نعم الأستاذ ونعم المشرف.

كما أشكر كل أساتذة قسم التاريخ بجامعة الجزائر 2،

وأخص بالذكر أعضاء لجنة المناقشة ،الاستاذ بشار قويدر،والاستاذة نبيلة عبد الشكور،والاستاذ هيصام موسى،والاستاذ موسى هواري،والاستاذ عبد القادر بوعقادة.

مقدمة

حظي تاريخ المغول خلال السنوات الأخيرة بإهتمام كبير من بعض الباحثين والمؤرخين ،لما حفل تاريخهم من أحداث سياسية وعسكرية كثيرة ،أثرت بشكل كبير في العالم الإسلامي ،فقد تأثر بشكل كبير بخطط المغول التوسعية ،وتغيّرت خارطته السياسية خلال المراحل التاريخية المختلفة ،ولاسيما بعد سقوط الخلافة العباسية سنة 656هـ/1258م،وتأسيس إلخانية المغول في بلاد فارس على يد هولاكو.

نشأ المغول في هضبة منغوليا شمالي صحراء جوبي ،وهي أراضي واسعة تنعدم المياه في بعض جهاتها،وتكون حاجزا منيعا بين أقاليم الصين الحارة،وبين الأراضي الباردة في سيبيريا ،وقد جعلت الظروف الجغرافية من هذا الاقليم بفعل الجبال المحيطة به،وفي الشتاء يصير المناخ شديد البرودة فنتج عن ذلك نُدرة الزراعة في غالبية تلك الأراضي،وهذا مادفع السكان الى الحياة الرعوية والجري وراء الرزق،وصارت حياتهم حياة تنقل فانعدم فيها الاستقرار،وعفت نفوسهم عن الزراعة ،ولذلك فحياتهم المفضلة الجبال طالما وجد فيها العشب،فإذا انعدم العشب هجروا الجبال،وكثيرا ما لجأوا الى التنافس والمشاحنة على الأراضي العشبية.

ظهرالمغول في أقصى الشرق بآسيا،بزعامة جنكيزخان وأخلافه(أوكتاي،كيوك،مونكو) 1206–1257م، الذي وحد منغوليا بما تحويه من قبائل مختلفة تحت سلطانه،ونودي به خاناً أعظم ،فنظم الدولة والجيش ،وباشر في التوسع على حساب الدول الأخرى،فاجتاحت جموع المغول الصين وآسيا الوسطى ، وأملاك الدولة الخوارزمية

،ودولة السلاجقة بآسيا الصغرى،والخلافة العباسية،ونفذوا الى اوروبا الشرقية، وروسيا وبولندا والمجر،ولاشك أن استيلاء المغول على هذه الرقعة الفسيحة من العالم ،وما تبع ذلك من ضروب القسوة البالغة التي أدت الى إنقراض دول ،وذهاب عروش وتقتيل الآلاف من السكان ،وتخريب أمهات البلاد،وذلك مايشبه الأساطير،إنما جرت وفق خطة موضوعة ،ليثيروا الخوف والرعب مايشل حركة الذين يفكرون بالتعرض لهجومهم ،ورأوا ان مايحدثونه بالمدن من خراب ودمار تتدلع فيها النيران،يكفل لجيوشهم الأمن والسلامة ،ويجنبهم تمرد الذين ينجون من القتل ،وكلما حازوا نجاحاً أشتد تعطشهم لسفك الدماء،ولم يظهروا شيئا من الرحمة والرفق بالبلاد والعباد الذين خضعوا لهم .

كان العالم الاسلامي في الفترة التى بدأ فيها ظهور المغول ،مقسما إلى مجموعة من الممالك والدويلات الصغيرة بعضها قوي وبعضها ضعيف،سواء من الناحية العسكرية أو الإقتصادية ،كما تميزت هذه الممالك والدويلات بالتنازع مع بعضها البعض من أجل السيطرة أو التوسع على حساب الأخرى،يضاف الى ذلك أن الدولة الإسلامية قد لعبت جانبا في هذا الصراع ،وهكذا إنشغل الحكام المسلمون فيما بينهم ولم يقدروا خطورة المغول،إلا بعد ان اتجهوا الى الغرب حتى الدولة الخوارزمية ،ثم إلى آسيا الصغرى ،ثم الى جنوب روسيا،واروبا الشرقية حتى هنغاريا وبولندا ،وأخيرا الى سواحل البحر الادرياتيكي.

فالجانب الشرقي من العالم الإسلامي كانت تتقاسمه عدّة دول ،ففي بلاد فارس أو إيران كانت تقوم الدولة الخوارزمية التى إمتدت حدودها من جبال أورال في الشمال الى الخليج العربي في الجنوب،ومن جبال السند شرقاً الى حدود العراق غرباً.

وفي العراق كان الخليفة العباسي في بغداد وله السيادة الروحية ،أما القوة السياسية و العسكرية فقد زالت عن هذه الخلافة ،ولم يعد لهذا الخليفة من القوة إلاّ أن يطلب الدعوة على المنابر في صلاة الجمعة أو المناسبات أو الأزمات بان يوفق الله المسلمين ،أو الاستنفار للجهاد.

أما الدولة الأيوبية في مصر والشام ،فقد كان لها مشاكلها خاصة مع بيت المقدس والإمارات الصليبية على الساحل الشامي،ومما يزيد المشكلة تعقيدا أنه مع ظهور المغول كانت الحملة الصليبية الخامسة قد إستولت على برج مدينة دمياط عام 1218م،مما أدى إلى وفاة الملك العادل ،ثم انقسام البيت الأيوبي إلى عدّة ممالك أهمها مصر وعلى رأسها الملك الكامل (615–636هـ/1218–1238م)،ودمشق وعلى رأسها الملك المعظم عيسى (615–624هـ/1218–1227م).

جاء المغول بقيادة جنكيزخان وهاجموا البلاد الإسلامية ،وكانت مدينة أترار مفتاح إقليم ماوراء النهر أولى بلدان الدولة الخوارزمية التي تعرضت للغزو المغولي في سنة 616هـ،تبعه سيل جارف من المذابح استمر سنوات طويلة،أتوا فيها على كل شيئ صادفوه،وواجهت القوى الاسلامية المفككة في ذلك الحين والمتمثلة في الدولة الخوارزمية

وبقايا دويلات السلاجقة والخلافة العباسية ،المغول بطريقة غير منظمة ،وفزع شديد لما سمعوه عن فظائعهم ،وما ارتكبوه من جرائم نزلت على إخوانهم في الدين والعقيدة،فأصيبوا بصدمات متتالية أتت على كل شيئ ،فيمكن القول أن ماشيده المسلمون طوال القرون الستة من عمران وحضارة وتراث دمره هؤلاء القوم البرابرة بوحشية بالغة،وتركوا المدن الاسلامية خاوية على عروشها،واندثرت مدن متعددة فلم يبقى منها إلا الاسم فقط.

وكان استيلاء المغول على البلاد الإسلامية قد تم على مرحلتين،الأولى بقيادة جنكيزخان،مؤسس الدولة المغولية الذي تمكن من تحطيم الدولة الخوارزمية ،وتقويض بنائها،وهي التى كانت تحكم ماوراء النهر وخوارزم واجزاء من خراسان وغرب إيران،فخضعت خراسان في عهد جنكيزخان دون سواها من المناطق الايرانية للسيطرة المغولية.

أما المرحلة الثانية فتمت على يد هولاكوخان حفيد جنكيزخان،ذلك أن اخاه الخاقان قوبلاي كلفه بفتح بلاد فارس والجزيرة والشام ومصر إن امكن ذلك،وأمده بجيوش مدربة وقيادة عسكرية واعية أشرف بنفسه عليها،ومنحه حكم المناطق الغربية من الامبراطورية المغولية له ولخلفائه من بعده،يضاف إليها ما يفتحه من مناطق جديدة ،فقام هولاكو بهذه المهمة على أحسن وجه،قضى فيها على قلاع الاسماعيلية ،وأباد سكانها،وتقدم نحو بغداد واستولى عليها،وقتل الخليفة المستعصم بالله ،آخر خليفة عباسي حكم

بغداد،ثم زحف الى الشام ،فاستولى على حلب ودمشق،وأطاح بالحكم الأيوبي في بلاد الشام،وامتدت فتوحاته فشملت آسيا الصغرى التى كان يحكها فرع من السلاجقة يسمى سلاجقة الروم.

وامتد نفوذ ولم يوقفهم عند حدهم إلا المماليك ،حكام مصر الذين هزموا المغول هزيمة نكراء في معركة عين جالوت 685هـ/1260م،بقيادة السلطان سيف الدين قطز،الذي رأى تخاذل حكام بلاد الشام من الأيوبيين فقرر اتخاذ خطوة على قدر التحديات ،فإما سقوط مصر والعالم الاسلامي ،وإما الوقوف بوجه المغول مهما كان الثمن ،فاختار التحدي والدفاع عن المسلمين والذود عن حرماتهم ،فهزم المغول وتراجعوا عن بلاد مصر والشام.

وبناء على ما تقدم جاء هذا البحث ليسلط الضوء أكثر على العلاقات السياسية والعسكرية بين المغول والعالم والإسلامي ،بعنوان :المغول والعالم الإسلامي،من القوة الى الانهزام في عين جالوت،603-658هـ/1206-1260م.

المنهج المتبع:اتبعت المنهج التاريخي الوصفي القائم على سرد الأحداث والوقائع ،وعرض المعلومات والحوادث التاريخية بشكل مرتب ترتيبا زمنيا، والتحليلي لاستنطاق النصوص وتحليلها،والمقارنة بينها ،وذلك لطبيعة الموضوع واختلاف المصادر والمراجع في طرح الوقائع التاريخية .

<u>الاشكالية:</u>جاءت اشكالية الموضوع حول طبيعة العلاقة بين المغول والعالم الاسلامي وانهزامهم في معركة عين جالوت، ومن هم المغول،وماهي نظمهم ومكوناتهم الاجتماعية والاقتصادية والدينية ؟وماهي أوضاع العالم الاسلامي قبيل الغزو المغولي،وماهي اسباب ونتائج الغزو المغولي للعالم الاسلامي؟،وكيف انتصر المسلمون في عين جالوت وانهزم المغول ؟ الآثار والنتائج.

<u>أهمية الموضوع:</u>تكمن أهمية الموضوع في استعراض تاريخ المغول، ونظمهم الحربية والسياسية والاجتماعية ،وأهم حروبهم وفتوحاتهم خاصة اتجاه العالم الاسلامي،كما نتعرف على أوضاع العالم الاسلامي قبيل الغزو المغولي ،ومعرفة الاسباب الحقيقية للخلافات الناشئة بين دوله ،خاصة الخلافة العباسية ،وكذلك التعرف بالشرح والتفصيل على توسعات المغول على حساب أراضي وممتلكات العالم الاسلامي والحروب التى خاضوها ضد المسلمين،بالاضافة الى أهم اعمالهم الوحشية والإجرامية التى راح ضحيتها آلاف المسلمين ،وخربت العمارة الاسلامية بل أن دولا بأكملها قد زالت،كما تكمن أهمية الموضوع أيضا في تحديد أسابا النصر في عين جالوت ،وكيف أن المغول ينهزمون لأول مرّة على أيدي المغول ،وهي سابقة في تاريخ المغول ،لانتصارات المتكررة حتى أنهم أصبحوا قوة لاتقهر،وهذا النصر في عين جالوت على ايدي المماليك ،أعاد للعالم الاسلامي هيبته ومكانته ،وقهر هذه القوة المتغطرسة ،وفتح المجال لدعوتها

الى الحضارة والدخول في الدين الاسلامي ،وهو ما لاحظناه من خلال دخول واعتناق أمراء وملوك المغول للدين الإسلامي.

أسباب إختيار الموضوع:

- رغبة البحث في تاريخ المغول وعلاقتهم بالعالم الإسلامي.
- دراسة طبيعة الفرد المغولي ،والتعرف على حياته الإجتماعية ،والاقتصادية ،والدينية ،والعسكرية.
- التعرف على واقع دول العالم الإسلامي ،في فترة ظهور المغول،خاصة الجانب السياسي والعسكري ،وعلاقة هذه الدول مع بعضها البعض.
- تحديد الأسباب الرئيسية لغزو المغول للعالم الاسلامي.
- الإطلاع على مدى مقاومة حكام ،هذه الدول وتصديهم للغزو المغولي.
- الوقوف على الحالة الحرجة ،والضعف الذي لحق بالخلافة العباسية ،وبسقوطها انهار العالم الاسلامي في هذه الفترة.
- ابراز الدور الفعال الذي ابداه المماليك في تصديهم للمغول ،والحاق الهزيمة بهم في معركة عين جالوت.
- الوصول الى نائج وآثار هذه المعركة على العالم الاسلامي،وعلى المغول نفسهم
- نقص الدراسات الأكاديمية المتخصصة في الجامعة الجزائرية ،والتى تعالج موضوع العلاقات بين المغول والعالم الإسلامي.

- تدعيم المكتبة الجزائرية بدراسة متخصصة في هذا المجال.

الدراسات السابقة:

أما الدراسات السابقة التى تتعلق بالموضوع ،فهي قليلة وغير كافية ،ونذكر منها الدراسة التي قدمها الدكتور إسماعيل عبد العزيز الخالدي ،بعنوان العالم الاسلامي والغزو المغولي،والتى قسمها الى:تمهيد وتناول فيه تعريفا مفصلا للمغول وموطنهم الأصلي،والقبائل التى يتكونون منها،وحياتهم الدينية والسياسية والعسكرية ،وتأثير بيئتهم على سلوكهم ومعاملاتهم،أما لفصل الاول تناول فيه أحوال المسلمين قبيل الغزوالمغولي، والعلاقات بين القوى الإسلامية في الجزء الشرقي من العالم الإسلامي ،ومانشب بينهم من حروب في هذه الفترة،أما الفصل الثاني فقد تناول فيه الباحث هجوم المغول على المسلمين،بدء بالدولة الخوارزمية ،وطائفة الاسماعيلية،والخلافة العباسية ،وبلاد الشام،وانتصار المسلمين في معركة عين جالوت،كانت هذه الدراسة قيّمة ساعدتني في بحثي،إلا أن الباحث لم يتعمق كثيرا في احداث المواضيع التى تناولها.

كما قدم الباحث فؤاد عبد المعطي الصيّاد ،كتاب بعنوان المغول في التاريخ،وتناول فيها الباحث بالتفصيل تاريخ المغول منذ نشأتهم ،وحياتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية ،وأهم توسعاتهم خاصة اتجاه العالم الإسلامي،واوضاع العالم الاسلامي قبيل الغزو المغولي،واستعداد المسلمين لهذا الغزو والعلاقات الت كانت سائدة بين هذه الدول خاصة ،بين الدولة الخوارزمية والخلافة العباسية ،وحدد أهم اسباب الغزو

المغولي للعالم الاسلامي،وما ترتب عن ذلك من آثار ونائج ،ولعل أهم أثر هو سقوط الخلافة العباسية ،وقتل الخليفة المستعصم بالله ،ثم تطرق الباحث الى توجه هولاكو نحو بلاد الجزيرة والشام ،ورغبته في الوصول الى بلاد مصر ،وكيف استطاع المماليك ،الانتصار على المغول والحاق الهزيمة بهم في معركة عين جالوت الشهيرة،وبذلك إنكسرت شوكة المغول لأول من طرف المسلمين،سنة 658هـ/1260م،فقد أفادتني هذه الدراسة كثيرا،خاصة أن الباحث قد إعتمد على عدد لابأس به من المصادر والمراجع المتخصصة في الموضوع.

وهناك دراسة لاتقل أهمية عما ذكرنا سابقا،وهو البحث الذي تقدم به الباحث إبراهيم على مرجونة،وهو عبارة عن كتب مطبوع،بعنوان المغول والحضارة الإسلامية ،رحلة المغول من الاستكبار الى الانصهار،حتى تناول الباحث صفات وطبائع وعادات وتقاليد الفرد المغولي، وتنشئتهم الاجتماعية ،وكذا مناحي حياتهم المعيشية،وتناول كذلك توسع الامبراطورية المغولية ،وعلاقتها بالقوى الإسلامية في هذه الفترة،فقد أفادني كثيرا في هذا المجال.

ومن بين الدراسات السابقة أيضاً أطروحة دكتوراه للباحث عبد الله سعيد الغامدي، بعنوان جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين في بلاد الشام في النصف الثاني من القرن السابع هجري،خاصة ما تناوله في الفصل الأول من الأطروحه ،حول سقوط بغداد على أيدي المغول ونتائجه،وموقف القوى الاسلامية من الزحف المغولي على بلاد الشام

،وسقوط مدن الشام وآثارها،كما تطرق الباحث الى معركة عين جالوت 658هـ،مقدماتها وحوادثها ونتائجها،فقد أفادني كثيرا هذا البحث في تناول جانب مهم في موضوع البحث.

والحقيقة أن للدراسات السابقة دور مهم في توجيه الباحث وتحدد الخطوط العريضة للبحث،بالاضافة الى توفي قائمة للمصادروالمراجع ،يستطيع الباحث الانطلاق منها في الإعداد لبحثه.

خطة البحث:

لدراسة موضوع البحث وتوضيحه ،إتبعت خطة مكونة من ،مقدمة ،وأربعة فصول،يحتوي كل فصل على مباحث وعناوين فرعية ،حسب طبيعة كل مبحث، بالإضافة الى خاتمة،وملاحق،جاءت على النحو التالي:

مقدمة: مهدت فيها للموضوع،بدء بلمحة عن المغول ونظمهم الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية ،وأوضاع العالم الاسلامي – في مختلف المجالات– قبيل الغزو المغولي،والعلاقات السياسية والعسكرية بين دوله في هذه الفترة، والحروب التى خاضها المسلمون لصد هذا الغزو ،ثم تناولت معركة عين جالوت ،وانهزام المغول امام المماليك ،وما ترتب عن ذلك من نتائج وآثار.

الفصل الأول:فجاء بعنوان أصل ونشأة المغول،وقسمته الى أربعة مباحث،تناولت في المبحث الأول،تعريفا للمغول والتتار،وانواع التتار ،أما البحث الثاني ،فتناولت فيه الديانة

التى كان يتبعها المغول خاصة الديانة الوثنية،وطباعهم وأوصافهم الخلقية والجسمية ،والتى ميزتهم عن باقي الشعوب،وكذلك طبيعة الأكل الذي يعتمدون عليه ،وخصوصياتهم في هذا المجال،بالاضافة الى لباسهم المميز والذي يعتمد في الغالب على أصواف وجلود الحيوانات ،وقد ابدعوا كذلك في هذا المجال،اما مساكنهم فهي فريدة من نوعها وهي عبارة عن خيم مصنوعة من مواد طبيعة ،وتغطى بجلود الحيوانات، فحمتهم من الظاهر الطبيعة،وهي متنوعة ،وسهلة التفكيك ،لطبيعة حياتهم القائمة على التنقل والترحال.

أما المبحث الثاني، فتناولت فيه القوانين المغولية ،خاصة قانون الياسا الذي يعتبر الدستور لذي سارت عليه الامبراطورية المغولية ،والذي سنّه جنكيزخان بعد ان وحّد القبائل ليتحكم في شؤونها.

أما المبحث الرابع ،فتناولت فيه شخصية جنكيزخان منذ طفولته ،الى غاية تنصيبة خانا على الامبراطورية المغولية،وكذلك قبائل المغول والعلاقات التى كانت سائدة فيما بينها ،وفي مجملها كانت علاقة عداء وحروب دائمة ،للسيطرة وبسط النفوذ،كما تطرقت الى التنظيم العسكري المغولي ،والذي قام على نظام فريد من نوعه ،ساهم في انتصارات الجيش المغولي في أغلب الحروب التى خاضه في اطار فتوحاته،ومدى اهتمام جنكيز خان بهذا الجيش،والصرامة المتبعة في التقسيم المعتمد،وحتى الاسلحة التى استخدموها ،بالإضافة الى نظام الدعاية النفسية ،والتى ساهمت كثيرا في تمهيد الطريق لجل

حروبهم ،فترى خصومهم يهرعون الى الهرب والاختباء ،دون رؤيتهم بل السماع بقدومهم فقط،وكذلك اعتمادهم على نظام الجوسسة واختراق الخصوم ،لمعرفة نقاط القوة ونقاط الضعف، ومن ثم التقرير في مصيرهم، وفي آخر المبحث تطرقت الى توحيد القبائل المغولية على يد جنكيزخان، فقد خاض عدّة حروب في سبيل تحقيق هذا الهدف، وهو بناء امبراطورية كبيرة وتنصيب نفسه خاناً على المغول، فكان له ذلك سنة 1206م.

<u>الفصل الثاني:</u>بعنوان أوضاع العالم الإسلامي قبيل الغزو المغولي، وقسمته الى أربعة مباحث ،كل مبحث يحمل عناوين فرعية كالتالي:

المبحث الأوّل:اوضاع الدولة الخوارزمية،تطرقت فيه الى موقع ونشأة وتأسيس الدولة الخوارزمية ،ونظام الحكم والإدارة فيها، بالإضافة الى نبذة مختصرة عن حكام أقاليم الدولة ،ومميزات كل فترة بإختصار.

المبحث الثاني :الطائفة الإسماعيلية ،اشرت فيه إلى تعريف ونشأة هذه الطائفة ،ودور الحسن الصباح في تأسيسها ،وأهم ماقدمه لهذه الطائفة وأهم أعماله،تم تناولت علاقة هذه الطائفة بدولة السلاجقة ،وأهم زعماء هذة الطائفة الذين تعاقبوا عليها بدء من محمد ابن بزرك اميد ،الى جلال الدين محمد بن جلال الدين حسن،ومميزات كل فترة وعلاقتهم بدول العالم الإسلامي ،خاصة الخلافة العباسية.

المبحث الثالث:الخلافة العباسية ،وتطرقت الى التعريف بالعباسيين ،وبناء مدينة بغداد ،وفترة حكم الخليفة المنصور ،بالإضافة الى أوضاع الخلافة قبل العصر السلجوقي

،وخلال العصر السلجوقي،ويمكن القول ان الخلافة العباسية في هذه الفترة قد شهدت ضعفاً وتراجعاً في كل المجالات،وهو ما جعلها تسقط مباشرة في ايدي المغول 656ه.

المبحث الرابع:أوضاع الأيوبيين في بلاد الشام ومصر، تناولت فيه أصل الأيوبيين ،وبلاد مصر خلال العهد الأيوبي،واهم أعمال صلاح الدين الأيوبي،بالإضافة الى اوضاع الدولة الأيوبية بعد وفاة صلاح الدين، والضعف والانحطاط الذي لحق بها ،بالإضافة الى التهديدات الخارجية.

<u>الفصل الثالث:</u> حروب المغول ضد العالم الإسلامي،قسمته الى ثلاثة مباحث،كل مبحث يحتوى على عناوين فرعية على النحو التالي:

المبحث الأوّل:سقوط الدولة الخوارزمية على أيدي المغول،وتناولت فيه طبيعة العلاقات المغولية الخوارزمية،وحملات جنكيزخان على الدولة الخوارزمية ،بدء بالهجوم على منطقة ماوراء النهر،ثم الاستيلاء على مدينة أترار،وسقوط مدينة جند،والاستيلاء على بناكت وخجند،ثم فتح بخارى وسمرقند،كما تطرقت الى علاقة جنكيزخان والسلطان محمد خوارزمشاه،وعبور المغول لنهر جيحون وتعقب السلطان الخوارزمي،ثم نهايته على أيدي المغول ،واستيلائهم على إقليم خوارزم ،وسقوط اقليم خراسان ،ثم الاستيلاء على مرو،وتدمير مدينة نيسابور،والاستيلاء على مدينة هراة،ثم تناولت مطاردة المغول للسلطان الخوارزمي ،جلال الدين منكبرتي،واستيلاء المغول على إقليم غزنة،وهروب

السلطان الخوارزمي الى الهند،ثم الى كرمان ،الى ان قتل،وبموته سقطت الدولة الخوارزمية نهائياً،وتوسع المغول ،واتجاههم الى أراضي طائفة الإسماعيلية.

المبحث الثاني:القضاء على طائفة الاسماعيلية ،وتناولت فيه حملة هولاكو على على إيران،وأسباب هجوم المغول على هذه الطائفة،والقضاء عليها من طرف هولاكو.

المبحث الثالث:سقوط الخلافة العباسية ،وتناولت فيه أوضاع الخلافة في مختلف المجالات ،عشية الغزو المغولي،وحملة هولاكو على بغداد ،وأهم مراحلها من الإعداد لها ،والمراسلات بينه وبين الخليفة العباسي المستعصم بالله ،وحصار بغداد الى غاية سقوطها على أيدي المغول،والآثار والنتائج التى ترتبت عن ذلك سواء على بغداد ،أو على العالم الاسلامي ككل.

الفصل الرابع:المغول ومعركة عين جالوت ،وقسمته الى خمسة مباحث ،جاءت على النحو التالي:

المبحث الأوّل:زحف المغول على بلاد الشام.

المبحث الثاني:المغول وبلاد مصر في العصر الأيوبي.

المبحث الثالث:مقدمات والاستعدادات للمعركة ،الجانب المملوكي من حيث تعداد الجيش وخبرته ،فكان الجيش المملوكي يتكون من الجيش النظامي،والجيش القبلي، والجيش المتطوع،بالاضافة الى انواع الأسلحة التى اعتمد عليها المماليك في معركتهم

ضد المغول،وكذلك تعداد وحجم الجيش المغولي ،وأنواع الاسلحة التى اعتمد عليها في معركة عين جالوت.

المبحث الرابع:حوادث المعركة

المبحث الخامس:نتائج معركة عين جالوت على المغول والمسلمين.

خاتمة:ذكرت فيها أهم النتائج التى توصلت إليها من خلال دراستي لهذا الموضوع.

ولإنجاز خطة البحث ، أعتمدت على مجموعة من المصادر والمراجع ،يمكن عرض الأهم منها ،على النحو التالي:

أولاً: أهم المصادر:

الكامل في التاريخ ،ابن الأثير أبي الحسن محمد ابن عبد الكريم بن عبدالواحد الشيباني (ت630هـ/1231م)،يعتبر من أهم كتب التاريخ العام ،واحتوي على عشرة أجزاء،وقد أفادني من خلال ماحوى من معلومات عن اجتياح المغول لبلاد ماوراء النهر ،ووصفه للأعمال العسكرية التي قام بها الجيش المغولي ،وما احدثوه من خراب ودمار للمدن الاسلامية التي اجتاحوها،واعتمد المؤلف على ذكر الاحداث التاريخية مرتبة حسب السنين،لذلك فقد ذكر حملات المغول على بلاد ماوراء النهر بشكل متسلسل ،وقد أفادني كذلك في جزءه العاشر ،حول بداية حملات المغول على العالم الاسلامي،وكذلك وصفه لنشأة المغول وخروجهم من موطنهم الاصلي.

سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ،لمحمد بن أحمد النسوي(ت639هـ/1241م):

يكتسي هذا المصدر أهمية كبيرة لأن مؤلفه كان معاصرا لدولة المغول،وهو أحد موظفي بلاط السلطان جلال الدين منكبرتي،وتقلد وظيفة كاتب الانشاء ،وقد أفادني في بحثي هذا ،خاصة ماتعلق بعلاقة المغول بالدولة الخوارزمية وسيرة السلطان جلال الدين منكبرتي،وتناول الاحداث التاريخية التي وقعت مطلع القرن السابع هجري،وأبرز التطورات السياسية والعسكرية والاجتماعية التي وقعت في دولة السلطان جلال الدين منكبرتي،خاصة فترة ظهور المغول ،ومطاردة السلطان الخوارزمي،حيث قدم المؤلف وصفاً مفصلاً عن تلك الأحداث بإعتباره كان شاهد عيان.

كما تطرق المؤلف الى أصل ونشأة المغول ،وغزوهم للدولة الخوارزمية،والمذابح التى قاموا بها ،اثناء توسعهم وسيطرتهم على مدن وأقاليم الدولة الخوارزمية.

تاريخ جهنكشاي(فاتح العالم)،لعطاء ملك الجويني(ت679هـ/1280م)،والكتاب مترجم من الفارسية الى اللغة العربية ،من طرف السباعي محمد السباعي، في إطار المشروع القومي للترجمة ، وتحقيق محمد بن عبد الوهاب القزويني،ويقع في ثلاثة أجزاء اعتمدنا على المتوفر منها مج1ومج3،ولم أستطع الحصول على المجلد الثاني.

ومؤلف الكتاب من مؤرخي البلاط المغولي،فقد عاصر توسعات المغول ،وقد أفادني كثيرا في الفصل الاول والثاني والثالث،فقد اعتمد الجويني على نظام متسلسل في ايراد الأحداث التاريخية ،فالمجلد الأول يتضمن احوال المغول قبل تأسيس جنكيزخان

للإمبراطورية،تم تناول المؤلف فترة وأحداث ظهور جنكيزخان ،وتنظيم أمور الدولة ،وأهم اعماله العسكرية ،اما المجلد الثالث فهو مهم جدا فتناول فترة حكم منكوخان ،وهولاكو وأهم أعماله العسكرية وتوسعاته أتجاه العالم الاسلامي،خاصة إيران والإسماعيلية والخلافة العباسية.

طبقات ناصري،للجوزجاني أبي عمرمنهاج الدين عثمان بن سراج الدين(ت698هـ/1298م):

كتب بالفارسية ،وترجمه ملكه على التركي وجاء في جزئين ، وقد أفادني الجزء الأوّل في الفصل الثاني ،حيث تناول المؤلف ملوك وسلاطين الدولة الخوارزمية من مؤسسها الملك قطب الدين أيبك ،الى آخر سلاطينها ألاوهو السلطان جلال الدين منكبرتي،أما الجزء الثاني فقد أفادني في معظم فصول هذا البحث ،حيث تناول المؤلف ظهور جنكيزخان ونشأته ،وعبوره لنهر جيحون الى خراسان،وتوجه الجيوش المغولية الى قلاع الملاحدة ،وبلاد العراق وتركستان ،وحملة هولاكو على بغداد وبلاد الشام،كما ذكر سقوط دار الخلافة العباسية ،واستشهاد الخليفة المعتصم بالله.

جامع التواريخ ،لرشيد الدين فضل الله الهمذاني (ت718هـ/1317م):يعد هذا الكتب من أهم مصادر تاريخ المغول،لأن مؤلفه عاش في منطقة المغول وعاصر الاحداث التاريخية الخاصة بهم،وقد افادني كثيرا في كل فصول هذا البحث ،خاصة في مجلده الثاني ،بجزءه الأول ،والذي جاء بعنوان:الإلخانيون وتاريخ هولاكو ،فقد أفادني في الفصل الثالث والرابع،وما تعلق بتوسعات هولاكو وقضائه على طائفة الاسماعيلية والخلافة العباسية.

ومما يميز هذا الكتاب بأجزائه ،أن المؤلف أفرد لكل حاكم مغولي فصلا مستقلا فتحدث عن نسبه وأهم أعماله في مختلف المجالات،ويعرفنا الكاتب بأشهر أعمال المغول العسكرية في بلاد الصين والروس وأروبا الشرقية وتركستان وإيران،والخلافة العباسية وبلاد الشام،وقد أعطى صورة واضحة عن طبيعة تلك الحملات العسكرية، والأسلحة التى استخدمها الجيش المغولي في حروبهم،والتعرف على نظمهم في مختلف المجالات.

ولغة الكتاب هي اللغة الفارسية وقام بترجمته الى اللغة العربية ،المؤرخ فؤاد عبد المعطي الصياد وآخرون ،وقام بمراجعته د.يحي الخشاب.

<u>البداية والنهاية ،لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي(ت774هـ/1372م):</u>

يقع هذا الكتاب في عدّة أجزاء ، وقد اتبع فيه المؤلف نظام ترتيب الأحداث حسب السنين،وهم مهم جدا لهذا البحث،فقد أفادني الجزء السابع عشر،في الفصل الأول حيث تناول المؤلف بداية خروج المغول من موطنهم الأصلي الى العالم الخارجي،بداية من سنة 617هـ،تم تطرق الى أهم الأعمال العسكرية التي قاموا بها في منطقة ماوراء النهر.

كما أفادني الجزء السابع عشر في الفصل الثالث ،حيث تطرق المؤلف الى علاقات المغول الأولية بالدولة الخوارزمية ،وبداية الهجوم العسكري وسقوط مدنها الواحدة تلوى الأخرى،الى غاية سيطرتهم التامة على اقليم خوارزم،وكذلك وصفه لهجوم المغول على بغداد ،وماتبع ذلك من تقتيل واستباحة دم المسلمين، وتخريب العمران بكل

أنواعه،ولعل ما تميز به ابن كثير في هذا الكتاب أنه قدم وصفا دقيقاً لإعداد الجيش المغولي ،وعناصره وأسلحته ،وطرق الحصار والقتال التى تفننوا فيها ،واعتمدوها في غزوهم للعالم الاسلامي.

صبح الأعشى في صناعة الإنشا لأحمد بن على القلقشندي(ت821هـ/1418م):

يقع هذا المصدر في عدّة أجزاء ،اعتمدت على الجزء الثالث الذي أفادني في معرفة نسب جنكيزخان،وشرح جوانب مهمة عن حياة المغول،كما تناول الباحث بالشرح لمختلف الاسلحة القتالية ،ومنها ماعتمد عليه المغول في حروبهم خاصة ضد دوّل العالم الإسلامي في هذه الفترة.

أهم المراجع:

المغول:للسيد الباز العريني:يعد من المراجع المهمة والمتخصصة في تاريخ المغول،وجاء في ثلاثة عشر فصلاً،تناول فيها المؤلف تاريخ المغول بالتفصيل ، قبل وبعد ظهور جنكيزخان،وحملاته المبكرة ،بالإضافة الى أوضاع الشرق الاسلامي قبيل الغزو المغولي ،وعلاقة جنكيزخان بالدولة الخوارزمية، وتناول كذلك خلفاء جنكيزخان وحملاتهم على المشرق الاسلامي،ودخولهم الى بلاد فارس وإسقاطهم للخلافة العباسية ،وزحفهم على بلاد الشام ومصر ،فقد أفادني كثيرا في معظم فصول ومباحث هذا البحث.

الشرق الاسلامي قبيل الغزو المغولي ،لحافظ أحمد حمدي:طبع الكتاب بمطبعة الفكر العربي،سنة 1950م، وقسمه المؤلف الى ستة أبواب ،وقد أفادني كثيرا في الفصل الثاني ،حيث تناول أوضاع الشرق الاسلامي قبيل الغزو المغولي،فجاء الباب الأول بعنوان

حالة الخلافة العباسية ، ونفوذ العنصر الفارسي والتركي،وآثاره على نظام الحكم ،ونفوذ البويهيين ،وظهور السلاجقة ،وحالة اقاليم الخلافة العباسية في هذه الفترة ،فقد شخص المؤلف اسباب ضعف وتدهور أوضاع الخلافة في مختلف المجالات ،قبيل الغزو المغولي،أما الباب الثاني فجاء بعنوان النزاع بين أبناء البيت السلجوقي،وتناول فيه الباحث أسباب هذا النزاع ،والذي كان من نتائجه انحلال دولة السلاجقة ،والباب الثالث جاء بعنوان إستفحال طائفة الاسماعيلية ،وتناول فيه المؤلف جهود الفاطميين في نشر المذهب الاسماعيلي،وعوامل نجاح دعوتهم ،وعرج على أهم اعمال هذه الطائفة ،وزعمائها وعلاقتهم بالخلافة العباسية ،والمغول،أماالباب الخامس فبين لنا المؤلف حالة بلاد الشام ومصر قبيل الغزو المغولي،ودور الصليبين في المنطقة،ودور صلاح الدين الأيوبي وجهاده ضد الصليبين ،وحالة خلفاءه من بعده.

التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية،لعفاف سيد صبرة،قدمت الباحثة دراسة شاملة للأوضاع السياسية للدولة الخوارزمية ،فقد افادتني في الفصل الثاني والثالث ،من خلال عرضها لمرحلة تأسيس الدولة ،وتطورها السياسي، عرض أهم الاحداث التى ميزت حكم ملوكها وسلاطينها،وعلاقتها بدول العالم الاسلامي في هذه الفترة،الى غاية سقوطها على أيدي المغول .

تاريخ الدولة المغولية في إيران لفهمي عبد السلام عبد العزيز: ، دار المعارف بمصر سنة 1981،تناول المؤلف في فصول هذا الكتاب ،تعريفا مفصلا للمغول وحياتهم الاجتماعية والعسكرية،وتحليل شخصية جنكيزخان وأهم اعماله الادارية

والعسكرية ،وحملاته على الدولة الخوارزمية،وحملة هولاكو على إيران ،والقضاء على طائفة الإسماعيلية والخلافة العباسية،وقدأفادني كثيرا في الفصل الأول والثالث والرابع.

صعوبات البحث:من الصعوبات التى واجهتني لأعداد هذا البحث .

- تفاوت المادة العلمية من فصل لآخر،مما صعب على التحكم فيها وترتيبها حسب الفصول والمباحث.
- وجود مصادر فارسية مهمة ،تخدم الموضوع ،وهي غير مترجمة ،خاصة ماتعلق بتاريخ المغول وعلاقتهم بالعالم الاسلامي،دون ان ننكر دور المركز القومي للترجمة الذي ترجم عدة مصادر منها تاريخ فاتح العالم ،وطبقات ناصري
- تشابه كبير للمادة العلمية في المصادر العربية ،مما جعلني ابحث في المصادر غير العربية للتحق والمقارنة والوصول الى الحقيقة.
- وجود الكثير من المعلومات التاريخية التى تحتوى على الاساطير والخرافات ،خاصة ما تعلق بتاريخ المغول وحياتهم الاجتماعية،تتحفضي على ذكر البعض منها.
- تعرض المادة العلمية التى جمعتها الى القرصنة الالكترونية ،وهو ماجعلني أتأخر في أنجاز هذا العمل ،وأجدد جمع هذه المادة .

وفي الأخير اشكر الله سبحانه وتعالى الذي وفقني في انجاز هذا العمل،وأشكر الاستاذ المشرف،الدكتور أحمد شريفي على توجيهاته ونصائحه،وتحفيزاته لي ،لإتمام هذا العمل ،فكان نعمّ الاستاذ ،فله منى كل الشكر والتقير وأدامه الله ذخرا للعلم وللجامعة

الجزائرية ،كما أتقدم بجزيل الشكر الى كل من قدم لي المساعدة من قريب او من بعيد

في سبيل إتمام هذا العمل.

الفصل الأوّل

الفصل الأول:أصل ونشأة المغول

المبحث الأول:الموطن الأصلي للمغول

1 – المغول والتتار

2- أقسام التتار

المبحث الثاني:نظمهم الاجتماعية.

1-ديانتهم

2-طباعهم وأوصافهم

3-المأكل

4-اللباس

5-المسكن

المبحث الثالث:القوانين المغولية.

1-قانون الياسا

2-قانون التوار

المبحث الرابع:جنكيزخان وتوحيد القبائل المغولية.

1-شخصيته

2-قبائل المغول

3-التنظيم العسكري

4-الجوسسة والدعاية الحربية

5-توحيد القبائل المغولية على يد جنكيزخان.

المبحث الأول: الموطن الأصلي للمغول

سكن المغول حتى منتصف القرن السادس هجري ،الثاني عشر ميلادي،في الفيافي وأراضي الإستبس الواقعة شمالي منشوريا ومنغوليا وتركستان.[1]

ويحدد لنا المؤرخ فؤاد عبد المعطي الصياد ،موطن المغول بدقة ،بقوله:نشأ المغول الاصليون إذا التزمنا المعنى الحقيقي الدقيق لهذه الكلمة ، والذين قدرلجنكيز خان أن يولد بينهم – في الهضبة المعروفة باسم هضبة منغوليا شمال صحراء جوبي ، وهي تمتد من أواسط آسيا جنوبي سيبيريا وشمال التبت وغربي منشوريا، وشرقي التركستان بين جبال التاي غربا وجبال خنجان شرقا.[2]

إن تاريخ شعوب المغول ذا أهمية كبيرة ،لتعدد القبائل والشعوب المغولية ،التي تقطن في المناطق الإستبسية، وبالخصوص هضبة منغوليا، وقد عاشت القبائل المنغولية في المنطقة الواقعة وسط آسيا بين نهري سيحون

---

[1] حسين مؤنس ،أطلس تاريخ الإسلام ،الزهراء للإعلام العربي ، ط1،القاهرة 1987م،ص 239.

فؤاد عبد المعطي الصياد:المغول في التاريخ ،دارالنهضة العربية للطباعة والنشر ،د.ط، بيروت 1980،ج1،ص 31،30،

[2] محمود السيد ،التتاروالمغول،مؤسسة شباب الجامعة ،د،ط،القاهرة،2001،ص39.

وجيجون من الغرب حتى حدود الصين الجبلية، ومن جهة الشرق ممتدة حتى

خطي الشمال الشرقي لآسيا، وتوسع البعض في حدودها انتدب ها إلى البحر

الأدرياتيكي.

منذ القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي، تحرر المغول من الوصايا التركية بفضل تغلب "القرخطاي" على الأتراك "القرغير" التي فرضت عليهم منذ سقوط "جوان جوان" في منغوليا بالإضافة إلى ذلك تأسيس دولة القرخطاي في الربع الأول من القرن السادس الهجري، الثاني عشر ميلادي[1].

1-المغول والتتار

المغول يتميزون بالبداوة ،وينقسمون إلى عدة طوائف، وقبائل تسكن إقليم منغوليا[2]، هذه القبائل من البدو الرحل الثلاثة التابعين للفروع الثلاثة:

---

[1] بارتولد شبيولير: المغول في التاريخ، ترجمة يوسف شلب الشام ط1، طلاسم الدراسة والترجمة والنشر، دمشق 1989م، ص13.

[2] فهمي عبد السلام عبد العزيز: تاريخ الدولة النمغولية في إيران، دار المعارف القاهرة، مصر 1981، ص 09.

الاتراك والمغول والتونغوز وجميعهم من الجنس الآلتائي[1].

يتضح لنا أن تسمية المغول غيرتسمية التتار، حيث يعود هذا الاسم بجذوره التاريخية إلى الشعوب التركية التي تجمع في أسرتها الأتراك والأدربيجان والكازاخ و القرعيز والأيغور والتركمان والقرافيلباق والشورنس والياقوت والطوفين والبلكار والقراتشاي والنونغاي وتتار القرم وتتار بولندا، وتتار نهر الفولغا (البولجار)[2].

اختلف التتار عن المغول رغم كونهما من أصل واحد (الأصل التركي) حيث كان التتار أسبق في الظهور من المغول، ومصطلح التتار هو اسم مشتق من (تات) بمعنى الجبل و (أر) بمعنى ساكن أي ساكن الجبل، وقيل كذلك (آر) كلمة فارسية بمعنى إنسان، وكلمة (تتر) في الأساطير الإغريقية تعني عالم الغيب أو الجحيم، وقد عرفت أوروبا هذا الاسم (تتر) ويرى الكثيرون أن اسم التتار مشتق من اللغة الصينية، إذا كانت هناك قبيلة يطلق عليها (تاتا)، او (دادا) او (تاتان)، تسكن منطقة منشوريا وشمال شرق

[1] الصياد ،المرجع السابق، ص25.

[2] أبرار كريم الله، من هم التتار، ترجمة وتعليق رشيدة رحيم الصيروتي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1994، ص 07.

منغوليا في القرن الخامس الميلادي، وكانت بعض اللهجات الصينية التي يتوفر فيها صوت يشبه صوت (ر) تطلق عليها (ترتار) أو (تتار) ،وقد تميزت هذه القبيلة بروح قتالية عالية[1].

فالتتار هم قوم من غير الأقوام التركية التي سكنت المنطقة التي يحدها شمالا نهر "أورخون" و"سلنجا" ومملكة "القرعيز" وشرقا إقليم "الخطا" و الصين الشمالية وغربا ممالك "الأيغور" وجنوبا إقليم التبت ومملكة "التانغوت" ،وهو أشد القبائل الجنس الأصفر بطشا، وجيروتا في إقليم آسيا الشمالية، وقد أخضعوا أغلب القبائل المجاورة لهم حيث أن قبائل الأتراك على اختلافهم تسموا باسمهم فأطلق على الجميع اسم التتار[2].

---

[1] مرجونة محمد عي إبراهيم: المغول والحضارة الاسلامية، رحلة المغول من الاستكبار إلى الانصهار، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط1، 2010م، ص 22-32.

[2] محمد أسد الله صفا، جنكيز خان الوحشي النابغة 1176- 1227م، دار النفلئس بيروت، 1408هـ/ 1981م، ص 38.

لقد عرف المغول في مطلع القرنين السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي باسم التتار[1]، والحقيقة أن التتار ظهروا في التاريخ منذ القرن السادس للميلاد وعاشوا جنوب غرب بحيرة "بايكال" حتى نهر "كيرولين" وانقسموا إلى ثلاثة أقسام.

[1] التتار من الأقوام غير التركية التي ورد ذكرها في نقوش آرخون والتي سكنت المنطقة التي يحدها شمالا نهرا أرخون وسلنجا ومملكة القيرغيز وشرقا إقليم الخطا – الصين الشمالية – و غربا ممالك الأيغور، وجنوبا إقليم التبت ومملكة التانغوت، وهم من أشد قبائل الجنس الأصفر بطشا وجبروتا في أقاليم آسيا الشمالية ويتشعبون إلى شعب كثيرة، وقد أخضعوا أغلب القبائل المجاورة لهم، بحيث أن قبائل الأتراك على اختلاف مراتبهم وطبقاتهم والهند والصين ومنشوريا وبلاد القيرغيز والبلغار والباشغر والقبجاق ولايات الشمال وأقوام الأعراب والشام ومصر وبلاد المغرب، اسم تتار على أقوام الأتراك، وعرف مغول جنكيز خان في القرن السابع هـ/ 13م باسم التتار، ولم تلبث هذه اللفظة أن أطلقت على أسلافه وعن النايمان بالإضافة إلى الشعوب التي خضعت له، على الرغم من أن التتار كانوا قبيلة أو قبائل مستقلة عن المغول، من هنا فغن لفظ التتار والمغول هما اسمان لقبيلتين تعيشان في الشطر الشرقي من آسيا وفي الشمال الغربي من الصين وأطلق المؤرخون المسلمون في العصور الوسطى على كل موجة بشرية قذفتها آسيا الوسطى باتجاه الأراضي الإسلامية، اسم الترك حينا والتتار أحيانا من غير تحديد، حتى أنهم سموا الزحف المغولي الكبير باسم زحف التتار، والمعروف أن التتار كانوا يتكلمون اللغة المغولية، وبعد ظهور جنكيز خان غلب اسم المغول على جميع الشعوب القبلية، فاشتهروا في التاريخ بهذين الاسمين، انظر: رشيد الدين فضل الله الهمذاني جامع التوريخ، تاريخ خلفاء جنكيز خان من أوكتاي قآن إلى تيمور قآن، ترجمة فؤاد عبد المعطي الصياد، دار النهضة العربية، بيروت، 1983، ص 57-61. أنظر: سهيل طقوش، تاريخ المغول، ص25.

2أقسام التتار:

*التتار البيض: الذين ينزلون خارج الصين فتأثروا بالحضارة الصينية.

* التتار السود: في شمال صحراء "جوبي ويمارسون حياة البداوة والتنقل.

*تتار الغابة: وينزلون على الروافد العليا لنهري "أونون" و "كيرولين" حيث يمارسون حياة الصيد.[1]

المبحث الثاني:نظمهم الاجتماعية

1- ديانتهم:

لم يكن للمغول دين واحد يعتنقونه، بل كانت طوائفهم تنازل الديانات المختلفة، شمانية وبوذية، ومسيحية واسلام والمامونية وزرادشة، وعلى الرغم من ذلك فغنهم كانوا بعيدين عن التعصب لمذهب دون آخر، اعتنق المغول الديانة الشمانية، وهي ديانة قائمة على عبادة الكواكب والأصنام

[1] شبارو محمد عصام، السلاطين في المشرق العربي، دار النهضة العربية، لبنان، 1994، ص35.

وأرواح الأجداد القدامى، والقليل منهم كانوا يدينون بالنصرانية ومنهم من لا يدين بدين معين[1].

كما ترتكز الشامانية على عبادة عوامل الطبيعة، على عادة المجتمعات البدوية، إنهم يسجدون للشمس عند طلوعها والقمر والرعد والنار والبرق، واعترف المغول إلى جانب هذه المعبودات، بوجود إله واحد خالق الأشياء و موجد الضيق في العيش والحرمان، والمشاق، وما يتعرض له الإنسان من أضرار في هذه الحياة، وهو يتربع فوق السماء الزرقاء، فعبدوه ودعوه باسم تنكر ي[2] ،غير أنهم لم يتخذوا أمكنة خاصة للعبادة ،وعلى الرغم من اعترافهم بالوحدانية إلا أن ذلك لم يمنعهم من إتخاذ أوثان وتماثيل مجسدة في أشكال مختلفة، وبخاصة صور الآدميين مصنوعة من اللبود وغيرها من

[1] القلقشندي أبي العباس بن علي بن ابي اليمن القاهري الشافعي (821هـ/1418م)،صبح الأعشى ى في صناعة الأنشا، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة، القاهرة، 1998م ج4، ص 310،

[2] يوضح ابن العميد كلمة تنكري بقوله: تنكري أو جنكري خان بالراء غير المعجمة وهو اسم يطلق على ملك الصين لأنه مركب من جين وهو الصين وكري وهو بالتركية ملك والخان هو ملك فمعنى هذا الاسم ملك ملوك الصين، ويبقى هذا رأي ابن العميد، انظر ابن العميد المكين جرجس أبي الياس ابن ابي المكارم النصاري،أخبار الأيوبيين، د،ط، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة د،ت،ط، ص07.

الحرير، فيقومون بوضعها على جانبي مدخل المنزل، يلتمسون منها حماية أبنائهم وحيواناتهم، كما كانوا يصنعون لخاناتهم ورؤسائهم، ورب الأسرة بعد وفاته توضع أيضا أمام المنزل، وتقدم إليها القرابين، وذلك احتراما لذات الشخص المتوفى[1].

اعتنق المغول معتقدات دينية عديدة ورغم ذلك كان ليدهم إيمان راسخ بمذهب وحدة الوجود، والمذهب يقول بأن الله والطبيعة شيء واحد وبأن الكون المادي والإنسان ليسا إلا مظهرين للذات الإلهية[2]

على الرغم من اعتقاد المغول في هذا الرب إلا أنهم لا يعبرون عن عبادتهم لذلك الرب الخالد والمعطى في السماء، من صلوات أو دعاء في مكان مخصوص أو القيام بعمل يتطلب جهدا أو مشقة، أو إعداد ترتيب خاص والاستعداد لإقامة احتفال معين لهذا الغرض، أو بطقوس من أي نوع

[1] ابن الأثير عزالدين علي ابن محمد بن عبد الكريم، الكامل في التاريخ،ر،ج،محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، ط4،بيروت،2004،مج10،ص400،وليام وودفيل روكهل،رحلة ويليام الروبريكي للجزء الشرقي من العالم ،د.ط،مجتمع الهالكوت لندن1900،ص 17.

[2]الصياد،المرجع السابق،ص336

ومع أنهم يؤمنون بتنكري وهو ذلك الرب الذي في السماء، فإن هذا لم يمنعهم من اتخاذ معتقدات كثيرة ومتنوعة[1].

فقد آمن المغول بسكن جنيات في المياه وعلى المؤمن أن يقدم القرابين إليها وقد عرفوا البوذية التي تسربت إليهم من الهند والزرادتشية والمانوية.[2]

وقد دخلت عليهم من فارس، والمسيحية النسطورية التي حملها المبشرون إليها[3] ،ومن هنا يتضح أن المغول كانوا نسلا من الغزارة مختلفا كليا، ولم يكن لديهم أي ارتباط بالإسلام ولم يسعوا إلى فرض مزيجهم الخاص من المعتقدات البوذية والشامنية على المسلمين.[4]

---

[1] مرجونة إبراهيم محمد علي، المغول والحضارة الإسلامية، مؤسس شباب الجامعة، الإسكندرية، القاهرة، 2010م، ص 282-283.

[2] حسن مجيب المصري، صلات بين العرب والفرس والترك، دار الثقافة للنشر، القاهرة، مصر 1421هـ/ 2001م، ص 209.

[3] ناديا ايبو جمال، من الغزو المغولي، ترجمة سيف الدين القصير، دار الساقي بالاشتراك مع معهد الدراسات الإسماعيلية، بيروت، 2004م، ص 24.

[4] عادل إسماعيل محمد هلال، العلاقات بين المغول وأوربا وأثرها على العالم الإسلامي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1997، ص 167.

كانت الشامنية هي الديانة القديمة للمغول الذين كانوا على الرغم من اعترافهم بإله عظيم قادر، لا يؤدون له الصلوات، يعبدون طائفة من الآلهة الدنيا وبخاصة تلك الآلهة الشريرة التي يتقدمون إليها بالقرابين والضحايا لما كانوا يعتقدونه فيها من السلطان والقدرة على إيذائهم، كما كانوا يعبرون أرواح أجدادهم القدامى التي كانوا يعتبرونها ذات سلطان عظيم على حياة أعقابهم، ولكي يوفق المغول في هذه القوى السماوية والعالم السلفي، فإنهم كانوا يلجؤون إلى الكهنة وهو الشامان والسحرة أو إلى رجال الطب الذين كانوا يعتبرونهم ذوي نفوذ خفي وسلطان على عناصر الموتى وأرواحهم، وعندما خرج المغول لغزو الشعوب المجاورة في عهد جنكيز خان فإن (ت 1227) فإنهم تأثروا بمدينات هذه الشعوب، الديانات السماوية.[1]

2-أوصافهم وطباعهم

يرى المؤرخ ابن فضلان أن المغول أوحش الناس كلاما وطباعا وكلامهم أشبه بصياح وزئير[2] ،وقد كان المغول يعيشون على الصيد، ومن

---

[1] طقوش محمد سهيل،تاريخ المغول العضام والالخانيين،ط1،دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع،لبنان2007م،ص41

2 ابن فضلان أحمد بن العباس بن راشد بن حماد، رسالة ابن فضلان، تحقيق سامي الدهان، مطبوعات المجمع العلمي الغربي بدمشق، بدون تاريخ، ص 40.

عاداتهم السرقة والعنف والفجور ،يدينون بالولاء لملك الخطا سابقا، ويقدمون له ما يأمرهم به ،وقد أتقنوا ركوب الخيل وأساليب الفروسية[1].

اشتهر المغول بصفات ثلاث وتميزوا بها دون سائر الشعوب الأخرى، الأولى جسدية، والثانية صفات خلقية، والثالثة صفات حربية، وهذه الصفات الثلاث اكتسبها المغول نتيجة نشأتهم في بلاد فقيرة قاسية المناخ تتناسب مع البيئة التي شبوا في أحضانها، إن مميزات المغول الجسدية تتمثل في الرأس الكبير والوجه العريض والأسنان القوية والرقبة القصيرة والصدر الواسع والساقين القصيرتين المقوستين وقصر القامة والبشرة الصفراء السميكة، وتسبب فقر البلاد وقلة الغذاء وقسوة المناخ في تحول الوجه وبروز عظم الخد وقصر القامة منذ أمد بعيد، كما أن البشرة السميكة والجفون المسترخية التي حباهم الله بها تقيهم الرياح العاتية التي يتعرضون لها في بلادهم

[1] الفقي عماد الدين عبد الرؤوف: الدول المستقلة في المشرق الإسلامي منذ مستهل العصر العباسي حتى الغزو المغولي (دراسات دول آسيا الوسطى الكمنويلث الجديد)، دار الفكر العربي القاهرة 1944 من ص 168.

المترامية في معظم أيام السنة، أما اعوجاج السيقان فسببه قضاء المغول، رجالا ونساءا معظم أوقاتهم على ظهور جيادهم ذات الركاب القصيرة.[1]

وعن صفاتهم الخلقية فإن البيئة التي عاشوا فيها أضفت عليهم صفاة خلقية فريدة، فهم كانوا يعيشون عيشه بدوية وسط قبائل وطوائف كثيرة أقوى منهم عددا وعدة وأقسى منهم شراسة وحبا لسفك الدماء، وكان لا بد لهم من يصطدموا بتلك القبائل حينما كانوا يعملون على توفير المراعي لماشيتهم في فصول السنة المختلفة ولذلك كانت تقوم على المعارك الطاحنة وتشتد أهوالها بين القبائل المغولية على المراعي الخضراء ومجاري المياه.[2]

كما فرضت عليهم بيئتهم البدوية وحالة التنقل التي استلزمتها ظروف حياتهم المعيشية أن يدربوا أنفسهم على حب المخاطرة ومواجهة الشدائد بثغر باسم، وأن يغرسوا هذه الصفات في نفوس أطفالهم منذ نعومة أظافرهم، فكانوا يدربونهم وهم في الثالثة من أعمارهم على استعمال القوس النشاب، كما كانوا يدربونهم على صيد الأرانب كما يركب الكبار من

---

[1] مصطفى طه بدر،محنة الاسلام الكبرى أو زوال الخلافة العباسية من بغداد على أيدي المغول ،ط2،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1999م،ص84،مرجونة محمد علي،المرجع السابق،ص44

[2]قاسم محمد غنيمات وآخرون،قبائل المغول الأولى النشأة والاندماج والتوحيد(612هـ/1218م) ،المجلة الاردنية للتاريخ والآثار ،مج05،العدد03،الاردن ،2011م،ص93

المغول ظهور الجياد، كان الأطفال يركبون الخراف، ويتعلقون بها، وهكذا كان ينشأ الطفل المغولي في طبيعة قاسية وحياة أشد قساوة، لذلك كانت حياتهم حربا مستمرة مع الطبيعة التي أمدتهم بأعظم سلاحين وهما الصبر والجلد، فأعطتهم صفات المحاربين[1]

أما صفاتهم الحربية فكان المغول فرسانا بطبيعتهم وكانوا على اختلاف أعمارهم يقضون حياتهم على ظهور الجياد، ولا يكادون ينقلون قدما على الأرض ولم يكن الرجال هم وحدهم الذين يختصون بالفروسية، بل أن النسوة من المغول كن يمتطين الخيل كالرجال تماما، وكن يستعملن القوس والسهام، ويقدرون على البقاء على ظهور الجياد زمنا طويلا.[2]

ويذهبن مع الرجال إلى ميدان القتال وكانت عادة المقاتل المغولي أنه ذا سار إلى القتال يحمل كل ما يحتاجه أثناء الحرب، فيحمل آلات لشحذ رماحه، كما كان يحمل الإبر والخيوط لاستعمالها عند الحاجة ولا يأخذ معه من المؤن إلا قربا من اللبن، وكذلك كانت شجاعة المقاتل المغولي مضرب الأمثال، وشهد بشجاعتهم أعدائهم أنفسهم.[3]

[1] مصطفى بدر ،المرجع السابق،ص88

[2] عبد السلام عبد العزيز فهمي: تاريخ الدولة المغولية في إيران، دار المعارف كورنيش النيل، القاهرة، 1981،ص27.

[3] نفسه، ص 27،28،مصطفى بدر ،المرجع السابق ص88

3-المأكل:

اعتمد المغول في غذائهم الرئيسي على لحوم الحيوانات باختلاف أنواعها ،من خيول، وكلاب، وذئاب، وثعالب، وفئران ،وأرانب برية ،وحمار وحشي ، والنمور، والغزال ،والأسماك التي كانت تصطاد من الجداول والأنهار.[1]

كما كان شيئا عاديا أكل لحوم الحيوانات الميتتة "وإن هم اضطرتهم الظروف وسوء الأحوال إلى أكل اللحم النيئ فعلوا ذلك ،دون تردد وأكلوه من غير شواء[2].

وهم إذا أكلوا لحما لا يفرقون بين الطاهر وغير الطاهر من الحيوانات، ودارت أساطير عديدة تبين حب المغولي وشهوته للأكل، منها أسطورة كابول خان جد جنكيز خان وتقول: أن إمبراطور الصين دعا كابول إلى مائدته، فأكل ما يأكله ستة رجال وشرب ما يشربه اثنا عشر رجلا، حتى فقد وعيه، فأمسك بذقن الإمبراطور، ثم تنبه لفعلته فطلب من

---

[1] ابن الاثير ،الكامل، مج10ص400،الصياد،المرجع السابق،ص330.

2محمدالتونجي،بلاد الشام إبان الغزو المغولي ،ط1،دار الفكر العربي ،بيروت،1998م،ص23،22،ثروت عكاشة ،إعصار من الشرق –جنكيزخان–ط5،دار الشروق،مصر،1993م،ص21،20

الإمبراطور أن يعاقبه على سوء سلوكه ويقطع رقبته فعفا عنه الإمبراطور الصيني لأدبه وكافئه.[1]

وهذه الرواية فيها مغالاة لأنه من المعروف عن المغولي أنه كان يستطيع الصبر على الجوع، فلا يأكل طعاما مطهيا لثلاثة أو أربعة أيام، ولا شك أن هذه القدرة العجيبة قد أفادته في الحروب، لان الجندي في المعارك والقتال يكون مهتما بالنزال والطعان أكثر من اهتمامه بالطعام وملء البطون[2].

وقد ذكر ابن الأثير أن التتار لا يحرمون شيئا ويأكل جميع الدواب حتى الكلاب والخنازير وغيرها[3] .

أما شمس الدين الذهبي ،فيصفهم بقوله"ثم إنهم لم يحتاجوا الى ميرة ،ومددهم يأتيهم ،فإنهم معه الأغنام والبقر والخيل ،يأكلون لحومها

---

[1] مرجونة محمد علي،المرجع السابق،ص179.

[2] الصياد،المرجع السابق،ص331،330.

[3] ابن الأثير،الكامل ،مج10،ص400.

لاغير،....ولايحرمون شيئا،ويأكلون جميع الدواب ،وبني آدم[1].

والأدهى من ذلك أنهم كانوا يأكلون اللحوم البشرية ،فقد حدث في عام 628هـ/1230م،إبان تحرك "تولي خان"الى ولاية الخطا من أجل فتحها ،أن نفذت مؤن الجند ونفقاتهم ،وجاعو جوعا شديدا مما دعاهم الى ان يأكلوا اللحوم البشرية والعلف الجاف [2]،فكان من عاداتهم أكل لحوم أعدائهم وشرب دمائهم ،فيروى ان المغول في إحدى غزواتهم في الصين ،ضحوا بواحد من كل عشرة رجال في جيوشهم ،عندما نفذ طعامهم ،ليكونوا طعاما للباقين[3].

وقد حدث في عهد "آبقا خان663-680هـ/1263-1281م"وهو أحد إيلخانات مغول فارس،أن اتهم المغول مسلما يدعى معين الدولة بروانه،بالخيانة لاتصاله بالسلطان الظاهر بيبرس ،فتم القبض عليه ،وقطع

---

[1] شمس الدين محمد ابن احمد ابن عثمان الذهبي،تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام ، تحقيق عبد السلام تدمري، ط1،دارالكتاب العربي، لبنان، 1997م، ج44، ص 39.

[2] رشيد الدين فضل الله الهمذاني،جامع التواريخ ،تاريخ خلفاء جنكيزخان من أوكتاي قان الى تيمون قان،تر،فؤاد عبد المعطي الصياد،ت،ق،يحي الخشاب،د،ط،دار النهظة العربية للطباعة والنشر ،بيروت،د،ت،ط،ص 33

[3] Howorth ,History of the mongol London1876,III,p53

نقلاعن:ابراهيم مرجونة ،المرجع السابق،ص 178.

الى نصفين ،وصدرت الأوامر بأن يوضع جزء من لحمه ضمن كل وجبة من وجبات الخاقان،فأكل ابقا خان من لحمه ،وجعل جميع أمرائه يأكلون[1]

وان السيدات المغوليات ،طلبن أن يسلم لهن الخائن،ولما سلم إليهن غلينه حيا وقطعن جسمه ،وقدمنه الى جميع أفراد الجيش ليأكلوه[2]

وكان للمغول طريق عجيبة في حفظ اللحوم، وهي أنه إذا مات عندهم ثور أو حصان أو أي حيوان، قطعوا لحمه إلى شرائح رقيقة ثم يعلقونها لتتعرض إلى ضوء الشمس وحرارتها ،وهبوب الهواء، حتى تجفف بهذه الطريقة دون أن يصبح لها رائحة كريهة، وبدون أن يضيفوا لها أملاح، إذ أنها لا تنعدم ولا يصيبها تلف[3].

1طه مصطفى بدر ،المرجع السابق،ص77.

[2]ابرهيم مرجونة ، المرجع السابق ،ص 179.

[3]اسماعيل عبد العزيز الخالدي،العالم الاسلامي والغزو المغولي،ط1،مكتبة الفلاح ،الكويت ،1983،ص31.

أما الأمعاء فقد يضعون بداخلها مادة مأكولة، فيصبح ليدهم محشو، فيأكلونها طازجة.[1]

أما بقية اللحم فإنهم كانوا يحتفظون به الى فصل الشتاء،حيث كانوا يصنعون من جلود الثيران جرارا عظيمة الحجم، وذلك بتجفيفها بالدخان، ثم يحفظون لحمهم فيها، كما كان المغول يطبخون طعامهم على النار، حيث اعتادوا الجلوس حولها على اختلاف طباقتهم ،من الرئيس أولا أو الإمبراطور الى الفقير، وجرت العادة على أن يبدأ بالأكل صاحب أعلى مكانة ثم يليه من هو أدنى منه ،ويتكون وقود نارهم بصفة أساسية من روث الأبقار والخيول وغيرها بعد أن يكون جافا[2].

وكانوا يستخرجون من ألبان البقر والغنم الزبد والجبن،أما البان الافراس فيستخرجون منها نوعا من اللبن المخمر"الرائب"يعرف عندهم بإسم"كومس"،فكانوا يضعونه قربة ثم يقلبونه بشدة بقطعة من الخشب،وبعد

---

[1] مرجونة ،المرجع السابق ،ص181

[2] William of Rubruck :thejourney in Dawson,the Mongol Mission,first edition,London,1955. op,cit ,pp93.98

أن يأخذوا منه الزبد بهذه الطريقة ،يتركونه حتى يصبح حامضا،ثم يشربونه فيكون لهم منه غذاءلابأس به[1]

4-الملابس:

كانت ملابس المغول بسيطة ساذجة، حسب البيئة التي يعيشون فيها، فكانت في الغالب مصنوعة من أصواف الغنم و وبر الإبل ،وأحيانا كانوا يصنعونها من جلود الحيوانات، وكان النساء يلبسن الملابس الحريرية التي يحصلن عليها عن طريق المقايضة من التجار المسلمين، على أنه لا يوجد فرق كبير بين ملابس الرجال والنساء[2]،فكن يلبسن سترة على شكل بلوزة قصيرة ،وهذا النوع من اللباس يشبه العباءة الى حد كبير،إذ أنه كان مفتوحا من الأمام ،ولكن له فتحة أيضا من الجهة اليصرى حتى الخصر،ثم يثنى من على منطقة الصدر،فيربط من الجهة اليسرى برباط واحد،أما الجهة اليمنى فكان يربط بثلاثة خيوط[3].

1عبد العزيز فهمي،المرجع السابق،ص21

[2]فؤاد عبد المعطي الصياد، المرجع السابق ص 332.

3ابراهيم مرجونة،المرجع السابق،ص203.

ولما إنساح المغول في أرجاء الأرض ،وكونوا إمبراطورية واسعة صاروا يستوردون الحرير من الصين، والفراء الثمين من روسيا ،وغيرها من جهات أوروبا التي كانت تدين لهم بالطاعة[1]

حيث ذكرأن المغول ،أصبحوا يلبسون الحرير والفراء الثمينة،وتتزين نساؤهم بالحلي والجواهر،ويهتمون بنظافتهم وهندامهم ،كما يفعل أباطرة الصين،وملوك وأمراء المسلمين[2].

أما عن ملابس أغنياء المغول فكان عندهم أفخر ملبوس، جلود الكلاب والنموس والذئاب والتيوس[3].

أما ما ارتداه الفقراء فكان من جلود الكلاب والماعز وما شابه ذلك، ويتم زخرفته وتزيينه بخيوط مادتها قطنية خشنة، وبشكل عام مثلت المواد الصوفية بشتى مصادرها عنصرا أساسيا في اللباس المغولي، واعتاد المغول تغطية وجوههم بطبقة من الشحم للوقاية من الصقيع والرياح الشديدة، ومن عاداتهم عدم استبدال ملابسهم إلا مرة واحدة كل شهر، وفي

---

1 فؤاد عبد المعطي الصياد،المرجع السابق،ص332.

2عبد العزيز فهمي ،المرجع السابق،ص22

3 ابن عرب شاه،فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، تحقيق حسن عاصي، دار المواسم بيروت، 1995، ص،539.

فصل الشتاء لم يغيروها قط، وكانت ملابسهم قذرة ،وذلك لعدة أسباب منها أنهم لما يغسلوها في الماء، لأن ذلك محرم حسب نصوص الياسا، ولشدة برودة الطقس، ولعدم امتلاكهم أكثر من رداء لكي يتبادلوا ارتداءه[1].

يقول القلقشندي"...ويقال أنهم كانوا لايرون غسل ثيابهم البتة،ولايميزون بين طاهرا ونجس"[2]

أما عن زي الرعاة وملابسهم فكانت تقليدية مثل سابقتها ،وأبرز ما فيها الحذاء طويل الرقبة، والمعطف المربوط عند الخصر، وكان الراعي يراقب قطيعه من الماشية وهو ممتط فرسه.[3]

أما ملابس الجيش المغولي،فإن المحاربين العاديين كانوا يلبسون ملابس من الفراء على أجسادهم،كما كانوا يضعون على رؤوسهم خوذات من الحديد،بينما الرؤساء من الجند والضباط والقواد ،كانوا يلبسون اللامات الحربية[4].

---

[1] ابراهيم محمد علي مرحونة: المرجع السابق ص 205، فؤاد عبد المعطي الصياد، المرجع السابق 332.

[2]أحمد ابي العباس القلقشندي،صبح الأعشى في صناعة الإنشا،،د،ط،المطبعة الأميرية ،القاهرة،1914م،ج4،ص312.

[3]ابراهيم علي مرجونة، المرجع السابق، ص 204.

[4]طه مصطفى بدر ،المرجع السابق،ص89.

يقول: ماركوبولو"...وهم يرتدون دروعا دفاعية ،مصنوعة من جلود الجواميس الغليظة،وغيرها من البهائم،بعد تجفيفها بالنار لتصبح بذلك مفرطة الصلابة والقوة.."[1]

فكان الرجال يرتدون ثيابا من جلد الغنم وسترات فضفاضة من الجلد المدبوغ ،وارتدى بعضهم قمصانا من الحرير الخام لا تخترقه رؤوس السهام، ولكن ينغمس مع السهم في اللحم مما يخفف من خطورة الجرح، ولحماية وجهه استعمل درعا جلديا صغيرا محمولا في ذراعه اليسرى، وتحت عباءته الفضفاضة ارتدى زيا صوفيا "محوكا" بإحكام حماه من أذى سهام الأعداء،وصار الفارس المغولي بلباس الحرب لا يقوى عليه أحد في المعارك.[2]

نستنتج مما سبق، أن ملابس المغولي في معضمها مستمدة من بيئته المحيطة به،وما امتلكه من حيوانات ،حتى زيه العسكري أوجد فيه عنصر الحماية والوقاية من الاصابات قدر الامكان،ممايدل على حسه العالي

[1]ماركوبولو،رحلات ماركوبولو،تر،عبد العزيز جاويد،ط2،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1995،ج1،ص142

2 ابراهيم علي مرجونة، المرجع الاسبق ص 205.

،ومهارته التصنيعية ،من حيث تطوير عناصر بيئته لخدمته،والاستفادة من ثروته الحيوانية ومخلفاتها[1]

5-المسكن:

فرضت الظروف الطبيعية من ناحية الطقس والمناخ على المغول ان يشيدوا مساكنهم بطريقة معينة، اختلفت اختلافا كليا عن غيرهم من البدو الرحل[2].

وإذا تأملنا في كيفية بناء مساكنهم أو خيامهم بتعبير أدق والتي عرفت في لغة المغول باسم "بورت"، نجد أنها كانت نصف دائرية وتشبه الوعاء المقلوب،وشيدت على شكل حوائط دائرية ،من صوف ووبر وجلود الاغنام،على هياكل من ألواح الخشب،ربطت بعضها ببعض بقطع من جلود الحيوانات.[3]

---

[1] ابراهيم علي مرجونة، المرجع الاسبق ص ،ص206.

2سامي محمد المرسي،المغول،ط1،دار العالم العربي،القاهرة،2011م،ص30.

3محمد فتحي الشاعر،مصر قاهرة المغول في عين جالوت،د،ط،دار المعارف ،د،ب،ن،1995م،ص 11.

وأقام المغول أسقف خيامهم من اللباد[1] السميك، وكانت أبواب بيوت المغول تتجه عادة إلى الجنوب تجنبا للرياح القادمة من الشمال والغرب القاسية، وكانت النار تظل مشتعلة دائما وسط البيت المغولي، أما ترتيب هذه البيوت من الداخل فكان بسيطا ويعلقون على الحوائط الأسلحة والأواني الجلدية التي كانوا يضعون فيها الألبان ومستخرجاتها وكانوا يضعون في الجزء الداخلي للباب فراش رب البيت ويخصصون الجاني الغربي من البيت للرجال والشرقي منه للنساء[2].

أما في المناطق القريبة من الغابات فقد شدت الخيام على شكل حوائط دائرية من الصوف و وبر وجلود الحيوانات، ونتيجة لذلك فإنها لا تأثر بالرياح والعواصف الشديدة في فصل الشتاء، كما أنها تبعث الدفء، فكانت تحميهم من شدة حرارة الشمس[3].

---

1 اللباد هو خالص وقيل هو كل شعر أو صوف متلبد، والشعر المتراكم بين كتفي الأسد ويطلق عليه اللبدة، وعند المغول يؤخذ اللباد من شعر الخيل وبعض الجولد والصوف وضغط على بعظه ليتلبد، انظر ابراهيم محمد على مرجولة: المرجع السابق ص 193.

[2] عبد السلام عبد العزيز فهمي، المرجع السابق ص 22، 23. سامي محمد المرسي، المرجع السابق،ص30

[3]ابراهيم علي مرجونة ،المرجع السابق،ص 194،

وكان المغول يضربون خيامهم في مناطق الأعشاب التي تكفل لهم الحصول على قوتهم في يسر وسهولة حتى إذا وجدوا الأرض ،قد أقفرت ولم تعد صالحة للاستغلال، طووا خيامهم وحملوها على عربات لها أربع عجلات، تجرها الثيران وأحيانا كانت البيوت كبيرة، اشترك في جرها إثنا عشر ثورا أو أكثر، وأحيانا كانت صغيرة يكفي لجرها ثور واح،د وقد ينقل المغول هذه البيوت على ظهور الإبل ،ثم يستمرون في رحيلهم حتى إذا صادفتهم أرض أخصب ضربوا فيها خيامهم، وتكون أبوابها دائما ناحية الجنوب.[1]

أما حجم المنزل المغولي فكان يتراوح ما بين الصغير والمتوسط والكبير، فالصغير منها يقام على عربة صغيرة يجرها حيوان واحد ،وهذا الحيوان قد يكون حصانا أو ثورا أو جملا، أما الكبير منها فبلغ عرضه حوالي ستة أمتر، وكذلك طوله ،ويزيد حجمه على حسب مكانة صاحبه ،وعدد ساكنيه، أما المسكن المتوسط فيتباين بين الكبير والصغير من حيث الحجم،وتختلف عدد الحيوانات التي تجر المنازل بإختلاف حجمها.[2]

---

1 ابراهيم محمد علي مرجونة: المرجع السابق ص 195.

[2]طه مصطفى بدر،المرجع السابق،ص78،79،80،ابراهيم علي مرجونة ،المرجع السابق ،ص 201.

وبعد أن فتح جنكيزخان،أقاليم الصين الشمالية ،إرتقت حياته وطرأ تطور كبير على مسكنه،فلم يعد يتخذ الخيمة المصنوعة من الجلد مقرا له،بل صار يقيم سرادقا مرتفعا،مصنوعا من اللباد الأبيض،ومبطنا بالحرير،والى جانب المدخل ،وضع منضدة من الفضة عليها لبن الخيل والفاكهة واللحوم،حتى يأكل ويشرب كل من كان يأتي لمقابلته.[1]

المبحث الثالث: القوانين المغولية:

1- قانون الياسا:

"الياسا" أو "الآسا" أو "اليسق" أو اليساق"، وهي مجموعة الشرائع التي وضعها جنكيز خان لتنظيم نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها بين المغول[2].

[1] الصياد ،المرجع السابق،ص334.

[2] المقريزي تقي الدين أحمد بن علي عبد القادر (766–845هـ)، والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار والمعروف بالخطط المقريزية، تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998م، ج3، ص82.

وقد أعطى ابن ثغري بردي تعريفا،لمعنى" الياسا "،فيقول:

أن "اليسق" هو الترتيب[1]، وذكر أن أصل لفظ "اليسق":" سي يسا "وهي لفظة مركبة من كلمتين، صدر الكلمة :سي بالعجمي، وعجزها ياسا بالتركي، لأن سي بالعجمي ثلاثة، ويا بالمغولي الترتيب، فكأنه قال: التراتيب الثلاثة، وسبب هذه الكلمة أن جنكيز خان ملك المغول كان قد قسم ممالكه على أولاده الثلاثة ،وجعلها ثلاثة أقسام ،وأوصاهم بوصايا لم

[1] إقتضت حياة المغول رغم بائيتها وبساطتها أن تكون لهم قبل جنكيز خان ،مجموعة من الآداب والتقاليد ،ولكنها لم تكن مدونة لانهم كانوا يجهلون الخط، فلما جاء جنكيز خان أعاد النظر في هذه العادات،ورّد بعضها وقبل معظمها ،وأضاف غليها بعض الاحكام والقواعد ،وجعل لها صبغة رسمية ،وأمر أن تدون النظم والاحكام والقواعد بإسم "ياسا"،وهي كلمو مغولية تأتي بمعنى حكم وقاعدة وقانون، وتكتب بأشكال مختلفة في الكتب العربيةوالفارسية،فنجد، "ياسا"و"ياسة"ويساق" وكانت تطلق هذه اللفظة على الحكم الذي يصدره الملك أو الأمير،ولما كانت "الياسا" تشتمل على جزء كبير من الاحكام التي تتعلق بالجزاء أو العقاب ،وغالبا مايكون ذلك بإعدام الشخص المذنب،صارأحد معاني هذه الكلمة ،القتل والموت،أما مجموع الاحكام التى كتبت بالخط الإيغوري ،والتى أقرها جنكيزخان،فإنه يطلق عليه إسم كتب الياسا الكبير،أنظر :ابن تغري بردي جمال الدين أبي المحاسن يوسف الاتابكي ،النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،دار الكتب العلمية ،ط1،لبنان،1992م،ج7،ص163،حاشية01.

يخرجوا عنها الترك الى يومنا هذا، مع كثرتهم واختلاف أديانهم، فصاروا يقولون: "سي يسا" ،بمعنى (التراتيب الثلاثة التي رتبها جنكيز خان)[1] .

أقره جنكيز خان عقب انتخابه "خاقانا" ،سنة 603هـ/1206م،نظم فيه العلاقة بين الحاكم بالمحكوم ،وعلاقة المحكومين بعضهم ببعض، وعلاقة الفرد بالمجتمع[2].

ويعرفه الباز العريني بقوله "ياسا"لفظة مغولية معناها الحكم أوالقاعدة أو القانون، ووردت في المصادر العربية والفارسية في صور مختلفة، "ياسا"و "ياسه"و"يساق"وياساق"و"يسق"،وتطلق على الحكم الذي يصدره الملك أو الأمير [3].

يقول القلقشندي:"الياسا"قوانين خمنها جنكيز خان من عقله،وقررها من ذهنه،رتب فيه أحكاما ،وحدد فيها حدودا ربما وافق القليل منها الشريعة

[1] ابن ثغري بردي، النجوم، ج7، ص162، 163.

[2] حمدي احمد حافظ،الدولة الخوارزمية والمغول،غزو جنكيزخان للعالم الاسلامي ،وآثاره السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية، د،ط،دار الفكر العربي،د،ت،ط،ب،ن، ص 242.

[3]الباز العريني،المغول،د،ط،دار النهظة العربية،1981م،ص60،59حاشية01.

المحمدية،وأكثرها مخالف،لذلك سماها الياسة الكبرى،وقد اكتتبها ،وأمر ان تجعل في خزانته ،تتوارث عنه في أعقابه،وأن يتعلمها صغار أهل بيته.[1]

وكان كتاب الياسا قد اشتمل على جانب كبير من الأحكام التي تتعلق بالجزاء والعقاب ،وإذا شاع حكم الإعدام على المذنبين، صار من معنيها القتل والموت، وهذه الأحكام دونت بالخط الأيغوري، وأقرها جنكيز خان وصتر يطلق عليها كتاب الياسا الكبير، وقد كان المغول يرجعون إلى نصوص الياسا عندما يجلس خان جديد على عرش المغول، وفي حالة تعبئة الجيوش والاستعداد للقتال.[2]

قام جنكيز خان بجمع قوانين شعبه التي كانت موجودة من قبل، فنظمها وأتمها، معطيا بذلك الحياة الدستورية للإمبراطورية المغولية التي سمي قانونها بالياسا، وبقي أساسا للنظام العام عند المغول أمدا طويلا بعد موت جنكيز خان، وقد استفاد المغول كثيرا من وجهات النظر الصينية التي كانت قد أصبحت شائعة عند المغول[3].

---

[1] القلقشندي،صبح الأعشى،ج4،ص311،310.

2 الباز العريني:المغول، ص 60.

3 شبولير: المرجع الاسبق، ص21 وما بعدها.

يشتمل قانون الياسا على احكام حربية، وأخرى اجتماعية، ومدني،ة وأحكام هذا القانون تعرف باسم الياسا أو "اليساق" ،وهو قانون مختصر، بسيط، لكنه حازم وصارم، قوامه احترام المجتمع المغولي، واحترام الصغير للكبير، ثم تضمن هذا القانون، نظام المغول العسكري والحربي، وجملته الطاعة العمياء ،واحترام الرتبة لمن يعلوه رتبة عسكرية، هذا بالإضافة إلى العقوبات الشديدة الصارمة ،لمن يخرج عن أحكام اليساق، وهذا القانون ومن يقصر في آداء واجباته من الضباط والجنود يعرض نفسه للعقوبات الشديدة ،وبهذا القانون النظام المحكم استطاع جنكيز خان أن يوسع أملاكه،فأخضع بعض الأقاليم الشمالية من بلاد الصين[1].

وقد جاء عن الياسا في كتاب "مفرج الكروب في أخبار بني أيوب" واتفق على أن ملكهم جنكيز خان المعروف بـ: تيموجين وضع لهم ضوابط لهم يدينون ويعملون بها يسمونها الآسة[2].

---

[1] فايد حمادة عاشور،العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى، دار المعرفة، القاهرة، 1974. ص 30.

[2] ابن واصل جمال الدين محمد بن سالم (ت 697هـ)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق ومراجعة حسنين وسعيد عبد الفتاح عاشور، مركز تحقيق التراث بدار الكتب والوثائق القومية، مصر، بدون تاريخ، ج4، ص36-37.

وقد عرف المغول أنهم بقوا يحافظون على الياسا بعد اعتناقهم للدين الإسلامي ،وخير دليل على ذلك قول رشيد الدين وفضل الله الهمذاني في حديثه عن غازان خان"حتى بعد اعتناقه الإسلام بقي متبعا للياسا بقوله :وقد عاقب قواعد الشرع وقد ساق عدة أشخاص معينين بسبب ارتكابهم تلك الآثام.[1]

ومن نصوص هذا القانون كايلي:

1- من وجد عبدا أو أسيرا قد هرب ولم يرده إلى صاحبه قتل.

2- من أطعم أسير قوم أو كساه بغر إذنهم قتل.

3- من وقع حمله أو قوسه أو شيء منه متاعه وهو يكر أو يفر في حال القتال، وكان وراءه شخص فإنه ينزل ويتناول صاحبه ما سقط منه، فإن لم ينزل ولم يناوله قتل.

4- لا يأكل أحد من أحد حتى يأكل منه المناول أولا، ولو كان المناول أميرا، ومن يناوله أسيرا.

5- لا يختص أحد بأكل شيء وغيره يراه، بل يشركه معه في أكله.

[1] الهمذاني رشيد الدين فضل الله: جامع التواريخ (تاريخ غازان خان)، دراسة وترجمة فؤاد عبد المعطي الصياد، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 1998، ص316.

6- لا يتميز أحد بالشبع على أصحابه وإن مر أحدهم بقوم وهو يأكلون، فله أن ينزل ويأكل معهم وليس لأحد أن يمنعه.

7- منعهم من غسل ثيابهم بل يلبسونها حتى تبلى.

8- منع من يقاتل عنه نجس، فإن جميع الأشياء طاهرة.[1]

9- ألزمهم ألا يعتصبوا لشيء من المذاهب.

10-منع من تفخيم الألفاظ وروائع الألقاب، فلا يخاطب الشخص مهما كانت مكانته إلا باسمه فقط.

11-ألزم بعده (النائب عنه) بعرض العساكر وأسلحتها إذا أراد الخروج إلى القتال وأن يعرض ساق ربه عسكره، وينظر حتى الإبرة والخيط، فمن وجده قد قصر في شيء مما يحتاج إليه عند عرضه إياه عاقبه.

12-ألزم نساء العساكر بالقيام بما على الرجال من السفر والكلف غيابهم في القتال.

13-ورتب لعساكره وأمراء، آلاف، مئات وعشرات.

14-ولا بد أن يخضع لاكبر الأمراء لما يصدر عليه من حكم، ولو قام بتنفيذ هذا الحكم أحسن من عنده.

---

[1] الباز العريني، المغول، ص61.

15-أمر السلطان بإقامة البريد حتى يعرف مملكته بسرعة.

16-أمر بتنظيم حلقات الصيد، لما لها من أهمية في التدريب على أساليب الحرب.[1]

وورد في الياسا أيضا، ما يدل على كراهية جنكيز خان لمن يرتكب السرقة والفحش، وجعل حقوق الإعدام، وأنكر أيضا عصيان الولد لأوامر أبويه، ومخالفة الصغير للأخ الأكبر، وقد ظلت أحكام الياسا موضع اهتمام الأقوام التركية المغولية ،حتى بعد أن زالت دولة الإيلخانين في إيران، وسار عليه التموريون في أمور السياسية والحكم[2].

2- قانون التورا:

هو المذهب باللغة التركية ،وقد ذكر ابن تغري بردي أن الظاهر بيبرس كان يسير على قادة ملوك التتار، وغالب أحكام جنكيز خان من أمر الياسا والترا "واليسق هو الترتيب"[3].

---

[1] الباز العريني،المغول ، ص 61−62، محمود سعيد عمران، ، المغول وأوروبا، دار المعرفة الجامعية، القاهرة (قناة السويس)، ص38.

[2]طه مصطفى بدر ،المرجع السابق،ص81،82

[3] ابن تغري بردي نالنجوم، ج7، ص162.163.

بعض ما ذكره ابن عرب شاه من أحكام التورا المنسوبة لجنكيز خان:

- إدانة المذنب بجرم الزنا خنقا وتكفي شهادة الواحدة لإدانته.
- من سرق صلب، فإن كانت السرقة من خيمة أو بيت شعر يصلب السارق وتقطع يداه إن كانت بالنقب، ويؤخذ كل ما للسارق من مال وعين ويسرق مالهم من أولادهم وينقل للسلطنة مالهم من طريق.
- مطالبة الجار بالجار ومعاقبة البريء بجريمة مرتكب الأوزار.
- أحقية دعوى من سبق سواء كذب أو صدق.
- جواز استعباد الأحرار وتوارث الفلاح.
- توريث نكاح الزوجة لأقارب الزوج وتداولهم إياها فردا بعد فرد ولا تخرج عنهم إلا زوجوها بمن شاءوا.
- عدم وجود العدة الزوجية وعدم انحصار الزوجات عن عدد مجرد.
- عدم تقديم الوضيع على الشريف ولو كان ذا مال وجاه كثيف.[1]

[1] ابن عريشان، فاكهة ومفكهة الطرفاء، ص410.

المبحث الرابع: جنكيز خان وتوحيد القبائل المغولية:

1. شخصيته:

ولد " تيموجين[1] ""Temujin "في عام 549هـ/1155م، لزعيم مغولي يدعى "يوسكاي Yesugai "وام تدعى "هويلون[2] "Hoelun"، وقد عرف هذا الطفل في التاريخ باسم جنكيز خان" Jenghiz Khan"[3]، وفي تلك المرحلة كان المغول عبارة عن قبائل ،تعيش في أعالي نهرآمور"Amur "وكانت في حرب شبه دائمة مع قبائل التتار المقيمة إلى

1تيموجين لفظة صينية معناها الصلب الفائق،ومنها تيمورج بمعنى الحداد،ومن معانيها أيضا الفارس الكامل.أنظر:الباز العريني،المغول،ص43،حاشية 01.

[2] هويلون: أم جنكيز خان قيل أنها حملته من شعاع الشمس ولهذا لا يعرف له أب، لذلك يطلق عليه أحيانا إبن الشمس، وخرجت بنبوءات بكونه سيرتفع شأنه ويعلو قدره وسيحكم العالم بأسره، أنظر ابراهيم محمد علي مرجونة، المرجع السابق، ص 64.

[3]جنكيزخان:مشتقة من اللفظة الصينية ،المغولية،تشينغ،ومعناها القوي،إنها لفظة إيغورية مكونة من مقطعين ،الاول جنك بمعنى قوي،والثاني جيز بمعنى جبار،أي:الشديد القوي أو الجبار،أنظر:طقوش،تاريخ المغول،ص32،حاشية01.

الشرق منهم، وقد نجح "يوسكاي" في إنزال الهزيمة ببعض قبائل التتار، الأمر الذي زاد من سلطانه وعلو مكانه.[1]

وكان لتموجين ثلاثة إخوة وهم (حسار، ختشئون، تيموج) وأخت تدعى "يتمولون"، وقضى حياته شريدا طريدا، تتلقفه أيدي من يشفق عليه من أصدقاء أبيه، حتى إذا ما بلغ السابعة عشر من عمره بدأ نجمه يلمع ،بسبب أفكاره حول توحيد المغول، وما اتصف به من الجلد والذكاء والعقل والدهاء والهيبة والحزم والشجاعة ،فكان محاربا سفاحا متعطشا للدماء ،يمتلك إرادة قوية وحنكة سياسية ،انفرد بها دون غيره من بني جنسه انذاك.[2]

أما صفات تيموجين حسب أقوال المؤرخين طويل القامة شديد النشاط والاحتمال والصبر وله شخصية أثرت في كل من صادفهم، يضاف لذلك أنه كان معروفا بحبه للعلم واحترامه للعلماء[3].

---

[1] الصاوي محمد الصاوي،جنكيزخان فاتح العالم،ط1،مكتبة النافذة،مصر 2012م،ص72،الصيا،المرجع السابق،ص40،39

[2] ابراهيم محمد علي مرجونة، المرجع السابق، ص64،65،رجب محمود بخيت،تاريخ المغول ،وسقوط بغداد،ط1،مكتبة الإيمان ،القاهرة،2010م،ص31،30

[3] محمود سعيد عمران، المغول وأوروبا،ص32.

يقول ثروة عكاشة:"...كان تيموجين يحب أن يجلس الى الحكماء والإخباريين ،وكان عندهم علم الدول المجاورة،يستمع إليهم ،فيضيف الى هذا أزكى زهوه،مايزكي بصره ،ويزكي خبرته،ويحي معرفته ،فإذا هو على علم بالارض التى يعيش عليها،والارض التى يعيش عليها جيرانه..."[1]

وقد شبه جنكيز خان بـ: "أتيلا" رئيس قبائل الهون، وشبه جيشه بالطوفان أو السيل الجارف، ويعدون غارة المغول في مقدمة الغارات التي تنبعث من الصحراء من حين لآخر، لتقضي على الحضارة والمدينة .[2]

وتظهر قسوة المغول فيما كانوا يعاملون به أعدائهم،فقد كانوا حين ينتصرون لايتركون على قيد الحياة عظيما ،ولا حقيرا،ولا كبيرا،ولا صغيرا ،ولا امرأة ،ولا طفلا رضيعا،ولم تكن تلك القسوة عرضية ،بل كانت متأصلة في نفوسهم ،وتظهر حتى في طريقة ذبح الحيوانات[3]،ويصفهم القلقشندي بقوله"..ومن معتقدهم في ذبح الحيوان،أن تلف قوائمه ويشق

---

[1]ثروة عكاشة ،المرجع السابق،ص36

[2]الصياد،المرجع السابق،ص141.

[3]طه مصطفى بدر،المرجع السابق،ص96.

جوفه،ويدخل أحدهم يده الى قلبه ،فيمرسه بيده حتى يموت ،أو يخرج قلبه ،ومن ذبح ذبحة المسلمين ذبح."[1]

والأمر الذي لا شك فيه أن جنكيز خان يعتبر من السفاكين الباطشين الذين تجردوا من كل شفقة ورحمة بل أنه كان من أقصى الغزاة الذين نكب بهم تاريخ البشرية، وأن الدم الذي سفك بأمره والعمران، الذي خرب على يدهم قد يندر ان يحدث مثله في أي فترة من فترات التاريخ، خصوصا إذا علمنا أن هذا الغازي المغولي كان شديد إلى الأخذ بالثأر والانتقام من عدوه.[2]

لقد كان جنكيز خان من هؤلاء الرجال الذين يهبطون على عباد الله الآمنين وكأنهم الإعصار المجنون، الذي يقتلع النبات من جذوره، ويهدف من أساسه، لقد كان جنكيز خان خوفه ومهبته في قلوب جيشه، وكان الجميع ينظرون إليه نظرة إجلال واحترام، ويعدونهم رئيسهم الأكبر، يأتمرون بأمره وينزلون على طاعته، كما يعتقدون أنه لا يصح أن يوجد حاكم آخر إلى جانبه على وجه الأرض ينازعه السيطرة والسلطان وان الخروج على

---

[1] القلقشندي،صبح الاعشى،ج4،ص311.

2الصياد المرجع السابق ،ص141.

طاعة جنكيز خان ومخالفة أوامره ليعد جرما عظيما لا يغتفر في نظر المغول، ذلك لأن أوامره في عقيدة هؤلاء القوم غنما تصدر من السماء، فعصيان رئيسهم هو عصيان الله[1].

ويقول السبكي واصفا جنكيز خان "ولا يزال أمره يعظم ويكبر، وكان من أعقل الناس وأخبرهم بالحروب ،ووضع لهم شرعا اخترعه، ودينا ابتدعه سماه "الياسا" لا يحكمون إلا به[2].

ان جنكيز خان يعتبر المطرقة، التي ابتليت بها البشرية ،فما تعرضت له الحضارات القديمة من غزوات شعوب الاستبس،مدة 12قرنا ،اجتمعت كلها في جنكيزخان ،والواقع ان ما من أحد من أسلافة ،يضاهيه فيما اتسمت به شهرته من الرعب والعنف،اذ جعل الرعب من خصائص نظام الحكومة ،وأقام من المذابح نظاما ثابتا مشروعا،فما فعله من تخريب وتدمير شرق إيران(خراسان)،أثار من الرعب والخوف مالم يشتهر به"أتيلا"في أروبا [3].

---

[1] الصياد: المرجع السابق، ص141 وما بعدها.

[2] السبكي تاج الدين أبو نصر علي بن عبد الكافي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفاتاح محمد الحلو، دار الإحياء للكتب العربية، مصر 1383هـ/ 1964م، ج1، ص 330.

[3] الباز العريني،المغول،ص145.

2-قبائل المغول:

عرف المغول مجموعة من القبائل، هذه القبائل تختلف تركيبتها الاجتماعية من قبيلة إلى أخرى، حيث يقدر عدد القبائل بحوالي ثلاثمائة قبيلة مغولية، ومن أشهر القبائل:

1 -"النايمان Naimants": قبائل مغولية سكنت أقاصي الغريس بين أعالي نهري أيرتيش الأعلى والأورغون ،الى الشمال من ألتاي ،وقد نفذت إليهم عناصر كثيرة من ثقافة آسيا الوسطى،وكان النايمان يشكلون القبيلة الأكثر تمدنا بين المغول[1]، كان لهؤلاء "النايمان" ملوك مشهورين وأقوياء ،ولم جيوش عديدة،وكانت عاداتهم وتقاليدهم تشبه عادات المغول[2].

2- "الكرايت "Keraites:ينتسبون الى العنصر التركي،ومناطق انتشارهم الشاطئ الغربي لبيحرة بيكال ،بين نهرأرخون وجبال كنتاي حتى سور الصين[3]،ومنذ أوائل القرن 11م،حتى نهاية القرن12م،كان "للكرايت"التفوق والغلبة

1بيرتولد شبولير،المغول في التاريخ،تر،يوسف شلب الشام ،ط1،دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر،دمشق،1989م،ص11.

2 الصياد ،المرجع السابق،ص29.

3رغد عبد الكريم النجار،إمبراطورية المغول(دراسة تحليلية عن التاريخ المبكر للمغول وتكوين الامبراطورية والصراعات السياسية على السلطة603-766هـ/1206-1365م)ط1،دار غيداء ،الاردن،2012م،ص33.

على سائر العناصر المغولية ،وتحولوا الى المسيحية النسطورية ،بين سنتي: 1007-1009م،على يد أسقف نسطوري مقيم في مرو[1].

يصفها الجويني بقوله:"..وكرايت كانت أكثر قوة وشوكة،من القبائل الأخرى،تفوقها عدة وعتادا وعددا"[2]،باستثناء التتار[3].

3-التتار"tatars "[4]:

يشكل التتار أكبر المجموعات القبلية المنتشرة في معظم أرض منغوليا،وتشير نقوش أرخون،أنهم يتكونون من تسع وثلاثين قبيلة ،توحدت بإسم تتار[5].

يقول بارتولد"ومن الأقوام غير التركية التى ورد ذكرها ،في نقوش أرخون التتار،وقد وسم المغول أنفسهم فيما بعد بهذا الإسم،ويرد بالنقوش إسم

---

[1] البارز العريني،المغول ص34

[2] علاء الدين عطا الجويني،تاريخ فاتح العالم"جهنكشاي"،ط1،تح،محمد بن عبد الوهاب القزويني،تر،السباعي محمد السباعي،المشروع القومي للترجمة،القاهرة،2007،مج1،ص74.

[3] رغد عبد الكريم النجار،المرجع السابق،ص33.

[4] ويدخل في جنس الترك القفجاق،،وهم الخفشاخ،والطغرهم التتر،ويقال التتار :بزيادة الألف،ويقال فيهم :الططر،بالطاء:أنظر:القلقشندي أبو العباس أحمد ابن علي,قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان،تح،ابراهيم الابياري،ط2،دار الكتب اللمصري،القاهرة،1982م،ص28

[5] رغد عبد الكريم النجار،المرجع السابق،ص29.

"طوقورتاتار"و"أوتوز تاتار"ويفهم من من هذا أن التتاركانو حينذاك قسمين ،قسم يتكون من تسع قبائل،وقسم يتكون من ثلاثين قبيلة[1].عاش التتار في الجنوب الغربي من بحيرة بايكال،وامتدت منازلهم حتى نهر كيرولين،والتتار ثلاثة أقسام[2]:

التتار البيض،في الجنوب الذين كانوا قريبين جدا من حدود الصين الجنوبية،والتتار السود الذين كانوا يعيشون أبعد من ذلك الى الشمال،والتتار المتوحشين،أو تتار الغابات،كانوا يعيشون على العكس من بقية القبائل البدوية الأخرى،على الصيد وممارسة السحر.[3]

أما المعتقدات الدينية لهذه القبائل ،فتراوحت بين الديانة الوثنية،والأديان السماوية ،وبخاصة المسيحة(المذهب النسطوري)،والإسلام.[4]

4- الإيغور[5]" Urghurs":

سكنوا في الشمال الشرقي لتركستان الحالية، عرف عنهم أبجديتهم، وانتشار كتابتهم

---

[1]بارتولد فاسيلي،تأريخ الترك في آسيا الوسطى،تر ،أحمد السعيد سليمان،د،ط،الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصر ،1997م،ص50.

[2] الباز العريني ،المغول ،ص33.

[3]بيرتولد شبولير ،المغول،ص11.

[4]أحمد حطيط ،المرجع السابق،ص15

[5]هي كلمة تركية ،تأتي بمعنى الارتباط والتعاون،فغلب عليهم هذا الإسم:أنظر:عبد العزيز فهمي،المرجع السابق،ص18.

بين شعوب آسيا التركية ،حتى سقوط دولتهم على يد الأوغوز[1].

كانت ديانتهم مانوية ،وبوذية،ومسيحية،وقلة منهم كانت تدين بالشامانية ،وفي القرن التاسع الميلادي،حلّت الكتابة الايغورية ،مكان الابجدية التركية القديمة، وقد اتخذ المغول على عهد جنكيزخان ابجدية الايغور،التى شاع استعمالها على جميع امبراطوريته.[2]

5-المركيت Merkites:سكنوا المنطقة الواقعة شمال بلاد اليرايت ،على ضفاف مجرى نهر السيلنجا،جنوب بحيرة بايكال،وكان لهم جيش قوي،ذو بأس شديد في الحروب،وقد عرف عن هؤلاء القوم ميلهم الى الشغب وإثارة الفتن،ولهذا شن عليهم جنكيزخان حربا شعواء ،مستعملا أقسى ماعرف عن المغول من شدة وقوة،ولم يقف عند هذا الحد،بل أصدر أوامره بالقضاء عليهم جميعا ،فلم ينج من سيوفهم سوى بعض الهاربين او من استطاعوا الاختفاء عند بعض أقاربهم ،أو من كانوا لايزالون أجنة في بطون أمهاتهم . [3]

---

[1]حطيط أحمد، المرجع السابق، ص16.

[2]الباز العريني،المغول،ص29،30،رغد عبد الكريم النجار،المرجع السابق،ص37.

[3]D'ohsohh(c) ، histoire des mongoles depuis tchinging–khan jusqu'à pans seconde Timour–lang, partie.livre2.1824.p48. ابراهيم بخيت،المرجع السابق،ص15.

6-. الأتراك القرطائيون" Kara-Khitais": كانت لهم دولة هامة يحدها من الغرب الدولة الخوارزمية نومن الشرق مواطن المغول، كان نهر سيحون بمثابة الحد الفاصل بين مملكتهم وأقاليم الدولة الخوارزمية[1]،والقر لفظ تركي بمعنى أسود ويبدوا أن المغول هم الذين أضافوا هذا اللفظ إلى قبائل الخطا للتعبير عن عدائهم وكراهيتهم لهم[2].

وأصل هؤلاء القراخطائيين من قبائل الخطا النازحين من شمال الصين،وقد ورد إسم هذه القبائل في المراجع الصينية منذ القرن الرابع الميلادي،أيقبل ظهور الاسلام بزمن طويل،وهم خليط من المغول والتانجوت ،وقد حدث في بداية القرن الرابع الهجري،العاشر الميلادي،أن ظهر من بينهم زعيم قوي أخضع هذه القبائل لسلطته،ونصب نفسه إمبراطورا عليهم من سنة 304-315هـ/916-927م،وسمي نفسه"تاي سو"،واستطاع خلفه أن يخضع شمال الصين ،ثم منح أسرته لقب

[1] أحمد حطيط،المرجع السابق،ص16.

[2] القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص 447 ابن كثير، المصدر السابق، ج12، ص 267، ابن خلدون عبد الرحمان محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاهدهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة العلمية للمطبوعات، بيروت، 1391ه/ 1971م، ج5، ص137.

"لياؤو"،نسبة الى الاقليم المسمى بهذا الاسم،وقد استمرت هذه الأسرة تحكم من سنة304-519هـ/916-1125م،اي حوالي قرنين من الزمن.[1]

7-المغول:

يرجع التاريخ المبكر للمغول الى قبيلة الشيواي،وشكلوا منتصف القرن 06هـ،12م،مجموعة بشرية ضمت عددا من القبائل ،أطلق عليها بمجموعها تسمية المغول،التى ينتسب إلى أحدها جنكيزخان مؤسس الامبراطورية المغولية.[2]

يقول الهمذاني:"ومع أن الاتراك والمغول وشعبهم يتشابهون،واطلق عليهم في الأصل لقب واحد،فإن المغول صنف من الأتراك،وبينهم تفاوت واختلاف شاسع."[3]

ويلاحظ بصفة عامة، أن القبائل التى تقطن الغابات كانت تبدو أكثر بدائية وأكثر توحشا، وليست لهم علاقة بالحياة المتمدنة إلا عن طريق القبائل الرحالة.[4]

1الصياد ،المرجع السابق،ص23،22.

[2]رغد عبد الكريم النجار،المرجع السابق،ص38،

[3]الهمذاني ،تاريخ المغول،مج2،ج1،ص212.

[4] الصياد المرجع السابق،ص33.

والسّمة السائدة لدى معظم قبائل المغول ،أنهم يعيشون على الرعي والصيد،ومن عاداتهم السرقة،والعنفنوالفجور،ويدينون بالولاء لحاكمهم ،ولدى المغول شراسة تدعوالى تركهم ،وعدم التعرض لهم،مادامو في حالهم.[1]

3-التنظيم العسكري:

لقد حاز المغول كل صفات المحاربين الأقوياء ،وكان من أثر ذلك أن فاقوا غيرهم في تنظيم الجيوش وترتيبها وإمدادها بكل ما يلزمها ،كما اتبعوا في حروبهم طرائق كانت تضمن لهم النصر.[2]

ولم يكد جنكيزخان ينظم إدارة إمبراطوريته،حتى شرع في مدّ رقعتها،اضحى لديه جيش ضخم ،أولى اهتماما كبيرا بتنظيمه ،إذ ان كل افراد القبيلة الذين يتراوح عمرهم بين الرابعة عشر والستين سنة،يلتزمون بالخدمة العسكرية ،وفقا للعرف المغولي والتركي[3].

---

[1]على مرجونة ،المرجع السابق،ص 57.

[2]طه مصطفى بدر ،المرجع السابق،ص89.

[3]ستيفن رنسيمان،تاريخ الحروب الصليبية – الحرب الاولى وقيام مملكة بيت المقدس–تر،السيد الباز العريني،ط3،1993م،ج3،ص417.

فخصص عشرة وضائف لمباشرة شؤون البلاد الإدارية والعسكرية،وقد أورد كتاب الحماسة [1] ،بعض التفصيلات عن هذه الوظائف،وكان يعهد بكل وظيفة الى شخص أو عدة أشخاص على النحو التالي[2]:

- أربعة أشخاص لحمل السهام والأقواس.

ثلاثة أفراد يتولون الإشراف على الطعام والشراب.

- فرد واحد يتولى إعداد المراعي للأغنام والماشية.
- ثلاثة أفراد للمحافظة على هذه المراعي.
- شخص واحد لإعداد العربات العسكرية ووسائل النقل والحمل.
- فرد واحد للإشراف على الموظفين والخدم في قصر الخان.
- أربعة أفراد يتولون الحراسة بالتناوب و حمل السيوف.
- اثنان يتوليان أمر المحافظة على الخيول.
- أربعة أفراد يتولون الحراسة بالتناوب وحمل السيوف.
- اثنان يتوليان أمر المحافظة على الخيول.

[1] هو كتاب باللغة الصينية،يسمة"يوان –شاأو–بي–شي"ويعني،التاريخ السري لأسرة يوان،ويحتوي على الاساطير المغولية،أنظر :بارتولد،تركستان،ص545،546.

[2] الصياد،المرجع السابق،ص358،359.

- أربعة أشخاص لتبليغ رسائل الخان.
- اثنان من النبلاء للمحافظة على النظام ،في اجتماعات المغول[1].

كان الجيش المغولي منظما تنظيما دقيقا ،وقسمه جنكيزخان الى فرقة كبيرة ،وتتكون كل منها من عشرة آلاف رجل وتسمى "تومان"،وأول فرق الجيش المغولي تتكون من مائة ألف جندي يسمونها "التوك"، وهذه الفرقة بدورها تنقسم الى فرق أصغر منها،تتألف كل فرقة من ألف رجل ،يسمونها "منجان"،ثم فرقا من مائة رجل يسمونها "دن" ،وفرقا من عشرة رجال يسمونها "أريان"،ويوجد لكل فرقة قائد يتصرف فيها حسب مايراه ملائما،إلا ان جميع القادة يرجعون الى الخان الأعظم رئيس الامبراطورية.[2]

وهذا التنظيم لم يبدع فيه جنكيزخان إبداعا خاصا،كما أنه لم ينشأ التنظيم عرضيا في اثناء معركة،وإنما هذا التنظيم كان معمولا به من قبل جيوش الشعوب المتحضرة ،الجيش الصيني الذي كان جنكيزخان مطلعا على تشكيلاته، بحكم احتكاكه بهم من قبل ،غير أن ما يحسب لجنكيزخان من فضل على هذه التنظيمات

[1] بارتولد،تركستان،ص 546،547،عمران محمود سعيد، المغول والأوروبيون وقضية القوس، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، مصر، 2003، ص38-39.

[2] الباز العريني،المغول،ص56،57،فايد حماد عاشور ،المرجع السابق،ص.32،33،عبد العزيز الخالدي ،المرجع السابق،ص39.

هو حزمه على الضبط الصارم ،وكان أي خرق للنظام أو تهاون في أداء الواجب ،أو اي عمل جبان،يعاقب مرتكبه دون شفقة أو رحمة بالموت.[1]

يقول الجويني:"وعلى كل شخص أن يقدم ما يجب عليه وفقا لتقسيم العشرات والمئات،ويعرضون الآلات في يوم العرض،فإذا وجد نقص فإن المقصرين يعاقبون على ذلك أشد العقاب ،ويوجه إليهم اللوم ويعنفون كثيرا...."[2].

أما حرس جنكيزخان فقد تم تنظيمه بصورة ثابتة عام 1203م،عقب انتصاره على الكرايت ،وبعد ما أصبح هو الشخصية الأولى بمنغوليا الشرقية،وهنا للمرة الأولى نواجه بألفاظ مغولية،وقد تم ٬إختيار سبعين رجلا للحراسة النهارية ،وثمانين لحراسة الليل،وأطلق على المجموعة الأولى اسم"تركووت""Turgewut "

وعلى الثانية اسم "كبتوت"" Kebtewut"،وكلتا المجموعتين كانتا تكوّن حرس الحماية (كشيكتن Keshikten،ومفردها ،كشيك kashik،اي النوبة)،وكان الحرس يظم أيضا رماة السهام(قورجي)،والفراشين (باورجي)،وحرس الأبواب[3]

---

[1] رغد عبد الكريم النجار،المرجع السابق،ص69،

[2] الجويني،المصدر السابق،مج1،ص70

[3] بارتولد،تركستان،ص548،الصياد ،المرجع السابق،ص359،360.

اشتهر هؤلاء الحرس بالحذر واليقظة،وشدة البأس ن،واختصوا بالنظر فيما يتعلق بالتزام النظام في معسكر الخان ،وهؤلاء الحراس كانوا يؤلفون طبقة ارستقراطية ممتازة،لأن الجندي في هذا الحرس يفوق في الرتبة قائد ألف رجل في الفرق الأخرى،وليس لقائد الحرس أن يحكم بالاعدام على احد الذين يخضعون لقيادته ،إلا بعد موافقة الخان على الحكم[1].

وكان لجيش جنكيزخان سلاحه الوفير،من حراب ودروع ثقيلة،تحفظ بمخازن أعدت له،يشرف عليها ضباط مسئولون عن صيانتها،و نظافتها و صقلها،حتى اذا ما كانت الحرب قام هؤلاء بتوزيع الأسلحة على الجنود ،ثم قام من بعدهم مفتشون"جرخانات"يستعرضون الجنود بعد ان ينتهي إليهم سلاحهم ،يستوثقون من استكمالهم لعدتهم ،ومن وجد مقصرا او مهملا عوقب.[2]

يصفهم الصيّاد بقوله:"وعند تحرك الجيش ،كان جنكيز خان يصدر أوامره الى الجنود بحمل ما يحتاجون اليه من أسلحة وغذاء،حتى الإبر والخيوط ،كانوا يحضرونها لاستعمالها عند الحاجة ،ولا تخلوا جعبة الجندي المغولي من عدد كبير

---

[1]الباز العريني ،المغول،ص56،رغد عبد الكريم النجار،المرجع السابق،ص67،68،

الصياد ،المرجع السابق،ص359،360

[2]ثروت عكاشة،المرجع السابق،ص99.

من أوتار القسي،ومعها إبرة وشمع لإصلاحها ،ومبرد لسن أطراف النبال ،ويضع المغول اسلحتهم وأمتعتهم في جعبات من الجلد،يمكن نفخها ليستعينوا بها على اجتياز الانهار،وإذا جاء يوم العرض ،واتضح أن أحد الجنود قد نسي أن يأخذ شيئا من هذه الأشياء ،حتى ولو كانت تافهة،فإنه لا ينجو من العقاب[1].

4-نظام الجوسسة والدعاية الحربية:

استخدم المغول الأسطورة في عمل الدعاية والإعلام عنهم، بشكل كان يهدف إلى إدخال الرعب والفزع لدى أعدائهم عند، مجرد ذكر أسمائهم، ومن ذلك مبالغتهم في إظهار قوتهم ،من خلال سرد بعض صفاتهم الخارقة فذكروا أن("قوتلوغ خان ابن كابول جد جنكيزخان" كان شديد التحمل لدرجة أن ينام عاريا في البرد القارص والشتاء الشديد، ولديه صوت لا يضاهيه صوت الرعد ،وله مقدرة على تحطيم أي شيء بكل سهولة ويسر، ويأكل في وجبته شاه يشرب الكثير من شراب لبن الخيل)[2].

---

[1] الصياد ،المرجع السابق،ص363،362.

[2] إبراهيم محمد علي مرجونة، المرجع السابق، ص266.

قبل أن يقوم المغول بغزو إقليم من الأقاليم ،كانت تطرح الخطة الحربية-التي سوف يتبعونها-على بساط البحث في جلسة "القوريلتاي"[1] ،حتى إذا ما استقر الرأي على الغزو ،أطلق المغول جواسيسهم في بلاد العدو،فيجمعون الأخبار من هنا وهناك،ويستقصون حالة الجيش ،ويختبرون حصون المدن ،ثم يعودون بهذه المعلومات الى بلادهم ،ويطلعون قادة الجيش عليها[2].

بعد ذلك يرسل الخان رسلا من قبله الى حكام الأقاليم ،وسكان المدن يدعونهم الى التسليم ،والنزول على طاعته ،وكانت أعمال المغول الترهيبية تلقى الفزع في نفوس سكان البلاد التى يزعمون الإغارة عليها ،وكانت قلوبهم تنخلع رعبا وفزعا حينما يوجهون إليهم إنذارهم المعتاد،[3]

---

[1] في ربيع 603هـ/1206م،وعند منابع نهر أونون ،إجتماع" القوريلتاي النويون العظيم ،مجلس الخانات والنويون من كل ارجاء منغوليا المديدة،ورفرفت على المؤتمرين راية بيضاء مقدسة ،ذات تسعة ألسن ،حافظة للمحاربين ،أي روح سولدا ،ومن أوائل مقررات القوريلتاي ،تلقيب تيموجين جنكيزا ،وحاكما لمنغوليا ،كما نصب"خانا"او جعلوه "امبراطورا"،كما ذكر في الترجمة الصينية "للتاريخ السري"وفي الوقت نفسه ،وثّق المجلس لقب جنكيزخان.أنظر :ي،إ،كيتشانوف،حياة تيموتشجين (جنكيزخان)الذي فكر في السيطرة على العالم،الشخصية والعصر،تر،طلحة الطيب،جمعة الماجد للثقافة والتراث ،دبي،2005،ص 205.

[2] الصياد ،المرجع السابق،ص364.

[3] الصاوي محمد الصاوي،جنكيزخان،ص125،الصياد ،المرجع السابق،ص364.

يقول الجويني:"لم يكن جنكيزخان في إنذاراته التي يبعث بها الى النواحي والاطراف المختلفة، والتي يدعوهم فيها الى الإنقياد له والإذعان لحكمه،لم يكن مثل الجبابرة الذين يهددون ويتوعدون،معتمدين على كثرتهم وهيبتهم وكثرة عتادهم،بل كان كل مايكتبه في الانذار،أنهم ان لم ينقاذوا لحكمه ،ويستسلموا له فإن مانعلمه هو مايعلمه الله الأزلي..."[1]

فإذا وصل خان المغول الى بوابة مدينة من المدن ،دعى اهلها للتسليم لطاعته ،فيخرج أعيانها لاستقباله بالهدايا (ترغو)،وعلف الدواب والخراج اللازم ،لم يكن جنكيزخان يتعرض لمدينتهم بسوء ،ويقوم بتعيين قائد عسكري إقليمي ،وحاكم من قبله عليها،ويصدر أمرا يعرف بإسم "يرليغ"[2]،لأمير المدينة المستسلم حتى لا يتعرض له أحد[3]،وهذا "اليرليغ"يكون مختوما بخاتم الخان"تمغا"،وهو مكتوب إما بالمداد الأسود"قراتمغا"وإما بماء الذهب"التون تمغا"،والشخص

---

[1] الجويني ،تاريخ فاتح العالم ،مج1،ص 66.

[2] اليرالغ:فهي، المراسيم:أنظر :القلقشندي،صبح الأعشى،ج4،ص423.

[3] عباس إقبال،تاريخ المغول ،منذ حملة جنكيزخان ،حتى قيام الدولة التيمورية،تر،عبد الوهاب علّوب،المجمع الثقافي ،الامارات 2000م،ص125.

المكلف بختم "اليرليغ"،يقال له "تمغاجي"نوكان التسليم في هذه الحالة ،معناه التبعية المطلقة ،وتسليم عشر خيرات الاقليم أو المدينة[1].

أما إذا اتخذ سكان المدينة طريق العصيان ،وسلكوا سبيل المقاومة ،وخسر المغول خسارة قليلة أمام المدينة المحاصرة،فإنهم لايعقدون مع أهلها صلحا ،في حالة عجزهم عم مواصلة القتال ،واضطرارهم الى التسليم،بل يصدر الخان اوامره بقتل جميع السكان،لافرق عنده بين صغير وكبير،ولابين رجل و امرأة ،كذلك يأمر قواته بتخريب المدينة،وإباحة القتل العام ،والطريقة المتبعة في ذلك ،أن يدعو المغول الأهالي للخروج الى ظاهر المدينة ،ويبقوا على الصناع وأرباب الحرف،بعد ذلك يرسلونهم الى تركستان ومنغوليا،ويختارون من بين الأسرى من يصلح للقتال،فيكونون منهم قوات نظامية ،يطلقون عليها اسم"حشر"[2].

اتبع جنكيز خان في حروبه،ما يعرف بالجوسسة،حيث يقوم بإرسال نفراً من رجاله ،منهم التجار الذين يسهل عليهم الدخول الى هذه المدينة المنيعة،ومنهم الفرسان الذين تظاهروا بالفرار من ظلم جنكيزخان ،"بعث جنكيزخان هؤلاء وهؤلاء وزودهم بما يجب منهم أن يفعلوا،وكان همه أن يتعرف ما عند عدوه ،بما

---

[1] الصياد المرجع السابق،ص365.

[2] عباس إقبال تاريخ المغول،ص125.،الصياد،المرجع السابق،ص365.

ينقله غليه هؤلاء التجار ،وأن يقع على نفر من المحاربين في جيش عدوه،ينقلهم إليه أسرى فرسانه الذين إدعوا الفرار،وتم لجنكيزخان ما أراد ،فقد عاد غليه التجار بشئ ،وعاد إليه فرسانه برجال من المحاربين ،استطاعوا أسرهم ،وما إن استنطقهم جنكيزخان،حتى أفضوا إليه بالكثير مما يرغب فيه[1].

وظل المغول يحيطون أنفسهم بسياج من الحكايات والأساطير، إلى جانب أشكالهم المرعبة وأسمائهم الثقيلة،ونجحوا في توظيف كل هذه الأشياء في هزيمة عدوهم نفسيا ،وإيهامه إعلاميا بأنه يقابل أناسا لا قبل له بهم، فهم أشبه بالحيوانات المتوحشة منهم بالبشر العاديين[2]،وقيل أن الرجل كان يأكل في اليوم ما يأكله ست رجال وما يشربه إثنا عشر رجلا بارعون لا يضاهيهم أحد ولا يقوى على الصمود أمامهم[3].

عمل المغول على إظهار نوع آخر من الإعلام وهو عمل مذابح جماعية في بلاد التي كانوا يستولون عليها والتعامل بقسوة مع كل شيء في البلاد، إلى جانب الحرق والتخريب والسبي والاغتصاب والتدمير بشكل مبالغ فيه وبعد

---

[1] ثروت عكاشة ،المرجع السابق،ص115.

[2] محمد علي مرجونة ،المرجع السابق،ص266

[3] نفسه ص 266.

الانتهاء من أعمالهم التخريبية يقومون بإرسال رجالهم متخفيين مع من فر من مذابحهم إلى البلاد المجاورة، ليصفوا ما تم من مجازر في هذه البلاد مع المبالغة وتضخيم قوة وأوصاف المغول وإيهامهم أن الحل هو ترك المدن خيرا من يلاقوا أصنافا متعددة من العذاب[1].

كما استخدموا مباغتة العدو بمهاجمته من جميع الجهات في وقت واحد فإذا تعذر سقوط المدن المحاصرة في أيديهم هاجموها واستولوا عليها قهرا، وإذا كانت أرض المعركة سهلة عملوا على إرهاق العدو باستمرار الحرب بدون توقف لإضعاف قوة الدفاع عن المدينة وسقوطها، فإما الاستسلام أو الفرار[2].

وإذا صادفتهم مشكلة فكروا في طريقة لحلها وذلك مثل المشكلة التي صادفتهم عند عبورهم نهر جيحون ولم يكن لديهم سفن يعبرون بها النهر فلجئوا إلى استخدام الصندوق الخشبي المغطى بجلد البقر حتى يمنع تسر الماء إلى داخله، ثم وضعوا فيه جميع حاجاتهم وأنزلوا خيولهم إلى النهر ثم أمسكوا بأذناب خيولهم

---

[1] ابن كثير الحافظ أبي الفداء اسماعيل، البداية والنهاية، دار التقوى القاهرة، ط1، 1420هـ/ 199م، ج13، ص 84، انظر عصام شبارو، مرجع سابق، ص 271.

[2] الصاوي محمد الصاوي،جنكيزخان ،ص126.

بعد أن ربطوا الصناديق الخشبية إليهم، فالفرس يعوم في الماء وخلفه فارسه ممسك بذنبه وبذلك عبر الجميع إلى الضفة الثانية للنهر[1].

كذلك برع المغول في الالتجاء الى وسائل الخداع والتمويه ،فكانوا اذا حاصروا مدينة من المدن،وطال حصارهم لها دون جدوى،تظاهروا برفع الحصار عنها،والعودة من حيث أتوا ،حيث إذا اطمأن أهالي المدينة الى رحيل أعدائهم ،وألقوا سلاحهم ،عاد إليهم المغول ،وانقضوا عليهم فجأة قبل أن يستعدوا ،فتسقط المدينة في أيديهم على الفور.[2]

كما عمدوا إلى استخدام أصحاب المهن والحرفيين في معاونة جيوشهم في الحروب، ويضعون أسرارهم في مقدمة جيوشهم ، فيكونوا حائلا بينهم وبين جيوش العدو الذي يحاربونه.[3]

يقول ابن الأثير:"...وكانت عادتهم إذا قاتلوا مدينة ،قدموا من معهم من أسرى المسلمين بين أيديهم،يزحفون ويقاتلون ،فإذا عادوا قتلوا ،فكانوا يقاتلون كرها،وهم المساكين ،كما قيل كالاشقر ،ان تقدم ينحروإن تأخر

---

[1] محمود السيد، التتار والمغول مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية مصر، 2004، ص 118- 119.

[2] الصياد ،المرجع السابق،367.

[3] محمود السيد،المرجع السابق،ص119.

يعقر،وكانوا هم يقاتلون وراء المسلمين،فيكون القتل في المسلمين الأسرى،وهم بنجوة منه"[1]

لجأ المغول إلى خداع العدو بكثرة جيوشهم ،بأن يجمعوا كل عشرة من الأسرى ويجعلون عليهم أحدا من المغول ،وهم يرفعون علما مغوليا فيتوهم العدو أنه أنه جيش مغولي كبير فينهار ويسارع بالتسليم،ويقال بأن عدد المغول عند حصار "خجند"كان عشرين ألفا فقط،بينما كان عدد الأسرى الذين أجبروا على مصاحبة الجيش المغولي ،خمسين ألف نسمة[2]

ومن عادة المغول تخويف العدو وتهديده ،إما التسليم أو القتل، وكانت المدينة التي تقاوم تلقى أشد أنواع العذاب والتنكيل والقتل، بغير تفرقة بين الرجل أو الطفل أو المرأة[3].

يفهم مما سبق أن الاعلام المغولي،كان إعلاما موجها ،حجب ما أراد المغول حجبه،وأذاع ماكانت لديهم حاجة في إذاعته،وأدى دوره المنوط به على أكمل وجه،فحقق المغول من خلاله مبتغاهم ،وصار من بعدهم

---

[1] ابن الاثير ،الكامل،مج10،ص405.

[2] الصياد ،المرجع السابق ،ص366.

[3] محمود السيد، المرجع السابق، ص 119-120.

المستبدون على نفس نهجهم في توظيف الاعلام لخدمة اغراضهم ،وتحقيق أهدافهم الخاصة.[1]

6-توحيد القبائل المغوليةعلى يد جنكيز خان:

كانت القبائل المغولية في مستهل القرن السابع الهجري،الثالث عشر الميلادي ،تعيش في الأقاليم الواقعة بين بحيرة بيكال في الغرب،وجبال كنجان على حدود منسوريا في الشرق،وكان انحلالها السياسي ،واضطرابها الاجتماعي ،ينذران بضرورة ظهور زعيم قوي يستطيع أن يخضع هذه القبائل جميعها الى سلطانه،وكان هذا الزعيم هو "تموجين"،الذي استطاع بدهائه أن يجمع شمل القبائل المغولية المتفرقة ،وينصب نفسه خاقانا عليها،سنة603هـ/1206م،ثم ابدل اسمه باسم جنكيزخان،واختار مدينة قراقورم حاضرة لملكه[2].

يقول الجويني:"ولم يكن للمغول قبل جنكيزخان رئيس او حاكم،وكانت كل قبيلة أو اثنتين تعيشان منفصلتين لا تتفقان،النزاع والخصام مستمر بينهم

---

[1]محمد علي مرجونة ،المرجع السابق،ص268.

[2] النسوي محمد بن أحمد، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، نشر وتحقيق، حافظ حمدي، دار الفكر الغربي، القاهرة، 1953، ص11.

،وكان بعضهم يعتبر السرقة والزور ،والفسق والفجور من الشجاعة والبطولة..."[1]

وجرت محاولات عديدة لتوحيد القبائل المغولية قبل ظهور جنكيزخان،غير أن هذه المحاولات ذهبت أدراج الرياح[2] .

كان أجداد جنكيز خان والطوائف الخاضعة لهم يدفعون الخراج لأباطرة الصين الشمالية،وقبل مولد أبيه بمدة طويلة،وكان"يسوكاي بهادر"رجلا رشيدا ، من عشيرة قيات[3] وتمكن في ايام زعامته من إخضاع عشائر المغول،ممن كانوا يعيشون بجوار مخيمات قبيلته،وبلغت قوته ومكانته حدا جعل إمبراطور الصين ،يخشى إمتداد سلطانه ،فأرسل جماعة لقمعه ، إلا ان "يسوكاي بهادر"أنزل بهم الهزيمة وحرر قبيلته من ربقة العبودية،واستقل بشؤون قبيلته،ووضع أساس الدولة الكبرى التى أقامها ابنه جنكيزخان[4].

---

[1] الجويني،تاريخ فاتح العالم ،مج1،ص62.

[2] محمد علي مرجونة ،المرجع السابق،ص58

[3] المعروف ان أجداد جنكيز خان، كانوا من أتباع أسرة كين وخرجوا على طاعتهم، إذ كان كليل من أجداد جنكيز خان القارة على الجيش الصيني، واشترك في هذه الحملة سوكاي، فانهزم الصينيون، وحصل المغول على غنائم وفيرة، الباز العريني، المرجع الاسبق، ص42.

[4] عباس إقبال ،تاريخ المغول ، ص57، الباز العريني،المغول ،ص 41.

كما ذكرنا سابقا ،بعد أن كوّن جنكيزخان جيشه القوي،بدأيبحث عن الحماية له ولدولته الناشئة،من الجانب القوي الأكبر منه،ولم يجد خيرا من أصدقاءوالده القدماء ،فتقدم الى صديق والده القديم "طغريل"زعيم قبائل "الكرايت"وقدم له نفسه ،وذكره بما لأبيه عليه من يد بيضاء ،وقدم له هدية ثمينة ،وطلب منه الحماية مقابل الإعتراف بسيادته على بلاده.[1]

وكان لتيموجين من الذكاء ،بحيث عرض على "طغيل"أن يقبل أن تكون قبيلة اليكا على حلف مع قبيلة الكرايت،ثم أوضح له مفهومه لهذا التحالف،أي ان اعتداء تتعرض له قبيلته هو اعتداء على قبيلة الكرايت[2].

بعد ذلك نظر جنكيزخان الى ماجاوره من القبائل ،وعزم على إخضاعها ،فانتصر على قبيلة التايجوت ،التى كان قد لقي من زعيمها الهوان والعذاب،وبهذا بسط سيطرته على منطقة شاسعة تمتد شمال صحراء جوبي ،حيث مضارب عدد كبير من قبائل التتار،ثم عمل على ،على إخضاع سائر جيرانه من القبائل الأخرى[3].

---

[1] رجب محمود ابراهيم بخيت،المرجع السابق،ص 40.

[2] ساهر رافع،جنكيزخان،الدار العالمية للكتب والنشر،ط1،مصر ،2012،ص51.

[3] رجب محمود ابراهيم بخيت،المرجع السابق،ص41،بيرتولد،المغول،ص16.

وبفضل نصائح "طغريل"ملك الكرايت ،والذي دان له جنكيزخان بالتبعية ،انحاز إليه زعيم مغولي آخر واسمه"جاموكا"،رئيس قبيلة "جاجيرات"،فقام بينهما من المحبة والود ماجعل منهما أخوين ،غير أن النزاع لم يلبث أن دب بينهما،فانفرط عقد التحالف ،وانحاز الى كل منهما جماعة من الموالين،وإذ جرى التنبؤ بأن زعامة القوم سوف تؤول الى جنكيزخان،ازداد انحياز القبائل والعشائر الى جانبه ،ومن الذين انحازوا الى جانبه ،اربعة أمراء من المغول يجري في عروقهم الدم الملكي ،بعد ان انفصلوا عن "جاموكا"[1]

خاض جنكيز خان عدة معارك من أجل إخضاع بعض القبائل لسيطرته، فبعد انتصاره على قبيلتي، المركيت والنايمان سنة 1204م، وقبيلة كريت المغولية سنة 1206م ،وانتصر بذلك على بعض القبائل الأخرى ،فبسط نفوذه على منطقة شاسعة ،من اقليم منغوليا[2].

وذاع صيته، وتوحد المغول تحت لوائه،واجتمع حشد كبير من القبائل على حدود نهر أون ،وعقد "الكوريلتاي" الذي يمثل تجمع انتشاري

---

[1] الباز العريني ،المغول ،ص 47.

[2] احمد حطيط ، المرجع السابق،ص 19.

للقبائل،واجمعوا على انتخاب تيموجين خانا عليهم واطلقوا عليه اسم جنكيز خان أي الملك الأعظم ، او امبراطور البشر[1].

ثم زحف على امبراطورية" كين " شمال الصين ،وكانوا لا يكفون عن تحريض القبائل المغولية والتتريةعلى جنكيزخان،حتى يتسنى لهم اضعافه وابعاده عن طريقهم ،فأراد جنكيز خان بعد أن شعر بالقوة ،ان يضع حدا لنفوذ وسيطرة هذه القبيلة ،واستطاع ان يهزمهم ويستولي على عاصمتهم بكين سنة 612هـ/1215م[2].

وقد ساد اعتقاد لدى المغول أن جنكيزخان ،كان لديه تفويض إلهي في حكمهم،وأن على الجميع طاعته وعدم الخروج عليه[3]

وتوحدت تلك القبائل التى عاشت متفرقة،تُعين قوة قوة،ويُساند رأي رأياً،وتؤازرموهبة موهبة ،فإذا الحاكم الجديد يملك شجاعة "الكرايت"الى بطش"المركيت"وحكمة "الاغوزيين"الى جلّد "البورشيكون"الى غيرها من حشود القبائل الأخرى،يأمرها جميعا فتأتمر ويملى عليها فتنصاع،وفي غمرة هذا الجاه الذي أصابه جنكيزخان،وأصاب شعبه معه ،يعاود الناس

---

[1] الصياد ،المرجع السابق،ص48.

[2] بيرتولد،المغول ،ص23.،الصياد،المرجع السابق،ص 52، رجب محمود ابراهيم بخيت، المرجع السابق،ص 49

[3] محمد علي مرجونة ،المرجع السابق،ص67.

إيمانهم القديم بأن الخان من سلالة معبودهم "اليوجود"الذي تولاه ورعاه ،ولم يتخلّ عنه فوقاه الشر وجنبه الضر ،وعبّد السبيل أمامه الى المجد[1]

[1] ثروت عكاشة ،المرجع السابق ،ص 95.

الفصل الثاني

الفصل الثاني:أوضاع العالم الإسلامي قبيل الغزو المغولي

المبحث الأول:الدولة الخوارزمية

1- الموقع والنشأة والتأسيس
2- نظام الحكم والإدارة في الدولة الخوارزمية
3- حكام الأقاليم

المبحث الثاني :طائفة الإسماعيلية

1 - التعريف والنشأة
2 - الحسن الصباح وطائفة الاسماعيلية
3 - الطائفة الاسماعيلية والسلاجقة
4 - الطائفة الاسماعيلية في عهد محمد ابن برزك أميد
5 - الطائفة الاسماعيلية في عهد الحسن بن محمد ابن برزك أميد
6 - الطائفة الاسماعيلية في عهد محمد ابن الحسن بن محمد ابن برزك أميد
7 - الطائفة الاسماعيلية في عهد جلال الدين الحسن بن محمد ابن حسن ابن برزك أميد
8 - الطائفة الاسماعيلية في عهد جلال الدين محمد بن جلال الدين حسن

المبحث الثالث:الخلافة العباسية

1- التعريف بالعباسيين
2- بناء مدينة بغداد
3- وفاة الخليفة المنصور
4- الخلافة العباسية قبل العصر السلجوقي
5- الخلافة العباسية في العصر السلجوقي

المبحث الرابع:الأيوبيين في مصر وبلاد الشام

1- مصر في العهد الأيوبي
2- أصل الأيوبيين
3- صلاح الدين الأيوبي وأهم اعماله.
4- الأيوبيين بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي.

المبحث الاول :الدولة الخوارزمية

1- الموقع والنشأة والتأسيس:

ظهرت الدولة الخوارزمية على مسرح التاريخ الإسلامي، نتيجة حوادث تاريخية متعددة، يلي بعضها بعضا، في فترات متداخلة، ظهرت مع الخلافة العباسية منذ نشأتها، و نتيجة للتيارات السياسية والاجتماعية في شرق آسيا وغربها.

إن قادة الرأي من بني العباس عندما فكروا في إقامة خلافتهم العباسية، اختاروا لأنفسهم خطة مغايرة لخطة الأمويين والخلفاء الراشدين من قبلهم، إذ تحولوا من العنصر العربي إلى العنصر الفارسي ،وظنوا أنهم باعتمادهم على هذا العنصر الجديد في اقامة دولتهم، قد يشيدوا لأنفسهم مجدا خالدا، على أن نفوذ العباسيين ما لبث أن تضائل أمام هذا العنصر الخطير، الذي كاد أن يقضي على المدينة العربية. [1]

يعد اقليم خوارزم من الأقاليم المهمة والمشهورة في بلاد المشرق الإسلامي، فهو يقع فيآخر جانبي نهر حيحون، ويظم عددا من المدن والقصبات والأنهار، فهو اقليم منقطع عن خراسان وعما وراء النهر، وتحيط به الصحراء من كل جانب، ولخوارزم مدينتان كبيرتان مشهورتان، الأولى تقع في الجانب الشمالي من نهر جيحون، والأخرى تقع في الجانب الجنوبي من هذا النهر وتسمى ،(الجرجانية) التي تعد أكبر مدينة لخوارزم بعد قصبتها.[2]

---

[1] حافظ أحمد حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، غزو حنكير خان للعالم الإسلامي وآثاره السياسية والدينية والثقافية، دار الفكر العربي، ب ط، ب س، ص 22.

[2] الاصطخري (346 هـ/ 957 م)،المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، 2004، ص،299.

يقع اقليم خوارزم شاه في شرق الدولة الإسلامية وحدوده من الغرب بلاد الترك ومن الجنوب خراسان، ومن الشرق بلاد ما وراء النهر، ومن الشمال بلاد الترك أيضا، وكان هذا الإقليم من ولايات الإتحاد السوفياتي وهو اليوم موزع بين الجمهوريتين أوزبكستان وزكستان.

وكان إقليم خوارزم ضمن الدولة الإسلامية الكبرى وحكمه المسلمون في عصرهم الأولى وفي العصر العباسي الثاني[1]، وفي عصر الدول المستقلة، حكمه الطاهريون[2]، والصفاريون[3]، والسمانيون[4]، والغزنويون[5] والسلاجقة.

فلما وجد العباسيون أنهم ضعفوا أمام هذا العنصر الفارسي، استعانوا عليه بعنصر أشد وأنكر، ألا وهو العنصر التركي، الذي ما لبث أن أذل الخلفاءويحكم في دولتهم، وأزّال هيبتهم، ولولا حاجة هؤلاء الأتراك إلى الاستناد إلى قوة شرعية تشد أزرهم، لكان من المحقق أن تزول الخلافة العباسية من بغداد على أيديهم، ولتبنوا فخر إزالتها الذي إكتسبه المغول فيما بعد.

---

[1] الفقي عصام الدين عبد الرؤوف، الدول المستقلة في المشرق الإسلامي منذ مستهل العصر العباسي حتى الغزو المغولي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1994، ط1، ص، 159.

[2] الطاهريون: ينسب الطاهريون الى الفرس،وسموا بهذا الإسم نسبة الى مؤسسها طاهر ابن الحسين،الذي ولد في مدينة بوشنج،عام159ھ/775م،احدى مدن خراسان،أنظر:أحمد محمد عدوان،موجز في تاريخ دويلات المشرق الإسلامي ،دار عالم ،1990،ص19،18

[3] الصفاريون: تمثل هذه الدولة امتداد سياسيا للحركات الانفصالية التي قامت في المشرق الاسلامي،جنوب ايران،أسسها يعقوب ابن الليث صفار،أنظر: طقوش محمد سهيل، تاريخ الدولة العباسية، ط7، دار النفائس، لبنان، 2009، ص188.

[4] السمانيون: ينتسب السامانيون الى قرية سامان ،من القرى القريبة من سمرقند،وكانوا يرثون اماراتها ،وكانوا من اصل زردشتي ومن الامراء المحليين الايرانيين ،ولذا فقد يدعى كل منهم (سامان خداه)أي كبير وصاحب سامان.أنظر:عباس اقبال،تاريخ ايران بعد الاسلام ،من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية(205-1243ھ/820-1925م،تر،محمد علاء الدين منصور،دار الثقافة للنشر والتوزيع،القاهرة،1989م،ص133.

[5] الغزنويون: نشأت الدولة الغزنوية على يد "سبكتكين"غلام البكتين وصهره،الذي وحد صفوف الأتراك الأفغان،بسط نفوذ حكمه من حدود هندوستان الى خراسان ،ثم مهدت سبيل الجهاد والدعوة أمام جيوش المسلمين فيما بعد،وقد عينه نوح بن منصور الساماني صاحب خراسان وماوراء النهر رسميا عل حكم تلك المناطق ،أنظر:صباح عبد الوهاب الداهري،الدولة الغزنوية من خلال نقودها(351-582ھ/962-1186م)،مجلة العلوم الإنسانية ،العدد الثلني عشر،بغداد،2016م،ص295.

على أن الضعف الذي أصاب الخلفاء العباسيون في عقر دارهم ،ما لبث أن امتد إلى دولتهم الشاسعة في الشرق والغرب، وانقسمت إلى دول ودويلات متعادية ومتنافرة ،ترتفع الواحدة على أكتاف الأخرى، ولم تكن الدولة الخوارزمية إلا احدى هذه الدول التي ظهرت في فترة من فترات الانحلال والضعف.[1]

إن الجزء الشرقي من آسيا كان في العصور التاريخية المختلفة، بمثابة ينبوع تخرج منه العناصر البشرية التي تندفع على شكل يسلٍ إلى غرب آسيا، لظروف منها ما يرجع إلى البيئة في وطنها الأصلي، ومنها ما يرجع إلى عوامل سياسية في هذه البلاد، مما يضطرها إلى الهجرة، فقد تهاجر هذه العناصر بسبب جدّب يصيب بلاده،ا أو بسبب تكاثر عددها، حتى إذا لم تتحملها بيئتها الأصلية ،اضطرت إلى البحث عن مأوى جديد، حيث الفسحة من الرزق والعيش الوفير، وقد تضطرها الأحداث السياسية في موطنها الأصلي إلى الهجرة قسرا، بعد أن استولى عدو غاصب على أراضيها، فتضطر إلى البحث عن وطن جديد، مكرهة على الهجرة، إما في جماعات صغيرة أو متفرقة، وإما في هجرات عامة تكتسح ما يقابلها من البلاد، وكانت هذه العناصر تأوي إلى حيث تبهرها المدينات أو تسكرها مواطن الثروة والرخاء.[2]

استمالت الحضارة الاسلامية هذه العناصر فاندفعت إليها، وجذبتها ثروة الدولة الاسلامية، فسكنت على حدودها وأخذت تتطلع بشغف إلى نوار يهديها إلى جوف الدولة الاسلامية.

---

[1] حمدي، الدولة الخوارزمي، ص:22.

[2] نفسه، ص 22.23

تطلع الخلفاء والحكام المسلمين إلى هؤلاء الأتراك، فأعجبهم حال خلقتهم وقوة أجسادهم وميلهم إلى الحركة والنشاط، فأكثروا من أقتنائهم، وشجع ذلك تجار البشر الذين كثروا في أنحاء الدولة الإسلامية، وأكثروا من شراء الأتراك وعرضهم كالسلع في الأسواق، كما تشجع لصوص الطرقات فاختطفوا صغار الأتراك من الأراضي المتاخمة لأراضي الدولى العباسية، وقادوهم إلى حيث الربح الوفير في هذه الأسواق، وحيث يجدون عملاء الخلفاء والأمراء في الانتظار، و بعد ذلك يندرج هؤلاء الصغار في بلاط الأمراء المسلمين فينشؤا نشأة اسلامية،[1] حتى إذا كبروا وترعرعوا تكوّن منهم حرس الخليفة والأمير، واسندت إليهم الوضائف العامة في الدولة.[2]

كثر الأتراك في الدولة الإسلامية، وتكاثروا وكلما زاد عددهم زاد اعتماد الخلفاء عليهم، وتوغل سلطانهم في جوف الدولة، حتى قدر لهم في النهاية أن يستأثروا بكل شيء.

وقد زاد تحكم الأتراك في الخلافة العباسية في عهد كل من بني بويه، ووصلت العناصر التركية إلى قمة مجدها في عهد "ملكشاه"،[3] ثم بدأت هذه الدولة تنهار تدريجيا، وبدأت تظهر في أنحاء المشرق الإسلامي دول وإمارات مستقلة،[4] على أنقاض الدولة السلجوقية المضمحلة، ومن هذه الدول الدولة الخوارزمية، التركية الأصل، والتي بدأت في الظهور حينما بدأت شمس السلاجقة في الغروب، وأن تاريخ هذه الأسرة التركية لأقوى دليل على تغلغل العناصر التركية في جوف الخلافة الإسلامية.

[1] احمد حمدي، الدولة الخوارزمية ص، 23

[2] d'ohson , histoire des mongols،ton, i.p :176

[3] ملكشاه:ابو الفتح ملكشاه بن آلب أرسلان محمد ابن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق،الملقب بجلال الدولة،كان من أحسن الملوك سيرة حتى لقب بالسلطان العادل،وكان منصورا في الحروب،أنظر: ابن خلكان ابي العباس شمس الدين احمد بن ابي بكر، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان(607هـ-681م)، تح، احسان عباس، دار صادر، بيروت،مج5، ص283،284.

[4] حمدي حافظ، الدولة الخوارزمية، ص،23

تنسب الدولة الخوارزمية الى "نوشكتين"[1] ،أحد الأتراك في بلاط ملكشاه، حيث كان يشغل وظيفة الساقي، وهي إحدى وظائف البلاط الإسلامي المعروفة،وقد خدم نوشتكين السلطان ملكشاه، وتدرج في سلك الوظائف في أيامه، واشتهر قطب محمد بن نوشتكين بالعلم والأدب، لذا عينه أحد أمراء السلطان "بركيا روق"[2] السلجوقي حاكما على اقليم خوارزم، ولقبه بخوارزم شاه[3] سنة 490هـ، وهكذا بدأ نجم الدولة الخوارزمية في الإرتفاع على حساب القوى الموجودة في ذلك الوقت.[4]

لما ملك السلطان سنجر السلجوقي[5] خراسان، أقر محمد خوارزم شاه على اقليم خوارزم وأعمالها، فظهرت شجاعته وكفايه، ولما توفي محمد نوشتكين ولى ابنه أتسز[6]، فمّد ظلال الأمن وأفاض العدلن وقربة السلطان أستز إليه.[7]

عوّل أستز على توسيع رقعت دولته على حساب الدولة السلجوقية المتداعية ، وانتهز فرصة تهديد الخطا[8] للسلاجقة، لكن سنجر أحبط محاولته وهزمه، لكن أستز استجمع قوته،

---

[1] نونشكتين:كان من مجموعة العبيد الذين اشتراهم أحد الأمراء السلاجقة،حيث يجلبون من بلاد القبجاق،وتربوا في قصور السلاجقة،وترقوا في العديد من المناصب الإدارية،أنظر: اللبودي حنان مبروك، قيام دولة شاهات خوارزم (470-617 هـ/ 1077- 1219م-، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية، 2013، ص،287..

[2] بركيا روق:ابوالمظفر بركياروق الملقب ركن الدين ابن السلطان ملكشاه بن آلب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ابن دقاق اللقب بشهاب الدولة مجد الملك ،ولد 474هـ،وتوفي سنة 498هـ،أنظر:ابن خلكان ، وفيات الاعيان،مج1،ص268.

[3] خوارزم شاه:هي عنوان على الشخص الذي يحكم خوارزم أي واليه أو آمرها أوحاكمها بالتعبير المعاصر،أنظر: لسلطان جلال الدين خوارزم شاه في ميزان التاريخ، تر أحمد الخولي، ط1، الهيئة العامة لشؤون المطامع الأمير، القاهرة، 2009، ص17.

[4] حمدي حافظ، الدولة الخوارزمية، ص 24.

[5] سنجر السلجوقي:أبو الحارث سنجر ابن ملكشاه ابن آلب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق ،سلطان خراسان وغزنة وماوراء النهر،ولد سنة 479هـ،لظاهر مدينه سنجار ،لذلك سمي سنجر،توفي سنة 555هـ،أنظر: ابن خلكان ، وفيات الاعيان،مج2،ص428،427.

[6] أتسز:كلمة تركية معناها من لاإسم له ،آت تعني الإسم،سيز تساوي أداة تجريد ،وهي عادة سائدة لدى الترك،أنظر،اللبودي،المرجع السابق،ص290.

[7] عصام الدين عبد الرؤوف، بلاد الجزيرة في (5- أواخر العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة، ص: 195.

[8] الخطا: اسسوا دولة لهم في اقليم التركستان في مستهل القرن 6هـ/12م،على يد "لي لوتاشي"وكان اقليم هذه الدولة على الحدود الشرقية للأقاليم الإسلامية،من الأمور التي سببت الكثير من المتاعب للمسلمين ،اذ وضع قادة هذه الدولة نصب أعينهم أن يوسعوا أملاكهم على حساب البلاد الاسلامية،فاشتبكوا مع المسلمين في صراع طويل،وقد أضاف المغول لفظ قره الى اسم الخطا ،فأصبحوا يسمون بالقره خطا ومعناه أسود،أنظر:النسوي المصدر السابق،ص 36،حاشية 3

وانتهز فرصة سيطرة الخطا على بلاد ما وراء النهر[1] واستولى على خراسان، وجلس على عرش سنجر، واستولى على أمواله وجواهره سنة 536 هـ/ 1141 م، وقطع الخطبة للسلطان سنجر، لكنه استطاع أن يسترد اقليم خراسان من أستز سنة 538هـ/1143م، واعترف استر بسيادة الدولة السلجوقية.[2]

بدأت الدولة الخوارزمية تزداد قوة على حساب الدولة السلجوقية، خاصة بعد وفاة السلطان سنجر، وسيطرت الدولة الخوارزمية على الأراضي التابعة للسلاجقة، واستطاع السلطان الخوارزمي تكش[3] أن يهزم ويقتل آخر السلاطين السلاجقة، ويستولى على ملك السلاجقة في العراق، واستولى على أصفهان[4]، والري.[5]

لما توفي نكشن سنة 596هـ/ 1199م، خلفه إبنه علاء الدين محمد خوارزمشاه، فسارعلى سياسة أبيه الرامية إلى توسيع حدود دولته، فاستولى على معظم اقليم خراسان، واستطاع أن يهزم الخطا سنة 606هـ/ 1209م، وبسط سيطرته على بلاد ما وراء النهر، واستولى على اقليم "كرمان مكران[6]". [7]

---

[1] بلاد ما وراء النهر:أطلق الجغرافيون العرب على المناطق الخصبة الواقعة بين نهري سيحون وجيحون اللذين يصبان في بحر خوارزم ،هذه البلاد أطلق عليها المسلمون –قديما– بلاد ماوراء النهر،أنظر:محمد محمود خلف،بلاد ماوراء النهر في العصر العباسي،132-261هـ/750-872م،الهيئة المصرية العامة للكتاب،2014،ص15.

[2] الفقي عصام الدين، المرجع السابق، ص: 196

[3] تكش:تاج الدولة ابو سعيد تكش ابن آلب ارسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ابن دقاق السلجوقي ،وكان صاحب البلاد الشرقية ،ولد سنة 458هـ،وتوفي سنة 488هـ،أنظر: ابن خلكان ، وفيات الاعيان،مج1،ص295.

[4] اصفهان:مدينة عظيمة مشهورة من اعلام المدن وأعيانها،أنظر ،الحموي،معجم البلدان ،مج1،ص206.

[5] الري:مدينة مشهورة من أمهات البلادواعلام المدن ،كثيرة الفواكه والخيرات،أنظر،الحموي ،معجم البلدان،مج3،ص117.

[6] كرمان مكران: ولاية مشهور،وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان،فشرقيها مُكران ومفازة مابين مكران والبحر من وراء البلوص ،وغربيها أرض فارس،أنظر:نفس المصدر،مج4،ص454.

[7] الفقي، المرجع السابق، ص 196.

ثانيا: نظام الحكم والإدارة في الدولة الخوارزمية

إن التنظيمات الغزنوية الإدارية قد ظلت زمنا في خوارزم، ومن المرجح أن يكون ذلك أثناء تبعية الأسرة الثانية (الغزنويين سنة 408هـ 429هـ / 1017م 1037م)، مما يؤكد أن الإمارة التابعة تطبق عليها الدولة الحاكمة نظمها الإدارية،وعلى الرغم من استفادة الخوارزميين من التنظيمات السلجوقية، إلا أنها قد طبعتها بالطابع المحلي الخاص بها، يتضح ذلك من اعتمادهم على القبائل التركية، وقوتها مما يترتب عليه ازدياد نفوذ رؤسائها والذي كان سلاحا ذا حدين، أحدهما ساهم وساعد على ظهور تلك الامبراطورية ووصولها إلى أقصى اتساع لها، والأخر سببا في اضعاف الدولة المركزية فيما بعد، وذلك على السلاجقة الذين شاركوا الرعية في الأعمال الإدارية التابعة لهم.[1]

أولا: البلاط السلطاني:

أ- **السلطان الخوارزمي:** والذي كان على رأس البلاط السلطاني، وذلك بصفته القائد الأعلى للجيش، خاصة أن تكوين الحكومة الخوارزمية شأنها شأن الحكومات الاخرى التركية،تقام على أساس القوات المقاتلة والجيش، لذا كان حكمه حكما مطلقا، وإن كان ذلك لم يمنع من إستعانته في إدارة دولته بعدد من الموظفين من أهل الكفاءة والقدرة،[2] ومن هؤلاء الوزير الأعظم.

ب- **الوزير الأعظم:** والذي يحتل المرتبة الثانية بعد السلطان (الشاه) الخوارزمي، ويلقب بالوزير الأعظم أو سيد الدنيا في ديوان الوزارة، وفي بعض الأحيان يكون نيابة عن السلطان في إدارة شؤون الدولة.

---

[1] عطاء ملك الجويني، تاريخ فاتح العالم ، ص 168.

[2] اللبودي حنان مبروك، المرجع السابق ص،411.

ومن الشروط الواجب توفرها في الوزير (الايمان، الصدق، التدين)، وذلك لأن أمان السلطة ينحصر في سلوك الوزير الحسن، حيث صلاح السلطان والرعية

وفسادها، رهينان بالوزير وحسن التصرف في الأمور والدقة في تنفيذ أوامره وأحكامه، وسلامة البديهة وحسن السياسة .[1]

ج- وزراء الدولة الخوارزمية:

1-نظام الملك سعد الدين مسعود بن على الأبهري: من الوزراء العظام على عهد السلطان الخوارزمي علاء الدين تكش ، ومن صفاته إصابة الرأي وصفاء الضمير، ولقد ظهر ذلك بصورة جلية عندما اضطربت الأمور بسبب ما نتج عن الصراع على العرش بين الاخوة، فأخذ على عاتقه استتباب الأمن في البلاد وذلك بقيادة جيوش الدولة.[2]

2-نظام الملك صدر الدين على بن سعد الدين مسعود: تولى الوزارة بالنيابة عن والده من قبل السلطان تكش، وذلك تخليدا وإكراما لوالده بعد استشهاده على يد الاسماعيلية الحشيشية، لذا كان حريصا على تنفيذ ما كان يقوم به والده من تدبير شؤون الديوان ،والإهتمام بالرعية وحل مشاكلهم، وعلى رأس رجال العلم واهل الفضيلة، وهو ما اشتهر به بلاط الخوارزميين وظل بالوزارة حتى عهد علاء الدين محمد بن تكش خوارز مشاه[3].

3-نظام الملك محمد بن صالح: تولى الوزارة بعد وفاة الوزير السابق ،وظل بها ما يقارب 7 سنوات، ولكنه اتهم بسوء التصرف والإسراف في أموال الديوان، على الرغم من كرمه وجوده، لذا عزله السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد، ثم أعاده للوزارة مكرها بناءا على طلب

---

[1] اللبودي حنان مبروك، المرجع السابق ،ص ،412

[2] غياث الدين خواندمير، دستور الوزراء، ص 309.

[3] حنان مبروك اللبودي،المرجع السابق،ص412،413.

والدته ،والتي كان محمد الصالح أحد غلمانها، وذلك بعدما علمت بمؤامرة السلطان محمد من أجل قتل ذلك الوزير والتخلص منه نهائيا.[1]

وترتب على تصرف تركان خاتون[2] هذا، –على الرغم من وجود العديد من الشخصيات الملائمة لهذا المنصب وهم موجودون في بلاطه، ومنهم تاج الدين كريم الشرف النيسابوري، وضياء الدين السمناني، والشريف محمد النسوي، ونجم الدين كيلابادي ،ومجبر الدين المنشي، لكنه لم يوّل أحدا من هؤلاء لمنصب الوزارة، – وقوع الناس في حيرة من أمرهم، حيث لم يجدوا من يرجعوا إليه في تدبير شؤون الديوان ،وظل هذا الوضع قائما حتى نهاية حكم السلطان علاء الدين خوارزم شاه.[3]

4–شرف الملك فخر الدين علي الجندب:كان متوليا لرئاسة مدينة "جنبد"[4]، من قبل السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد، وارتكب بتلك المدينة العديد من المظالم حتى استغاث الأهالي بالسلطان، الذي أمر بالقبض عليه، وسحبه كما يسحب الطائر على السيخ ويلقى في النار، وما إن علم بذلك حتى فر هاربا.[5]

ويتضح مما سبق أن تعيين وزراء الولايات، وخاصة تلك التي ينوب فيها عن السلطان أجد أبنائه، ويتم عن طريق السلطات أي من حق العرش.[6]

---

[1] بارتولد ، تركستان من الفتح العربي في الغزو المغولي، ص 440.442.

[2] تركان خاتون:زوجة السلطان ملكشاه ،وهي بنت طراج ،وأبوها من نسل أفراسياب ملك الفرس،وكانت حازمة حافظة شهمة،كان معها من الأتراك حين وفاتها عشرة آلاف ،وحين وفاة السلطان زمت الأمور وحفظت الأموال ،فلم يذهب منها شئ،وهي صاحبة أصبهان ،باشرت الحروب،ودبرت الجيوش ،وقادت العساكر،وتوفيت في رمضان سنة 487هـ،أنظر، ابن الجوزي أبي الفرج عبد الرحمان علي ابن محمد،المنتظم في تاريخ الملوك والامم،تح،محمد عبد القادر عطا،مصطفى عبد القادر عطا،ط1،دار الكتب العلمية،لبنان،1992م، ج17، ص14.

[3] حنان مبروك اللبودي ،المرجع السابق، ص413

[4] جنبد:من قرى نيسابور بمنطقة خراسان،وتعني الأزج المدور كالقبة ونحوها،أنظر:ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت 1988، مج2، ص168.

[5] اللبودي، المرجع السابق، ص: 414

[6] بارتولد ،تركستان، ص: 539.

5-محمد بن أحمد بن علي بن محمد المنشي النسوي : من أشهر وزراء الدولة الخوارزمية، والذي كان في البداية يعمل بوظيفة سكرتير الديوان، ثم تولى أمر الديوان، وتحمل كل مسؤولياته.[1]

6- عميد السلطان: (خواجة عميد): وهو من الشخصيات البارزة في البلاط السلطاني، وتتركز أعماله في شيئين، تنفيذ فرمانات السلطان الخوارزمي وأوامره، ثم ختم تلك القرارات السلطانية نوذلك يعني أنه الشخص الوحيد الذي يحمل الختم الملكي، لذا يتحتم عليه الاتصاف بالأمانة والثقة إلى أبعد الحدود.[2]

7- كبير الحجاب: (سبهسلارا الكبير):لقد كانت تلك الوظيفة رائجة في الدولة الخوارزمية، وخاصة في أواخر أيامهم ،فهو معروف بأنه مستشارا في قصر السلطان، وصاحب ذلك المنصب يكون في بعض الأحيان خلفا للوزير ومختارا للوزارة من بعده.[3]

8- **وكيل البلاط (أو الباب)(وكيل در):**

وهو المندوب المباشر للولايات والأقاليم في البلاط، ومن حقه الإستقرار في العاصمة مندوبا عن الأمراء التابعين، وكذلك الولاة في كل الأقاليم المختلفة، بصفته وكيلهم في إنجاز الأعمال، وكذلك مراقبة مصالحهم ،ويقوم كذلك السلطان الخوارزمي نفسه باختيار وكيل بلاطه الخاص، لانجاز أعمال البلاد، ويكون معاونا له أو همزة وصل بينه وبين الوزير في توصيل التعليمات والأوامر الشفوية للوزير، وبمجرد وصولها يقوم الوزير بتحريرها ليتم تنفيذها.[4]

---

[1] اللبودي، المرجع السابق، ص: 414

[2] نفسه، ص: 415

[3] النسوي، المصدر السابق، ص 62.هامش 2

[4] حنان البودي، المرجع السابق، ص 417.

9- **صاحب الشحنة:**[1]

هو ذلك الشخص المسؤول عن الأمن والاستقرار، ومطاردة العابثين ومعاقبتهم، وهو تابع للوزير، فمن حق الوزير عزله في حال عدم كفائته أو سوء تصرفه، وبالتالي من واجبه تنفيذ أوامر السلطان والوزير ورفع التقارير إليهما، ولقد تمتع بسلطة إدارية واسعة النطاق.[2]

ثانيا: الدواوين:[3]

1-ديوان الوزارة: يرأس هذا الوزير الأعظم، ويساعده الأمين، وهو الشخصية التالية للوزير، ومن الواجب أن يتصف بالتدين والوفاء، ومعاملة الناس بالحسن.

2-ديوان الرياسة (أمور السلطان): يرتبط ذلك الديوان بديوان الوزارة، وتتركز مهامه في حفظ جميع الأحكام والأوامر الملكية، ويرأسه عميد الملك.[4]

3-ديوان الرسائل (الإنشاء): اختص هذا الديوان بتنظيم العلاقات الخارجية، وإرسال الفرمانات الشاهية إلى الأقاليم، وكان يعرف صاحبه بـ: صاحب ديوان الإنشاء[5]، وكان رشيد الدين العمري المعروف بالوطواط ،أشهر من تولى رئاسة ديوان الإنشاء، لمدة ما يقارب 17 عاما، ومن أشهر السفراء في الدولة الخوارزمية محمد النسوي ، المؤرخ لحياة السلطان جلال الدين منكبرتي، الذي كان سفيرا لدى الخلافة العباسية وطائفة الإسماعيلية وغيرها.[6]

---

[1] الشحنة:هي الرابطة من الخيل في البلد لضبطه وليس باسم للأمير او القائد كما تذهب العامة ،والنسبة اليه شحنتي وشحنية ولاتقل شحنكية ولا شحنهية ،وهذه الكلمة عربية صحيحة واشتقاقها من شحنت البلد بالخير اذ ملأته بها ،نفسه ص 417.هامش 1.

[2] اللبودي، المرجع السابق، ص 418.

[3] الدواوين:الديوان موضع لحفظ مايتعلق بحقوق السلطنة ، من الأعمال والأموال ،ومن يقوم بها من الجيوش والعمال،وإسمالديوان بالفارسية يعني اسم الشياطين فسمي الكُتاب بإسمهم لحذقهم بالأمور وقوتهم على الجلي والخفي ،وجمعهم لما شذ وتفرق،ثم سمي مكان جلوسهم باسمهم فقيل،ديوان،وأول من وضع الديوان في الإسلام الخليفة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه،أنظر:الماوردي ابي الحسن علي ابن محمد ابن حبيب البصري،الأحكام السلطانية ،تح،احمدجاد،دار الحديث ، القاهرة،2007،ص297.

[4] اللبودي ، المرجع السابق، ص419.

[5] حافظ أحمد حمدي، المرجع السابق، ص: 99

[6] حافظ أحمد حمدي، المرجع السابق، ص: 99.

4-ديوان البريد: من الدواوين الهامة في أية دولة، ويقترن بهذا الديوان بعض المصطلحات الإسلامية مثل صاحب الخبر والنهي وغيرها.[1]

ويعرف رئيس ديوان البريد بـ(صاحب البريد) ومقره في عاصمة الملك، ويعد عمل رئيس الديوان من الناحية النظرية من الأعمال الدقيقة المهمة، لذا عليه أن يعهد لمن يعمل معه من أناس لا يرقى إلهم الشك بأي شكل من الأشكال، إلى أيديهم وألسنتهم وأقلامهم، ويربط نظام الملك الطوسي ما بين قوة الدولة الحاكمة، ومدى عنايتها واهتمامها بتنصيب أصحاب الخبر والمهنيين، ومن اختصاصاته أيضا إطلاع السلطان على كل الأخبار التي ترد إليه من موظفيه المنتشرين في كل أنحاء البلاد، ولديوان البريد محطات يطلق عليها (السكك) تزود بالخيل وراكبيها، وكل ما يحتاج إليه من أجل السرعة في إرسال تلك الرسائل.[2]

5-ديوان المشرف: ويقصد به الإشراف على الأمور المتعلقة بالدواوين، ويتولى أمر ذلك الديوان مشرف، مهمته مراقبة ما يحدث في الدواوين، وكتابة التقارير إلى السلطة المركزية إذا احتاج الأمر إلى ذلك، وله مندوبون في كل الأقاليم، ويعني ذلك تركز أعماله في مراقبة الأجهزة الحكومية المسئولة عن الأمور الخاصة للأمراء وأوجه الصرف فيها.

6-ديوان الاستيفاء: ووظيفة صاحبه حجز أموال من يتولى الولاية أو منصبا كبيرا ،حيث يكتب هذا الشخص إقرارا على نفسه بالأموال والممتلكات التي في حوزته، فإذا ما تم عزله يتولى المحتسب أو المستوفي بحضر أموالهم، فإذا ما ثبت حصوله على ذلك المال دون وجه حق ،تصادر تلك الأموال وتعاد إلى خزانة الدولة.[3]

---

[1] اللبودي حنان، المرجع السابق، ص: 421

[2] نفسه، ص: 422.

[3] نفسه، ص:424.

ومن مهام هذا الديوان أيضا، جمع الضرائب وضبط دخل الدولة وخراجها، فهو بذلك أشمل من ديوان الخراج، وممن تولى منصب المستوفي في خوارزم ،محمد بن منصور المستوفي، الذي لقب بشرف الملك، توفي سنة 494 هـ/ 1100م.

- **<u>أهم موظفي هذا الديوان:</u>**

<u>صاحب الخزانة (الخازندار أو الخازن):</u> أفرد الخوارزميون ديوانا خاصا للمال يشرف عليه رجل عرف بالخازن أو الخازندار، يساعده موظفون مختصون، يقومون بتسجيل الوارد والمنصرف من الأموال، أما موارد الدولة فكانت في العادة عبارة عن الضرائب التي يفرضها السلطان على أقاليم الدولة المختلفة.[1]

وكانت هذه الضرائب تختلف بإختلاف ثروة الأقاليم، وأن الجزء الأكبر منن هذه الضرائب المفروضة على الأقاليم يذهب إلى جيوب الحكام ،ولا يصل منه إلى خزانة الدولة إلا الجزء اليسير، وخاصة بعد أن زالت هيبة سلاطين الدولة الخوارزمية، وأصبح حكام الأقاليم شبه مستقلين عن السلطان، ولا يبعثون إلى سيد الدولة إلا ما يجودون به، وكان السلطان لا يملك إلا أن يوافق مجبرا، وفضلا عن هذا المورد الضئيل، كان الخوارزميون يجمعون بعض المال من البلاد التي تدخل تحت أيديهم بحد السيف، وكان كل ما يجمع لدى الخوارزميين يصرف في العادة إما في قصور السلاطين، أو على شؤون الدولة العامة، خاصة على الجيش بسبب استمرار الحروب مع القوى المختلفة المحيطة بالدولة الخوارزمية.[2]

ولقد كان لدى العاملين بديوان الاستيفاء دفاتر مقيد بها أسماء من يدفعون الخراج، ويسجل أمامهم كذلك كمية الخراج الذي ينبغي عليهم دفعه، وما تبقى عليهم، إلى غير ذلك

---

[1] حافظ أحمد حمدي، المرجع السابق، ص، 100. اللبودي، المرجع السابق، ص: 424.

[2] حافظ أحمد حمدي، الدولة الخوارزمية، ص، 100.

وكان يطلق على تلك الدفاتر اسم أوراج، وكان لكل دولة خزانتين، الأولى يطلق عليها، خزانة الأصل، وهي التي يحوّل إليها كل الأموال المحصلة من الضرائب وغيرها، ولا يتم الإنفاق منها إلا للضرورة القصوى، أو على سبيل القرض الذي يعاد إليها مرة أخرى، والثانية يطلق عليها خزانة الإنفاق.[1]

7-ديوان الشرطة: إن المهام الدينية والسياسية تحتم على الولاة والأمراء والسلاطين ،إعداد حيش قوي قادر على حماية أطراف الدولة ،وفرض سيطرته على ما حوله من المناطق المجاورة، وتعتمد القوة العسكرية بالدرجة الأولى على القوة البشرية ،وأكثر المناطق التي تتواجد فيها تلك القوى هي الأقاليم الشرقية الخام البكر، كما يطلق عليها في منطقة خوارزم وما وراء النهر.[2]

8-ديوان الجيش: يعد هذا الديوان من أهم دواوين الدولة الخوارزمية ،حيث الإشراف على أسلحة الجيش والذخائر والعتاد والأموال، يتبع هذا الديوان "بيت السلاح" وفيه تحفظ الأسلحة بأنواعها، ويشمل الورش والمصانع التي يشتغل فيها العمال.[3]

ويشرف على هذا البيت رجل عرف (بالسلاح دار)[4]، أما جيوش الدولة فكان ينظر في شأنها رجل عرف بصاحب الجيش، وهو المسؤول عن الجيش من جنود وخيول، عند تحركهم للحرب، وكان السلطان هو الذي يسّير الجيوش ويتولى قيادتها بنفسه، ويلتف حوله حرسه الخاص[5]، أما الانضمام إلى الجيش فيتم عن طريق الإندماج في الخدمة العسكرية

---

[1] حنان اللبودي، المرجع السابق، ص، 425.

[2] نفسه ،ص 425

[3] محمود السيد، دول آسيا الوسطى والأطماع الغربية، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، بدون طبعة، 2003، ص: 115.

[4] حافظ أحمد حمدي، المرجع السابق، ص: 100.

[5] محمود السيد، المرجع السابق، ص: 116. حافظ أحمد حمدي، المرجع السابق، ص: 101.

حبا في الجهاد، وسعيا وراء الأجر، أو عن طريق الرق والشراء بالمال، وهناك من ينظم إلى الجيش المنظم بمحض إرادته لإثبات فروسيته، وإن كان ذلك من فعلة الأمراء.[1]

9-ديوان القضاء: نظرا لأهمية القضاء وديوانه في الدولة الخوارزمية، فقد عيّن الخوارزميين في كل مدينة قاضيا يحكم بين الناس حسب الشريعة الإسلامية، وإن كان الأمر يختلف في المدن الكبرى، والتي تشمل على أكثر من ذهب بين سكانها، لذا عين الخوارزميين أكثر من قاضي حتى يتناسب ذلك مع تعدد المذاهب، وكان القضاة إلى جوار النظر في القضايا يقومون بتدريس العلوم الدينية في المدارس والمساجد.[2]

10-ديوان الحبسة: يرتبط نظام الحبسة عند الخوارزميين بالمسائل المرتبطة بنظامهم القضائي، وكان المحتسب يقوم بمراقبة حركة البيع والشراء، فكان يسير في صحبة بعض رجال الشرطة في الأسواق، يراقب المكاييل والموازين، ويضبط من يحاول الغش فيها، كذلك كان يراقب المأكولات المختلفة، ويوقع العقوبات على من يبيع طعاما فاسدا ،وفضلا عن ذلك كان عليه أن يحافظ على النظام في الأسواق، وأن يحول دون بروز الحوانيت في طرقاتها، مما يعيق نظام المرور، كما أن المحتسب يراقب الملابس التي يرتديها الناس، ويعاقب الخارجين على الآداب العامة، كما أنه ينظر في القضايا التي تتعلق بالنظام العام والجنايات أحيانا.[3]

11-ديوان المظالم: أدخل الخوارزميين في نظمهم ديوان المظالم، وهو هيئة عليا تشبه محكمة الإستئناف في الوقت الحاضر، ويسمى رئيس هذا الديوان بصاحب المظالم، وكانت

---

[1] حنان مبروك اللبودي، المرجع السابق، ص،426.

[2] النسوي، المصدر السابق، ص: 77، حاشية ، 04، حنان مبروك اللبودي، المرجع السابق، ص: 436. حمدي أحمد حافظ، المرجع السابق، ص: 101.

[3] محمود السيد، المرجع السابق، ص: 116.

سلطته أعلى بكثير من سلطة القاضي[1]، أما القضايا الكبرى التي يكون لها أهمية خاصة، فكان السلطان في الغالب ينظر فيها بنفسه، إذ يعرض عليها رجل يدعى "القصة دار" في ليلة الجمعة من كل أسبوع[2]، وأدى انصراف السلطان وكبار رجال الدولة إلى الحروب الداخلية والخارجية انشغالهم عن متابعة الأحوال الداخلية للدولة،ترتب عنه ارتباك واضطراب وعدم الإستقرار.[3]

نستنتج من خلال عرضنا الوجيز لنظام الحكم والادارة في الدولة الخوارزمية، أنها رغم امتيازها بالطابع العسكري والتي استطاعت بجيوشها توسيع أملاكها، إلا أنها امتازت أيضا بسلاطين عظام اهتموا إلى حد كبير بشؤون الدولة الداخلية والخارجية، ويتجلى ذلك من خلال مجوعة من الدواوين التي لم تترك صغيرة ولا كبيرة إلا وقامت بمعالجتها وترتيب أمورها ،فظهرت دولة قوية ذات كيان متماسك ما يقارب قرن ونصف من الزمن.

ثالثا: الحياة الثقافية:

وسط الحروب الدامية التي سادت الشطر الأكبر من حكم الخوارزميين، نرى ظهور الكثير من الأدباء والشعراء والكتاب، بفضل تشجيع الخوارزميين أنفسهم، وبفضل الحروب التي تكون في كثير من الأحيان من أكبر العوامل وأقواها في نشاط الشعراء والأدباء، إذ يكثر في أثنائها الشعر الحماسي، كما يكثر مديح الأنصار وهجاء الأعداء.

---

[1] ومن أهم هذه الفروق أن الناظر المظالم من فضل الهيبة وقوة اليد ما ليس للقضاة، يكون الخصوم عن التواجد، ومنع الظلمة من التغالب والتجاذب، وأنه يستطيع رد الخصوم إذا أعضلوا للمزيد، أنظر: حسن ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي، ط4، دار الجليل، بيروت، 1996، ج3، ص: 322.

[2] أحمد حمدي حافظ، الدولة الخوارزمية، ص: 102.

[3] محمود السيد، المرجع السابق، ص: 117.

وعلى هذا الأساس نرى الخوارزميين على الرغم من انشغالهم بتلك الحروب المتواصلة يولون العلم والأدب شطرا من عنايتهم.[1]

فبرز كثيرون ممن كتبوا باللغة الفارسية في شتى النواحي، وخدموا الأدب الفارسي واللغة التركية،[2] وكان عدد كبير منهم قد نزح إلى أقاليم هذه الدولة بدعوة من السلاطين الخوارزميين، ومن هؤلاء زين الدين أبو ابراهيم إسماعيل بن حسن الجرجاني، الذي قصد خوارزم سنة (504 هـ/1110م) بغية الإقامة فيها، على إثر الدعوة التي وجهها له قطب الدين محمد خوارزم شاه (490 هـ،521هـ/1097م، م1127)، وقد عاش هذا الرجل في كنف الخوارزميين وقتا طويلا إلى أن توفي سنة (531هـ/1126م) ، وألف كتاب عرف باسم "ذخيرة خوارزم شاه"، وهو من كتب الطب الشهيرة، وبحث في الأمراض المختلفة وتشخيصها، كما يبحث في الأدوية والسموم وغيرها.[3]

ومن الكتّاب البارزين أيضا رشيد الدين محمد عبد الجليل البلخي، الذي لقب بالوطواط ،بسبب قصر قامته وقبح منظره، ودخل في خدمة الخوارزميين منذ أيام السلطان أتسز خوارزم شاه (521هـ-551هـ/ 1127م-1156م) فاتخذ منه رفيقا خاصا، كما جعله شاعرا للبلاط في أيامه، وقد عمل الوطواط منذ أن دخل في خدمته على أن يكيل المديح للسلطان أتسز في بعض المناسبات، ومنها ما حدث أثناء الصراع الطويل الذي قام بين الخوارزميين وعلى رأسهم السلطان أتسز من جهة، وبين السلاجقة وعلى رأسهم السلطان سنجر من جهة أخرى، فلم يقتصر الطرفان المتحاربان على تبادل التراشق بالسهام والنبال، بل تعديا ذلك الميدان إلى ميدان الشعر فاتخذ كل فريق شاعرا اختص بمدح صاحبه وهجو

---

[1] حافظ أحمد حمدي، الدولة الخوارزمية، ص: 102.

[2] عبد العزيز حنيكزخان، تركستان قلب آسيا، بدون طبعة، الجمعية الخيرية التركستانية، بدون سنة النشر، ص: 71.

[3] حافظ أحمد حمدي، الدولة الخوارزمية، ص: 103.

عدوه[1]،فكان رشيد الدين الوطواط شاعر الخوارزميين ،لا يتوفق في مدح صاحبه أتسز وذّم عدوه سنجر ، ولم يختلق الموقف بالسنة للأنوري[2] شاعر السلطان سنجر.

ومن المناسبات التي ظهرت فيها المباريات الشعرية واضحة جلية، ما حدث في خريف عام (542 هـ/1147م)، حين ذهب السلطان سنجر لمحاربة عدوه السلطان أتسز خوارزم شاه ،وحاصر إحدى قلاعه المسماة "هزاراسب"[3]، إذ نظم الأنوري شاعر سنجر قصيدة ألقاها في سهم على القلعة المحاصرة جاء فيها:

أيا هذا المليك دو التاج يامن   كل ملك بالأرض في راحيتكا

قدر الله أن تسود بني الدنيا   بمجد ألقى الزمام إليكا

فانتزع في الهجوم حصن هزاراسب   بجيش يموج في جانبيكا

مئة الألف من مهاري خوارزم   أراها الغداة بين يديكا[4]

ولما أرسلت هذه القصيدة رد عليها الوطواط بقصيدة قذفها في سهم على عسكر الخوارزميين جاء فيها:

إذ كان رستم[5] ياذا المليك   أهاج لحربك نقعا مثار

فدون هزاراسب شم الجبال   وصيد الكواكب دون المهاري

---

[1] حافظ أحمد حمدي، الدولة الخوارزمية، ص: 103.

[2] ولد أوحد الدين محمد الأنوري في احدى قرى خرسان، وذاع صيته في أيام السلطان سنجر، وقد تنقل الأنوري في أغلب مدن خرسان، وأقام في كثير منها خاصة في مدينة بلح، وكان فضلا على أنه من أعظم الشعراء في ذلك العصر، واسع الإطلاع في علوم الفلك، انظر:نفسه،ص103

3 هزاراسب :وهي قلعة حصينة بخوارزم غربي نهر جيحون،أنظر:القلقشندي،صبح الأعشي ، ج4، ص 455.

[4] أصل هذه القصيدة ألفت بالفارسية وترجمتها براون Browne إلى الانجليزية وقد حاول الكاتب قدر الإمكان أن ينقلها إلى شعر عربي لا يختلف في معناه عن الشعر الفارسي، أحمد حمدي حافظ، الدولة الخوارزمية، ص104،حاشية01.

[5] رستم: من أشهر أبطال الفرس، وكان الشعراء يكثرون من ذكره في أشعارهم ويضربون الأمثال في بطولته، أنظر:حافظ احمد حمدي،الدولة الخوارزمية،ص104،حاشية2.

أيحلم في ألفك الصافنات ويعجز لورام منها حمارا

إغتاظ السلطان سنجر لسماعه هذه الأبيات، واقسم أن يقتله ويقطعه إلى سبعة أجزاء، ولكن من حسن حظ الشاعر أنه على الرغم من وقوعه في أسره، إلا أنه حظي بالعفو عنه من العقاب وأطلق سراحه.[1]

حفز السلطان أتسز خوارزم شاه ،رشيد الدين الوطواط، على تأليف كتابه المسمى (حدائق السحر في دقائق الشعر)، وهو من أقدم المؤلفات الفارسية المعروفة التي تعالج صناعة الشعر ،وكتب الوطواط باللغة العربية أيضا وله في رسائل معروفة، واستمر الوطواط في خدمة الخوارزميين في عهد كل من السلطانيين أيل أرسلان (551هـ-568هـ/ 1157م-1172م) وابنه علاء الدين تكش (568 هـ- 596هـ/ 1172م- 1199م) ،ونراه يمدح تكش بكثير من أشعاره عند توليه السلطنة، وعلى الرغم من تلك الحروب المتواصلة التي استغرقت عهد السلطان تكش، فقد طرق بابه الكثير من الشعراء والأدباء والعلماء.[2]

أما في عهد علاء الدين خوارزم شاه (596هـ- 617هـ/1199م- 1219م) فقد برز كثيرون من الشعراء والأدباء وعلى رأسهم محمد بن قيس، الذي كتب "المعجم في معايير أشعار العجم"، وهو من أهم الكتب الفارسية التي تبحث في العروض والقوافي ونقد الشعر، ومما يدل على إهتمام علاء الدين خوارزم شاه وابنه جلال الدين منكبرتي بالعلم والأدب، أنهما كانا يقلّدان من يبرز من العلماء والأدباء والشعراء، بعض مناصب الدولة الحساسة، ومن هؤلاء نصر الدين حمزة بن محمد، الذي تقلد عدة مناصب في الدولة منها حكم مدينة (نسا)، وكان هذا الرجل يجيد نظم الشعر العربي والفارسي.[3]

---

[1] محمود السيد، المرجع السابق، ص 118

[2] أحمد حافظ حمدي، الدولة الخوارزمية، ص 105.

3- نفسه،ص105، محمود السيد، المرجع السابق، ص: 118.

وخير دليل على احترام الخوارزميين لذوي المكانة العلمية رعايتهم لأسرة الجويني[1]، التي عظم نفوذ أفرادها في عهدهم، ووصل الكثير منهم إلى أرقى المناصب في الدولة، في عهد علاء الدين خوارزم شاه، وجلال الدين منكبرتي، ومنهم محمد النسوي، الذي كتب عن الدولة الخوارزمية في عهد جلال الدين منكبرتي نكان من شملهم هذا السلطان برعايته.

ولم يقتصر تشجيع الخوارزميين على كبار رجال الأدب والعلم، بل نراهم يهتمون بتشقيف الطبقات، فأنشئوا المدارس في جميع المدن الكبيرة ،وخصصوا للتدريس فيها كبار الفقهاء والأدباء ،منهم شهاب الدين أبو سعيد عمران، الذي جمع بين علوم الدين واللغة، حيث برع في أصول المذهب الشافعي وبين العلوم الطبية، وكان له دور كبير في إنشاء (دار الكتب) في خوارزم وهكذا يتضح أن سلاطين الدولة الخوارزمية اهتموا كثيرا بالعلم والعلماء.[2]

2: حكّام الأقاليم:(الاوضاع السياسية للدولة الخوارزمية):

لقد عهد شاهات خوارزم بحكم الأقاليم التابعة لدولتهم إلى رجال قد أطلق على الكثير منهم لقب وزير، وهم حكام لتلك الأقاليم، وكان الوزراء في تلك الأقاليم تسند إليهم الوزارة، وهي قطاعات خاصة بهم ،ومنحة من السلطان لهم فيستولون على دخلها وتكون بمثابة

---

[1] تنسب أسرة الجويني إلى مقاطعة جوين من نواحي خرسان، وكان لهذه الأسرة من المكانة في فارس ما كان لأسرة البرامكة في بغداد في عهد هارون الرشيد، وعقب غزوات جنكيزخان إستعان حكام المغول في فارس بأفراد هذه الأسرة في حكم البلاد الإسلامية، ومن هؤلاء بهاء الدين الجويني الذي تولى تصريف شؤون المغول المالية في فارس في عهد منكوخان، ومن المحتمل أن يكون ابنه علاء الدين عطا ملك الجويني مؤلف كتاب "جهانكشاي" قد تولى هذا المنصب بعد وفاة أبيه، واستمر بشغله إلى أن توجه هولاكو بحملته إلى غرب آسيا، فرافقه في هذه الحملة وكان عطف هولاكو على هذه الأسرة عظيما، فعين شمس الدين محمد أخا علاء الدين عطا ملك وزير له، كما عين علاء الدين نفسه حاكما على العراق العربي وخوزستان، واستمر حكم هاتين المقاطعتين طيلة عهد كل من هولاكو وابنه أبقاخان من بعده حتى توفي سنة (681هـ/ 1283م-، حافظ أحمد حمدي، المرجع السابق، ص: 106.

[2] محمود السيد، المرجع السابق، ص: 118، 119.

الضيعة إلى جانب مرتباتهم بحكم الوظيفة[1]، ونجد وزير تلك المقاطعة ملزما بالدفع لخزانة الدولة سنويا عشر خراج الإقليم الذي يحكمه.[2]

وهناك مصطلحات خاصة بحكام الأقاليم منها: الرئيس: وهو حاكم المنطقة الذي تم انتدابه رسميا للحكومة في الولايات والأقاليم، وكان واجبهم تنظيم الأمور العامة الإدارية والعسكرية، خاصة فيما يتعلق بالعاصمة الأم.[3]

وكان منصب الوزارة أكير عون للخوارزميين طالما كان السلطان الخوارزمي مهيمنا على شؤون الدولة، ولكن لما ازداد نفوذ الأتراك وتكمت تركان خاتون وعشيرتها في الدولة، حيث أصبحت تنافس نفوذ السلطان نفسه، صار هذا المنصب من أكبر عوامل إضعاف الدولة الخوارزمية، إذ خرج الوزراء على طاعة السلطان واستبدوا بموارد الدولة وثرواتها، وأصبحوا لا يرسلون إلى خزينة الدولة إلا ما يتصدقون به على السلطان[4]، ولما انعدمت الثقة بين السلطان ووزرائه ،أمر بتشكيل مجلس يتكون من ستة من كبار رجال الدولة أسند إليهم تصريف شؤونها، ولكن شرط عليهم أن تكون قرارات المجلس بالإجماع.[5]

شهدت الدولة الخوارزمية في بدايتها مجموعة من الكيانات السياسية، شبه المستقلة ومحاولة أمراء تلك الأسر الحصول على استقلالهم وتركهم لتبعية كل من الغزنويين والسلاجقة، ونجاحهم في بعض الأحيان في تحقيق ذلك، ولو لفترات قصيرة تكاد لا تذكر، ثم يعودون لتبعية تلك الدول مرة أخرى، واستمر ذلك حتى البدايات الأولى المبشرة لتكوين دولة شاهات خوارزم المستقلة، والتي تمثلت في مؤسس تلك الدولة أنوشتكين وابنه قطب الدين

[1] النسوي، المصدر السابق، ص: 81. حاشية، حافظ أحمد حمدي، الدولة الخوارزمية، ص: 98.

[2] حنان مبروك اللبودي، المرجع السابق، ص: 439.

3 نفسه، ص: 439.

[4] حافظ أحمد حمدي، الدولة الخوارزمية، ص: 98.

[5] محمود السيد، المرجع السابق، ص: 114.

محمد، وحفيده الأمير أتسز والذي جاهد محاولا أكثر من مرة الحصول على إستقلال تلك الدولة، وذلك من خلال حروبه مع أعظم سلاطين الدولة السلجوقية، السلطان سنجر السلجوقي، وبعد وفاتهما حصلت الدولة على إستقلالها بعد جهاد طال أمده، وبدأ كيانها القوي منذ عهد السلطان إيل أرسلان[1] بن أتسز والذي يعتبره المؤرخون أعظم وأول السلاطين العظام في تلك الدولة.[2]

أولا: السلطان إيل أرسلان بن أتسز خوارزم شاه (552- 568 هـ/ 1157- 1172م)

كان حاكما على ولايتي جند وسقناق في حياة والده، وما أن ذاع خبر وفاة الأمير أتسز بن قطب الدين محمد بنحو أربعة أيام، توجه إلى خوارزم فبايعه الأمراء وأركان الدولة في الوقت الذي كان فيه فريق يتزعمه الأتايك (أغلبيك) وعدد من الأعيان ينادون بتولية سليمان شاه بن أتسز على عرش خوارزم، وتمكن إيل أرسلان من القضاء على مثيري الفتنة وجلس على العرش في الثالث من رجب عام 552 هـ/1157م، وبذلك تولى إيل أرسلان ملك خوارزم بعد وفاة والده مباشرة[3]، وبعث بطاعته للسلطان سنجر السلجوقي الذي كتب له ولاية خوارزم، وظل على تلك الطاعة حتى وفاته، ويعتبر إيل أرسلان أول سلاطين الدولة الخوارزمية المستقلين.[4]

أ-توسع إيل أرسلان خوارزم شاه: أخذ إيل أرسلان على عاتقه تنفيذ الخطة التي رسمها والده من قبل،في السيطرة وفرض سلطانه على خرسان وخاصة بعد وفاة السلطان سنجر ،الذي كان أكبر عائق أمام تقدم الدولة الخوارزمية باتجاه

---

[1] إيل أرسلان، إيل لفظ تركي ومعناه ولاية، وأرسلان لفظ تركي معناه أسد، وهناك لفظ ايلخان ومعناه الخان التابع، أي حاكم إحدى الولايات في الدولة، النسوي، المصدر السابق، ص 34.

[2] حنان مبروك اللبودي، المرجع السابق، ص 311.

[3] أرمنيوس فامبري، تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمه وعلق عليه أحمد محمود الساداتي، راجعه وقدم له يحي الخشاب، مكتبة نهضة الشرق، مصر، 1987م، ص 149.

[4] أحمد حمدي حافظ، الدولة الخوارزمية، ص 28، حنان مبروك اللبودي، المرجع السابق، ص 312.

خراسان، وبوفاته انتهت القوة السلجوقية في بلاد فارس وخارسان، وانتشر الهرج والمرج في خراسان وما وراء النهر، لذلك اتجه إلى عقد اتفاق مع ركن الدين محمود خان، خليفة السلطان سنجر، والذي لم يكن له مهارة السلطان السابق، ويتضح ذلك من خلال تلك الرسائل المرسلة من إيل أرسلان له، والتي كانت تذيل بعبارة (صديقك الامين) ،في حين أن الأمير أتسز كان يذيّل رسائله للسلطان سنجر بعبارة (عبدك)، وذلك يدل على رجحان كفة الخوارزميين الذين تهيأت لهم الظروف لتحقيق أطماعهم الإستقلالية، وفق سياستهم التي رسموها لأنفسهم منذ أيام أتسز، فسار خلفاؤه من بعده على نهجه بنفس الحماس.[1]

وهناك دوافع جعلت السلطان إيل أرسلان خوارزم شاه إلى الاشتباك والحرب لتحقيق أهدافه التوسعية في خراسان منها:

- تهديد الأمير "مؤيد أي أبه" لممتلكات إيل أرسلان.[2]
- استعانة واستنجاد بلاد ما وراء النهر بالسلطان إيل أرسلان سنة 553هـ/ 1158م، من مظالم أمير سمرقند واعتداءاته، وكان من أتباع كرخان، وأسرع إيل أرسلان إلى هناك في قوة كبيرة، وفتحت له بخارى أبوابها سلما، إلا أنه لم يستطع بعد ذلك أن يواجه ذلك الجيش الذي حشده له عدوه بظاهر سمرنقد، وكان يضم كل التركمان النازلين فيما بين قراقول وجند، فعاد إلى بلاده دون أن يحقق شيئا مما خرج له، وهكذا بقي الأوبغور وفي حوزتهم الجزء الأكبر من بلاد ما وراء النهر، وفرغانة ،في حين كان على الخوارزميين أن يقنعوا بالإقليم الواقع عند حدود بخاري الغربية.[3]

[1] أحمد حافظ حمدي، الدولة الخوارزمية ص28، حنان مبروك اللبودي، المرجع السابق، ص313.

[2] نفسه،ص313.

[3] - فمبري، اللمرجع السابق، ص149.

وساد الهدوء بين هذين الإقليمين المتجاورين إلى غاية سنة 555هـ/ 1160م ،حيث ثارت طائفة من عسكر خوارزم شاه إلى أجنة ،وهجموا على يغمرخان بن اودك،ومن معه من الأتراك البرزية، فأوقعوا بهم وأكثروا القتل وهزموهم، وبعدما قصد السلطان السلجوقي محمد بن محمد الغز لنجدته.[1]

ب-إيل أرسلان ومحاولته السيطرة على بعض مدن اقليم بلاد الجبل:

إقليم بلاد الجبل أو الجبال أو مقاطعة لبلاد الجبال، أو العراق العجمي، ويقصد تلك الأراضي الواقعة على وجه التقريب بين تلك المدن الآتية وتوابعها زنجان إلى الشمال، وأصفهان إلى الجنوب، والري وقزوين إلى الشرق وهمذان إلى الغرب.[2]

كانت الصفة الغالبة على أوضاع هذا الاقليم هي القلاقل السياسية، وعدم الاستقرار الإداري، وتفشي الحروب الأهلية مما ترتب عنه انعدام الأمن، واستمرت هذه الاضطرابات ما يقارب نصف قرن من الزمان، وذلك بسبب ضعف الأتابكة[3] المحليين في ذلك الإقليم من سلالة (إبلدكز)، فترتب عليه طمع أمرائهم- الذي كانوا في الأصل مماليكهم- يطمحون في تأسيس حكم مستقل في تلك الولايات التي كلفوا بالاشراف عليها، لذا صار الصراع الدائم

[1] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج 09، ص 440، اللبودي، المرجع السابق، ص: 314.

[2] نفس المرجع، ص 315.

[3] الأتابكة،كان نظام الأتابكة من أهم مميزات العصر السلجوقي، ومعناه "الأمير الوالد" وترجع الأتابكية إلى كونها من بقايا وعادات التركمان القديمة التي أحياها السلاجقة، فعرف هذا اللقب ومنصبه منذ عهد سلاطينهم الأوائل، وإن كانت لم تصبح نظاما سائدا لديهم إلا بعد وفاة السلطان ملشكاه، فكان يعين لأولاده أوصياء من أمراء المماليك، وكانت تتركز مهامه في بداية الأمر في الوصاية على الأمير والتعهد بتربيته وتعليمه، لكن على مر السنين شملت مهاما عديدة ترتب عليها إنقسام الدول إلى ولايات يستقل بحكمها الأتابكة ومن مهامه في كثير من الأحيان كونه عينا للسلطان على الأمير بينه وبين الاستقلال واستمراره في تبقيه للسلطة المركزية، وبذلك اتسعت سلطاته حتى انقسمت الدولة إلى وحدات إقليمية تسيطر عليها الأسرات.أنظر:النسوي، المصدر السابق، ص: 52، اللبودي، المرجع السابق، ص: 315، عبد المنعم محمد حنيش، ايران والعراق في العصر السلجوقي، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص 140.

بين هؤلاء الأتابكة والأمراء الطامحين في الإستقلال من ناحية أخرى، وذلك قادهم إلى الاستعانة بأطراف أخرى من أجل المساعدة والإعتراف بتبعيتها لهم.[1]

وفي سنة 560هـ- 1164م قام الملك المؤيد[2]، بتسيير جيش إلى مدينة "نسا" وحاصرها في جمادى الأولى 560هـ، وقام أيل أرسلان أيضا بإرسال جيشا لتلك المدينة، وعادوا إلى مدينة نيسابور أواخر جمادى الأولى، فتبعها إلى نيسابور وتقابل الجيشان وعندما سمعوا بتقدمهم تراجع عنهم الخوارزميون، وصار صاحب "نسا" في طاعة السلطان الخوارزمي، وخطب بإسمه وذلك يعني تبعتها إلى الدولة الخوارزمية المستقلة ،ثم توجه الجيشان إلى "دهستان" وصاحبهما الأمير "إيثاق"، الذي لجأ إلى الملك المؤيد رغم الوحشة التي كانت بينهما، فتعاون معه وسير إليه جيشا حتى يمكنوا من دفع الضرر عنه، وعن بلده من جهة طبرستان، وأما دهستان فقد انتصر عليهم الخوارزميين وجعلوا عليهم واليا تابعا لهم يعمل بوظيفة الشحنة.[3]

وفي عام 561هـ/1165م، تحرك السلطان السلجوقي و"مظفر الدين قزل أرسلان" نحو "نخجوان" وواصلوا إلى أعالى طهران، وفي منتصف شهر رجب ذهب الأتابك والأمراء بجانب قلعة" فيروزكوه"،" ومازندران"، وكان السلطان قد غضب من "قتلغ اينانج"، الذي ذهب طالبا المدد من السلطان إيل أرسلان خوارزم شاه ،وفي الوقت نفسه إتجه السلطان السلجوقي

---

[1] حنان اللبودي،المرجع السابق،ص 316.

[2] الملك المؤيد: قائد لدى السلطان سنجر السلجوقي، الذي أسر ركن الدين محمود رئيسهم، وهو ابن أخت السلطان سنجر وقام مقامه في نيسابور، وكان بمثابة نائبا للسلطان في نيسابور، لذلك صمم إيل أرسلان على الإنتقام منه، وحدث اللقاء بينهما وذلك بذهابه إليهم لتأديتهم ومحاصرتهم في النهاية تمت المصالحة، وعاد إيل أرسلان مرة ثانية إلى خوارزم، أنظر، حنان مبروك اللبودي، المرجع نفسه، ص316،حاشية2

[3] ابن الأثير، الكامل، مج09، ص: 476.

إلى همذان، لذا اتجه الأتابك مسرعا إلى أذربيجان، وأعطى أوامره بتعمير حصن وقلعة طبرك وتجهيزها بالآلات[1].

وفي عام 562هـ/ 1166م حضر السلطان السلجوقي إلى "مزغار شويار" في زنجان، في الوقت الذي ذهب فيه السلطان الخوارزمي إيل أرسلان ومعه الأتابك "قتلغ اينانج" إلى العراق، ووصل مدينة الرى وحاصرها لعدة أيام، ولكن أيقن من عدم فتحه لها بسهولة، أما "قتلغ اينانج" فقد حاصر قلعة طبرك وتوجه نحو أبهروزنجان، ونظرا لرغبة الخوارزميين في القتال لم يتوقفوا عنه، واتجه "قتلغ اينانج" إلى زنجان بعد وصول أتابك ايلدكز في أذربيجان، الذي استعان به إلى تبريز، وذهب السلطان السلجوقي إلى مرة ثانية، وما أن أدرك إينانج ذلك حتى فكر في العودة، وإن كان لم يبعد عن مدينة أبهر كثيرا.[2]

ج- علاقة إيل أرسلان بالقراخطاي: قضى إيل أرسلان السنوات الأولمن حكمه في تثبيت ملكه، والقضاء على البقية الباقية من السلاجقة في فارس وخراسان، وقد نجح فعلا في إقامة الخطبة له في بعض البلاد الخراسانية، التي كانت لا تزال على ولائها للسلاجقة.[3]

لم يكن الخطا راضين عن استقلال وقوة الدولة الخوارزمية، لذلك عبروا نهر جيحون عام 567 هـ/1172م، يريدون خوارزم فسمع إيل أرسلان خوارزم شاه، فجمع عساكره وسار إلى أمرية ليقاتلهم ويصدهم[4]، وقد مرض السلطان الخوارزمي وهو بمعسكره بمدينة أموية، احدى المدن الواقفة على نهر جيحون، لكن المرض لم يثنه عن الدفاع عن بلاده رغم هزيمته، عاد السلطان المنهزم المريض إلى بلاده أسيرا، أما الخطا فعادوا إلى بلاد ما وراء

---

[1] حنان اللبودي،المرجع السابق،ص317.

[2] الراوندي محمد بن علي بن سلمان، راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية ،تر،ابراهيم أمينالشواربي وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2005، ص،420.421، حنان اللبودي مبروك، المرجع السابق، ص318.

[3] أحمد حمدي حافظ،الدولة الخوارزمية، ص67.

[4] ابن الأثير، الكامل، مج 10، ص 37

النهر مكتفين بما أحدثوه هي نفوس الخوارزميين من ذعر[1]، واشتد المرض على إيل ارسلان، وتوفي في 19 رجب 597هـ/19 مارس 1172م.[2]

ثانيا: أبو المظفر علاء الدين تكش بن إيل أرسلان خوارزم شاه (568- 596 هـ/ 1172- 1199م)

أ-الصراع بين الأخوين تكش وسلطان شاه:

بعد وفاة أيل أرسلان تولى بعده ابنه الأصغر سلطان شاه محمود بعهد من أبيه، وقامت بتدبير المملكة أمه تركان خاتون ،التي أمدته بالجنود الذين إلتفوا حوله[3]، وكان أخاه الأكبر علاء الدين تكش مقيما في أحد القطاعات الحربية التي منحه إياها أباه إيل أرسلان، وعند ما بلغه نبأ وفاة والده وتوليه أخاه الأصغر سلطان شاه محمود ثارت ثائرته، وتوجه مباشرة إلى الملك الخطا، واستمده على أخيه وأطمعه في الأموال وذخائر خوارزم.[4]

وأمام كل هذه العروض السخية،وأطماع الخطا في التوسع،سيّر هؤلاء جيشا إلى خوارزم ،يقوده قائد يدعى "كرما"، وصحب تكش هذا الجيش، إذ كان أعرف بالمسالك، واستطاع أن يوقع الهزيمة بأخيه،وأن يتبوأ عرش أبائه.[5]

أما سلطان شاه محمود فقد هرب متوجها إلى دهستان، فلحق به علاء الدين ونجح في فتح المدينة عنوة، وقتلت أمه تركان خاتون، وعاد سلطان شاه محمود مرة ثانية إلى

[1] أحمد حمدي حافظ، لدولة الخوارزمية، ص 67.

[2] ابن خلدون عبد الرحمان، العبروديوان المبتدأ و الخبر، تحقيق، سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، 2000، ج5، ص 108، اللبودي حنان مبروك، المرجع السابق، ص 319.،يذكر ابن الأثير أنه توفي في سنة 568 هـ، انظر. ابن الأثير الكامل، مج 10، ص: 39.

[3] عفاف سيد صبرة، التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، ط1، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، 1987م، ص 61.

[4] ابن الأثير، الكامل، مج 10، ص 39، ابن خلدون، العبر، ج5،ص 97.

[5] حافظ أحمد حمدي، الدولة الخوارزمية، ص 68.

نيسابور، حيث حاكمه "طغانشاه أبو بكر بن المؤيد"، وتمكن تكش من العودة إلى خوارزم، وجلس على عرش الدولة الخوارزمية[1].

ونظم رشيد الدين الوطواط شعرا يهنئنه فيه بجلوسه على العرش فقال:

لقد قضى جدك على الظلم في زمانه وعدل والدك قضى على الاغراخات

ولقد أصبح الملك لائقـــــــــــا فماذا تستفعل والحكم بين يديك[2]

وبعد فترة تغيرت سياسة تكش مع الخطا، وذلك عندما تمكن من ملك خوارزم ووصل إليه رسول من قيل ملك الأتراك بالإقتراحات والتحكم كعادتهم، خاصة أنه وعدهم بالخضوع لسيطرتهم ومال وفير يبعث إليهم، لذلك أخذه حمية الملك والدين، وقتل أحد الأقارب الملك الذي ورد إليه مع جماعة أرسله ملكهم لمطالبة خوارزم شاه بالمال، فأمر تكش أعيان خوارزم بقتل كل واحد منهم رجلا من الخطى، فلم يسلم منهم أحد[3]، وانتهز سلطان شاه هذه الخلافات ليجد طريقا في وسطها، فتوجه مسرعا نحو ملك الخطا طالبا معونته على أخيه علاء الدين تكش[4]، زاعما له أن كل خوارزم تؤيده، لذلك جهز ملك الخطا جيشا كبيرا، حتى وصلوا إلى خوارزم وتمكنوا من حصارها[5].

يقول بن الأثير "فوصلوا إلى خوارزم فحاصروها وأمر خوارزم شاه علاء الدين، بإجراء ماء جيحون عليها فكادوا يغرقون، فرحلوا ولم يبلغوا منها غرضا، ولحقهم الندم حيث لم ينفعهم ولاموا سلطان شاه، وعنفوه".[6]

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج5، ص97، عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص 92، اللبودي حنان مبروك، المرجع السابق، ص 321.

[2] نفسه، ص322.

[3] ابن الأثير، الكامل، مج 10، ص 39،40، عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص 62، حمدي أحمد حافظ، الدولة الخوارزمية، ص 29.

[4] حنان مبروك اللبودي، المرجع السابق، ص 323.

[5] عفاف سيجرة، المرجع السابق، ص 63.

[6] ابن الأثير، المصدر السابق، مج 10، ص 40.

ورغم الكوارث التي حلت بسلطان شاه، إلا أنه لم يتوقف عن رغبته في السلطة ،فقد عرض على "قرما" قائد الخطا أن يساعده للإستيلاء على مرو مع حاكمها دينار الغزى، فوافق واتجهوا إلى مدينة "سرخس" التي اقتحموها على الغز الذين بها، وقاتلوهم شر قتال وحاصروا قلعتها، وما إن وصلت الأنباء إلى طغان شاه ،قدم بجيش جديد من نيسابور متجها إلى سرخس لمواجهة سلطان شاه، إلا أنه لم يتمكن من الصمود أمامه ،فعاد إلى بلاده، وقام قراقوش بإخلاء القلعة والعودة إلى بلاده[1]، وتمكن سلطان شاه من المدينة واستولى بعدها على طوس.[2]

وفي عام 582هـ/1186م خرج السلطان تكش من خوارزم متجها صوب خراسان، في الوقت نفسه كان سلطان شاه متوجها بطريق آخر على رأس جيش كبير نحو خوارزم، فقام الخوارزميون بغلق البوابات وما إن علم السلطان تكش بذلك حتى أمر بإعداد معسكر خارج مرو، ثم عاد مسرعا، وما إن وصل إلى ساحل أموية كان السلطان شاه قد سيطر على مرو، فتوجه السلطان تكش نحو شاه باج، وظل معسكرا خارج المدينة ما يقارب الشهرين من الزمن، ثم عاد إلى خوارزم وارسل في طلب أعيان الدولة وهم (شهاب الدين مسعود، سيف الدين مردانشاه، خوارنسالار، بهاء الدين البغدادي الكاتب) من أجل إتمام الصلح، وتيسير سبل التفاهم مع سنجر شاه بن طغا نشاه بن مؤيد حاكم تيسابور ومنكلي بيك، ولكن قبض هذان الحاكمان عليهم وأرسلوهم إلى سلطان شاه، وظلوا في السجن طوال مدة الصلح بين الأخوين.[3]

وفي سنة 583 هـ/ 1187م، نزل السلطان تكش مرة ثانية خارج مدينة شاديا، ونصب المجانيين وبدأ بمعركة حامية، أجبر على إثرها منكلي إلى طلب الشفاعة من أجل

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج5، ص 108، ابن الإثير، الكامل، مج 10، ص 41، اللبودي حنان مبروك، المرجع السابق، ص 324.

[2] عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص: 63.

[3] حنان مبروك اللبودي، المرجع السابق، ص 324.

الأمان، وقبل السلطان تكش ذلك، وخرج منكلي منها بعد أن أعاد كل ما سلبه من الناس، وما إن تم استخلاص مملكة نيسابور ووضعها تحت تصرف ابنه الأكبر ناصر الدين ملكشاه عاد إلى خوارزم.[1]

وطال النزاع بين الأخويين حتى سنة 585 هـ/1188م، ولكنهما تصالحا في هذا العام، وأصبح تكش في السلطنة بدون منازع وتوج نفسه بعد الصلح من أخيه سلطانا شاه في طوسي[2]، ويخلع لقب السلطان على نفسه طبقا لما هو متبع عندئذ، ذلك أن هذا اللقب كان أهم من لقب، "ملك" الذي إعتاد عليه آباؤه وأجداده[3]، أما سلطان شاه فقد توفي سنة 589 هـ/ 1192م.[4]

2-السلطان علاء الدين تكش وسلاجقة العراق.

بعد وفاة السلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه سنة 511هـ/1117م، حدث نزاع حول العرش، وانقسم السلاجقة على أنفسهم، في الوقت الذي كان فيه أعدائهم يحدقون بهم من كل جانب، وذلك أن السلطان محمد قبيل وفاته أمر بإسناد السلطة إلى ابنه محمود، وحين تولاها كان صغيرا لم يتجاوز الرابعة عشر من عمره، فلم يرضى عمه سنجر "والي خراسان وما وراء النهر" أن يكون تابعا لابن أخيه ،فأعلن نفسه سلطانا على السلاجقة ، وبذلك انقسم السلاجقة إلى دولتان، الجهة الغربية وعليها السلطان محمود، والجهة الشرقية وعليها السلطان سنجر، فاشتعلت الحرب بين الطرف، انتصر فيها السلطان سنجر، الذي اعترف له الخليفة العباسي بالسلطنة على السلاجقة، لكن سنجر بعد انتصاره عطف على ابنه أخيه محمود فصالحه وعينه وليا لعهده، وكتب بذلك الى الولايات، وأعاد إليه جميع البلاد التي

---

[1] ، الأصفهاني عماد الدين بن محمد بن حامد، دولة آل سلجوق، تح، يحي مراد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2004، ص 148. حنان اللبودي،المرجع السابق، ص 325

[2]طوسي: هي عاصمة اقليم خراسان القديمة، وإليها ينتسب الكثير من الشعراء والأدباء والعلماء، أنظر :محمد دير سياقي، المرجع السابق،ص24.

[3] محمد دير سياقي ،المرجع السابق، ص 24.

[4] ابن الأثير، الكامل، مج 10، ص 232، محمد دير سياقي، المرجع السابق، ص 24.

كانت تحت سيطرته، ما عادا مدينته الري، التي اتخذها سنجر قاعدة يراقب منها أعمال محمود خشية أن يخرج عليه مرة أخرى.[1]

وقد كان كل فرد من أفراد البيت السلجوقي يعد نفسه مستقلا في الجزء الذي كان يحكم فيه، ويحاول أن يوسع منطقة نفوذه، ويسعى للوصول إلى السلطنة، والأمر الذي أدى إلى كثرة الحروب، وشملت الخلافات الأسرية معظم هذا العهد من حكم سلاجقة العراق، فقد خرج مسعود حاكم الموصل وأذربيجان على أخيه محمود وقاتله، وبعد وفاة محمود سنة (525 هـ/ 1130م) تنازل ابنه داود مع عمه مسعود وبدأت الحرب بين الطرفين[2].

يقول ابن الأثير "وفي شوال من سنة 525هـ- 1130م توفي السلطان محمود بن السلطان محمد بهمذان ،وخطب ببلاد الجبل وأذربيجان لولده الملك داوود، سار الملك داوود من همذان في ذي القعدة سنة 525هـ/ 1130م إلى زنجان، فأتاه الخبر أنه عمه السلطان مسعود قد سار من جرجان ووصل إلى تبريز واستولى عليها، فسار الملك داود إليه وحاصره بها ،وجرى بينهما قتال إلى محرم 526هـ/1131م، ثم اصطلحا وتأخر الملك داوود، وأرسل يطلب الخطبة ببغداد،وكانت رسل الملك داوود قد تقدمت في طلب الخطبة، فأجاب المسترشد بالله أن الحكم في الخطبة إلى السلطان سنجر، وأن لا يأذن لأحد في الخطبة"[3]، كما تقاتل السلطان مسعود مع أخيه سلجوق شاه، وكذلك بن مسعود وأخيه طغرل ولم تستقر الأمر إلا بعد صراع طويل.[4]

---

[1] عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص 67.

[2] المرجع نفسه، ص 68.

[3] ابن الأثير، الكامل، مج 9، ص 262.

[4] عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص 68.

وانتهى الأمر بنجاح السلطان مسعود في التغلب على منافسيه والفوز بالسلطنة، وقد بدأ سلطان السلاجقة في الأفول، في الفترة القليلة التي تلت وفاة السلطان مسعود، وأخذت قوة السلاجقة في العراق وكردستان مجرى جديد أسوأ مما كانت عليه سابقا.[1]

وأما هذه الأوضاع إستطاع السلطان تكش خوارزم شاه أن يجعل دولته مسموعة الكلمة بين أمراء العراق وحكامه، وأصبح الخليفة الناصر لدين الله العباسي،ينظر إلى هذه الدولة بمنظار آخر يخالف منظار من سبقه من الخلفاء، حتى أننا نجد أن هذا الخليفة منذ توليه وهو يعمل على تثبيت ملكه ،وغسل الإهانة التي لحقت الخلفاء العباسيين من طرف السلاجقة، فأصبح يلجأ إلى تكش خوارزم شاه ويستعين به ضد آخر سلجوقي في العراق، وهو طغرل بك،[2] وإن هو تمكن من القضاء عليه يوليه ما كان بيد السلجوقي من بلاد، وكانت هذه فرصة نادرة لتحقيق سياسة أجداده وتكوين دولة ذات كيان سياسي معلوم.[3]

وبعدها إلتقى الجيشان الخوارزمي والسلجوقي قريبا من الري سنة (590 هـ/ 1193م)[4]، يقول ابن الأثير "....فالتقى العسكران بالقرب من الري، فحمل طغرل بنفسه في وسط عسكر خوارزم، فأحاطوا به وألقوه عن فرسه وقتلوه ،في 24 من ربيع الأول ،وحمل رأسه إلى خوارزم شاه ،فسيره من يومه إلى بغداد، فنصب بهابباب النوبي عدة أيام..."[5].

---

[1] عفاف سيد صبرة، المرجع السابق ،ص 68.

[2] طغرلبك: وهو طغرلبك بن أرسلان بن طغرل بك بن محمد شاه السلجوقي، السلطان صاحب أذربيجان آخر سلاطين سلاجقة العراق (571- 590 هـ/ 1168- 1194 م)- مكنته الظروف من العودة الى همذان، وتزوج من أرملة بهلوان الذي ولاه على أذربيجان، وهدفه من ذلك قتلها والإستلاء على أصفهان والري، ونهب حصن طبرك ،إلى جانب طلبه للسلطنة من السلطان العباسي، أنظر: ابن عماد الدين الحنبلي، شذرات الذهب في أخيار من ذهب، تج، محمد الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط1، بيروت، 1991، مج 6، ص 493، حنان اللبودي مبروك، المرجع السابق، ص 46.

[3] أحمد حمدي حافظ، الدولة الخوارزمية، ص 29.

[4] نفسه،ص 30.

[5] ابن الأثير، الكامل ، مج 10، ص 233.

ويقول الحسيني في كتابه أخبار الدولة السلجوقية في حادثة قتل طغرل "... فحملوه إلى السلطان علاء الدين تكش فلم تطب نفسه بما فعلوا به، وقال لو جئتم به حيا لكان أحب إلي واشهن ولكن أجله حكم عليه... وأرسل السلطان علاء الدين تكش رأسه إلى بغداد .."[1]،

وبذلك قضى السلطان تكش على السلطان طغرل الثالث سنة(592 هـ- 1192م)، آخر السلاطين السلاجقة الأصليين على حدود الري، وسيطر على كل أملاكه،وصار بين الرعية سيرة العدل والإنصاف.[2]

وقد كان الخليفة العباسي الناصر لدين الله قد أرسل قوة عسكرية لنجدة علاء الدين تكش، كما أرسل إليه بالخلع السلطانية وزيره مؤيد الدين ابن القصاب، فنزل بالقرب من همذان ،فبعث إليه السلطان الخوارزمي يطلبه فرفض، وطلب منه ابن القصاب أن يحضر بنفسه إليه ليلبسه الخلعة في خيمته، وظلت الرسل تتردد بينهما، حتى وصلت أنباء إلى علاء الدين تفيد أن هذه ما هي إلا خدعة حتى يحضر إليه في الخيمة، ويقبض عليه، لذلك توجه إليه السلطان علاء الدين تكش حتى يقبض عليه ،فهرب إلى الجبال فتركه السلطان الخوارزمي وتوجه إلى همذان[3]

" ولما ملك همذان وتلك البلاد سلمهاالى قتلغ اينانج[4]، واقطع كثيرامنها لمماليكه، وجعل المقدم عليهم مياجق، وعاد إلى خوارزم"[5].

---

[1] الحسيني صدر الدين أبي الحسن علي بن أبي الفوارس ناصر بن علي، أخبار الدولة السلجوقية، تحقيق، محمد إقبال لاهور 1933، ص 193.

[2] حنان مبروك اللبودي، المرجع السابق، ص 332، محمد بير سياقي، المرجع السابق، ص 24.

[3] عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص 76.

[4] قتلغ اينانج (المؤمن السيد): هو ابن عطابك ايلدركوز (الشرف على الناس)، الذي تنكر أشد التنكر للسلطان طغرل، ذي العقل الراجح برغم سوء خطه.، وكان هذا الثائر قد سجن من قبل لمحاولته الإعتداء على شخص السلطان، وحين عفا عنه من بعد ذلك وكرمه، قابل ذلك بالذهاب إلى خراسان، وكتب إلى تكش ليمده بقوة يحارب بها سيده، ويقال أن طغرل ركب حصانه في هذه المعركة وهو ثمل، ونشد شعرا. انظر: فامبري، المرجع السابق،ص151

[5] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج 10، ص233.

ومن المرجح أم يكون هذا التصرف من طرف الوزير، والذي يكشف عن كبريائه المتمثل في إصراره على مجيء السلطان الخوارزمي إليهن مما جعل الشكوك والوسواس تسيطر على السلطان الخوارزمي، وهو ما تأكد فعلا.[1]

والواقع أن وصول السلطان علاء الدين نكش إلى همذان يعني إنهيار سلاجقة العراق وكردستان، واستيلاء الخوارزميين على العراق العجمي أو بلاد الجبل، وحصل على تقليد بذلك من الخلافة العباسية[2]، وقد منح هذه البلاد والأقاليم لأتباعه من المخلصين ليحكموها بإسمه[3]، إلا أن أطماع السطان علاء الدين تك لم تقف عند هذا الحد، بل رأى أنه لابد أن يحتل المكانة التي كانت للسلاجقة ببغداد، وطلب إلى الخليفة الناصر أن يعترف به على هذه الناحية ،وأن يذكر اسمه في الخطبة، ولكن هذا الطلب كان يتعارض مع رغبات الخليفة العباسي الذي تنفس الصعداء بزوال السلاجقة.[4]

<u>3- السلطان علاء الدين تكش والخلافة العباسية:</u>

نستنتج مما سبق أن تخلص السلطان علاء الدين تكش من السلطنة السلجوقية، واستيلائه على أملاكها ،يكون بذلك قد أنهى القوى الشرعية التي كان يتبعها، وأصبح له السيادة على هذه المناطق، واختلف وضعه في هذه الآونة من قوة اقليمية محدودة إلى قوة لها سلطان واسع، وشهدت الخلافة العباسية ضعفا كثيرا، وأصبح السلاجقة هم القوة المسيطرة عليها حتى أنها عندما أفاقت من فترة الصحوة أيام الخليفة المسترشد فإن السلاجقة

---

[1] حنان مبروك اللبودي، المرجع السابق، ص 334.

[2] عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص 76.

[3] أحمد حمدي حافظ، الدولة الخوارزمية، ص 30.

[4] عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص: 76.

كانوا قد أنهو نزاعهم، ونجح السلطان مسعود في تقلد السلطنة السلجوقية سنة 1134م/ 1152 م، وعندما حاول المسترشد الوقوف أمامه قتل من طرف الباطنية.[1]

وفي عهد الخليفة الراشد 529 – 532 ه/ 1134– 1137 م، وقف الخوارزميون إلى جانبه في الصراع مع السلاجقة، الذي قتل على أيدي الباطنية في 16 رمضان 532 ه،/ 1137م.[2]

أما في عهد الخليفة المقتفي لأمر الله 532– 555 ه، فقد عمل على تأكيد سلطة الخلافة وهدم النفوذ السلجوقي، وكان نفوذه الديني هو السلاح القوي بيده[3]، وظلت العلاقة وطيدة بين الدولة الخوارزمية والخلافة العباسية، ويتجلى ذلك من خلال الرسائل التي كان يرسلها رشيد الدين الوطواط[4]، إلى الخليفة العباسي منها:

"... لكن العبد مع بعد الدار، وشحط المزار، مقبل على سرير الخلافة، معتصم بولاء حرمها العاصم من المخافة، شاكرا لله على ما بسط في بلاده من أضواء تلك العواصف...".[5]

وجاء أيضا "... فإن طاعة مواقف مولانا وسيدنا أمير المؤمنين، وإمام المرسلين شيد الله أركانها، وأيد سلطانها ولازالت أنوار جلالها مشرقة...".[6]

---

[1]– عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص: 77.

[2]– ابن العماد، المصدر السابق، مج 6، ص: 165-166.

[3]– فاروق محمد فوزي، الخلافة العباسية، السقوط والانهيار، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2009، ج2، ص: 183.

[4] الوطواط: هو الأمير رشيد الدين سعد الملك محمد بن محمد بن عبد الجليل العمري، المعروف (برشيد الدين الوطواط–، كان مولده في مدينة بلخ، تولى رئاسة دار الإنشاء أو وزارة الرسائل، والكاتب الخاص للسكان أتسز من سنة 522– 551 ه، انظر: رشيد الدين الوطواط، حدائق السحر في دقائق الشعر، المركز القومي للترجمة، 2009، القسم الأول، ص 3،4،5.

[5]رشيد الدين الوطواط، مجموعة رسائل، تر، محمد أفندي فهمي، مطبعة المعارف، مصر، ط1، 1315 ه، ص15

[6] نفسه، ص 14.

وهذا وإن دل على شيء فإنما يدل على العلاقة الوطيدة بين سلاطين الدولة الخوارزمية، وخلفاء الخلافة العباسية خاصة الخليفة المقفى، ويتجلى ذلك من خلال الرسائل الموجهة إليه، والتي تحمل ولاء تاما للخلافة العباسية، على تعاقب الخلفاء، لكن هذه العلاقة الوطيدة لم تدم طويلا، حيث شهدت توترا خاصة بعد مساندة الخليفة العباسي للوزير ابن القصاب، فيما جرى مع السلطان الخوارزمي علاء الدين تكش.

وقد كان الخليفة العباسي متخوفا من القوة الخوارزمية الجديدة، والتي شعر أنها لا تقل خطورة عن السلاجقة، فقد كان طامعا في منطقة العراق العجمي، حتى لا يمتد نفوذ الخوارزميين إلى بغداد، رغم أن أوضاع الخلافة العسكرية لم تكن قادرة على فعل ذلك، فكان همّ الخليفة هو المحافظة على الإستقرار والأمن الداخلي للخلافة[1].

ويعود السبب الرئيسي لهذا الخلاف هو الموقف العدائي والشديد الذي سار عليه مؤيد الدين ابن القصاب، منذ أن أوفده الخليفة الناصر لدين الله حاملا الخلع إلى السلطان الخوارزمي علاء الدين تكش بعد إنتصاره على طغرل السلطان السلجوقي، وكيف أساء التصرف مع علاء الدين مما أدى إلى توتر العلاقات بين الطرفين، ثم علاقته بعد ذلك مع قتلغ اينانج، وكيف ضمه إلى معسكره نوكيف أساء السيرة مع أهالي البلاد، وصادر ممتلكاتهم والأراضي الخاصة، وأعلنها أملاكا تابعة للخليفة العباسي في بغداد، كل هذه الأفعال أساءت إلى إسم الخلافة في البلاد، وأظهرتها على أنها قوة طامعة تسعى لفرض النفوذ دون النظر إلى مصالح أهل البلاد، ويرجع ذلك إلى سوء التطبيق الذي اتبعه ابن القصاب[2] "

[1] عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص81.

[2] نفسه، ص86.

الذي نجح في الاستيلاء على بلاد خوزستان، فلما ملكها سار منها إلى ميسان من أعمال خوزستان، فوصل إليه قتلغ اينانج ابن البهلوان صاحب البلاد"[1]، وذلك بعد أن هزمه خوارزم شاه هو ومن معه من الأمراء، بعد إظهارهم للعصيان، لذا توجه إليهم من الري ابن السلطان تكش "يونس خان" في عدة كاملة، وفروا إلى بغداد سنة 591 هـ/ 1194 م، وانتصر الخوارزميين[2]، "... لكن قليلا من غلمان العراق من الفرسان وقفوا يحاربون الخوارزميين... وسلكوا طريق الظلم والتخريب فكانوا كلما نزلوا بقرية من القرى استولوا على ما بها من دواب، وتركوا الفلاحين يسيرون من ورائهم في حسرة وحزن، وهم يذبحون أبقارهم... ونهبوا بهذه الطريقة جميع الأموال والمتاع من ولاية العراق... ".[3]

وقد وقع تحالف بين قوات الخليفة الناصر لدين الله ،الممثلة في المؤيد ابن القصاب وقوات الأتابك قتلغ اينانج، وتوجهوا نحو همذان ليهاجموا القوات الخوارزمية هناك، أخذت هذه القوات المتحالفة طريقها إلى كرمانشاه وكان عدد الجنود 5000 جندي، وأغاروا على ما بقي من العراق، وكان بالمدينة يونس خان ابن تكش، وما إن وصلت مسامعهم أخبار هذه القوة المتحالفة حتى تركوا همذان متوجهين إلى الرى.[4]

وقد تمكن الخليفة الناصر لدين الله من بسط نفوذه على ما كان بيد الخوارزميين من أملاك في العراق العجمي والرى، وساعده في ذلك أن ملك الخوارزميين لم يكن ثابتا في تلك المناطق، اضافة إلى كراهية أهلها لهم.[5]

---

[1] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مج 10، ص 235.

[2] حنان مبروك اللبودي، المرجع السابق، ص 335.

[3] الراوندي محمد على بن سليمان، راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمة، فؤاد عبد المعضي الصياد، وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2005، ص 522.

[4] عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص83، حنان مبروك اللبودي، المرجع السابق، ص 336.

[5] عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص 84.

ومع توالي الأحداث، وإخلاء أغلب بلدان العراق من الخوارزميي،ن نشب الخلاف بين العراقيين وابن القصاب، وأعلن قتلع العصيان على الوزي،ر وحاصروا الرى ودارت الحرب[1].

يقول ابن الأثير "... إلتقوا واقتتلوا قتالا شديدا، وانهزم قتلغ إينانج ونجا بنفسه، ورحل الوزير من موضع المصاف إلى همذان، فنزل بظاهرها وأقام نحو ثلاثة أشهر، فوصله رسول خوارزم شاه تكش، وكان قد قصدهم منكرا أخذه البلاد من عسكره، ويطلب إعادتها وتقرير قواعدها والصلح، فلم يجب الوزير إلى ذلك ،فسار خوارزم شاه مجددا إلى همذان..."[2]

واستمر الوضع لمدة ثلاثة أشهر، اشتد فيها المرض على الوزير ابن القصاب، وتوفى بهمذان في شعبان592 هـ/ 1196م، وكان عمره سبعين سنة، ودفن ليلا في"بوابة شيروين"، وأخفوا قبره خوفا من انتقام الناس منه لأعماله الجائرة.[3]

إلا أن السلطان الخوارزمي لم يتوقف بعد وفاة الوزير ابن القصاب يقول ابن الأثير "... فوقع بينه وبين عسكر الخليفة، وغنم الخوارزميون منهم شيئا كثيرا ..."[4]، ونبش قبر الوزير ابن القصاب وأرسل للسلطان الخوارزمي علاء الدين تكش[5].

ورغم كل ذلك إلا أن السلطان علاء الدين تكش حاول أن يعيد التفاهم بينه وبين الخليفة العباسي، وتظاهر بولائه له رغم الهزيمة التي ألحقها به، ولم يراع السلطان الخوارزمي حرمة أهل البلاد نوأساء معاملتهم وبالغ جنده في نهب البلاد وسلبها، لذلك كره أهل أصفهان والري الحكم الخوارزمي، ورغبوا في التخلص منه والعودة الى طاعة الخلافة،

---

[1] حنان مبروك اللبودي، المرجع السابق، ص 336.

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج 10، ص 236.

[3] ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، مج 06، ص 508، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج 10، ص236، حنان مبروك اللبودي، المرجع السابق، ص 338.

[4] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، المج 10، ص 236

[5] الراوندي، المصدر السابق، ص 530، حنان مبروك اللبودي، المرجع السابق، ص 339، عفاف سيد صبرة، المرجع السابق ص 86.

حتى أن أهل البلاد كانوا يتنكرون في زي الخوارزميين، ويهاجمونهم بدعوى أنهم منهم مما جعل السلطان الخوارزمي يأمر بقتل كل عراقي يلبس قلنسوة خوارزمي[1] .

نظم السلطان علاء الدين تكش الأوضاع في المنطقة بعد استعادتها، فكان لابنه يونس خان دارالملك بهمذان، وألحق ابنه الآخر جعفر بخدمته، ثم قلد صدر الوزان رئيس الشافعية بالري منصب القضاء، ثم عاد الى خوارزم.[2]

إستاء أهل البلاد من معاملة الخوارزميين، وفي نهاية سنة 1196/592م، استنجد أهل أصفهان ممثلين بالخجندي[3]، الذي راسل الديوان ببغداد وكانت له مكانة بارزة في البلاد،أسرع الخليفة لتلبية نداء أهل أصفهان ،وخرجت قواته بزعامة احد مماليك الاتراك وهوسيف الدين طغرل، وعندما وصلت الى حدود اصفهان خرجت منها قوات خوارزم شاه واتجهت نحو خراسان[4]،وقد تزامن مع هذا الحدث قيام ثورة اخرى ضد الخوارزميين في مدينه الري ،بزعامة نور الدين علي كوكجة، التي استعادوها من الخوارزميين، ووصلوا الى اصفهان ،وفيها خضع كوكجة للخليفة الناصر لدين الله واعلن الولاء و الاذعان،ودخل مع قوات الخليفة بقيادة طغرل، و تم تحرير همذان واصفهان وزنجان وقزوين،وكل منطقة العراق العجمي من القوات الخوارزمية، ودخلت المنطقة تحت سيطرة الخلافة العباسية وقوات كوكجة.

4- السلطان علاء الدين تكش والفويين والقراحطاي: 594هـ. 1197م

وصلت الدولة الخوارزمية الى اوج اتساعها في هذه الفترة، حيث هاجم علاء الدين تكش،همذان واصفهان وما بينهما من البلاد، واستولى عليهم ودخل في مواجهة عسكرية مع

[1] الراوندي، المصدر السابق ص 533، عفاف سيد صيدة، المرجع السابق ص 87.

[2] حنان مبرزك اللبودي، المرجع السابق، ص 340.

[3] الخجندي، هو صدر الدين بن عبد اللطي بن محمد بن ثابت الخجندي، رئيس الشافعية بأصفهان، قدم الى بغداد سنة 588هـ، وولي النظر في المدرسة النظامية ببغداد، توفي 692هـ، انظر ابن الأثير الكامل في التاريخ، مج 10، ص 243،244، ابن كثير الحافظ عماد الدين ابي الفدا اسماعيل البداية والنهاية، تحقيق، عبد الله بن عبد الرحمان التركي، هجر للطباعة، مصر، ط1، 1999م، ج16، ص 672.

[4] عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص 88، حنان مبروك اللبودي، المرجع السابق، ص 342، 343

جيش الخلافة، وطالب بالسلطة وأعاد دار السلطةالى ما كانت عليه في عهد السلاجقة ،وأن يكون الخليفة تحت يده[1]، فانزعج الخليفة من طلبه ورد رسوله بلا جواب وسخط اهل بغداد[2]، لذلك قام الخليفة العباسي بالاتصال بغياث الدين ملك الغور وغزنة يأمره بقصد بلاد خوارزم شاه ، ليعود عن قصد العراق[3]، فلما أرسل غياث الدين الى خوارزم شاه تكش يقبح له فعله ويتهدده بقصد بلاده وأخذها، لم يرى الخوارزميين مخرجا سوى الالتجاء الى الخطا يحرضونهم على الدولة الغورية، ويحذرونهم من تمادي الغوريين وازدياد سلطانهم، ويبينون لهم ما ينجر عن ذلك من خطر يهدد دولة الخطة نفسها،[4]"فسار الخطا في عساكرهم ووصواوا بلاد الغور[5]، وراسلوا بهاء الدين سام ملك بايمان، وهو ببلخ يأمرونه بالخروج عنها، وعاثوا في البلاد..."[6].

أما علاء الدين تكش فقد توجه الى طوس لمحاصرة هراة، واستنجد أهل هذه البلاد يملكهم غياث الدين الغوري، الذي نجح في التصدي لهجوم الأتراك وهزمهم[7].

وهكذا انهزم الخطا على أيدي الغوريين، بينما السلطان الخوارزمي علاء الدين تكش قد تصالح مع الغوريين بشرط أن يتخلى عن أعماله العدائية، وانصرف السلطان الخوارزمي الى معالجة مشاكله في الشرق مع دولة الخطا.[8]

---

[1] محمود شاكر، الدولة العباسية، المكتب الاسلامي، ط6، بيروت، 2000م،ج2، ص 299،298.

[2] عفاف سيد، صيرة، المرجع السابق، ص 90.

[3] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج10، ص 252.

[4] أحمد حافظ حمدي، الدولة الخوارزمية، ص 44.

[5] الغور: وهي جبال واقفة بين هراة وغزنة، وهي عبارة عن وديان المنطقة الجبلية التي يطلق عليها اليوم كوه بابا الى جانب أنها منبع للأنهار، أنظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج4، ص 218، حنان مبروك اللبودي، المرجع السابق، ص 349.

[6] ابن خلدون، العبر، ج5، ص 113.

[7] عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص 91.

[8] حافظ أحمد حمدي، الدولة الخوارزمية، ص 44، عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص 92.

5- السلطان علاء الدين تكش والإسماعيلية الحشيشية:

كانت طائفة الاسماعيلية تقوم في الشمال الغربي للدولة الخوارزمية، وسميت بالاسماعيلية لأن أتباعها كانوا ينادون بإمامة اسماعيل بن جعفر الصادق، وأطلق عيلهم لفظ الحشاشين أو الحشيشية، لأنهم كانوا يستعينون بالحشيش للترويج لمذهبهم وفي حوادث الاغتيال السياسي،[1] وكانت رغبة الخوارزميين في القضاء عليهم للفتن والمكائد التي أحدثوهاوتأثيرهم على العلاقات مع العباسيين ،خاصه في عهد الخليفة لدين الله وابن تكش، فكانت من الاسباب التي دفعته لإعداد حملة على بغداد، وبعد ان تمكن السلطان تكش من الاستيلاءعلى اقليم من وراء الجبل، وجد من الضروري الاتجاه الى قلاع هؤلاء الملاحدة، الذين كانوا في هذه الفترة في قمة مجدهم[2]، قام السلطان الخوارزمي، علاء الدين تكش و ابنه قطب الدين محمد بالإغارة على قلعتهم آلموت[3]، وهي التي فتحها السلطان ارسلان ابن طغرل، واطلق عليها قلعه ارسلان كشاي، بالقرب من قزوين ،فقتل عددا كبيرا منهم،وسيطر على مدينه قزوين، وتولى أمرها احد ابنائه وشهرته تاج الدين[4].

وهاجمهم الخوارزميين مرة ثانية، بعد اغتيالهم نظام الملك مسعود بن علي، وزير السلطان علاء الدين تكش، وكان صالحا كثير الخير حسن السيرة، شافعي المذهب،[5] وكان نائب السلطان ابنه علاء الدي محمد، اتجه صوب قلاعهم، لذا أعد الجنود لذلك، وقام بمحاصرة مدينة" ترشيز" وكاد أن يفتحها، لولا وصول خبر وفاة والده علاء الدين تكش،الذي

---

[1] الصياد فؤاد عبد المعطي، المرجع السابق، ج2، ص 74-75.

[2] حنان مبرك اللبودي، المرجع السابق، ص 352.

[3] قلعه الموت :ومعناها تعليم العقاب، وسميت بهذا الاسم لان احد الامراء الديالمة الذين يحبون الصيد تعقب يوما عقابه للصيد فوقف في العقاب على موضها، و رأى الامير أن هذا الموضع مناسبا لبناء قلعة فسميت بسبب ارشاد العقاب اليها الموت، انظر :اقبال عباس الأشتياني، تاريخ ايران بعد الاسلام من بداية الدولة الطاهرية الى نهاية الدولة القاجارية، ترجمه عن الفارسية، محمد علاء الدين منصور، دار الثقاف، القاهرة،1989 ، ص 256، حاشية رقم 03.

[4] حنان مبروك اللبودي،المرجع السابق،ص353.

[5] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج10، ص 267.

كان مصابا بمرض الاختناق فعالجه الأطباء ونصحوه بعدم الارهاق، لكنه خالف ذلك، وتوجه للملاحدة، وكان الجو حارا، فأغار على قهستان وترشيز من أجل الانتقام لوزيره الذي قتل على أيديهم، وذلك لتيقنهم بأنه هو محرض السلطان تكش اليهم ومحاصرتهم،[1]

لكن المرض اشتد عليه فأرسلوا الى ابنه قطب الدين محمد يستدعونه ويعرفونه شدة مرض أبيه،[2] مما اضطره الى ترك الحصار عن مدينة ترشيز، وصالحه الملاحدة على مائة ألف دينار، فوافق قطب الدين محمد على هذا الصلح[3].

توفي السلطان تكش في شهر رمضان سنة 596هـ/ 1119 م، بعد أن ملك خراسان والرى وغيرها من البلاد الجبالية بشهرستانه ،بين نيسابور وخوارزم ،وهو الذي قطع دولة السلاجقة، كان عادلا حسن السيرة، والمعاشرة فقيها على مذهب أبي حنيفة، ويعرف الأصول، وبنى للحنيفة مدرسة عظيم،ة ودفن بحوارزم، وحكم بعده ابنه علاء الدين محمد خوارزم شاه.[4]

ثالثا: الدولة الخوارزمية في عهد السلطان علاء الدين محمد تكش خوارزم شاه

(596، 617هـ/ 1193، 1219م)

بعد مبايعة اعوان الدولة الخوارزمية السلطان الجديد علاء الدين محمد خوارزم شاه وتولى أمر خوارزم، اتصل بأخيه علي شاه باصفهان يستدعيه للقدوم اليه بعد وفات والدهما،فقدم اليه وعينه رئيسا للجيش الموجه للحرب في خراسان، وعينه على نيسابور، ام

---

[1] حنان مبروك اللبودي، المرجع السابق، ص 353.

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج 10، ص 266.

[3] عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص 95، حنان مبروك اللبودي، المرجع السابق، ص 353، 354.

[4] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج10، ص 266،ابن خلدون، العبر، ج05، ص 114، ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص 529، 530، ابن كثير، البداية والنهاية، ج16، ص 794، أو الفداء عماد الدين اسماعيل،التير المسبوك في تواريخ الملوك، تحقيق محمد زينهم محمد غرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1995، ص 71، المختصر في أخبار البشر، تحقيق محمد زينهم غرب وآخرون، دار المعارف، القاهرة ط1، ج1، ص 98، فامبري، تاريخ بخارى، ص 115، محمددير ساقي، المرجع السابق، ص 25، عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص 95، حنان مبروك اللبودي، المرجع السابق، ص 354.

ابن اخيه ناصر الدين ملكشاه والملقب ب: هندوخان فقد خاف من عمه علاء الدين محمد، فهرب ونهب خزائن جده تكش لأنه كان موجودا معه عند وفاته[1] ،وقد اتجه هند خان الى مرو، فأعد عمه علاء الدين محمد جيشا لمحاربته بقياده حقرالتركي، فلما سمع هندوخان بمسيرهم اتجه الى غياث الدين الغوري، في خراسان طالبا النجدة منه على عمه، فاكرمه ووعده بمساعدته، لكن التركي كان قد وصل الى مرو، وقبض على والد هند خان واولاده وارسلهم الى خوارزم مكرمين[2].

تحرك غياث الدين من اجل نجدة هندوخان فاتصل "بمحمد بك جربك"امير الطالقان يأمره ان يقوم بتهديد حقر التركي، قائد القوات الخوارزمية فلبى طلبه وخرج من الطالقان واستولى على مرو الروذ والخمس قرى، فارسل الى حقريأمره بإقامة الخطبة بسم السلطان الغوري،اوالخروج من المدينة[3].

وقد راسل القائد الخوارزمي السلطان الغوري سرا طالبا الامان، وكذلك تسليم المناطق التابعة للدولة الخوارزمية ،مقابل ان يكون حاكا لديهم، ولقد شجعت خيانة الغوريين على التقدم وطمعهم في املاك الدولة الخوارزمية معتقدين في ضعف السلطان الخوارزمي الذي تخلى عنه قائده[4]، وبذلك امر أخاه شهاب الدين بالمسير الى خراسان[5].

فسار شهاب الدين بعسكره وكذلك عساكر من مدينه تيستان، الى قرية بين الطالقان وكرزبان،وهي قريه ميمنة، وكان ذلك في جمادى الاولى عام 597هـ/1200م،وهناك وصلت اليه رساله من حقر التركي الخارج عن سيده علاء الدين محمد خوارزم شاه، وكان موجود في مرو، وكانت الرسالة تحوي تسليم مرو الى قوات شهاب الدين الغوري، وحصل

---

[1] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج10، ص 266، عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص 97.

[2] حنان مبروك اللبودي، المرجع السابق، ص354،355، عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص 98.

[3] عفاف سيد صبرة،المرجع السابق، ص 98

[4] حنان مبروك اللبودي، المرجع السابق، ص 355

[5] ابن خلدون، العبر، ج5، ص 114.

شهاب الدين علي اذن بذلك من اخيه غياث الدين، ووصل الى حدود مرو[1]، " فخرج اهلها مع العسكر الخوارزمي وقاتلوه"[2] لكن الجنود الغوريين انتصروا عليهم، وطلب اهل البلاد الامان فامنوهم، وعندئذ قدم حقر اليه، وسلم المدينة ووفى بعهده، كما قدم غياث الدين الى مرو بعد فتحها، وأخذ جقر الى هراة مكرما، ثم اسلم مدينة مرو الى هند خان[3].

ثم اتجه غياث الدين الى مدينة سرخس فأخذها صلحا،وسلمها الى الاميرزنكي ابن مسعود وهو ،من ابناء عمه،واقطعه معها مدينتي سنا وأبيورد، ثم ساربعساكره الى طوس فامتنع أميرهاعن تسليمها، فحاصر غياث الدين ثلاثة ايام حتى ضاق اهلها،فراسلوه طالبين الامان فتمكن منها، وخلع أميرها وسيره الى هراة[4].

ثم واصل طريقه الى قوس، وطلب من صاحبها الأمان، وعندما استولى على المدينة أرسل الى علي شاه ابن خوارزم شاه تكش، الذي كان حاكما على نيسابور، يطلب منه ترك المدينة وفتح أبوبها للغوريين، إلا أن علي شاه وعساكره من الخوارزميين اتفقوا على الامتناع عن التسليم وبدؤا في تخريب المدينة حتى يجدها الغوريون خرابا، وقد وصل غياث الدين الى ظاهر المدينة، فتقدمت عساكر شهاب الدين أولا للقتال، لذلك تشجع غياث الدين لتسبق قواته قوات أخيه في الوصول الى سور المدينة، وتسابق الاثنان أيهما يرفع علمه أولا على سور المدينة، وسقطت المدينة ودخلها الغوريون وملكوها عنوة.[5]

"وتحصن الخوارزميون في مسجد المدينة، فأخرجهم أهل البلد فنهب الغوريون مالهم، وأحظر علي شاه ابن خوارزم شاه راجلا الى غياث الدين، فأمنه وأكرمه وبعثه بالأمراء

---

[1] عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص 99

[2] ابن الأثير، الكامل مج 10، ص 272.

[3] ابن خلدون، العبر، ج5 ص 115، ابن الاثير، الكامل، مج 10، ص 272، عفاف سيد صبرة ،المرجع السابق، ص 99-100، حنان مبروك اللبودي، المرجع السابق، ص 956.

[4] أبو الفداء، المختصر في أخابر البشر، ج3، ص 100، ابن الاثير، الكامل في التاريخ، مج 10 ص 272، حنان مبروك اللبودي، المرجع السابق، ص 356.

[5] عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص 100.

الخوارزمية الى هراة، وولى عل خراسان ابن عمه وصهره ضياء الدين محمد بن علي الغوري ولقبه بعلاء الدين"[1]

اتجه شهاب الدين الغوري ليستكمل الدور الذي بدأه في تصفية الاملاك الخوارزمية في فارس، فاتجه الى مدينة قهستان، وعلم أن أهلها من الطائفة الاسماعيلية ،فقاتلهم ونهب أموالهم ،ثم اتج الى كتاباد وحاصرها، وطلب أهلها الأمان فأمنهم وأخرج الاسماعيليين منها وسلمت للقيادة الغورية، ثم اتجه الى حصن اسماعيلي آخر، الا أن أخاه غياث الدين منعه من التعرض لهذه المناطق، وأمره بالعودة الى الهند لذلك رحل.[2]

بعد أن وصل شهاب الدين الى الهند، أرسل مملوكه قطب الدين أيبك الى نهراولة، فوصلها سنة 598هـ، فلقيه عسكر الهنود فقاتلوه قتالا شديدا فهزمهم أيبك واستباح معسكرهم وما لهم فيه من الدواب وغيرها، ولم علم غياث الدين بما فعله أخوه، اعتذر لصاحب الهند وأعاد عساكره عنها وسلمها لصاحبها.[3]

والحقيقة أن الغوريين لم يتمكنوا طويلا من الاحتفاظ بهذه الأراضي في العراق العجمي، فنجد أن علاء الدين محمد خوارزم شاه عندما علم بعودة شهاب الدين الى بلاد الهند، وابتعاد العساكر الغورية عن خراسان، كتب الى غياث الدين معاتبا اياه بقوله:

" كنت أعتقد أن تخلف علي بن أبي وأن تنصرني على الخطا وتردهم عن بلادي، فحيث لم تفعل فلا أقل من أن لا تؤذيني وتأخذ بلادي، والذي أريده أن تعيد ما أخذته مني إليّ، وإلا انتصرت عليك بالخطا وغيرهم من الأتراك، إن عجزت عن أخذ بلادي فإنني إنما شغلني

---

[1] النويري شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب ، نهاية الأدب في فنون الادب،تح،نجيب مصطفى فوّاز وحكمت كشلي فوّاز،دار الكتب العلمية ،ط1،لبنان،2004، ج26، ص 56، ابن خلدون، العبر، ج5، ص 115.

[2] عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص 101.

[3] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج10، ص 274، 275.

عن منعكم عزاء والدي، وتقرير أمر بلادي، وإلا فما أنا بعاجز عنكم، وعن أخذ بلادك خراسان وغيرها"[1].

وقد غالطه السلطان الغوري في الجواب، واستمرت المراسلات بينهمان وما ان علم السلطان الخوارزمي بحال غياث الدين وعجزه عن الحركة، وانشغال السلطان شهاب الدين بحروبه في الهند، حتى راسل النائب الغوري على خراسان وهو علاء الدين الغوري، يأمره بترك نيسابور، وهو بدوره راسل السلطان الغوري، وأخبره بميل أهل نيسابور الى الخوارزميين وعلى الرغم من ذلك طلب منه المدد من أجل الحرب.[2]

وفي منتصف ذي الحجة سنة 597هـ/1200 م جمع خوارزم شاه عساكره وسار الى نيسابور، وما ان اقترب من مدينتي نيسا وأبيورد هرب هندوخان ابن أخيه من مرو الى الى غياث الدين بفيروزكوه، وملك السلطان الخوارزمي مدينة مرو، وسار الى نيسابور وبها علاء الدين فحاصره، وقاتله قتالا شديدا، وراسله عدة مرات لتسليم البلاد، وهو لا يجيب وينتظر المد من غياث الدين وبقي على هذا الحال لمدة شهرين كاملين، ولما تأخر عنه المدد أرسل الى السلطان الخوارزمي يطلب الأمان لنفسه ولمن معه من الغورية.[3]

استجاب السلطان الخوارزمي لهذا اطلب، وسمح لهم بالخروج وأحسن إليهم ووصلهم بمال جليل وهدايا كثيرة، وطلب من النائب الغوري التوسط في الصلح مع السلطان الغوري غياث الدين، فوافق على ذلك إلا أنه لم يذهب لمقابلة غياث الدين لأنه كان مستاء منه لتأخره في ارسال الإمدادات إليه.[4]

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج5، ص 116، ابن الاثير، الكامل في التاريخ، مج10، ص 277، ، أبي الفرج جمال الدين ابن العبري، تاريخ الزمان، تر، اسحاق ارملة، دار المشرق، بيروت 1986 ص 234.

[2] حنان مبروك اللبودي، المرجع السابق، ص 358

[3] ابن الاثير، الكامل في التاريخ، مج10، ص 277، 278، عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص 102.

[4] ابن الاثير، الكامل في التاريخ، مج10، ص 278، عفاف سيد صبرة، الرجع السابق، ص 102.

ولما خرج الغورية من نيسابور أحسن السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه الى الحسين بن خرميل، وهو من أعيان أمرائهم زيادة على غيره وبالغ في إكرامه، حتى يكون حليفا له بدلا من تعاونه مع الغوريين، ثم سار الى سرخس وبها الأمير زنكي، وحاصرها أربعين يوما، وقطع الميرة، حتى طلب زنكي الأمانن فأفرج عنه ثم ملأ البلد من الميرة بما احتاج اليه ،وأخرج العاجزين عن الحصار وعاد الى شأنه، فندم علاء الدين محمد على اعطائه الأمان ورحل عنها وجهز عسكرا لحصارها، إلا أن قدوم أمير الطالقان الغوري إليهم من أجل حصرهم جعلهم يتركون سرخس، وقد نجح أمير الطالقان محمد بن حبك في الانتصار على القوات التي بعث بها محمد خوارزم شاه بقيادة خاله، بل قتل حامل رايتهم فانهزموا وأثخن فيهم قتلا وأسرا.[1]

وعندما سمع السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه رجع الى خوارزم، وأرسل الى السلطان غياث الدين الغوري طالبا الصلح، فبعث اليه السلطان الغوري أحد رجاله وهو الحسين بن محمد المزغني بالرد على رسالته، فقبض عليه السلطان الخوارزمي.[2] ثم اتجه الى هراة لمحاصرتها، فكتب الحسن الى أخيه عمر المرغي أمير هراة، كي يستعد لملاقاة الخوارزميين، ولكنه سلم مفاتيح أبواب المدينة الى اثنين من ثقاته، لكنهما كانا يعملان لصالح السلطان الخوارزمي[3].

ولما علم الأمير المرغني بذلك اعتقلهما، وفي نفس الوقت وصلت قوات من قبل الغوريين بقيادة البوغاني ونزلت قرب عسكر خوارزم شاه، وقطعوا عنهم الميرة وظل الحصار قائما أربعين يوما، وكان معه السلطان غياث الدين في قلة من عدده، لذلك اضطر السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد خوارزم شاه أن يرسل مجموعة من جنده للإغارة على الطالقان

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج5، ص 116، أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج3، ص 102 ، حنان مبروك اللبودي، المرجع السابق، ص 359

[2] ابن الأثير، الكامل في التريخ، مج 10، ص 279.

[3] عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص 103.

علها تحقق نصرا على الغوريين هناك، إلا أن الحسن بن جربك كان سريع الخطا، فظفر بهم هناك ولم يفلت منهم أحد، كل هذه الظروف المجتمعة جعلت خوارزم شاه يرحل عن هراة، وأرسل الى عمر المرغني أمير هراة وصالحه على مال حمله اليه ورحل عنها.[1]

وفي هذه الفترة وصلت قوات من الهند على رأسها شهاب الدين الغوري،وكان قد وصلته الأنباء باستيلاء خوارزم شاه على خراسان، فقرر محاربته وبعد قتال بينهاما خسر فيه الفريقان أرواحا كثيرة، رحل خوارزم شاه شبه المنهزم وتوجه شهاب الدين الى طوس مقررا ضرورة مهاجمة خوارزم نفسها.[2]

إلا أن وفاة أخيه غياث الدين في جمادى الأولى 599هـ/1202م، أجبرته على العودة الى هراة والجلوس للعزاء، وخلف غياث الدين من الولد ابنه محمود، وكان غياث الدين مظفرا منصورا في حروبه لم تهزم له راية، وكان شافعي المذهب.[3]

انتهز السلطان الخوارزمي، فرصة انشغال شهاب الدين الغوري بوفاة أخيه الى جانب ترتيب أمور الدولة في الهند وغزنة، فأعد حملة عسكرية خرجت الى مرو، فتصدى لها الأمير محمد بن جربك وقضى على معظمهم وأرسل رؤوس قتلاهم الى هراة، لذلك قرر شهاب الدين الغوري ضرورة مهاجمة خوارزم لتأديب حاكمها، في الوقت الذي ارسل فيه خوارزم شاه قوة اضافية بقيادة برفور التركي لقتال محمد بن جربك ،وانتهت المعارك بهزيمة الغوريين، وقيام القوات الخوارزمية بحصار بن جربك عند مرو حتى طلب منهم الأمان فأمنوه، إلا أنهم غدروا به وقتلوه وأخذوا كل ما معه.[4]

[1] ابن خلدون، العبر، مج10، ص 117، حنان مبروك اللبودي، المرجع السابق، ص 360، عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص 103، 104.

[2] عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، حنان مبروك اللبودي، المرجع السابق، ص 360.

[3] ابن العماد، شذرات الذهب، مج6، ص 556، ابن كثير، البداية والنهاية، ج16، ص 723، النوري، نهاية الادب، ج26 ص 57، أبو الفدا، المختصر، ج3، ص 104، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج10، ص 282.

[4] ابن خلدون، العبر، ج5، ص 117، ابن الاثير، الكامل في الترايخ، مج 10، ص 282، عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص 104.

عندما علم شهاب الدين الغوري بحصار الخوارزميين لمدينة هراة، وموت نائبه آلب غازي، قرر العودة الى خرسان، إلا أنه في الطريق اتجه مباشرة صوب جرجانية في خوارزم، وحاول خوارزم شاه أن يصده إلا أنه أصر على ذلك، فترك خوارزم شاه سرخس واتجه الى مرو، وسابق للوصول الى خوارزم، ونجح السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد خوارزم شاه في الوصول أولا وقطع الطريق، وأجرى فيه الماء حتى يعيق حركة شهاب الدين في الوصول الى المدينة.[1]

"فأقام أربعين يوما يطرق المسالك حتى أمكنه الوصول ،ثم التقوا واقتتلوا وقتل من الفريقين خلق كان منهم الحسن المرغي من الغورية، وأسر جماعة من الخوارزميين، فقتلهم شهاب الدين صبرا، وبعث خوارزم شاه الى الخطا فيما وراء النهر يستجدهم على شهاب الدين، فجمعوا وساروا الى بلاد الغور، وبلغ ذلك شهاب الدين فسار اليهم ولقيهم"[2] سنة 601هـ، فقتل فيهم وأسر كثيرا ،فلما كان اليوم الثاني هاجمه الخطا وانهزم هزيمة قبيحة وحاصروه ثم صالحوه، ووقع الخبر في جميع البلاد أنه أعدم، فاضطربت البلاد، وقتل أكثرعسكره ونهبت خزائنه، وسار الى غزنة وأخذ معه الحسين بن خرميل وجعله أمير حاجب.[3]

وقد تدخل السلطان عثمان حاكم سمرقند المسلم لإنقاذ الغوريين، حيث اتفق معهم على خطة يغررون بها بالخطا، وهي أنه قام بالاتصال بقائد جيش الأتراك، وبين لهم أن قائد الغوريين مختبئ في مغارة، وأتت اليه الأمداد من كل مكان، والا فضل الصلح معه، في حين اتصل سرا بشهاب الدين وطلب منه أن يتظاهر بالامتناع عن الصلح حتى يُلحوا عليه

---

[1] حنان مبروك اللبودي، المرجع السابق، ص 362، عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص 105.

[2] ابن خلدون، العبر، مج10، ص 118.

[3] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج10، ص 286.

في ذلك، وبهذا تم الصلح بين الطرفين على أن الخطا لا يعبرون النهر الى بلاد الغور، ولا يعبر هو الى بلادهم.[1]

بعد الهزيمة التي تحققت بالسلطان الغوري، وإشاعة خبر إعدامه اضطربت بلاده وشهدت تمردا وصل الى حد الردة عن الاسلام، فثار المفسدون في أطراف البلاد.

وكان ممن أفسد دانيال صاحب الجودي الذي كان مسلما، وما ان بلغه خبر وفاة شهاب الدين حتى ارتد عن الاسلام، وكذلك كان الحال مع بني كوكر الذين ارتدوا، وثاروا مع قبائلهم وعشائرهم، وأطاعوا صاحب جبل الجودي، وقطعوا الطريق بين لهادور وغزنة، وهو ما جعل السلطان الغوري يأمر مقدم عساكر الهند أن يراسل بني كوكر، ويدعوهم الى الطاعة، وقد شككوا في حياة شهاب الدين، وهو ما جعله يأمر قطب الدين أيبك بالعودة الى بلاده وتجهيز الجيش لقتال بني كوكر.[2]

انتصر الغوريين على بني كوكر، وبعد انتهاء القتال توجه السلطان الغوري الى لاهور ومنها الى غزنة، وأرسل الى بهاء الدين سام الغوري صاحب باميان للاستعداد للتوجه نحو سمرقند وقتال الأتراك.[3]

وما فتأ بنوا كوكر في الانتقام من السلطان الغوري شهاب الدين حيث قتلوه في الأول من شعبان 602هـ، وذلك بعد أن عاد من لاهور ونزل بمنزل يقال له دميل بعد صلاة العشاء، وكان بعض الكوكرية قد لزموا معسكره ،وعزموا على قتله لما فعل بهم من القتل والأسر، وفي هذه الليلة تفرق عنه أصحابه، وكان قد عاد محملا بالأموال، وهو في خركاه ثار أولئك النفر، فقتل أحدهم بعض الحرس بباب سرادق شهاب الدين، فلما قتلوه صاح فثار

---

[1] ابن الاثير، الكامل في التاريخ، مج10، ص 287-288، عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص 106، 107.

[2] ابن الأثير، الكامل، مج 10، ص 300، 301.

[3] عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص 109.

أصحابه من حول السرادق، لكن الكوكرية ضربوه بالسكاكين اثنين وعشرين ضربة، فدخل عليه أصحابه، فوجدوه على مصلاه قتيلا وهو ساجد.[1]

وقيل انما قتله الاسماعيلية لأنهم خافوا خروجه الى خراسان، وكان له عسكر يحاصر بعض قلاعهم.[2]

ولماعلم السلطان الخوارزمي بمقتل السلطان شهاب الدين حتى أطلق سراح الغوريين الذين أسروا من قبل في خوارزم، وخيرهم بين البقاء لديه أو الرجوع الى قومهم، ولقد أبقى منهم محمد بن بشير وأقطعه إقطاعا له.[3]

ثم اتجه الى مدينة بلخ التي حاصرها أربعين يوما، واستولى عليها ودخل أميرها في طاعة السلطان الخوارزمي ،وخطب له في مساجد بلخ، واتجه بعدها الى مدينة ترمذ التي كان يحاصرها علاء الدين محمد من جانب، والاتراك والخطى من جانب آخر، فما كان على صاحبها سوى تسليمها الى الخوارزمي، لكنه ما لبث أن تنازل عن هذه المدينة للخطا.[4]

ثم سار خوارزم شاه الى الطالقان واستولى عليها، ثم اتجه نحو قلاع كالومين ومهوار، وبها حسام الدين على ابن ابي علي فقاتله وملكها وسيطر عليها.[5]

وبذلك سقطت معظم الاراضي الغورية، واستطاع علاء الدين محمد خوارزم شاه أن يحقق أهدافه في فترة قصيرة من وفاة شهاب الدين الغوري، وقد حدث أن احتدم الخلاف بين غياث الدين الغوري ومملوكه آلدز، ففكر غياث الدين في مصالحة خوارزم شاه، بل أن

---

[1] ابن الاثير، الكامل مج 10، ص 303، ابن كثير، البداية والنهاية، ج16، ص 744، أبو الفدا، المختصر في اخبار البشر، ج 3 ص 106، 107، الحافظ الذهبي، العبر في خبر من غبر،تح،ابو هجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول،دار الكتب العلمية،ط1،بيروت،1985، ج3، ص 133، ابن خلدون، العبر، ج5، ص 119. ابن العماد، شذرات الذهب، مج7، ص 15،14، النويري، نهاية الأدب، ج26، ص 59، 60.

[2] ابن الاثير، الكامل، مج 10، ص 303.

[3] حنان مبروك اللبودي، المرجع السابق، ص 366.

[4] عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص 111.

[5] ابن الاثير، الكامل، مج10، ص 323، 324.

خوارزم شاه فكر في مصاهرة غياث الدين، على أن يمده غياث الدين بقوة يغزو بها غزنة، ويقضي على نفوذ آلدز بها، ويقسم المال الموجود بها أثلاثا، ثلثا لخوارزم شاه، وثلثا لغياث الدين، وثلثا للعسكر، فوافق غياث الدين على هذا الصلح، ولما سمع آلدز بذلك جزع جزعا عظيما، فأرسل الى غياث الدين يقول له: " ما حملك على هذا؟" فقال: حملني عليه عصيانك وخلافك علي، بدأ آلدز في الاستيلاء على تكباياز بست، وقطع الخطية عنهما للسلطان الغوري.[1]

وفي سنة 605هـ/ 1208م، تقاتل خوارزم شاه مع الخطا قتالا شديدا، انهزم المسلمون هزيمة كبيرة، وأسر وقتل منهم عدد كبير، وكان من الاسرى السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد خوارزم شاه، لكنه استطاع الفرار وعاد الى خوارزم.[2]

ازدادت قوة الخطا في بلاد ماوراء النهر، وأصبحوا مصدر تهديد للبلاد المجاورة ،حتى أن الخوارزميين قبل عهد علاء الدين محمد كانوا يؤدون الجزية للخطا مقابل الكف عنهم، لكن السلطان الخوارزمي سنة 606هـ/ 1209م، اتجه لقتالهم،[3] ووقعت بينهم حروب لم يعهد مثلها، ثم انهزم الخطا، وأسر ملكهم طانيكو، وأكرمه خوارزم شاه.[4]

أما جيش الخطا المنسحب، وأثناء عودته نهب العديد من المناطق التابعة للخوارزميين[5]،واصل السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد خوارزم شاه سياسته التوسعية فظم الى دولته سنة 613هـ/ 1216م بلاد الجبل، وأبهر/ و زنجان، و قزوين وهمذان وساوه، وملك أصفهان، وقاشان، وقدم له أوزبك بن البهلوان صاحب أذربيجان فروض الولاء

[1] ابن الاثير، الكامل، مج 10، ص 225، 226، حنان مبروك اللبودي، المرجع السابق، ص 368.

[2] ابن الاثير، الكامل، مج 10، ص 336

[3] الفقي عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص 164.

[4] ابن خلدون، العبر، ج5، ص 124.

[5] حنان مبروك اللبودي، المرجع السابق، ص 376.

والطاعة، ووطد دعائم ملكه في خراسان وسيطر على مدنها، ترمذ، وسرخس،وبلخ ،ونيسابور وغيرها، غير أنه وجد صعوبة في اقليم فاس، فاكتفى بالسيطرة على بعض المدن الفارسية.[1]

وبذلك اتسعت الدولة الخوارزمية اتساعا كبيرا، حتى شملت خوارزم وبلاد ما وراء النهر، وخراسان وأذربيجان، وسجستان وغزنة، وفيروركوه، وكرمان، ومكران، وبلاد الجبل،ومنطقة بحر قزوين.[2]

تطلع السلطان محمد علاء الدين خوارزم شاه الى السيطرة على بغداد بعد أن اتسع ملكه على حساب الخطا في الشرق، والغوريين في الجنوب،[3] ولعل من الاسباب التي جعلته يتطلع الى ذلك ما يلي:

أ- أسباب غزو السلطان الخوارزمي لبغداد:

1- رغبة السلطان الخوارزمي في تحقيق السياسة التي كان يرغب فيها أجداده وآباؤه من قبل، وهي أن يكون لهم ما كان للسلاجقة من نفوذ ومكانة عظيمة في جوف الخلافة العباسية، ويذكر أن السلطان الخوارزمي كان قد أرسل أحد رجاله وهو القاضي مجير الدين عمر ابن سيد الخوارزمي، الى بغداد أكثر من مرة يطالب العباسيين بذلك الحق الشرعي من وجهة نظره، وكان رد فعل العباسيين على ذلك الرفض والنكران لهذا التصرف ذاكرا أن الظروف هي التي أدت الى تحكم السلاجقة في بغداد ،وفي نفس الوقت كانت الخلافة في حاجة الى مساعدة السلاجقة.[4]

---

[1] ابن الاثير، الكامل، مج 10، ص 373، 374، الفقي عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص 166.
[2] أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج3، ص 118.
[3] عبد الرؤوف الفقي، المرجع السابق، ص 166.
[4] حنان مبروك اللبودي، المرجع السابق، ص 396.

وقد خاطب الخليفة قائلا: "كن معي كما كانت الخلفاء قبلك مع السلاطين السلاجقة كآلب أرسلان وملكشاه، وأقربهم نبا عهدا السلطان شجر، فيكون أمر بغداد والعراق لي، ولا يكون لك إلاّ الخطبة"[1]

وبعد تلك المداولات،غادر رسول خوارزم مشاه مصطحبا معه رسولا من طرف الخليفة العباسي وهو شهاب الدين السهرودي[2]، الذي حاول أن يثني السلطان الخوارزمي عن قصدبغداد، لكنه فشل [3]، وقد ذكر لنا الذهبي ما جاء على لسان السهرودي بقوله:.....دخلت إليه في خيمة عظيمة لم أر مثل دهليزها، وهو من أطلس الأطناب جرير، وفي الخدمة ملوك العجم وما وراء النّهر، وهو شاب له شعرات، قاعد على تحت وعليه قباء يساوي خمسة دراهم، وعلى رأسه قلنسوة جلد تساوي درهما، فسلمت فما ردّ ولا امرني بالجلوس، فخطبت وذكرت فضل بني العباس، وأطنبت في وصف الخليفة، والترجمان يخبره، فقال: قل له: هذا الذي تصفه ماهو في بغداد ،بل أنا أجيء وأقيم خليفة هكذا، ثمّ ردنا بلا جواب، واتّفق أن نزل همذان ثلج عظيم أهلك خيلهم[4]

حاول الخليفة العباسي أن يمنع الخوارزميين عن فكرة غزو العراق، ولكن بدون جدوى، وأنّ إمتناعه على تلبية مطالب السلطان الخوارزمي إنّما لاقتناعه أنّ الدولة الخوارزمية تتخبط في مشاكل داخلية واظطرابات خارجية ستحول دون التوجه إلى الأقاليم الغربية[5]

---

[1] السبكي، تاج الدّين أبي نصر عبد الوهاب بن علي عبد الكافي، طبقات الشافعية الكبرى، تح، محمد محمود الطناحي، وعبد الفتّاح محمد الحاو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1918، ج1، ص330

[2] ينسب شهاب الدين السهرودي إلى قرية سهرود بإقليم زنجان، وقد أقام هذا الرجال في معظمهم أيام حياته في بغداد وتمتع بثقة الخليفة الناصر لدين الله العباسي، كما أنّه كان من كبار رجال الصوفية في عصره، وألف في التصوف كتابا بعنوان عوارف المعارف، وقد توفي سنة 632هـ_1234م أنظر: النسوي، المصدر السابق، ص50، حاشية 4

[3] ابن خلدون، العبر، ج5، ص128، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص194، النسوي، المصدر السابق، ص50، 51

[4] الذهبي، العبر في خبر بن عبر، ج3، ص161

[5] أحمد حافظ حمدي، الدولة الخوارزمية، ص46

2- عثور السلطان الخوارزمي علاء الدين خوارز مشاه على العديد من الكتب والوثائق في دار المحفوظات لدى الغوريين بمدينةغزنة، سنة 612هـ_1215م التي ارسلها الخليفة العباسي الناصر لدين الله إلى ملوك الغورية يحرضهم فيها على مهاجمة الخوارزميين، والتي ترتّب عنها مهاجمتهم لأملاك السلطان الخوارزمي في بداية حكمه،بالإضافة إلى استيلائهم على بعض الأقاليم الخراسانية من الدولة الخوارزمية[1]

حيث أخذ الخليفة الناصر منذ بداية حكمه، يكيد للخوارزميين بشتى الوسائل، فنجده أيضا يحرض الخطا على مهاجمة الخوارزميين، بل ويعدهم بتأييد سلطانهم على البلاد الإسلامية التي يقتطعونها لأنفسهم من البلاد الخوارزمية، كما أرسل إليهم الهدايا والخلع عربونا لصداقته

وخير دليل على ذلك انّ السلطان جلال الدين خوارز مشاه لما قصد بغداد كتب إلى معظم عيسى صاحب دمشق يحرضه على غزو أملاك الخلافة العباسية جاء فيه:

"" تحضر أنت ومن عاهدني فنتفق حتى نقصد الخليفة، فإنّه كان السبب في هلاك المسلمين وفي هلاك أبي ،وفي مجيء الكفار إلى البلاد، ووجدنا كتبه في الخطأ وتواقيعه لهم بالبلاد والخلع والخيل، فقال المعظم، انا معك على كلّ أحدا إلاّ الخليفة فإنّه إمام المسلمين"[2]

كما اتبع الخليفة السياسة نفسها مع كلّ من أتابكي فارس وأذربيجان، فحرضهما على الإستيلاء على العراق العجمي من الخوارزميين، بل تحالف الخليفة العباسي أيضا مع

[1] عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص140، حنان اللبودي مبروك، المرجع السابق، ص398

[2] ابن تغري بردي، النجوم، ج6، ص230، 231، أحمد حافظ حمدي، الدولة الخوارزمية، ص46، 47

الإسماعيلية لنفس الغرض، ونجحو إلى حدّ كبير في السيطرة على الجزء الأكبر من العراق العجمي سنة 612هـ_1215م[1]

وأمام كلّ ما فعله الخليفة العباسي، لم يتردد السلطان الخوارزمي علاء الدين خوارزم مشاه، بعد أن أتمّ إخضاع العراق العجمي في أن يواصل السير، نحو الغرب لتحقيق هدفه الاول وهو السيطرة على حاضرة الخلافة العباسية، انتقاما من الخليفة[2].

3- من الأسباب الرئيسية في غزو بغداد، أنّ السلطان الخوارزمي، علاء الدين محمد خوارزم مشاه اعتنق المذهب الشيعي، وعمل على إزالة الخلافة العباسية من بغداد واحلال خلافة علوية، لذا فقد حصل على فتوى من رجال الدين في مملكته، بأنّ الناصر لا يستحق المنصب الذي هو عليه، لذلك أخذ على عاتقه إصلاح تلك الأوضاع، من خلال تعيين شخص آخر من سلالة الخليفة علي بن أبي طالب وهو علاء الملك الترميذي ،وكان ذلك سنة 609هـ/1212م، وهو رجل من ترميذ خطب له على منابر الدولة الخوارزمية، وقد سك إسمه على العملة، وذلك بعد أن قطع الخطبة باسم الخليفة العباسي في خوارزم[3]

4- وتعتبر الظروف الطبيعية كذلك سببا مهما لغزو بغداد من طرف السلطان الخوارزمي، فالدولة الخوارزمية في هذه الفترة اتسعت في عهد علاء الدين محمد خوارزم مشاه اتساعا كبيرا امتدت من حدود الهند إلى بغداد ، ومن بحر آرال إلى الخليج الفارسي، وأصبح سلطانه لا يعلوه سلطان آخر في العالم الإسلامي، وقد تخلص من سلطان الخطا، الذي فرضوه على آبائه، كما أتى على البقية الباقية من

[1] ابن الأثير، الكامل، مج10، ص365،364، أحمد حافظ حمدي، الدولة الخوارزمية، ص47

[2] حافظ أحمد حمدي،الدولة الخوارزمية،ص48،47.

[3] حنان مبروك اللبودي، المرجع السابق، ص،400حافظ أحمد حمدي، الدولة الخوارزمية، ص48،47، ، عفاف سيد صبرة، ص143، سعد بن محمد الغامدي، سقوط الدولة العباسية،دار ابن حذيفة،ط2،الرياض،1983، ص173، ونجده يختلف مع المراجع السابقة: في أنّ المصادر الفارسية لم تتطرق إلى معلومات إضافية عن علاء الدين الملك الترميذي ولا عن تعيينه أو مكان وجوده فيما بعد كخليفة،انظر: فامبري، المصدر السابق، ص157

الدولة الغورية، باستيلائه على حاضرتها غزنة، ثم أنّه أذّل طائفة الإسماعيلية أثار مخاوف أتباعها[1]

وبعد ان وصل علاء الدين خوارز مشاه إلى هذه القوة ،وأحاط بالخلافة العباسية من الشمال وكذا من الشرق باستيلائه على أتابكة فارس وهو في طريقه إلى بغداد، فليس من المعقول بعد أن وصلت الدولة الخوارزمية إلى هذه الدرجة من الإتساع، ألاّ يحاول حكامها الإستيلاء على الدولة العباسية[2] ، وهكذا نشأت فكرة عزم السلطان خوارز مشاه على القيام بحملة على بغداد سنة 614هـ/1216م[3]

ب: ترتيبات السلطان الخوارزمي للهجوم على بغداد:

1- قرّر السلطان علاء الدين خوارز مشاه أن يضرب له على بابه نوبة ذي القرنين[4]،وقد كان في الازمنة المتقادمة تضرب له النوب الخمس، في أوقات الصلوات الخمس، أسوة بسائرالسلاطين، إلاّ أنّه فوضها لأولاده يضربونها في الأقاليم، واختار لنفسه نوبة ذي القرنين، وأنّها تضرب في وقت طلوع الشمس وغروبها، فاستعمل لها سبعة وعشرين دبدبة من الذّهب، وكان أوّل يوم ضربها في حضور سبعة وعشرين ملكا، من اكابر الملوك وأولاد السلاطين، منهم ابن طغرل بن ارسلان السلجوقي، وأولاد غياث الدين صاحب الغور وغزنه والهند،

---

[1] حنان مبروك اللبودي،المرجع السابق،ص401.

[2] أحمد حمدي حافظ، المرجع السابق، ص48 ،49، حنان مبروك اللبودي، المرجع السابق، ص401.

[3] الخالدي، المرجع السابق، ص49.

[4] لفظ النوبة له عدّة معان اصطلاحية، أخذها فرق الجند التي تناوب الوقوف لحراسة شخص السلطان، وهي خمس نوبات، ويكون تغييرها في الظهر والعصر والعشاء، ونصف الليل والصباح، والنوبة عند المغنيين اسم لالات الطرب اذ أخذت معا، وربّما أطلقت على المطربين إذا اجتمعو، ويقال لهم النوبتجية عند الاتراك، هذا ويقال ضربت النوبة بمعنى صدر الأمر للعسكر بالتقهقر،والنوبة أيضا الوقعة الحربية، وخيل النوبة هي التي تربط قرب قصر السلطان ليركب منها حين يريد الركوب، وتسمى أيضا فرس النوبة، انظر: النسوي، المصدر السابق، ص65، حاشية 1.

والملك علاء الدين صاحب بايمان، والملك تاج الدّين صاحب بلخ، وولده الملك الأعظم صاحب ترمذ، والملك سنجر صاحب بخارى، وغيرهم[1]

2- قام بتنظيم أحوال بلاد ما وراء النّهر، فأمر الملك فيها إلى تاج الدّين بلكاخان صاحب أترار[2] في نسا فيها.[3]

3- أمّا فيما تعلّق بأمر خوارزم فقد عيّن عليها الخطيب برهان الدّين محمد بن أحمد بن عبد العزيز البخاري، المعروف بصدر جيهان رئيس الحنفية ببخارى وخطيبها[4]، "كما سيّر شيوخ الإسلام بسمرقند، جلال الدّين وابنه شمس الدّين، وأخاه أوحد الدين إلى نساء، تحرزا من قيامهم وإطفاء لظرامهم ، وكانوا سادات الأرض، أدابا بارعة وأقداما لإعلام العلوم فارغة"[5]

4: قرّر السلطان علاء الدين خوارز مشاه تقسيم ملك بلاده بين أولاده قبل خروجه إلى بغداد، فكانت خراسان ، خوارزم، مازندان إلى ولي عهده قطب الدّين أزلاغ شاه، وكان سبب تخصيصه بولاية العهد دون أخويه الكبيرين جلال الدين منكبرتي، وركن الدين غورشايجي هو اتباع السلطان لرأي والدته تركان خاتون، وتحريه مرضاتها، إذ كانت أمّ قطب الدين دون سائر أمّهات الأولاد من عشيرة بياووت[6].

---

[1] النسوي، المصدر السابق ، ص66،65، عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص144، 145، حنان مبروك اللبودي، المرجع السابق، ص401

[2] تعتبر مدينة أترار مفتاح إقليم وراء النّهر، وتقع على نهر سيحون، وتشتهر هذه المدينة بحادثتين هامتين تاريخيا، فقد كان استيلاء المغول عليها سنة 616هـ_1219م، بداية سقوط أقاليم آسيا الغربية في أيدي المغول، وفي مدينة أترار أيضا توفي تيمورلنك سنة 808هـ_1405م، بينما كان يتأهّب لقيادة حرب ضدّ امبراطور الصين، وقد ذكرها الملك هيثون haithon ملك أرمينية الصغرى في مذكراته واعتبرها أعظم مدن التركستان،أنظر: النسوي، المصدر السابق، ص66، حاشية 1

[3] المصدر نفسه، ص66، حنان مبروك اللبودي، المرجع السابق، ص402.

[4] عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص145

[5] النسوي، المصدر السابق، ص70

[6] عاد علاء الدين خوارز مشاه وعدل عن وصيته وهو على فراش الموت سنة 617هـ _1220م، وأوصى بولاية العهد لإبنه جلال الدين منكبرتي من بعده، لثقته في شجاعته من جهة، ولأنّ أمّه تركان خاتون قد وقعت في أسر المغول من جهة أخرى، انظر:النسوي، المصدر السابق، ص 61، حاشية6

ثمّ عين إبنه جلال الدين منكبرتي على ملك غرنة وباميان ،والغور وبست وتكياباذ، وزمين داور، ومايليها من الهند، ولكن جلال الدين استناب عنه كرير ملك فنهض بها وضبطها، وظلّ مقيما بها حتى عودة جلال الدين إلى الهند عند عزو المغول لبلاده، وقام بتعيين إبنه غياث الدين بيرشاه على كرمان وكيش ومكران، واستوزر له الصدر تاج الدّين بن كريم الشرف النسيابور، وعين على العراق العجمي إبنه ركن الدين غورشايجي واستوزر له عماد الملك محمد بن الشديد الساوي[1]

واتّجه السلطان علاء الدين محمد خوارز مشاه بعد كلّ هذه الترتيبات، وبعد أن دانت له بلاد الغور، والخطا، وقلاع الإسماعيلية، والعراق العجمي، خاصة فارس وأذربيجان، واتّجه نحو العراق العربي.[2]

ج: حملة السلطان علاء الدين خوارز مشاه على بغداد 614هـ_1212م:

توجّه السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد خوارز مشاه على رأس حملة عسكرية كثيرة العدد، بلغ تعدادها حسب أغلب المصادر ما بين أربعمائة ألف و ستمائةألف فارس[3]، ويصف النسوي هذا الجيش بقوله: "" وسيّر أمامه من العساكر ما غصت به البيداء""[4]

أرسل الخليفة العباسي الشيخ شهاب الدين السهرودي ليكون رسول السلام بين الفريقين، وحاول إقناع السلطان الخوارزمي بعدم مواصلة حملته على بغداد، إلاّ أنّه فشل في

[1] عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص146

[2] نفسه.

[3] الذّهبي شمس الدين ابي عبد الله بن احمد ابن عثمان، دول الإسلام ،تح،حسن اسماعيل مروة،ط1،دار صادر بيروت،1999،ج2 ص118، ابن كثير، البداية والنهاية، ج17، ص62، ابن تغري بردي، النّجوم الزاهرة 6، ج6، ص194، الحافظ الذهبي، العبر في خبر بن غبر، ج3، ص161، أبو الفداء، المختصر،ج3،ص118.

[4] النسوي، المصدر السابق، ص64

ذلك[1]، وبعدها توجّه السلطان الخوارزمي من همذان إلى بغداد، وكان الفصل خريفافلما وصل إلى أسد آباد، هبت عواصف ثلجية شديدة فأهلك البرد كثيرا من جنوده وعتاده ودوابه.[2]

فكان الحال كما وصفه الشاعر الشاشي بقوله:

نثر السحاب من السماء دراهما وكسا الجبال من الحواصل ملبسا

والريح باردة الهبوب كأنّها أنفاس من عشق الحسان وأفلسا[3]

فاضطر السلطان علاء الدّين محمد خوارز مشاه إلى العودة لبلاده ومعه البقية الباقية من جيشه[4]، وكانت هذه الكوارث التي نزلت بالخوارزمي عامة، وبعلاء الدّين محمد خوارز مشاه خاصة، سببا في الإعتقاد بأنّ ما حدث لم يكن إلاّ غضبا من الله تعالى سلّطه على علاء الدّين لمحاولته إزالة بيت بني العبّاس، الذّي يؤيده الله بملائكته ضدّ من يناصبه العداء[5]، وقد قال له بعض خواصه في هذه المناسبة: ""أنّ ذلك غضب من الله حيث قصدت بيت الخلافة"".[6]

ولمّا وصل السلطان الخوارزمي إلى نسيابور بدأ في تنظيم الأمور، فكان أوّل خبر وصله هو صوت والي كرمان مؤيد الملك قوام الدين، لذلك قام بتعيين إبنه غياث الدّين بيرشاه على كرمان وكيش ومكران، كما قام بعزل نظام الملك ناصر الدّين محمد بن صالح عن الوزارة لما عرفه عنه من سؤ الأفعال والاعمال[7].

---

[1] حافظ أحمد حمدي، الدولة الخوارزمية، ص57،56

[2] فؤاد عبد المعطي الصيّاد، المرجع السابق، ص73

[3] النسوي، المصدر السابق، ص64

[4] عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص147، فؤاد عبد المعطي الصيّاد، المرجع السابق، ص73

[5] أحمد حافظ حمدي، المرجع السابق، ص58

[6] السنوي، المصدر السابق، ص65

[7] عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص148

أمّا بالنسبة للخليفة العباسي فلم يقف مكتوف اليدين حيال هذا التحدي الخطير من قبل الخوارزميين، بعد أن رأى بنفسه تهاوي حلفائه تباعا، فبادر إلى مراسلة خاقان المغول جنكيز خان[1].

وبالرغم من أنّ معظم المؤرخين الذين جاءو بعد ابن الاثير قد نقلو هذه الرواية، وشكّك البعض فيها ،خاصة أنّه اعتمد على رواية العجم(الخوارزميين، فكيف يمكن الوثوق برواية مصدرها الأعداء، وانّ علاء الدين محمد خوارز مشاه كانت له علاقة بالمغول قبل أن يتوجه إلى بغداد سنة 614هـ،وعقد مهم معهم حلفا للتخلص من غارات قبائل الخطا على بلاده، وبعد القضاء على دولة الخطا والتي كانت حاجزا بينه وبين المغول، صار الإحتكاك معهم محتما)، خاصة إذا علمنا أنّ الإجتياج المغولي للعالم الإسلامي كان اجتياجا شاملا، ولم يكن المغول بحاجة إلى تحريض الخليفة ليغيروا على بلاده[2].

فالصراع بين الخلافة العباسية والدولة الخوارزمية قد بدّد قوى كل الطرفين، وبالتالي أصبح الطريق امام المغول يسيرا، من أجل السيطرة على أراضي الدولة الإسلامية[3].

وخلاصة القول أنّ الدولة الخوارزمية قد وصلت إلى أقصى إتّساعها في عهد السلطان علاء الدّين محمد خوارزمشاه، الذي ملك من العراق إلى تركستان وبلاد غزنة

---

[1] سليم صبري، الاتراك الخوارزميون،في الشرق الادنى،مكتبة الثقافة الدينية،ط1،القاهرة200م، ص**24**،وقد انفرد المؤرخ ابن الأثير في هذا الرأي، حتى أنّه وصف الخليفة العباسي الناصر لدين الله بقوله: ""وكان سبب ما ينسبه العجم إليه صحيحا من أنّه هو الذي أطمع التتر في البلاد وراسلهم في ذلك"،أنظر:ابن الاثير،الكامل،مج10،ص453

[2] محمد عبد الله القدحات، موفق المؤرخ ابن الأثير من الخليفة الناصر لدين الله (553_622هـ/ 1158_1225م-، مجلة العصور، لندن، مج 15، ج1، 2004م، ص10

[3] أركان طه عبد، العلاقة بين الخلافة والعباسية والدولة الخوارزمية، في عهد الخليفة الناصر لدين الله (575هـ_622هـ-)، مجلة الدراسات التريخية والحضارية، مج5، العدد 15، 2013، جامعة تكريت،ص213.

وبعض الهند وفارس، وكان عالما بالفقه والأصول وغيرها، وكان مكرما للعلماء محبا لهم محسنا إليهم، توفي السلطان علاء الدّين محمد خوارز مشاه في سنة 617هـ_1220م[1]

وقد نعاه النسوي بقوله:

أذل الملوك وصار بالقروم وصيّر كلّ عزيز دليلا

وحف الملوك به خاضعين وزفوا إليه رعيلا رعيلا

فلما تمكن من أمره صارت له الأرض إلاّ قليلا

وأوهمه العزّ أنّ االزّمان إذّا رامه إرتدّ عنه كليلا

أتته المنية مغتاظة وسلت عليه حساما صقيلا

فلم تغن عنه حماة الرجال ولم يجد قيل عليه فتيلا

كذلك يفعل بالشامتين ويفنيهم الدّهر جيلا فجيلا[2]

وبذلك آلت السلطة في الدولة الخوارزمية إلى ابنه جلال الدّين منكبرتي[3]، وهو ابن السلطان علاء الدين الأكبر، وأوصى بولايته لثقته في شجاعته وبسالته[4]، وخير دليل على ذلك فرحة النّاس وأهل خوارزم بقدومه، وكان في نظرهم منقذهم من الخطر المغولي[5].

---

[1] االنسوي، المصدر السابق، ص108، أبو الفداء، المختصر، ج3، ص127، ابن الأثير، الكامل، مج10، ص407، ابن خلدون، العبر، ج5، ص136، الحافظ الذهبي، العبر، ج3، ص175

[2]- النسوي، المصدر السابق، ص108

[3]- عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص190

[4]- نفسه ص191، 192

[5]- محمد دير سياقي، المرجع السابق، ص69

وبهذا فإنّ الدولة الخوارزمية قد شهدت أحداثا كثيرة، ووصلت إلى أقصى اتساع لها في عهد علاء الدين محمد خوارزمشاه، وشهدت كذلك التوغل المغولي في أراضيها، خاصة في عهد السلطان جلال منكبرتي، وستفصل في هذا الموضوع في الفصل الثالث، والذّي تناول العلاقات الخوارزمية المغولية وسقوط الدولة الخوارزمية، والتي مهّدت لسقوط دول إسلامية أخرى وعلى رأسها بغداد عاصمة الخلافة العباسية.

المبحث الثاني: طائفة الإسماعيلية:

شهد العصر العباسي الثاني ظهور الكثير من الحركات السياسية والدينية، التي كان لها أثر بعيد في هذا العصر، فقد قام الشيعة بحركات ثورية كان أثرها في انتزاع كثير من بلاد الخلافة العباسية، وانتشار المبادئ الشيعية وخاصة المبادئ الإسماعيلية بين القرامطة في سواد الكوفة، وفي البحرين وشمال العراق وبلاد اليمن على يد ابن حويشب وخلفائه من الصليبيين خاصة، ولم تخل بلاد فارس من دعاة الإسماعيلية في هذا العصر، وتكللت جهود الإسماعيلية بقيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، ثمّ مصر، وامتدّت رقعتها إلى فلسطين والشام و بلاد الحجاز وغيرها[1].

وعندما ظهرت حركة الحشاشين في أفق التاريخ الإسلامي من الشرق في القرن 5هـ/11م، لم يكن الخليفة العباسي يتحكم ويسيطر على كامل ممتلكات دولة، ذلك أنّ بلاد فارس وما وراء النّهر وما يليهما إلى الشرق وإلى الجنوب خاضعة للاتراك السلاجقة، وكانت الدولة الفاطمية في مصر وشمال إفريقية، قد توطدت أقدامهم، وفي الأندلس ظهرت مجموعة من الدويلات الصغيرة على انقاض الخلافة الاموية[1].

---

[1] حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي ، ج3، ص199.

[1] محمد عثمان الخشت، حركة الحشاشين، تاريخ وعقائد أخطر فرقة سرية في العالم الإسلامي، دار النصر للطباعةن القاهرة 1988، ص11

أولا: التعريف والنشأة:

ترجع الأصول الأولى للإسماعيلية إلى التيار الشيعي في الإسلام ،الذي انقسم إلى فرقتين كبيرتين عند موت الامام جعفر الصادق[1] ،الإمام السادس سنة 148هـ ، كان الامام جعفر الصادق قد عهّد بالامامة إلى إبنه الاكبر إسماعيل، لكنه مات أثناء حياة أبيه جعفر الصادق، وهنا حدث الخلاف بين الشيعة، هل تنتقل الإمامة إلى محمد ابن اسماعيل أم من حق الامام جعفر الصادق أن ينقلها إلى ابن آخر من أبنائه هو موسى الكاظم،ساقت مجموعة بقيادة ميمون القدّاح الامامة إلى محمد بن اسماعيل، وقالت ليس من حقّ الإمام جعفر الصادق نقل الإمامة إلى ولد آحر من أولاده[2].

وهناك رواية أخرى جاء بها الجويني في كتابه، تاريخ فاتح العالم جهنكشاي، حيث قال:""أنّ جعفر إمام معصوم وقد نصّ على إبنه اسماعيل، غير انّ اسماعيل كان يعاقر الخمر، فأنكر جعفر الصادق عليه ذلك، وقد روى عنه أنّه قال: أنّ اسماعيل ليس ابني لكنّه شيطان ظهر في صورته، ونقلوا عنه أيضا أنّه قال: بدا الله في أمر اسماعيل فنصّ على ابنه الآخر موسى"".[3]

---

[1] جعغر الصادق: هو جعفر بن محمد الباقر علي زين العابدينبن الحسين بن علي بن أبي طالب من أشهر ألقابهن الصادق، ولد سنة 80 هـ، وكان يغضب من الرافضة ويمتعهم لانّه علم انّهم يتعرضون لجدّه أبي بكراظاهرا وباطنا، حدث عن أبيه جعفر الباقرن توفي سنة 148هـ ، انظر: ابن تغري بردي، النجوم، ج2، ص13، ابن الأثير، الكامل، ج5، ص188، الحافظ الذهبي أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان التركماني، سير أعلام النبلاء، تح، حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، ط1، بيروت، 2004، ج1، ص1311

[2] - الخشت، المرجع السابق، ص31

[3] - الجويني، المصدر السابق، ج3، ص136، 137

لكنّ المؤيدين لاسماعيل من طائفة الكيسانية[1]، الذين انفصلوا عن الروافض[2] ،قالو أنّ الأصل هو النصّ الأوّل ،ولا يجوز البداء على الله، وكلّ من يعرف باطن الشريعة، لا يعاقب إذا ما أغفل الظاهر، وكلّ ما يأتيه الإمام من قول أو فعل فهو حق، إذ لم يتطرق خلل أو نقصان إلى اسماعيل من جراء الخمر، فسموا بالإسماعيلية[3].

ومن أسمائهم كذلك الباطنية لأنّهم يؤمنون بأنّ للعقيدة ظاهرا وباطنا، وأنّ الراسخين في العلم هم وحدهم الذين يدركون الباطن، وقد أدّى بهم هذا الإعتقاد إلى تاويل احكاما شرعية، فجعلو لكلّ نوع من أنواع العبادة ظاهرا وباطنا، فالظاهر للعوام، والباطن للراسخين في العلم، وهم علماء الدين فسموا بذلك الباطنية[4].

وقد اطلق عليهم كذلك اسم الحشاشين ،لأنّهم كانو يكثرون من تدخين الحشيش، فكان يخذر عقولهم[5]، واشتهر الإسماعيلية عند خصومهم بالملاحدة ،لانّهم غيّرو وبدّلو في أركان الدين، ودعموا آرائهم بالأقوال التي وصلت إليهم عن فلاسفة اليونان، كما إقتبسوا بعض المبادئ من مذاهب المجوس.[6]

---

[1] الكيسانية: فرقة من فرق الشيعة، أصحاب كسيان مولى الخليفة علي بن أبي طالب، ويجمعهم القول أنّ الدّين طاعة الرجل، حتى حملهم ذلك على تأويل الأركان الشرعية من الصلاة والصيّام والزكاة والحج وحمل بعضهم على ترك القضايا الشرعية بعد الوصول غلى طاعة الرجل، وحمل بعضهم على ضعف إالإعتقاد بالقيامةن وحمل بعضهم على القول بالتناسخ والحلول والرجعية بعد الموت، انظر: الجويني، المصدر السابق، ج3، ص134، الشهرستاني ابي الفتح محمد عبد الكريم ابن ابي بكر احمد، الملل والنحل،تق،صدقي جميل العطار،دار الفكرند،ط،لبنان،2005، ص118

[2] الروافض: سموا بالرافضة لأنّ زيد بن علي بن الحسين خرج على هشام بن عبد الملك فطعن عسكره في أبي بكر فمنعهم من ذلك فرفضوه فقال لهم رفضتموني قالو نعم، فبقي عليهم هذا الإسم، وقيل أيضا أنّ سبب هذه التسمية لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر، انظر: الجويني، المصدر السابق، ج3، ص134

[3] الصيّاد، المرجع السابق، ، ص74، محمد بن حسن الديلمي، بيان مذهب الباطنية و بطلانه، مكتبة المعارف، الرياض، دون.ط،ت،ط،ب،ن ص23

[4] الشهرستاني، المصدر السابقن ص154، عبد النعيم محمدحسنين، ايران والعراق في العصر السلجوقي، دار الكتاب العربي، ط1ن بيروت، 1982، ص77،78

[5] صلاح أبو السعود، الشيعة، النشأة السياسية والعقيدة الدينية، مكتبة الناقدة، ط2، القاهرة، 2004، ص212

[6] الجويني، المصدر السابق، ج3، ص143، الصيّاد، المرجع السابق، ص75

ودخلت طائفة الإسماعيلية في دور الستر بعد وفاة اسماعيل، وأخذت تنموا وتوطد دعائمها الفكرية، حيث عمل رجالها على تأليف المصنّفات التي تنظر لدعوتهم ، وتدعو إليها، وقد ظهرت في هذه الفترة الغامضة التي امتدّت من موت اسماعيل حتى ظهور عبيد الله مؤسس الدولة الفاطمية، مجوعة رسائل إخوان الصفا.[1]

ولقد رأى دعاة الإسماعسلية سوء الحالة الإجتماعية واضطراب الشؤون الإقتصادية في بلاد المشرق في ذلك الوقت، فضلا عن التباين الواضح في توزيع الثروة بين مختلف طبقات المجتمع الإسلامي، فاستغلوا تلك الفرصة وتكتلوا فيما بينهم، وأعلنوا الثورة على طبقة الحكام وواصحاب رؤوس الاموال[2].

واتصلوا بأرباب الحرف والصناعات، وغيرهم من الطبقات الكادحة، واستخدموهم أداة طبيعية لنظامهم ودعوتهم.[3]

لعب التنظيم لدى الاسماعيلية دورا كبيرا في تاريخيها، خاصة النظام الفكري الذي جذب إليه نفوس الناس، فالحركات السرية لا تقوم ولا تزدهر إلاّ عندما تضطرب الحياة الإجتماعية، ويسود الطغيان والاستبداد ،ويطغى الضيق والفقر والحرمان، فيشعر الناس بحاجة ماسة إلى مقاومة الطغيان، فيجتمع الأنصار المكبوتين والمؤيدين وينخرطو في الدعوة ويندمجو فيها، فالتنظيم الاسماعيلي كان منعدم النّظير في اجتذابه للناس من مختلف الألوان والاتجاهات، كما اعتنوا كثيرا في اختيار الدعاة ،فعليهم كان يقوم نجاح الدعوة[4]،وكان

---

[1] الخشت، المرجع السابق، ص31، 32

[2] الصيّاد، المرجع السابق، ص75، أحمد حمدي حافظ، الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي،دار الفكر العربي،مصر،1950 ص70

[3] الصيّاد، المرجع السابق، ج1، ص76

[4] عارف تامر، تاريخ الاسماعيلية، الدعوة والعقيدة، رياض الريس للكتب والنشر، لندن،ط1، 1991، ج1، ص123، 124

جميع أفراد هذه الطائفة متفقين على انّ الزمان لايخلوا من إمام يمكن به معرفة الله، ولا سبيل إلى الله بدون معرفة الإمام، وإلى هذا الإمام أشار الرسل في كافة العصور [1].

وقد انتشر دعاة الاسماعيلية في معظم الأقطار العربية،و تمكّنو من إقناع بعض الأمراء والقبائل والأفراد لاتباع مذهبهم[2]، كما اتبعو السر في دعوتهم حتى لا يتعرضوا لبطش بني العباس ،ونجحت الدعوة الاسماعيلية، وظهر المهدي المنتظر –في نظرهم– في افريقية وهو عبد الله المهدي، وأسّس الدولة الفاطمية سنة 296هـ/909م[3]

وحكم الفاطميون في نصف القرن الأوّل في المغرب الاسلامي فق في الشمال وصقلية، لكن كانت أعينهم تتطلع نحو المشرق قلب الأراضي الاسلامية، حيث كانو هناك يأملون في هدفهم المأمول وهو طرد الخلفاء العباسيين السنّة[4].

ولتحقيق ذلك بدأ الفاطميون بالتقدّم نحو بلاد مصر، ومنها إلى المشرق الإسلامي، ففي سنة 358هـ/969م، سيّر المعز لدين الله [5]أبو تميم معد ابن اسماعيل المنصور بالله القائد ابا الحسن جوهر [6]،علام والده المنصور، في جيش كثيف إلى الديار المصرية، فاستولى عليها، وأقيمت الدعوة للمغز بمصر في الجامع العتيق، ولما استقرّ جوهر في مصر شرع في بناء القاهرة[7]، وأخذ يتطلّع إلى الشام ودمشق.

---

[1] الصيّاد، المرجع السابق، ج1، ص76

[2] أحمد حسن محمود، أحمد ابراهيم الشريف، العالم الاسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، ط5، القاهرة، دون تاريخ، ص594

[3] الفقي، المرجع السابق، ص191

[4]برنالد لويس، الحشيشية الإغتيال الطقوسي عند الاسماعيلية النزارية، ترجمة، سهيل زكار، دار قتيبة للنشر والتوزيع، ط2، دمشق، 2006، ص190

[5] المعز لدين الله: تولى الخلافة بعد أبيه القائم بأمر الله سنة341هـ_952م، احسن السيرة وخضع له المغرب، ثمّ افتتح مصر وبني القاهرة، انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج15، ص213،212، ابن تغري بردي، النجوم، ج3، ص351، 352

[6] جوهر: هو أبو الحسن جوهر بن عبد الله القائد المعزي، المعروف بالكاتب، مولى المعز لدين الله،كان خصيصا عند أستاذه المغزو من أكبر قوّاده، أرسله إلى مصر في سنة 358هـ_969م انظر: ابن تغري بردي، النجوم، ج4، ص29

[7] ابن الأثير، الكامل في التاريخ،مج7، ص.310.

وبذلك أخذت الدولة الفاطمية تتسع شيئا فشيئا، على حساب أملاك العباسيين، ثمّ أخذوا يروجون للمذهب الشيعي في الشرق الإسلامي، وعلى هذا النحو ظلّ الفاطميون يتزعمون الطائفة الاسماعيلية حتى عهد الخليفة المستنصر الفاطمي(427_487م/ 1035م_1094م)[1] ،الذي دامت خلافته ستون سنة، وقبل وفاته أوصى بالولاية لإبنه الأكبر نزار، إلاّ أنّ أمير الجيوش الأفضل خلع نزار، وبايع المستعلى بالله عرش الخلافة الفاطمية.[2]

فكان هذا سببا في انقسام الاسماعيلية إلى فرقتين متعارضتين، فريق يقول بإمامة نزار، وتتمثل في الفرع الشرقي الذي انتشر في إيران، وسموا بالنزارية، والفريق الآخر يقول بإمامة المستعلي، ويتمثّل في الفرع الغربي الذي كان يقوم في مصر وسورية وبلاد المغرب.[3]

ويعتبر الفرع الشرقي مهد طائفة الاسماعيلية، الذي آلت إليهم الزعامة في مختلف الأقطار العربية بعد سقوط الدولة الفاطمية في سنة (567هـ/1171م)[4].

ثانيا: الحسن الصباح وطائفة الاسماعلية :

يعتبر الحسن ابن الصبّاح المؤسس الحقيقي لهذه الطائفة بإيران ،ويترجم له الجويني وهو الذي إطلع على مكتبة الاسماعيلية، فيقول:""فعثرت على كتاب يسمونه _سيرة سيدنا_ويتضمن ترجمة حياة الحسن ابن الصباح[5]،ولد الحسن علي بن محمد بن جعفر بن

---

[1] الصيّاد، المرجع السابق، ص77

[2] ابن الأثير، الكامل، مج8، ص498،497، ابن تغري بردي، النجوم، ج5، 141، 142، الصياد، المرجع السابق، ص77، احسان إلهي ظهير، الاسماعيلية، تاريخ وعقائد ادارة ترجمان السنة، باكستان، دون طبعة، ت، ص158،159

[3] الجويني، المصدر السابق، ج3، ص164، ابن الاثير، الكامل، مج8، ص498، حسن الأمين، الاسماعيليون والمغول، ص85،86، إحسان إلهي ظهير، المرجع السابق، ص159، برنارد لويس، الحشاشون فرقة ثورية في تاريخ الاسلام، تر، محمد الغرب موسى، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 2006، ص61

[4] الصيّاد، المرجع السابق، ج1، ص77،78

[5] الجويني، المصدر السابق، ج3، ص170

الحسين بن محمد الصباح الحميري اليمني في مدينة الري سنة 447هـ، يتصل نسبة بملوك حمير اليمنيين.[1]

تلقى تعليمه الديني في هذه المدينة، والتي كانت مركزا لنشاط الدعاة الإسماعيليينن، ولم يمضي وقت طويل حتى بدأ الحسن يشعر بتأثيرهم[2]، فتراه يصف نفسه فيقول:" منذ أيّام طفولتي، وانا في السابعة من عمري، احببت مختلف فروع المعرفة ، وكنت أتوق لان أكون من علماء الدّين، وظللت حتى سنّ السابعة عشرة دارسا وباحثا في المعرفة، ولكنّي ظللت على عقيدة أجدادي الاثني عشرية".[3]

ويضيف الحسن عن نفسه"".... وكان في الري رجل يسمى" أميره ضراب"على مذهب باطنية مصر، وكنا نتناظر معا بصفة دائمة، فيكسر مذهبنا، ولكنّي لم اكن أسلّم بينما استقرت آراؤه في قلبي، وفي تلك الاثناء أصبت بمرض خطير شديد، فقلت في نفسي، إن ذلك المذهب هو الحقّ ولكني لم أقبله من جرّاء تعصيبي الشديد ،فلو وصل الأجل الموعود _والعيّاذ بالله_ لهلكت دون أن أصّل إلى الحق، فشفيت ممّا ألمّ بي من مرض، وكان هناك رجل آخر من جملة الباطنية يسمى أبو نجم سراج، فذهبت أتعرف عنده على هذا المذهب.. ولما وصل عبد الملك بن عطاش داعي العراق في ذلك الوقت إلى الري في سنة (464هـ_1072م) أعجب بي، فأمر أن أتولى نيابة الدعوة وأشار ،بوجوب توجهي إلى خليفة مصر وهو المستنصر"".[4]

ثمّ رحل الحسن بن الصبّاح إلى مصر ليتعمّق في دراسة المذهب الإسماعيلي، فخرج من أصفهان سنة(469هـ/1076م)، عن طريق أذربيجان حتى وصل إلى عكا ومنها ركب

---

[1] عارف تامر، المرجع السابق، ج4، ص11

[2] برنارد لويس، الحشاشون،ص67

[3] الجويني، المصدر السابق، ج3، ص171، برنارد لويس، الحشاشون، ص67

[4] الجويني، المصدر السابق، ج3، ص172،171، برنارد لويس،لحشاشون ، ص68.

البحر متخفيا في زي تاجر[1]، ووصل إلى مصر سنة (471هـ/1079م)، وأقام بها ما يقرب من سنة ونصف، ولم يقابل الخليفة المستنصر، غير أنّه كان على علم بوجوده في مصر.[2]

قام الحسن ابن الصبّاح بالدعوة لنزار ابن المستنصر في مصر وبعد سنة ونصف، عاد إلى حلب، ثمّ إلى بغداد والشمال الغربي من إيران، وكان في كلّ موضع يدعو إلى مذهب الإسماعيلية ويضمّ الاتّباع.[3]

وأخذ الحسن يستولي على كثير من قلاع البلاد الإسلامية يتخذها حصونا له، وأوّلها قلعة آلموت سنة (483هـ/1090م)،[4] التي تعتبر أحصن القلاع في المنطقة وأقدرها على تحقيق الحماية لحسن وأتباعه، ويروى أنّ الذي بناها ملك من ملوك الديلم، إذ كان مغرما بالصيد، فأرسل ذات يوم عقابا، وتبعه فرآه قد سقط على موضع هذه القلعة، فوجدها موضعا استراتيجيا حصينا، فأمر ببناء قلعة عليه، وسمّاها آلموت ، ومعناها تعليم العقاب.[5]

ثمّ استولى على قلاع أخرى كثيرة في بلاد فارس، من بينها" زوزن" و"كردكوك"، وظهر له بعد ذلك أتباع في الشام وحلب ودمشق.[6]

ولم يتردد الحسن بن الصبّاح في الوصول إلى هدفه وهو إسقاط الخليفة العباسية، فسلك طريقة القتل وسفك الدّماء في أنحاء البلاد الإسلامية، فلم يقتنع أن يكون داعيا

---

[1] أحمد حافظ حمدي، الشرق الإسلامي، ص71

[2] الجويني، المصدر السابق، ج3، ص172، غير أنّ ابن الأثير يذكر أنّ الحسن ابن الصبّاح التقى بالمستنصر، واجتمع به وخاطبه في إقامة الدعوة له ببلاد العجم، انظر: ابن الأثير، الكامل، ج8، ص497

[3] الجويني، المصدر السابق، ج3، ص173، عبد الرحمان بدوي، مذاهب الإسلاميين، دار العلم للملايين، بيروت،1، 1997، ص1064

[4] أحمد حمدي حافظ، الشرق الإسلامي، ص72

[5] محمد عثمان، الخشت، المرجع السابق، ص 64

[6] طه مصطفى بدر، المرجع السابق، ص57، 58

للمذهب الاسماعيلي فحسب، بل أراد أن يكون ذا بأس وسلطان[1].

اشتهر الحسن بن الصبّاح بدهائه ومرونته وبعد نظره، فيعود إليه الفضل في تنظيم فرق الفدائية التي أدخلت الرعب في قلوب الدّول المجاورة، وقامت بنشاطات كبرى إبّان الحروب التي خاضتها، وكان قد انتقل نشاطها إلى مدينة مصياف الشامية في عهد راشد الدّين سنان، هذا فضلا عن تعجيلها في إنهاء دور الدولة الفاطمية المستعلية في مصر[2]، وقام الحسن باستحضار علي الهادي بن الإمام نزار بن المستنصر بالله من مصر، فبايعه النّاس بالإمامة[3].

ثالثا: الطائفة الاسماعيلية والسلاجقة:

يمكن القول أنّ ما وصل إليه الحسن بن الصبّاح من توسع وقوّة في البلاد الاسلامية، تمّ في عهد السلاجقة الأقوياء والمتعصبين لمذهب السنّة، ويعتبر السلطان ألب أرسلان السلجوقي مسؤولا إلى حدّ ما عن نجاح هذه الدّعوة ،لأنّه ألغى نظام البريد الذي كان يزود الحكام والسلاطين بالأخبار عن ما يجري في دولهم، فأدّى العدول عن هذا النّظام إلى أن يخفى عن السلاجقة أمر الحسن ابن الصبّاح.[4]

وفي عهد السلطان السلجوقي ملكشاه ووزيره نظام الملك، أدركا مدى الخطورة التي يتعرض لها النظام السلجوقي جراء هذه الطائفة الاسماعيلية، فقرّر ملكشاه أولا أن يجري

1 أحمد حمدي حافظ، الشرق الاسلامي، ص72،

2 عارف تامر، المرجع السابق، ج4، ص12، حافظ احمد حمدي، الشرق الإسلامي، ص74

3 عارف تامر، المرجع السابق، ج4، ص12

4 الصيّاد، المرجع السابق، ج1، ص78

مفاوضات سلمية مع الحسن ابن الصبّاح حتى يتخلى عن قلعة آلموت، فإنّ فشل هذا الأسلوب فإنّ الحرب هي الحل.[1]

فبعث رسالة إلى الحسن الصبّاح سنة 483هـ/1090م، وهي نفس السنة التي استولى فيها على القلعة هذا نصها:""انت يا حسين ابن الصبّاح قد أظهرت دينا جديدا تخدع به النّاس وتغريهم على الخروج على والي الزّمان، وجمعت نفرا من جهال الجبال تكلمهم على مقتضى طبعهم، فيذهبون ويغتالون الأبرياء، وتطعن في الخلفاء العباسيين الذين هم خلفاء الإسلام ... وبهم يوثق نظام الدولة ... وعليك أن تعلم أنّه لو كانت قلعتك آلموت برجا من بروج السماء لهدمنا أركانها بعون الله تعالى"،فلما قرأ الحسن الصبّاح الرسالة ردّ عليه ردّا مستفيضا ،محاولا إقناع ملكشاه بموقفه السياسي بل بعقيدته الدينية .[2]

وعلى إثر ذلك وجد السلطان السلجوقي ملكشاه، مضطرا لاستخدام القوّة العسكرية للقضاء على الحسن الصبّاح وأتباعه، فوجّه حملة سنة(485هـ/1092م) لمحاصرة قلعة آلموت، ولم يكن مع الحسن ابن الصبّاح سوى 60 أو 70 رجلا، وليس لديهم سوى القليل من المؤن، إلاّ أن وصول المدد من قزوين للقلعة، انهزم على اثرها جيش السلطان السلجوقي وفشل في السيطرة على القلعة وانتصر الحسن ابن الصبّاح[3].

وفي نفس السنة وجّه السلطان حملة ثانية إلى قهستان بقيادة قزل مارق، فقامت بحصار النفوذ الاسماعيلي، واستمرّ هذا الحصار دون أيّ تسليم، حتى وصل خبر وفاة السلطان ملكشاه، قرّر قائد الحملة فك الحصار والعودة من حيث جاء.[4]

---

[1] محمد عثمان الخشت، المرجع السابق، ص68

[2] نفسه، ص69

[3] الجويني، المصدر السابق، ج3، ص182، محمد عثمان الخشت، المرجع السابق، ص75، برنارد لويس، الحشيشية، ص205

[4] الجويني، المصدر السابق، ج3، ص182، 183،محمد عثمان الخشت، المرجع السابق، ص76، برنارد لويس، الحشيشية، ص205

وكان أوّل عمل اغتيالي للطائفة هو قتلهم لنظام الملك الوزير السلجوقي والعدو الاوّل للاسماعيلية، ففي سنة (485هـ/1092م)، كان الوزير الأوّل والسلطان بالقرب من نهاوند، وبعد ان فرغ الوزير من طعام إفطاره خرج إلى خيمة الحريم، فأتاه صبي ديلمي من الحشاشين، في صورة مستغيث، فضربه بسكين كانت معه فقتله نوكان ذلك في العاشر من رمضان[1]

وقد قيل فيه:

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة   يتيمة صاغها الرحمان من شرف

عزّت فلم تعرف الأيّام قيمتها   فردّها غيرة منه الى الصدف

أمّا السلطان ملكشاه فتوفي بعد أيّام قليلة من وفاة وزيره نظام الملك، وهو ببغداد حيث خرج من رحلة صيدا، فأصابته حمّى شديدة مات بها(485هـ_1092م)[2]،فكتمت زوجته تركان خاتون خبر وفاته، وأرسلت إلى الأمراء سرّا فأرضتهم واستحلفتهم لولدها محمود وعمره أربع سنين وشهور[3]، لكنّه مات، فجلس السلطان بركيارق على عرش السلاجقة[4]، إلاّ أنّه لم يعمر طويلا حتى داهمه أخوه محمد الذي سيطر على همذان وأعلن نفسه سلطانا على دولة السلاجقة، واعترف الخليفة العباسي به، ثمّ توفي السلطان بركيارق، وانفرد السلطان محمد بالحكم.[5]

---

[1] الجويني، المصدر السابق، ج3، ص184،183، الراوندي، المصدر السابق، ص209، ابن الأثير، الكامل، مج8، ص478، ابن خلدون، العبرن ج5، ص15،14، محمد السعيد جمال الدّين، دولة الاسماعيلية في ايران، دار الثقافة للنشر، ط1، 1999، القاهرة، ص93، حامد زيان غانم زيان، الصراع السياسي والعسكري بين القوى الاسلامية زمن الحروب الصليبية،دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1983، القاهرة، ص89، الخشت، المرجع السابق، ص77

[2] ابن كثير، البداية والنهاية، ج16، ص123، الراوندي، المصدر السابق، ص209،210

[3] ابن الأثير، الكامل، مج8، ص481

[4] الراوندي، المصدر السابق، ص219

[5] عبد النعيم محمد حسنين، المرجع السابق، ص102

إلاّ أنّ طائفة الاسماعيلية ازداد نشاطها وتوسعها، وذلك للمشاكل التي عاشها السلاجقة، وانشغالهم بالحروب الداخلية، وتقاتلهم على السلطة، وانتشرت حركة الإغتيالات التي بثت الرعب والخوف في معظم البلاد الاسلامية ،خاصة لدى الحكّام والسلاطين ورجال الدّين والفقهاء.

واصل السلطان محمد بن ملكشاه (498هـ_511م/1105_1118م) سياسة والده اتجاه طائفة الاسماعيلية، خاصة عندما رأى تماديها في إيذاء المسلمين ونهب ممتلكاتهم، وقطع الطرق، وفرض الإتاوات، فوضع نصب عينيه القضاء على هذه الطائفة حتى يأمن المسلمون شرّها[1].

فقرّر القيام بحملة عسكرية نحو قلعتهم""شاه دير""[2] القريبة من أصفهان ومن ملكه،والخروج إليها بنفسه في اوّل رجب سنة (500هـ/1106م)[3] ،ولكن الحملة تأخرت لبعض الوقت نتيجة للخدع التي قام بها مؤيدو الاسماعيلية، المنبثون داخل جيشه، فزعموا أنّ قلج أرسلان بن سليمان قد اتى بغداد واستولى عليها، واختلقوا بعض المراسلات لتأكيد هذا الخبر، كما زعموا حدوث بعض الاضطرابات في خراسان، فأجّل السلطان محمد خروج الحملة حتى يتبين حقيقة الامر.[4]

ولمّا ظهر بطلانه عزم وقصد حربهم، وصعد جبلا يقابل القلعة من غربيها، ونصب له التخت في أعلاه وحاصرهم، واشتدّ الحصار عليهم وتعذرت عنهم الأقوات.[5]

---

[1] حافظ احمد حمدي، الشرق الاسلامي، المرجع السابق، ص78

[2] شاه دير: قلعة حصينة على جبل أصفهان، كانت لمعقل بن عطّاش، وهو احمد بن عبد الملك مقدّم الباطنية، وشاه دير أيضا قلعة بناها نصر بن الحسين بن فيروزان الديلمي في جبل شهريار، انظر: النويري، المصدر السابق، ج26، ص208،

[3] ابن الأثير، الكامل، مج9ن ص107، 108ن ابن كثير، البداية والنهاية، ج16، ص195،194، الحافظ الذهبي، العبر، ج3، ص379، ابن تغري بردي، النجوم، ج3، ص191، النويري، المصدر السابق، ج26، ص208

[4] محمد عثمان الخشت، المرجع السابق، ص94

[5] عبد الرحمان بدوي،المرجع السابق،ص107.

فقام عبد الملك بن عطاش، بمناورة ذكية، إذ استطاع أن يشغل خصومه بخلاف عقائدي لفترة من الوقت، تمكن من خلالها استرجاع أنفاسه، فأرسل إلى السلطان محمد وفقهائه رسالة يقول فيها: ما يقول السادة الفقهاء أئمة الدّين في قوم يؤمنون بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأنّ ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلّم حق وصدق، وإنّما يخالفون في الإمام،وهل يجوز للسلطان مهادنتهم ومواعدتهم وأن يقبل طاعتهم، ويحرسهم من كلّ أذى.[1]

وكان الرد من السلطان ""أخبرونا عن إمامكم إذا أباح لكم ما حرمه الشرع، أو حرم عليكم ما أحلّه الشرع، أتقبلون أمره وتطيعونه؟ فإن أجابو بنعم، تصبح دماؤهم حلال شرعا""، ولكن عناد المناظرين، لم يوصل لشيء وتوبع الحصار.[2]

واستطاع السلطان محمد ومن معه فتح هذه القلعة، وقتل عبد الملك بن عطاش، وكان النّاس يتشاءمون بهذه القلعة، يقولون: كان دليلها كلبا، والمشير بها كافرا، والمتحصن بها زنديقا[3]،وبعد هذا الفتح العظيم، أرسل السلطان محمد كتابا ليقرأ على المنابر في أقليم السلطنة جاء فيه:

""…. الحمد لله على ذلك حمدا يوازي قدر نعمه، ويمتري المزيد من مواد كرمه، ثمّ الحمد لله على ما يسرنا من إعزاز الدّين، ورفع عماده وقمع أضداده، واستئصال شأفه الباطنية الناهضتين لعناده، الذين استركو العقول الفاسدة فاستغووها بأباطيلهم .. واتخذوا دين الله هزوءا ولعبا، بما لفقوه من زخارف أقاويلهم، سيما ما سنّى الله من فتح الفتوح، وهيّأ أسبابه من النّصر الممنوح بأخذ قلعة شاه دز، التي شمخ بها الجبل وبذخ… وفيها ابن عطاش الذي طار عقله في مدح الضلال وطاش،.. ويستبيح دماء المسلمين هدرا، ويستحل أموالهم غررا، فكم من دماء سفكت وحرم انتهكت، وأموال استهلكت.. وهذه القلعة كانت من أمّهات

---

[1] محمد عثمان الخشت، المرجع السابق، ص96،95

[2] برنارد لويس، الحشاشون فرقة ثورية، ص45

[3] ابن كثير، البداية والنهاية، ج16، ص195، الصياد، المرجع السابق، ج1، ص80

القلاع التي انقطع إليها رؤوس الباطنية كلّ الإنقطاع،.. وأمرنا في الحال بهدمها، والتعفية على ردمها ...وأسر ابن عطاش رأس الجالوت، وولى الطاغوت ،فجعلناه وولده المقرون به مثله للنظار، وعبرة لأولى الأبصار... وهذه البشرى التي يهنأ بها الإسلام، وترفع بها من الإشادة بذكرها في الخافقين الأعلام، أمرنا بنشرها في الأقصى والأدنى لا سيما الدار العزيزة...."[1].

وإن دلّ هذا الكتاب على شيء، فإنّما يدّل على مبلغ استفحال خطر الاسماعيلية في بلاد الخلافة العباسية، بحيث أصبح خطرهم لا يخفى على سلاطين آل سلجوق[2]

لم تتوقف الحملات السلجوقية عند هذا الحدّ، بل شملت معظم قلاع الاسماعيلية في شرق وغرب وشمال إيران، فتمكن سنجر من احتواء جناح الطائفة بقهستان، وسقطت قلعة أرجان ومعظم القلاع المتمركزة بين فارس وخوزستان.[3]

وكان الهدف الأكبر هو حصار قلعة آلموت والقضاء على الحسن ابن الصبّاح ،فقام السلطان محمد""بإرسال الأمير شركير على رأس جيش جرار إلى قلعة آلموت فحاصرها مدّة حصارا شديدا، وضيّق كثيرا على هؤلاء.. حتى أصبح من اليقين أن يستولي عليها""[4]، وذلك بداية من سنة (511هـ/1118م) ،وأقاموا المجانيق واشتدّت الحرب بين الفريقين حتى ذي الحجة من السنّة نفسها، ولما أوشكو على الاستيلاء على القلاع وتخليص الخلق من فتنتهم وصل الخبر بوفاة السلطان محمد بن ملكشاه في أصفهان، فتفرقت الجيوش ،وظل الملاحدة

---

[1] ابو يعلي حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي القلانسي، تاريخ دمشق(470هـ_555هـ/ 1077_1160م)، تح، سهيل زكار، التكوين للتأليف والترجمة، دون ط، 2007، ج1، ص257، وما بعدها، حافظ احمد حمدي، الشرق الإسلامي، المرجع السابق، ص79

[2] نفسه، ص80

[3] محمد عثمان الخشت، المرجع السابق، ص97ن برنارد لويس، الحشيشيه، المرجع السابق، ص214

[4] الراوندي، المصدر السابق، ص247

أحياء، وسحبوا الذخائر وآلات الحرب والأسلحة التي كان الجيش قد حشدها إلى داخل قلاعهم.[1]

وتشير بعض القرائن أنّ هناك دورا خفيا قام به الوزير قوام الدين نصر ابن علي الدرجاني في انسحاب الجيش السلجوقي، فقد كان هذا الرجل يعتنق سرا العقيدة الاسلامية، واستطاع أن يؤثر على السلطان محمود خليفة السلطان محمد.[2]

وبموت السلطان محمد ملكشاه سنة(511هـ/1118م) خلفه ابنه محمود[3]، وفقد المسلمون أكبر مناهض لهذه الطائفة ،إذلو قدّر له أن يحيا لعدّة سنوات بعد ذلك، لربّما اتيحت له فرصة الإستيلاء على قلعة آلموت.[4]

لكن بعد موته قام صراع كبير بين السلطان سنجر بن ملكشاه، وبين إبن أخيه محمود بن محمد بن ملكشاه، وفي المقابل نجد أنّ قوّة الطائفة الإسماعيلية تزداد، وانتهى الصراع السلجوقي بالصلح بين سنجر وابن أخيه محمود، ويلقب سنجر بالسلطان الأعظم، ومحمود بالسلطان، وهكذا فإنّ دولة السلاجقة في إيران والعراق أصبحت قسمين متميزين، قسم في الشرق على رأسه السلطان الأعظم سنجر وقسم في الغرب وعلى رأسه السلطان محمود[5]

أولى السلطان الاعظم سنجر عناية كبيرة لقلعة آلموت، ابتغاء القضاء على الحسن بن الصبّاح، الذي حاول أن يصدّ السلطان سنجر بالحيلة تارة، وبالتهديد تارة أخرى[6] ،"فخدع أحد الخدم بمال كبير نوأرسل خنجرا وغرسه في الأرض أمام سرير السلطان سنجر.. فلمّا

---

[1] الجويني، المصدر السابق، ج3، ص189،190، برنارد لويس، الحشاشون، فرقة ثورية، ص47

[2] محمد عثمان الخشت، المرجع السابق، ص100

[3] ابن الاثير، الكامل، ج9، ص168، ابن خلدون، العبر، ج3، ص610

[4] حافظ أحمد حمدي، الشرق الإسلامي، ص80

[5] عبد النعيم محمد حسين، المرجع السابق، ص118،119، حافظ أحمد حمدي، الشرق الإسلامي، ص80

[6] حافظ أحمد حمدي، الشرق الإسلامي، ص81

استيقظ ورأى السكين، ساوره القلق.. فأرسل الحسن بن الصبّاح رسولا وأعطاه رسالة مضمونها، "لولم تكن إرادة الخير بالسلطان قائمة ،لكان أجدر بذلك الخنجر الذي غرس في الأرض الصلبة أن يغرس في صدر السلطان الليّن"[1]

فخاف السلطان سنجر عاقبة هذا التحذير، وعقد معاهدة سنة (512هـ/1118م) مع الحسن ابن الصبّاح، تعهّد فيها الحسن بأن لايزيد في تحصين قلاعه أو يقوى نفسه حربيا بشراء آلات الحرب، أو يدخل في مذهبه آخرين، وفي المقابل تعهّد السلطان سنجر بإعفاء الاسماعيلية من أهالي إقليم كردكوه من الضرائب، غير أنّ الحسن لم يعمل بهذه المعاهدة، عكس السلطان سنجر الذي لم يوجه جهوده ضدّ الإسماعيلية بعد ذلك لفترة طويلة من الزمن.[2]

واصلت طائفة الإسماعيلية بقيادة الحسن بن الصبّاح عملياتها الفدائية الإغتيالية، ففي سنة (515هـ/1121م) قامت مجموعة من الفدائيين بحرق جامع أصفهان البالغ العظمة، والذي كان مركزا للتيار السنّي، وفي سنة (516هـ/1122م) قامت مجموعة أخرى من الفدائيين بإغتيال الوزير كمال أبي طالب السميرمي وزير السلطان محمود.[3]

وفي سنة (518هـ/1124م) مرض الحسن ابن الصبّاح، وشعر أنّ نهايته تقترب فأعدّ العدّة لمن يخلفه، ووقع إختياره على برزك أمير، الذي ظلّ عشرين عاما قائدا لقلعة"لاما سار" ليكون خليفة له وجعل على ميمنته هداربو على الأردستاني ،وخصّه بديوان الدعوة، وجعل الحسن بن آدم القصراني على ميسرته، كما جعل كيا با جعفر، الذي كان صاحب

---

[1] الجويني، المصدر السابق، ج3، ص191، برنارد لويس، الحشاشون، فرقة ثورية، ص95

[2] حافظ أحمد حمدي، الشرق الإسلامي، ص81، الخشت، المرجع السابق، ص101، برنارد لويس، الحشيشية الإغتيال الطقوسي، ص217، الصيّاد، المرجع السابق، ص83

[3] محمد عثمان الخشت، المرجع السابق، ص102

الجيش أمامه، وأوصى بأن يتمّ تدبير الامور بإتفاق الأربعة جميعا ،واستوصوا بهم إلى أن ياتي الإمام إلى ملكه[1].

وفي 6 من ربيع الثاني سنة (518هـ/1142م) توفي الحسن بن الصبّاح[2] ،بعد أن قضى 35 سنة في قلعة آلموت لم ينزل منها، واعتكف في القصر الذي كان يقيم فيه يطالع الكتب، ويشتغل بتقرير كلام بدعته[3].

بعد وفاة الحسن ابن الصبّاح خلفه برزك أمير، والذّي استمرّ على نفس الخط الذي سار فيه الحسن إلى سنة (532هـ/1137م)[4]، فنجدهم واتباعا لسياسة الإغتيال، وصولهم لأمير الموصول أقسنقرالبرسفي وقتلوه يوم الجمعة(520هـ_1126م)، وكان يصلي مع العامة[5] .

وهنا نرى أنّ السلطان سنجر قد غيّر من سياسته اتجاه طائفة الإسماعيلية، فنجده " يأمر وزيره المختصر أبو نصر أحمد بن الفضل ،بغزو الباطنية وقتلهم أين كانوا وحيثما ظفر بهم، ونهب أموالهم وسبي حريمهم، وجهّز جيشا إلى طريثيب، وجيشا إلى بيهق، وأمر جنده بقبل كلّ من لقوه"[6].

ولم تختلف سياسة السلطان محمود بن محمد في العراق للإسماعيلية عن سياسة السلطان سنجر، فقد خنق عليهم لمقتل أقسنقرأمير الموصل، وأخذ يستعد لحربهم منذ عام

---

[1] الجويني، المصدر السابق، ج3، ص191، برنارد لويس، الحشاشون، فرقة ثورية، ص98،99

[2] الجويني، المصدر السابق، ج3، ص191، ابن الأثير، الكامل، مج9، ص231،230، برنارد لويس، الحشيشية، الإغتيال الطقوسي، ص218، ابن أبيك الدواردي، كنز الدرر، ج1، ق،7، ص494

[3] الجويني، المصدر السابق، ج3، ص191،

[4] نفسه، ج3، ص192، عارف تامر، المرجع السابق، ج4، ص94

[5] ابن الأثير، الكامل، مج9، ص236، حافظ أحمد حمدي، الشرق الإسلامي، ص82

[6] ابن الأثير، الكامل، مج9، ص235

(523هـ/1128م) ،بعد أن نهبوا البصرة، وقد رأى السلطان محمود أن يبادل هذه الطائفة العداء، إرضاء للسنيين من رعيّته.[1]

إلاّ أنّ السلطان محمود توفي في شوّال سنة(525هـ/1130م) بهمذان وكان عمره نحو سبع وعشرين سنة، وكانت ولايته اثني عشر سنة وتسعة أشهر وعشرين يوما، وكان حليما كريما عاقلا، وخلفه ابنه داود في السلطنة بإتفاق مع الوزير أبي القاسم.[2]

بعد وفاة السلطان محمود، تنازع الامراء من آل سلجوق على السلطنة، وانتشرت الفوضى في العراق، فتشجع الإسماعيلية على إثر ذلك، وأصبحت سياستهم مزدوجة ترمي إلى مناوأة السلاجقة والخلفاء العباسيين معا.[3]

وقد انتعشت في هذه الفترة عمليات فدائيي الطائفة الإسماعيلية، إذ قاموا بإغتيال العديد من الشخصيات الهامة سواء في إيران أو سوريا، وحتى في مصر، ففي سنة (524هـ/1129م) تمكّنوا من قتل الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله أبا علي المستعلي.[4]

كما استطاعوا القيام بأكبر عملية إغتيالية، استهدفت الخليفة العباسي المسترشد بالله سنة(529هـ/ 1134م) ،وكان الخليفة في حرب مع السلطان مسعود السلجوقي، فتمكن الأخير من الانتصار على الخليفة، وأسره هو ومجموعة من كبار معاونيه، ووضعه في خيمة مكرّما، تحت حراسة مشدّدة ثمّ تصالحا، ولم يبقى إلاّ عودة الخليفة إلى بغداد، وقد انصرف عنه بعض من كان موكلا بحمايته، فهجم عليه أربعة وعشرون من فدائي آلموت،

---

[1] حافظ أحمد حمدي، الشرق الإسلامي، ص82

[2] ابن الأثير، الكامل، مج9، ص259

[3] حافظ أحمد حمدي، الشرق الإسلامي، ص83

[4] محمد عثمان الخشت، المرجع السابق، ص111

فاغتالوه وطعنوه أكثر من 20 طعنة، ومثلوا به فجعدوا أنفه وأذنيه ،وقتل معه نفرا من أصحابه[1].

وبعد وفاة الخليفة المسترشد بالله، خلفه ابنه الراشد بالله أبو جعفر منصور، ولد سنة (502هـ، 1108م)[2] "وبويع بالخلافة في السابع والعشرين من ذي القعدة سنة (529هـ_1134م) واستقام له الأمر ،وتوكّدت له البيعة على الرسم، ووعد كافة الأجناد والعسكرية وأماثل الرعية،بما طيب نفوسهم، وشرح صدورهم، وأطلق مال النفقات والواجبات...فكثر له الدعاء.."[3]

لمّا جلس الخليفة الراشد على كرسي الخلافة،عزم على السير من بغداد لقصد الملاحدة والثأر لدم أبيه، فأصيب بمرض في الطريق، ووصل إلى أصفهان وهو لا يزال على حالته من الوهن، فدخل عليه في بلاطه جماعة من مخاذيل الفدائية وطعنوه بالخناجر، وذلك في 26 رمضان(532هـ_1137م) ودفن حيث قتل، ومنذ ذلك الوقت عاد الخلفاء العباسيون إلى الإختفاء واحتجّبوا عن الخلق[4]،وفي السادس والعشرين من سنة532هـ/1137م توفي برزك أميد زعيم الإسماعيلية وخلفه إبنه محمد[5].

[1] ابن الأثير، الكامل، مج9، ص283، ابن خلدون، العبر، ج5، ص81، ابن ابيك الداودي، المصدر السابق، ج1، ق7، ص517، ابن تعري بردي، النجوم، ج5، ص250، محمد عثمان الخشت، المرجع السابق، ص112

[2] السيوطي جلال الدّين عبد الرحمان بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، تحقيق، أحمد ابراهيم زهوة، سعيد بن أحمد العبدروسي، دون طبعة، دار الكتاب العربي، بيروت، 2010م، ص333، ابن تغري بردي، النجوم، ج5، ص250

[3] ابن القلانسي، المصدر السابق، ج2، ص400

[4] الجويني، المصدر السابق، ج3، ص196

[5] نفسه، ج3، ص195

رابعا: الطائفة الإسماعيلية في عهد محمد بن برزك أميد:(532_557هـ/ 1137م_1161م):

قبل وفاة برزك أميد بثلاثة أيام جعل إبنه محمد وليا لعهده، ولم يختلف عن مذهب أبيه والحسن ابن الصبّاح، فبذل قصارى جهده في إحكام قواعد المذهب، ودأب على انتهاج نهجهم في إقامة رسوم الإسلام ،والتزام الشرع على النحو الذي أظهروه[1].

عمل محمدابن برزك اميد بكلّ إخلاص وتفاني، فنظّم الدّعوة، ووزع الدعاة الأكفاء على جميع المناطق التي يمكن أن تتسرب إليها الدعوة الإسماعيلية، ووجه عناية خاصة للفرقة الفدائية التي كانت تحتل المكان الأوّل في الجيش الإسماعيلي، وأنشأ مدرسة خاصة لتثقيف (المغاوير) أو الفدائية، وتدريبهم التدريب الكامل على استعمال الأسلحة وتلقينهم أغلب اللغات المستعملة في ذلك الوقت، كما درّب البعض منهم على تعاطي الأعمال التجارية والصناعية ،ليتمكن من توزيعهم خفية بصفة (تجارأوصناع) على البلاد المجاورة.[2]

وكان من أبرز ضحايا الفدائية في فترة السلطان السلجوقي داود الذي قتل في تبريز سنة(538هـ_1143م) من قبل أربعة من الحشيشية في سوريا[3]

وشملت قائمة الإغتيالات في هذه المرحلة عددا من القضاة الذين أفتوا بجواز أو وجوب إعدام أعضاء حركة الحشاشين، وهم قضاة همذان وقهستان وتقليس، كما تشتمل القائمة عددا من الأمراء والولاة والوزراء.[4]

[1] الجويني، المصدر السابق، ج3، ص196

[2] مصطفى غالب، تاريخ الدعوة الإسماعيلية، ط2، دار الأندلس، لبنان، 1965، ص258، 259

[3] برنارد لويس، الحشيشية، الإغتيال الطقوسي، ص227، محمد عثمان الخشت، المرجع السابق، ص118

[4] محمد عثمان الخشت، المرجع السابق، ص118

قاد السلطان محمد حملة عسكرية إلى قلعة آلموت، سنة(538هـ/1134م) لكن الإسماعيلية استطاعوا صدّ الحملة العسكرية، وقاموا ببناء الحصون الجديدة في مناطق قزوين،ومدّو نشاطهم إلى منطقتين جديدتين في جورجيا، حيث؟أغارو وتابعوا الدّعوة هناك.[1]

وكان هناك عدوان مثابران للعمّل ضدّ الطائفة الإسماعيلة بشكل خاص، وهما حاكم مازندان، وعباس الحاكم السلجوقي للري، الذي أعد مذبحة للإسماعيلية[2]،"... فلم يزل يقتل منهم حتى بنى مئذنة من رؤوسهم بمدينة الري...."[3]،وقد فعل بهم هذا الرجل مالم يفعله غيره، وكان يعاود غزوهم بين وقت وآخر، فيسفك دماءهم ويدمّر بلادهم، واستمرّ على هذا الحال حتى تمّ إغتياله بتدبير من السلطان مسعود سنة(541هـ/1146م).[4]

نلاحظ أنّ العلاقة بين المسلمين عامة وطائفة الإسماعيلية خاصة كانت في هذه الفترة أشبه بالمدّ والجزر، فقاموا سنة(549هـ/1154م) بهجوم عنيق من إقليم قوهستان، معقلهم المشهور على خراسان في سبعة آلاف رجل ما بين فارس وراجل، ولعل هذا كان اوّل هجوم عام يقوم به قادة الإسماعيلية لغزوا الأراضي الإسلامية ،وقد أدرك المسلمون ما سيصيبهم من الهلاك إذا ما تهاوتوا مع الإسماعيلية ،فجمعوا شملهم من كلّ جانب، وواجهوا جيش الإسماعيلية دفعة واحدة وأفنوهم عن آخرهم، بعد أن أسرو عددا كبيرا منهم، وكان هذا الانتصار انتصارا حاسما للمسلمين، جعل الإسماعيلية ينكمشون في قلاعهم مدّة طويلة، ونصر الله المسلمين، وانهزم الإسماعيلية.[5]

---

[1] برنارد لويس، الحشيشية الإغتيال الطقوسي، ص227، محمد عثمان الخشت، المرجع السابق ص118

[2] برنارد لويس، الحشيشية للإغتيال الطقوسي، ص227

[3] ابن كثير، البداية والنهاية، ج6، ص342

[4] محمد عثمان الخشت، المرجع السابق، ص118

[5] ابن الأثير، الكامل، مج9، ص399، حافظ احمد حمدي، الشرق الإسلامي، ص84

وفي سنة (552هـ/1157م) قام صاحب مازندان ريستم بن علي بن شهريار بجمع عساكره والإتّجاه نحو قلعة آلموت الإسماعيلية، وأغار عليها، واحرق القرى، وأكثر القتل، وغنم الأموال، وخرب بلاد الإسماعيلية، وأسر ما وقع في يده من أبناء، وساقهم إلى أسواق النخاسة وعرضهم للبيع، وممّا لاشك فيه انّ هزيمة الإسماعيلية هذه قد أثرت في روحهم المعنوية على حدّ كبير[1] .

وبعد ان أخفق الإسماعيلية في الإستيلاء على البلاد الإسلامية بهجوم منظّم، عمدوا إلى السلب والنهب، وإثارة حرب أشبه ما تكون بحرب العصابات[2]، حيث خرجوا على حجاج خرسان فقتلوا وسبوا واستباحوا الركب، وقتل فيهم من الأئمة والعلماء والزهاد والصلحاء جمع كثير، فلما كان الغد، طاف شيخ في القتلى والجرحى ينادي، يا مسلمون يا حجاج ذهب الملاحدة وأنا رجل مسلم ، فمن أراد الماء سقيته ، فمن كلمهُ قتلهُ ، وأجهز عليه ، فأهلكوا أجمعين إلاّ من سلم وولى وهرب.[3]

وقد حدث ما يشبه الإنشقاق الداخلي في الطائفة الإسماعيلية عندما قام الحسن بن محمد بن برزك أميد بالدعوة إلى نفسه كإمام[4]،"حيث لما قارب البلوغ استولت عليه الرغبة في تحصيل وبحث أقاويل مذهب الحسن بن الصبّاح وأسلافه، فشبع بإتقان كلام الدعوة في طريقة الصبّاح والزاماته، وصار بارعا في تقرير مذهبهم..وكان يردد في عهد أبيه محمد الكلمات الخطابية وأمثالها التي يعجب فيها العوام والناقصون من النّاس منذ النظرة الأولى.. كما كان يقول باستحسان تلك الدعوة، ويزيد من خداع أولئك القوم... ولأنّهم لم يكونوا قد

[1] ابن الأثير، الكامل، مج9، ص417، حافظ احمد حمدي، الشرق الإسلامي، ص85

[2] نفسه ، ص85

[3] ابن الأثير، الكامل، مج9، ص417، الحافظ الذهبي، العبر، ج3، ص16، ابن كثير، البداية والنهاية، ج16، ص382

[4] محمد عثمان الخشت، المرجع السابق، ص118

سمعوا مثل تلك المقالات من أبيه بدءوا يظنّون أنّه الإمام الذي وعدهم به الحسن بن الصبّاح، فاشتدّت محبّة الطائفة له وكانوا يسارعون إلى متابعته."[1]

وحينما علم أبوه بالأمر لامه لوما شديدا، وجمع أتباعه وقال لهم: "هذا الحسن إبني، وانا لست الإمام، بل إنني داع من دعاته، وكلّ من يعيير هذا الكلام أذنا صاغية ويصدقه يعدّ كافرا لا دين له"[2]، وقتل مئتين وخمسين نفسا في القلعة من المتهمين دفعة واحدة، وأخرج من القلعة نفس العدد وبهذه الوسيلة انزجروا وامتنعوا.[3]

ثمّ توفي محمد بن برزك أميد في 3 ربيع الأوّل سنة(557هـ_1161م) بعد أن تولى أمور الطائفة الإسماعيلية في آلموت أربعة وعشرين سنة.[4]

خامسا:الطائفة الإسماعيلية في عهد الحسن بن محمد بن برزك أميد

(557هـ_1161م/ 561هـ_1165م)

ولد الحسن بن محمد سنة (520هـ/1126م) وتولى أمر الإسماعيلية بعد وفاة والده محمد سنة(557هـ/1161م)[5]،وبدأ نشاطه بإطلاق سراح عدد من الأسرى من الري وقزوين، وخفف من التشدد الديني في آلموت، ولم يعد يعاقب على إقتراف الذنوب المخالفة للشريعة، ثمّ بدأ في نشر إصلاحاته.[6]

حيث أنّه في رمضان سنة (559هـ/1164م) أمر الحسن بن محمد بنصب منبر في ساحة آلموت متوجها نحو الغرب، مع أربع رايات كبار، ذوات اربعة ألوان، أبيض، احمر،

---

[1] الجويني، المصدر السابق، مج3، ص197، 198

[2] نفسه، مج3، ص198، سمير بن عمو، أل، موت، أو ايديولوجيا الإرهاب الفدائي، ط2، 1996، ص57

[3] الجويني، المصدر السابق، مج3، ص98، بدوي عبد الرحمان، المرجع السابق، ص1087

[4] ابن الأثير، الكامل، مج9، ص459، عبد الرحمان بدوي، المرجع السابق، ص1087، محمد عثمان الخشت، المرجع السابق، ص119، عارف تامر، المرجع السابق، ج4، ص94

[5] الجويني، المصدر السابق، ج3، ص197، سميرة بن عموا، المرجع السابق، ص56

[6] عبد الرحمان بدوي، المرجع السابق، ص1088

أصفر، أخضر، على زواياه الأربعة، وجمع النّاس الذين سلفت دعوتهم إلى آلموت من مختلف الأصقاع، وحشدهم في الساحة ثمّ نزل الحسن بن محمد مرتديا رداء أبيض، وعمامة بيضاء، وتفوه بالسلام ثلاث مرات، وتكلّم بصوت مرتفع، موجها خطابه للنّاس[1]، مما جاء فيه" إنّ الحسن بن محمد بن برزك أميد، خليفتنا وحجتنا وداعينا فلتطعه شيعتنا ،ولتصغ إليه في أمور الدّين والدّنيا، ولتأتمر بأوامره ،وتنظر إلى كلمته على أنّها كلمتنا،ولتعلم أنّ مولانا تلطّف بها وشملها برحمته وهداها إلى الله'.'[2]

"وكانت شهرة الحسن بن عرف طائفة الملاحدة "على ذكره السلام"،لقد كان أصل اللقب، حيث طبق في مبدأ الأمر عليه ، دعاء كان بعضهم يقوله لبعض في زمانه، ثمّ صار ذلك لقبا مشهورا لا يدعونه بلقب غيره"[3].

وأمر أتباعه أيضا بطرح جميع التآليف الدينية، والامتناع عن إقامة الفرائض الإسلامية،لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته" فالإمام هو المسؤول عن اتباعه، وهو الذي يتحمل بدلهم الحساب يوم القيامة، إن أطاعوه طاعة تامة واعتقدوا بإمامته على هذا النحو[4].

تزوج حسن بن محمد إمرأة من عائلة الملوك البويهيين، وقد تمكن بعض المعادين للإمامة من استمالة صهره حسن بن نامور، وهو شقيق زوجته ودفعوا له الهدايا والأموال،

---

[1] الجويني، المصدر السابق، ج3، ص199، 200، برنارد لويس، الحشيشية، الإغتيال الطقوسي، ص230، 231.

[2] سميرة بن عمو، المرجع السابق، ص57

[3] الجويني، المصدر السابق، ج3، ص207

[4] محمد كامل حسين، المرجع السابق، ج4، ص81.

فدخل على الحسن وهو في قلعة لمستر،وأغتاله بطعنه من خنجره وذلك سنة (**561هـ_1165م**) وخلفه ابنه محمد[1].

وقد عرفت البلاد الإسماعيلية في عهده توسعا كبيرا، وازداد نفوذهم في مختلف المناطق السورية، رغم تعرضهم لهجمات من طرف الصليبيين لكنّهم لم يستطيعوا التغلب عليهم.[2]

<u>سادسا: الطائفة الاسماعلية في عهد محمد بن حسن بن محمد بن بزرك أميد</u>

(561-607هـ، 1165-1207م)

ولد محمد بن حسن سنة (553هـ، 1158م)، مما يعني أنه تولى الإمامة وعمره ثماني سنوات[3]، وقام بالانتقام لوالده، فقتل الحسن بن نامارو، مع جميع أقربائه من الرجال والنساء والأطفال، وكانوا البقية الباقية في تلك الديار من قبيلة بويه، بعد تعذيبهم والتنكيل بهم، قطع نسل بويه[4].

لقب محمد بن حسن بأعلا محمد، وتعمق في دراسة العلوم الروحانية والفلسفية والفقهية، وقضى على دعاية الأعداء التي كانوا يروجونها في البلاد ضد الاسماعلية، وذلك بأن أسس مدرسة خاصة لتلقين الدعاة أصول الدعاية وأساليبها الحديثة، وهكذا قد حارب الأعداء بنفس السلاح الذي أشهروه ضده[5].

---

[1] الجويني، المصدر السابق، ج3، ص209، عبد الرحمان بدوي، المرجع السابق، ص1091، عارف تامر، المرجع السابق، ج4، ص95، برنارد لويس، الحشيشية الإغتيال الطقوسي، ص233، سميرة بن عمو، المرجع السابق، ص60 مصطفى غالب، المرجع السابق، ص262

[2] مصطفى غالب، المرجع السابق، ص262

[3] محمد عثمان الخشت، المرجع السابق، ص 120.

[4] الجويني، المصدر السابق، ح3، ص 210.

[5] مصطفى غالب ، المرجع السابق، ص 263.

وكان يعقد جلسة أسبوعية مع الدعاة، حيث كانت تجري بينهم المناظرات من أجل رفع مستواهم العلي وقدرتهم على المواجهة والحوار [1].

ولأن توجهات أعلى محمد كانت أصلا علمية، لأنه نشأ في جو في الترف في ظل عقيدة القيامة، فإن عهده لم يشهد أحداثا حربية أو سياسية ذات قيمة، بالمقارنة مع عهود سابقيه من الأئمة، لاسيما عهد الحسن بن الصباح[2].

لكنهم واصلوا سياستهم تجاه رموز الدولة الإسلامية، وهي عمليات الاغتيال حيث نجد أنهم استهدفوا قائدا إسلاميا كبيرا، ألا وهو صلاح الدين الأيوبي، والذي تعرض لمحاولتي اغتيال على أيدي الباطنية إلاّ أنهم فشلوا في ذلك[3].

كما اغتالوا الوزير عضد الدولة أبو الفرج محمد بن عبد الله بن هبة الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء وزير الخليفة، الذي كان قد عزم على الحج ،فخرج الناس في خدمته ليودعوه، فتقدم اليه ثلاثة ن الباطنية في صورة فقراء ،ومعهم قصص يشكون للوزير، فتقدم أحدهم ليناوله قصة فهجم عليه وضربه بسكين ضربات مركزة،ثم هجم الثاني ثم الثالث،حتى قطعوه ، وجرحوا جماعة ممن حول الوزير، ثم قبض على الباطنية الثلاثة وقتلوا[4].

وقد أراق الملاحدة في فترة أعلا محمد الكثير من الدماء، وقطعوا الطرق وتطاولوا، واستولوا على أموال المسلمين ظلما[5].

عهد أعلا محمد الى ابنه جلال الدين حسن بولاية العهد منذ طفولته، مما أشعره منذ وقت مبكر بالمسؤولية، فكان يقرأ ويطالع، فظهرت عليه علامات التفوق والنبوغ، وكان يبدي

---

[1] محمد عثمان الخشت، المرجع السابق، ص 120، 121.

[2] المرجع نفسه، ص 121.

[3] يوسف إبراهيم الشيخ عير، أثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصلبيين، ط1، دار المعالي، الأردن 1998، ص 213، 214.

[4] ابن كثير، البداية والنهاية، ج 16، ص 552، ابن الاثير، الكامل،مج 10، ص 88، يوسف إبراهيم، المرجع السابق، ص 214.

[5] خواندمير، المصدر السابق، ص 253.

ميلا الى أمه السنية أكثر من أبيه، وشعر بانحياد أبيه عن جادة الصواب، وعندما نبذ تعاليم الشريعة، فأظهر عدم رضاه عن السير في هذا الاتجاه، مما عكر صفوة العلاقة بينه وبين أبيه[1]،" وكان كل يخاف الآخر ويحترز منه، وعندما كان جلال الدين يطلب في أيام الاحتفالات والمجامع العامة، الدخول الى البلاط، كان أبوه أعلا محمد يحذر منه ولا يأتمنه،وكان جلال الدين قد أرسل الرسل خفية على سبيل مكايدة أبيه الى خليفة بغداد، والى السلاطين والملوك الآخرين، ليظهر أنه ليس على غرار أبيه، مسلم العقيدة، وأنه اذا ما وصل الدور اليه بعد أبيه فإنه سيرفع الالحاد، ويمهد لقاعدة الإسلام، وبهذا النوع قدم توطئة وتأسيسا..."[2]

وفي سنة (607هـ-1207م) توفي أعلا محمد، الذي حكم مدّة ستة وأربعين سنة، ويرى بعض المؤرخين أنّه مات مسموما، وخلفه ابنه جلال الدين حسن[3].

سابعا: طائفة الاسماعلية في عهد جلال الدين حسن بن محمد بن حسن

(607-618هـ، 1207-1219م)

ولد جلال الدين (582هـ/ 1186م) في قلعة آلموت، أصبح اماما بعد وفاة والده سنة (607هـ-1207م)[4]،" وأظهر الإسلام مباشرة بعد توليه الحكم، وقام يزجر قومه وشيعته ومنعهم بالتوبيخ والتشديد عن الالحاد، وحملهم على الالتزام بالإسلام، واتباع الشرع، وأرسل الرسل الى خليفة بغداد ،والى السلطان محمد خوارزم شاه، وملوك وأمراء العراق والأطراف الأخرى لابلاغهم بهذه التغييرات..."[5]

[1] محمد عثمان الخشت، المرجع السابق، ص 121، برنالدلويس، الحشيشية الاغتيال الطقوسي، ص 236.

[2] الجويني، المصدر السابق، ج3، ص 211.

[3] سميرة بن عمو، المرجع السابق، ص 63، محمد عثمان خشت، المرجع السابق، ص 121.

[4] مصطفى غالب، المرجع السابق، ص 270.

[5] الجويني، المرجع السابق، ص 212.

ففرحوا واستبشروا بعودة هؤلاء الملاحدة وأميرهم الى الإسلام، وأسرفوا في منح جلال الدين الألقاب، وأرسلوا اليه الهدايا والأموال، ولم يصدق أهل قزوين عودة أهل قلاع الاسماعلية الى الإسلام، وبعد عدة حروب معهم عقدوا صلحا[1]، كما أمر ببناء المساجد في كافة قلعة آلموت، وعاد لإقامة الاذان والجمعة والجماعة، كما قام باحراق كتب الحسن بن الصباح الاصلية ،بكل ما تحتويه من مذهبه عقيدة وسلوكا، ثم انهال على أسلافه بالشتائم واللعنات، وعند ذلك شهد أهل قزوين على حسن نيته"[2]،ومن الألقاب التي لقب بها (المسلم الجديد)، كما سمي أتباعه في عهده أيضا بنو مسلمان[3].

تبادل جلال الدين الهدايا والرسائل مع الأمراء، ودخل في تحالفات عسكرية مع بعضهم في ظل الوفاء للخليفة العباسي، وقدم له خدمات جليلة منها[4]، قتل الباطنية أغلمش صاحب بلاد الجبل، ولما ملك أغلمش بلاد الجبل خطب لخوارومشاه فيها،ولما اغتيل سار خوارزمشاه الى بلاد الجبل وبسط سيطرته عليها لئلا تخرج عن طاعته،ويعبث بها الباطنية[5].

وهذا ما أتاح لجلال الدين حسن أن يقوم برحلة خارج آلموت لمدة عام ونصف ،زار خلالها بغداد وأذربيجان وسوريا وغيرها من البلاد والمدن الإسلامية، وأصبح دعاؤه للاسلام أكثر قبولا، وشرع المسلمون بالاختلاط معه بحرية أكبر[6]، والتمس جلال الدين حسن خطبة النساء من أمراء جيلان، فلم يقبلوا إلا بإذن من دار الخلافة، فأرسل رسولا الى الخليفة

---

[1] عبد الرؤوف الفقي، المرجع السابق، ص 196.

[2] سميرة بن عمو، المرجع السابق، ص64، محمد عثمان خشت، المرجع السابق، ص 122.

[3] الجويني، المرجع السابق، ص 212، محمد كامل حسين، المرجع السابق، ج4، ص 82، الصياد، المرجع السابق، ج1، ص 85.

[4] محمد عثمان خشت، المرجع السابق، ص 122.

[5] ابن الأثير، مج 10، ص 371، إبراهيم الشيخ عير، المرجع السابق، ص 216.

[6] برناردلويس، الاغتيال الطقوسي، ص 237، محمد عثمان خشت، المرجع السابق، ص 122.

الناصر لدين الله، الذي أجاز طلبه، وبمقتضى هذا تزوج جلال الدين أربعا من بنات أمراءهم، وأولهن أخت كيكاوس، وقد ولد علاء الدين محمد بن جلال الدين من هذه المرأة[1].

ولأن جلال الدين كان دائما ميالا الى السلام، متطلعا لحياة الهدوء والاستقرار، فإنه لما علم بعزم جنكيزخان على اكتساح البلاد الإسلامية، سارع الى ارسال سفرائه اليه معلنا ولاءه له[2].

وقد أظهر كثير من اتباع الطائفة الاسماعلية تذمرهم من موقف جلال الدين حسن الاستسلامي في مواجهة المغول[3]، وفي منتصف شهر رمضان من سنة (618هـ-1219م) توفي جلال الدين حسن بمرض الاسهال، وخلفه ابنه علاء الدين محمد[4].

ثامنا: طائفة الاسماعلية في عهد علاء الدين محمد بن جلال الدين حسن

(618- 653هـ، 1219-1255م)

ولد علاء الدين محمد سنة (608هـ/1211م) وتولى الامامة وعمره عشر سنوات، وكان الوزير الوصي عليه هو المسؤول المباشر على تسيير شؤون الطائفة في هذه الفترة[5]، حيث قام بقتل نساء جلال الدين، وخواصه وأهل بطانته، وانهم بدس السم لجلال الدين[6].

---

[1] الجويني، المرجع السابق، ص 215، بارناردلويس، الحشيشية، الاغتيال الطثوسي، ص 238، سميرة بن عمو، المرجع السابق، ص 255، خواندمير، المرجع السابق، ص 255.

[2] محمد عثمان الخشت، المرجع السابق، ص 123.

[3] المرجع نفسه، ص 123.

[4] الجويني، المرجع السابق، ص 217، ابن الأثير، الكامل، مج10، ص 420، خواندمير، المرجع السابق، ص 255، ابن كثير، البداية والنهاية، ج17، ص 109.

[5] محمد عثمان خشت، المرجع السابق، ص 123.

[6] الجويني، المرجع السابق، ص217.

لقد تنكر علاء الدين لمذهب والده، وسلك الاسماعلية الذين لم يرسخ الإسلام باطنهم بعد سلوكه، ومرة ثانية راح مذهب الزندقة والالحاد وهدم القواعد الجيدة، والتي كان سنها أبوه جلال الدين حسن، واختلت أمور الملك والملة، وأهملت أمور الدين والدنيا[1].

وأصبح علاء الدين مستهترا لا يدري شيئا مما يحدث داخل الطائفة أو خارجها، مما انعكس على الاتباع، اذ عاود كثيرا منهم الحياة وفق مبادئ زمن القيامة التي أرساها جده، ومارس البعض عمليات الاغتصاب، والاعتداء على جيرانهم، أحيانا بعلمه وأحيانا كثيرة من دون علمه[2].

وفي سنة(624هـ/1226م)، طالت أيدي الباطنية أميرا كبيرا من نواب الدولة الخوارزمية وقتلوه، واغتالوا أيضا أميرا من أمراء جلال الدين منكري، وكان جلال الدين قد أقطع هذا الأمير مدينة كنجة[3]، " وكان نعم الأمير ،كثير الخير حسن السيرة ،ينكر على جلال الدين ما يفعله عسكره من النهب وغيره من الشر، فلما قتل ذلك الأمير عظم قتله على جلال الدين، واشتد عليه،فسار في عساكره الى بلاد الاسماعلية من حدود آلموت الى كردكوه بخرسان، فحارب الجميع وقتل أهلها ونهب الأموال، وسبى الحريم، وقتل الرجال وانتقم منهم، وكانوا قد عظم شرهم وازداد ضررهم.[4]

وبانشغال السلطان جلال الدين منكبري، بالمغول وحماية دولته، توسع الاسماعلية واستولوا على مدينة الدامغان[5]، وحاولوا الاستلاء على الري كذلك[6]، الاّ أن الخوارزميين قاموا

---

[1] خواندمير، المصدر السابق، ص 255.

[2] محمد عثمان خشت، المرجع السابق، ص 124.

[3] كنجة، بالفتح ثم السكون، وجيم: مدينة عظيمة وهي قصبة بلاد أتران، واهل الأدب يسمونها جنزة، وكنجة من نواحي لوستان بن خوستان، وأصبهان أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج4، ص482، إبراهيم شيح عير، المرجع السابق، ص 216.

[4] ابن الأثير، الكامل، مج10، ص472،473، ابن كثير البداية والنهاية، ج17، ص158.

[5] الدامغان: بلد كبير بين الري ونيسابور، أنظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان، مج 2، ص433

[6] برنارد لويس، الحشيشية، الاغتيال الطقوسي، ص 241.

بإعدام خمسة من الفدائيين الباطنية حرقا، وقاموا في كذلك بمهاجمة قافلة لأعضاء الاسماعلية كان بها أكثر من سبعين رجلا فقتلوهم جميعا[1].

ونجحت الطائفة الاسماعلية في استمالة الوزير الخوارزمي شرف الملك اليها، ولم تكن هذه الاستمالة من الوزير اختيارا ورغبة منه، بل خوفا على حياته[2]، يقول النسوي واصفا شرف الملك يتذلل للإسماعلية وزعيمها علاء الدين محمد " ...مالذي صدر عني من الذنب والتقصير ليعطش الى دمي وأنا مملوكه، كما أن مملوك السلطان[3]، وها أنا ذا بين أيديكم فافعلوا ما شئتم، وبالغ حتى جاوز في التذلل حد الاقتصار" [4]

وفي سنة (627هـ/1229م) أرسل مقدم الاسماعلية الملاحدة الى المغول يعرفهم ضعف جلال الدين منكبري بالهزيمة الثانية عليه، ويحثهم على قصده عقب الضعف ويضمن لهم الظفر، للوهن الذي صاروا عليه[5].

أدرك المغول في عهد مانجو خان خطر هذه الطائفة، لا سيما بعد أن وصلته منهم عدة شكايات من الخليفة العباسي، وقاضي قزوين، ولهذه الأسباب نرى أنّ المغول عندما فكروا في إزالة الخلافة العباسية، أدركوا أن الطائفة الاسماعلية ستكون شوكة في ظهورهم، وأنّه لا سبيل الى نجاحهم في السيطرة على الشرق الإسلامي الاّ بالقضاء على هذه الطائفة لذلك أوصى مانجو خان أخاه هولاكو بالقضاء على هذه الطائفة قبل مسيره الى بغداد[6].

---

1 النسوي، المصدر السابق، ص231، محمد عثمان الخشت، المرجع السابق، ص125.

2 محمد عثمان الخشت، المرجع نفسه، ص125.

3 يقصد بالسلطان هنا، السلطان جلال الدين منكبرتي.

4 النسوي، المصدر السابق، ص230

5 عبد الرحمان بدوي، المرجع السابق، ص1139

6 حافظ أحمد حمدي، الشرق الإسلامي، ص 87.

وفي سنة (653هـ/ 1255م) توفي علاء الدين محمد، وقتله الحسن المازندراني، بعد أن حقد عليه لعدة سنوات، وخلفه ابنه ركن الدين خورشاه[1].

قام ركن الدين خورشاه بالثأر لوالده، وقتل الحسن مازندراني مع أولاد وأحرق جثثهم، وكانت أمه كلما غضبت عليه تتهمه بقتل أبيه، ولم يحكم ركن الدين أكثر من عام واحد، لأن المغول قد أغاروا على الاسماعلية، وقتلوا ركن الدين على ضفاف نهر جيحون[2]،

وسيتم التفصيل في هذه الحادثة، في الفصل الثالث ان شاء الله.

ممّا سبق يتبين أن القوى الإسلامية كلها، عجزت على القضاء على الطائفة الاسماعلية، وقد بلغ الضعف منتهاه عندما رأينا واحدا من ملوك السلاجقة العظام يترك سياسة الجهاد ضد الاسماعلية، ويعمل على استمالتهم والتودد اليهم، وذلك خشية بأسهم وتجنبا لشرهم، والنتيجة الحتمية لهذا هي طغيان الطائفة الاسماعلية طغيانا لا حد له، بحيث أصبحت تتحكم في مصائر القوى الإسلامية، وترسم الخطط التي تتفق مع أهدافها دون حسيب ولا رقيب[3].

وأدهى وأمر من كل هذا، رأينا سلاطين السلاجقة من جهة والخلفاء العباسيين من جهة أخرى ،يتسابقون في خطب ود هذه الطائفة، ويستعينون بهما للخلاص من الأشخاص المعادين لهم، ومع أنّ هؤلاء وهؤلاء، يعلمون أن الاسماعلية هم ألد أعدائهم، وأنهم يهدفون أولا وأخيرا الى الإطاحة بهم جميعا، وبالطبع كان هذا التحالف يتم لمنفعة هذه الطائفة[4].

---

[1] الجويني، المصدر السابق، ج3، ص222، بارنارد لويس، الحشيشية، الاغتيال الطقوسي، ص254، محمد السعيد جمال الدين، دولة الاسماعلية في ايران، ط1، المطبعة العصرية، بيروت، 1999، ص 211.

[2] سميرة بن عمو، المرجع السابق، ص66

[3] الصياد، المرجع السابق، ج1، ص85

[4] المرجع نفسه، ص85

كما قامت هذه الطائفة بأعمال إجرامية ضد البلدان الإسلامية وحكامهما، الذين يخالفونهم في العقيدة، فأشاعوا بينهم الرعب والخوف، وظلموا وجاروا حتى تمنى المسلمون زوال حكمهم[1].

والخلاصة أن طائفة الاسماعلية، كانت هي الأخرى عاملا فعالا من عوامل اضعاف المسلمين، وعنصرا خطرا أدى الى زيادة التفرقة والانقسام في البلدان الإسلامية، وسار بها أخيرا الى التدهور الكامل، الأمر الذي سهّل على المغول مهمتهم عندما شرعوا في مهاجمة الدولة الخوارزمية[2].

---

[1] الخالدي، المرجع السابق، ص 54

[2] الصياد، المرجع السابق، ج1، ص85، الخالدي، المرجع السابق، ج1، ص55.

المبحث الثالث: الخلافة العباسية:

لم يكن قيام الخلافة العباسية مجرد بيعة خليفة دون آخر، أو انتقال الحكم من الامويين الى العباسيين في حكم الجماعة الإسلامية، بل يعد هذا الحدث ثورة شاملة في التاريخ الإسلامي، ومنعطفا مهما في مسيرة التطور الإسلامي، غيّر بشكل جذري المجتمع الإسلامي،وترك انطباعا في جميع نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية،وفتح أمام المسلمين من غير العرب باب الظهور في تلك النواحي[1].

كانت حدود العالم الإسلامي عندما آلت الخلافة الى بني العباس، قد شملت إقليمي جرجان وطخارستان، وجاورت حدود بلاد الترك والصين، وبلغت بلاد كشمير في الجنوب الشرقي، وبلاد النوبة في الجنوب المصري، والى ما يلي المغرب جنوبا في الصحراء وجبال القوقاز وأرمينيا في الشمال وتاخمت حدود الإمبراطورية البيزنطية، أما في الأندلس فقد جاورت حدودها جنوبي بلاد الفرنجة[2].

وقد اصطلح المؤرخون على تقسيم تاريخ الخلافة العباسية الى أربعة عصور[3]:

العصر العباسي الأول: أو دور النفوذ الفارسي (132-232هـ، 749-847م)

العصر العباسي الثاني: أو دور النفوذ التركي (232-334هـ، 846-945م)

العصر العباسي الثالث: أو دور النفوذ البويهي (334-447هـ، 945-1055م)

العصر العباسي الرابع: أو دور النفوذ السلجوقي (447- 656هـ، 1055-1258م)[4]

---

[1] طقوش محمد سهيل، تاريخ الدولة العباسية، ، ص07

[2] نفسه، ص07،08

[3] إبراهيم أيوب، التاريخ العباسي، السياسي والحضاري، ط1، الشركة العالمية للكتاب، لبنان 1989، ص26، طقوش، تاريخ الدولة العباسية، ص32

[4] نفسه، ص 32

أولا: التعريف بالعباسيين

تنسب الخلافة العباسية الى العباس بن عبد المطلب بن هاش بن مناف عم الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان العباس من أشرف سادات بني هاشم ،وهاجر الى المدينة قبيل فتح مكة، وحضر مع الرسول صلى الله عليه وسلم فتحها.[1]

ويعتبر أبو العباس بن عبد الله بن محمد المعروف بأبي العباس السفاح (132-136هـ، 750-754م) ،أول الخلفاء العباسيين، تولى الخلافة في 3 ربيع الثاني سنة (132هـ-750م) فكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وعشرين يوما.[2]

والقى أبو العباس على عادة الخلفاء لدى مبايعتهم خطبة مسجد الكوفة، أوضح فيها الهدف الذي من أجله قامت الثورة العباسية، وندّد بالأموين الذين وصفهم بمغتصبي الخلافة، ووعد الكوفيين الذين ساندوا الثورة بزيادة أعطياتهم ،ولم ينسى أن يذكرهم بأنّه السفاح المبيح والثائر المبير.[3]

كان الخليفة أبو العباس مقيما بالكوفة، ويبدو أنه أدرك وضعها الشاذ بفعل عدم تأييد سكانها للثورة العباسية، وكانوا من شيعة الخليفة علي بن أبي طالب، فانتقل منها الى مكان قريب عرف بهاشمية الكوفة، غير أنه لم يمكث فيها طويلا، وانتقل الى الأنبار شمالي الكوفة على نهر الفرات سنة (134هـ-751م) وبنى بجوارها مدينة لنفسه عرفت بهاشمية الأنبار وأقام بها حتى وفاته[4].

---

[1] عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب، العصر العباسي الأول، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 1993، ج3، ص05.

[2] المسعودي أبي الحسن بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مراجعة، كمال حسن مرعي، ط1، المكتبة العصرية، بيروت 2005، ج5، ص 210، عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص51.

[3] الطبري أبي جعفر محمد جدير، تاريخ الأمم واللوك، اعتنى به، أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، ص1473

[4] الدينوري أبي حنيفة أحمد بن داود، الأخبار الطوال، تح، محمد سعد الرافعي، ط1، مطبعة السعادة، مصر 1911، ص 356، علي بن حسن الهاشمي الخطيب، تاريخ الأنبار تح ونشر المؤسسة الإسلامية للبحوث والمعلومات، ط1، 2008، ص61، طقوش، الدولة العباسية، ص58

ويصفه ابن طباطبا في كتابه الفخري فيقول: " كان كريما حليما وقورا عاقلا كثير الحياء حسن الأخلاق، ولما بويع واستوثق له الأمر تتبع بقايا بني أمية ورجالهم، ووضع السيف فيهم".[1]

وكان على أبي العباس مواجهة تحديات، لاحت له من جهة مراكز القوة ،التي ساهمت في قيام الدولة وانتصارها على بني أمية، وكان في أوائل تلك المراكز أبو سلمة الخلال، الذي كان يدير أمور الدعوة لبني العباس في الكوفة وما جاورها ،والذي كان أنصار العباسيين يلقبونه وزير آل محمد[2]، وذلك قبل بيعة أبي العباس، وأن رجال الدعوة العباسية هم الذين أعطوه هذا اللقب، ولعلهم كانوا متأثرين بالتقاليد الفارسية[3].

ولكن فكرة الوزارة العباسية واشراك الفرس في السلطان الجديد، أدى بمرور الزمن الى تكون نظام الوزارة الحقيقي، ورسوخه كأساس للإدارة العباسية[4]،واستوزر أبو العباس أبا سلمة حفص بن سليمان الخلال وقتله، واستوزر بعده خالد بن يرمك[5].

أما ولاة أبي العباس فكانوا من العائلة المالكة، أو من كبار أنصار الدعوة، فعين أبا جعفر على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان، وداود بن علي على الحجاز واليمن واليمامة، وعبد الله بن علي على الشام، وسليمان بن علي على البصرة وتوابعها البحرين وعمان، وإسماعيل بن علي على الأهواز، وأبا مسلم الخرساني على خراسان، وأبا عون على مصر والمغرب[6].

---

[1] بن طباطبا محمد بن علي، الفخري في الأداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر لبنان، ص 151

[2] الجهشاري أبي عبد الله محمد بن عبدوس، الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقاد وآخرون، ط1، مطبعة مصطفى البابي، القاهرة، ص 87

[3] عبد العزيز الدوري، العصر العباسي الأول، دار الطليعة، لبنان، ط1، 1988، ص51

[4] نفسه، ص 51،52

[5] ابن الكازوني، ظهر الدين علي بن محمد البغدادي، مختصر التاريخ، من أوّل الزمان الى منتهى دولة بني العباس، تحقيق، مصطفى جواد، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة بغداد 1970، ص 122، ابن الطقطقا، المصدر السابق، ص 155، الجهشاري، المصدر السابق، ص 89

[6] اليعقوبي أحمد بن يعقوب بن جعفر بن رهب ابن واضح، تاريخ اليعقوبي، تح، عبد الأمير مهنا، شركة الأعلمي للمطبوعات، لبنان، ط1، 2010، ص293.

ونظم قضية العهد فعهد أبي العباس عام (136هـ- 754م) لأخيه أبي جعفر بالخلافة من بعده، ثم عيسى بن موسى بن محمد، وكتب العهد بذلك وأعطاه الى عيسى بن موسى[1].

غير أن نجاح الخليفة في ترتيب أوضاع الخلافة لم يخل دون تفجيرها عقب وفاته في عام (136هـ- 754م) اثر اصابته بالجدري[2]، تاركا لأخيه أبي جعفر المنصور العمل على توطيد دعائم الملك، غير أن التخلص من القوى النافذة التي بدأت تهز عصا الطاعة وتشق صف بني العباس[3].

بعد وفاة أبي العباس خلفه أبو جعفر المنصور (136-158هـ، 753-775م)[4] الذي يعد المؤسس الحقيقي للخلافة العباسية، ودامت خلافته اثنين وعشرين سنة، مكنته من تنفيذ مشارعيه الحربية والعمرانية، وقد واجهته الكثير من الأخطار الداخلية على رأسها عمه عبد الله بن علي[5]، الذي سجنه سنة (139هـ/ 757م) وظل سجينا حتى قتله سنة (147هـ - 761م).[6]

كما قام أبو جعفر المنصور بقتل أبي مسلم الخرساني سنة (137هـ/ 755م) قائد الثورة على الأمويين، في خراسان، وذلك راجع لعدة أسباب منها، اسرافه في قتل النفوس البريئة، منها سليمان بن كثير الخزاعي أحد شيوخ الدعوة العباسية دون استشارة الخليفة[7]، يقول المسعودي: " ... قال المنصور، وهو آخر ما كلمه به (يعني ابو مسلم): قتلني الله ان لم

---

[1] الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، القاهرة، ص 470

[2] ابن كثير، البدلية والنهاية، ج 13، ص194

[3] محمد نمر عبد الرحمان، محمد صفر الدوسري، تاريخ الدولة العباسية في العصر العباسي الأول، مركز الترجمة والتأليف والنشر، جامعة الملك فيصل 2017

[4] أبي جعفر المنصور: هو المنصور ابو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس،وأمه سلامة البربرية، ام ولد، ولد سنة50 هـ، بويع بالخلافة بعد وفاة اخيه وكان فحل بني العباس هيبة وشجاعة وحزما ورأيا وجبروتا، تولى الخلافة سنة 136هـ، وتوفي سنة 158هـ، انظر السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 200، طقوش، الدولة العباسية، ص 73.

[5] ابراهيم أيوب، المرجع السابق، ص 33،32

[6] ابن الأثير، الكامل، مج5، ص 183، طقوش، الدولة العباسية، ص49

[7] عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 21،20

أقتلك، وذكر له قتله لسليمان بن كثير ثم صفق بإحدى يديه على الأخرى، فخرج اليه قوم، فبذره عثمان بن نهيك فضربه ضربة خفيفة بالسيف، قطعت نجاد سيف أبي مسلم، وضربه شيب بن رواح فقطع رجله، واعتورته السيوف، فخلطت أجزاءه، وأتوا عليه، والمنصور يصيح اضربوا قطع الله أيديكم..."[1]

ولن تنته المشاكل بنهاية رجل كان له الفضل الأكبر في خلافة بني العباس، وقضائه على أعدائها الواحد بعد الآخر، ثم دفع في النهاية ثمن ما حققه لنفسه من مجد، فكانت نتيجة ذلك ظهور فرق دينية غريبة عن الإسلام ،وكان أصحابها يظهرون الإسلام ويبطنون ديانتهم المجوسية القديمة، اذ حينما قتل أبو مسلم الخرساني أعلنوا الثورة في وجه الخلافة العباسية لقتلها رمز حركاتهم الدينية[2].

ومن هذه الحركات، الحركة المعروفة بالمسلمية، نسبة الى أبي مسلم، التي تتوافق في مبادئها مع مبادئ "الخرمية"[3] و"المزدكية"[4] القديمة، وقد تزعمها رجل يدعى سنباذ، بدأ ثورته في نيسابور سنة (137هـ/754م) ونادى بامامة أبي مسلم وقال أنّه لم يمت، ولن يموت حتى يظهر ويملأ الأرض عدلا ورحمة ويعيد دولة المجوس ويزيل ملك العرب، لكن المنصور أرسل اليه جيشا كبيرا تمكن من هزيمته[5].

---

[1] المسعودي، مروج الذهب، ج3، ص 242،243، الطبري، المصدر السابق، ج7، ص 491

[2] ابراهيم أيوب، المرجع السابق، ص 36،37

[3] الخزمية: أو البابكية تنسب الى بابك الخزمي، وكان يقول لمن استغواه أنه إله، وأحدث في مذاهب الخزمية القتل والغصب والحروب، أنظر ابن نديم، الفهرست، ص407

[4] المزدكية: تنسبالى مزدك وهم أهل مجوس في الأصل، وأمرهم مزدك بالاختلاط والاقبال على اللذات والانعكاف على بلوغ الشهوات، انظر ابن نديم، المصدر السابق، ص407، عبد اللطيف بن علي السلطان، المزدكية هي أصل الاشتراكية، ط1974،1، ص20

[5] ابراهيم أيوب، المرجع السابق، ص 37

كما ظهرت حركة أخرى بعد مقتل أبي مسلم الخراساني، وهي حركة "الراوندية"[1] نسبة الى قرية "رواند"[2] بالقرب من أصفهان[3].

يعتقد الراونديون بتناسخ الأرواح، ويقولون بأن روح آدم حلّت في الأنبياء، الى أن تنتقل من ثم الى أبي مسلم، وأن روح الله حلّت في جعفر المنصور، وقد انتقل بعضهم من خراسان الى الهاشمية الأنبار سن 141هـ- 758م، وأخذوا يطوفون بقصر الخليفة وينادون بالمنصور بقولهم:" أنت، أنت، أي أنت ربنا" وقد حاربهم المنصور بشدة، واتخذ لنفسه من ذلك حرسا خاصا من سلاح الفرسان لحراسة القصر ليلا ونهارا.[4]

ولم يختف أنصار أبي مسلم تماما بعد القضاء على حركة سنباذ، وبالرغم من أن الخليفة العباسي نجح في القضاء على هذه الحركة، الاّ أنّه لم يتمكن من القضاء على الأفكار التي دفعت سنباذ الى الانتفاضة[5].

واذا كان الخليفة المنصور تخلص من عمه عبد الله بن علي، وأبي مسلم الخراساني، فإن خطرا أشد وأقوى منهما قد ظهر ،لأنّه يمثل حركة جماعية تتجه نحو عدم الاعتراف بحق البيت العباسي في الخلافة، وهذا الخطر هو خطر العلويين من بيت الحسن بن علي ،في حين أنّ بين الحسن بن علي الذي كان يمثله الامام جعفر الصادق آنذاك، آثر التريث ولم يشترك في الثورة ضد جعفر المنصور، وقد تزعم الثورة ضد المنصور من البيت الحسني،

---

[1] الراوندية: فئة تنتسب الى احمد بن يحى بن اسحاق الراوندي، المتوفي سنة 303هـ، وكان معتزليا ثم صار شيعيا ثم تغير الى الزيغ والالحاد، له مؤلفات تمثل ذلك الاضطراب الذي تقلب فيه، ابراهيم أيوب، نفسه، ص37

[2] رواند: مدينة بالموصل قديمة بناها رواند الأكبر بن ///// الضحاك، ومعناها الخير المضاعف، أنظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 3، ص19

[3] ابراهيم أيوب، المرجع السابق، ص 37

[4] نفسه، ص 38

[5] طقوش، الدولة العباسية، ص 55

محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب المعروف بالنفس الزكية، ومعه أخوه إبراهيم بن عبد الله[1].

واستطاع الخليفة العباسي التخلص من محمد بن عبد الله ،وذلك عندما أرسل اليه عيسى بن موسى[2]، بجيش عظيم ليقاتل محمد بن عبد الله، وبعد قتال شديد بين الفريقين قتل محمد بن عبد الله سنة 145هـ/ 762م.[3]

كما واجهت الخليفة العباسي، المنصور أخطارا داخلية، واجهته كذلك أخطار خارجية، ولعل أهمها الخطر البيزنطي الذي حاول الهجوم على "ملطية" احدى الثغور الإسلامية في الجزيرة، فهدم سورها وعاث فيها فسادا وخرابا، فما كان من المنصور الا أن أعد الجيوش لغزو البيزنطيين ورد خطرهم عن الثغور الإسلامية، سواء منها الجزيرة الفراتية أو الثغور الشامية[4]، حتى طلب الروم الصلح الى المنصور على أن يؤدوا اليه الجزية[5].

أما الأوضاع في بلاد المغرب، فإنّ عبد الرحمان بن حبيب قد استولى على السلطة في افريقية (المغرب الأدنى)، في ظل الفوضى التي ضربت العالم الإسلامي أثناء الصراع على السلطة بين الأمويين والعباسيين، واصبح القيروان متطلعا الى إقامة دولة مستقلة[6].

وحاول المنصور استرجاع الاندلس فشجع العلاء بن مغيث اليحصبي أحد وجوه باجة على الثورة ،وأمده بقوات في افريقية وولاه الأندلس سنة (146هـ/763م) ، فعبر العلاء الى الاندلس في قوة كبيرة ونزل ثغر باجة، وانضم اليه خصوم عبد الرحمان الداخل خاصة

---

[1] المسعودي، مروج الذهب، ج3، ص245، ابراهيم أيوب، المرجع السابق، ص 38

[2] عيسى بن موسى: من الولاة القادة، وهو ابن اخ السفاح، اقام بالكوفة الى أن توفي سنة 167هـ 783م، انظر اليعقوبي، المصدر السابق، مج2، ص315

[3] الطبري، تاريخ الرسل، ج7، ص 578، ابن الاثير، الكامل، مج5، ص 160

[4] ابراهيم أيوب، المرجع السابق، ص 42

[5] الطبري، تاريخ الرمل، ج8، ص46، محمد نصر عبد الرحمان، محمد صقر الدوسري، المرجع السابق، ص33

[6] طقوش، الدولة العباسية، ص 60

القهرية واليمانية، واتسعت الثورة لكن عبد الرحمان فاجأه ومزق جيشه وقتله، وبذلك انتهت أهم محاولة لاسترجاع الاندلس[1]، وأعجب المنصور بشجاعة عبد الرحمان الداخل وقال: "ان صقر قريش هو هذا الأمير الشجاع عبد الرحمان، ولقب بصقر قريش[2].

ثانيا:بناء مدينة بغداد[3]:

من أهم الأعمال التي قام بها الخليفة المنصور وتركت أثرها في مستقبل الخلافة العباسية، بناؤه مدينة بغداد، والواقع أن تاريخ هذه المدينة باعتبارها قاعدة من القواعد الإسلامية، يسير جنبا الى جنب مع قيام الخلافة العباسية وسقوطها، وقد ظل العباسيون قبل ذلك، ثلاثة عشر عاما منذ وصولهم الى الحكم، دون عاصمة لملكهم حتى بنوا بغداد.[4]

من الأسباب التي جعلت الخليفة المنصور يختار بناء مدينة بغداد هي " أنه بنى في أوائل دولتهم مدينة بنواحي الكوفة وسماها الهاشمية، ووقعت وقعة الراوندية فيها، فكره سكانها لذلك، ولمجاورة أهل الكوفة، فانه كان لا يأمنهم على نفسه ،وكانوا قد افسجدوا جنده، فخرج بنفسه يرتاد له موضعا يسكنه ويبني فيه مدينة له ولعياله ولأهله وجنده"[5]

بدأ الخليفة المنصور في بناء مدينة بغداد سنة (145هـ/762م) وأكمل بنائها سنة (146هـ/764م) وسماها مدينة السلام[6]، لأن دجلة يقال لها وادي السلام[7]، واحضر الخليفة أهل المعرفة بالبناء والعلم بالذرع والمساحة وقسمة الارضين، فمثل لهم صفتها التي في

---

[1] عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص75

[2] ابراهيم أيوب، المرجع السابق، ص 43، طقوش، الدولة العباسية، ص64

[3] بغداد: اسم فارسي معرب،"بغ": تعني البستان، و"داد": تعني اعطى، انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج1، ص 456

[4] طقوش، الدولة العباسية، ص66

[5] ابن طباطبا، المصدر السابق، ص 161، ابن الاثير الكامل، مج5، ص 165،166

[6] الخطيب البغدادي الحافظ ابي بكر احمد بن علي بن ثابت، تاريخ مدينة السلام، تح، بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي،2001، بيروت، مج1، ص 375، الدنيوري، الاخبار الطوال، تح، محمد سعيد الرافع، ط1، مطبعة السعادة، مصر،1911، ص362

[7] ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج1، ص 456، طقوش، الدولة العباسية، ص 71

نفسه، ثم أحضر الصناع من النجاريين والحرفيين والحدادين، ثم اختطها وجعلها مستديرة وقصره في وسطها[1]، وقسمت المدينة الى أربعة مناطق تسمى أرباع وذلك تحت اشراف أربعة من القواد، يسهرون على العمل الذي استمر طوال أربعة سنوات، والى جانب القصر بنى الخليفة المنصور المسجد الجامع[2]،ولما فرغ الخليفة المنصور من بناء بغداد أقطع أهل بيته وأعيان دولته قطائع من الأرض بجوار الأبواب خارج مدينته، وجعل مجمع الأسواق بالكرخ، وأمر التجار فابتنوا الحوانيت وألزمهم الغلة[3].

وبنى الخليفة العباسي أيضا مدينة الرصافة سنة (151هـ/768م) على الضفة الشرقية لنهر دجلة مقابل بغداد، فعرفت ببغداد الشرقية، وقد شيدها في الأصل لتكون مقرا للجيش الخراساني بقيادة ابنه المهدي، الا أنها تمت بسرعة وأصبحت امتدادا لبغداد[4]، "... وصار الخلفاء بعد ذلك يدفنون موتاهم بها، وبنوا بها الترب الجليلة... وكانت في أيامهم حرما اذا لجأ اليها الخائف أمن"[5]

__ثالثا:وفاة الخليفة المنصور:__

كان أبو العباس قد ولى أخاه أبو جعفر المنصور العهد من بعده ،على أن تكون الخلافة بعد المنصور الى عيسى بن موسى بن محمد، ولما تولى أبو جعفر المنصور الخلافة بعد أبي العباس، رأى أن يقدم ابنه محمد المهدي على ابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد، لهذا أخذ الخليفة المنصور يستعمل مع ابن أخيه التهديد حينا والترغيب أحيانا

---

[1] الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ص 375، ابن الاثير، الكامل، مج5، ص 177،178، ابن طباطبا، المصدر السابق، ص 163

[2] نبيلة محمد حسن، تاريخ الدولة العباسية، دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية،1993، ص 125

[3] البلاذري احمد بن يحي بن جابر ابن داود، فتوح البلدان، تح، شوقي ابو خليل، وزارة الثقافة،1997، دمشق، ص 423، طقوش، الدولة العباسية، ص72.

[4] ابراهيم أيوب، المرجع السابق، ص 45

[5] ابن طباطبا، المصدر السابق، ص 174

أخرى، حتى استجاب عيسى بن موسى وخلع نفسه منها سنة (147هـ/764م)، فصارت ولاية العهد للمهدي بن المنصور أولا ثم عيسى بن موسى من بعده[1].

توفي الخليفة المنصور ليلة السبت 6 ذي الحجة سنة (158هـ/775م) وكان يشكو من عسرا في الهضم، فخرج لأداء فريضة الحج، وعانى أثناء الطريق من الآلام الموجعة، ولم يكد يصل الى بئر ميمون، على بعد ستة أيام من مكة حتى توفي عند السحر في خيمته[2].

ويعتبر الخليفة المنصور المؤسس الحقيقي للدولة العباسية وباني مجدها وقوتها، وقد نجح في القضاء على كل الأقطار التي واجهت الخلافة، ثم تفرغ لبناء الدولة فشهد عهده تحولا نوعيا في الإدارة والتنظيم، وأسس جيشا نظاميا، وبنى عاصمة للخلافة ألا وهي بغداد[3].

وهكذا يمكن القول أن بداية تأسيس الخلافة العباسية كان موفقا الى حد كبير، وذلك بالاعتماد على العنصر العربي في الحكم والتسيير، وقد ركزنا على بداية التأسيس بالنسبة للعباسيين، لكي نفهم الحالة التي عرفتها الخلافة قبيل الغزو المغولي، خاصة النفوذ غير العربي، سواء التركي أو الفارسي، لذلك اخترنا أن يكون المبحث الثاني حالة الخلافة العباسية قبيل ظهور السلاجقة، والمبحث الثالث الخلافة العباسية بعد ظهور السلاجقة، لأنه يصعب علينا أن نتتبع كل الأحداث التاريخية أو انجازات وأعمال الخلفاء كل على حدى، لذلك سنركز على أهم العوامل التي أدت الى ضعف الخلافة العباسية، وتقهقرها ومن ثم زحف المغول عليها، واسقاطها وأهم النتائج.

[1] ابن طباطبا، المصدر السابق، ص 172، ابراهيم أيوب، المرجع السابق، ص 46

[2] المسعودي، معادن الجوهر، ج3، ص254، ابن الاثير، الكامل، مج5، ص 216، الحافظ الذهبي ،العبر،ج1،ص175،اليعقوبي،المصدر السابق،ص329،ابن طباطبا، المصدر السابق، ص 174

[3] فاروق عمر فوزي، الخلافة العباسية عصر القوة والازدهار، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع،الأردن،2009، ج1، ص 367

رابعا: الخلافة العباسية قبل العصر السلجوقي:

من الصعب أن نشرع في تصوير حال الخلافة العباسية قبيل الغزو المغولي من سنة الى أخرى، اذ أنّ ما أصاب الخلافة العباسية من ضعف كان وليد حوادث كثيرة ومتتابعة، سياسية ودينية واجتماعية، نشأت مع الخلافة منذ قيامها، لذلك يمكن التركيز على الأحداث البارزة قبل دخول السلاجقة بغداد.[1]

نشأت الخلافة العباسية نشأة فارسية، لأن الفرس سخطوا على الأمويين لعدم مساواتهم بالعرب في الحقوق السياسية ولاجتماعية، مع منافاة ذلك لمبدأ المساواة الذي أقره القرآن الكريم والسنة النبوية[2].

وخير دليل على ذلك وزارة خالد بن برمك، الذي استوزره أبو العباس السفاح ثم أبو جعفر المنصو، والبرامكة من أصل فارسي[3]، ويذكر البعض أنهم من أصل مجوسي من عبدة النار[4].

وقد بلغت أسرة البرامكة أوج عظمها في عهد الخليفة هارون الرشيد (170-193هـ ، 786-809م)، حيث قلد الرشيد يحي بن خالد بن يرمك وزارة التفويض، ومنحه سلطات مطلقة، فكانت الدواوين كلها بيده[5].

يقول الجهشياري :" ولما تقلد هارون الرشيد دعا يحي بن خالد وكان يخاطبه بالأبوة، وعلى ذلك أجراه في خلافته، فقال له: يا أبة أنت أجلستني هذا المجلس ببركة رأيك وحسن

---

[1] حافظ أحمد حمدي، الشرق الإسلامي، ص 17

[2] حسن إبراهيم حسن، علي إبراهيم حسن، النظم الإسلامية، مكتبة النهضة الإسلامية، القاهرة، ص 49

[3] ابن طباطبا، المصدر السابق، ص 156

[4] حافظ أحمد حمدي، الشرق الإسلامي، ص 18

[5] طقوش، الدولة الإسلامية، ص 97

تدبيرك وقد قلدتك أمر الرعية، وأخرجته من عنقي اليك، فاحكم بما ترى واستعمل ما شئت، واعزل ما رأيت، وأفرض ما رأيت، وأسقط ما رأيت فإني غير ناظر معك في شيء[1].

واستطاع يحيى بن خالد وبمساعدة ولديه الفضل وجعفر، ادارة دولة الخلافة العباسية مدة سبعة عشر عاما (170-187هـ/787-802م) ، محققا بذلك المشاركة الكاملة في الحكم، وتعتبر هذه الفترة فترة تألق البرامكة وعصرهم الذهبي.[2]

فالفضل هو اخو الخليفة بالرضاعة، عهد اليه الخليفة الرشيد على تربية ابنه الامين، وولاه على المشرق كله من النهروان الى أقصى بلاد الترك، حيث حقق نهضة اقتصادية وعمرانية ووطد الأمن.[3]

وجعفر كان فصيحا لبيبا فطنا، وكان الرشيد يأنس به أكثر من أنسه بأخيه الفضل، لسهولة أخلاق جعفر وشراسة أخلاق الفضل، فجعل له أمر دار الرشيد، فسمي بالوزير الصغير أيضا.[4]

وفي سنة (176هـ/792م) ولّاه الخليفة الرشيد على المغرب كله من الانبار الى افريقية،[5] وقلّده ديوان الخاتم، وفي هذا الصدد يقول ابن طباطبا: "... قال الرشيد يوما ليحيى: قد أحببت أن أنقل ديوان الخاتم من الفضل الى جعفر ،وقد استحييت من مكاتبته في هذا المعنى، فاكتب أنت اليه، فكتب يحيى الى الفضل "قد أمر أمير المؤمنين أعلى الله أمره، أن تحوّل الخاتم من يمينك الى شمالك" فأجابه الفضل "قد سمعت لما أمر به أمير المؤمنين في اخي، وما انتقلت عني نعمة صارت اليه، ولا غربت عني رتبة طلعت عليه"

---

[1] الجهشياري، المصدر السابق، ص 177

[2] طقوش، الدولة العباسية، ص 98.

[3] الجهشاوي، المصدر السابق، ص 190، 193، طقوش، الدولة العباسية، ص 98.

[4] ابن طباطبا، المصدر السابق، ص 205.

[5] الجهشاوي، المصدر السابق، ص 190، ابراهيم ايوب، المرجع السابق، ص 64.

قال جعفر، لله دَرُّ أخي ما أكيس نفسه وأظهر دلائل الفضل عليه وأقوى منه العقل، عنده وأوسع في البلاغة ذراعه".[1]

وبرز في صفوف البرامكة محمد بن خالد بن يرمك الذي تولى حجابة الرشيد ،وموسى بن يحيى بن خالد الذي ولّاه الرشيد الشام، وضم اليه مجموعة من الاجناد والمشايخ.[2]

ويبدوا أن هذا التوزيع في المناصب الكبرى في الدولة لم يكن عفويا ،والراجح أن البرامكة هدفوا الى احاطة الرشيد كي يتحكموا به ،أو يتحرك من خلالهم، كما نلاحظ أن معظم الرجال البارزين في الدولة من صنائعهم وأتباعهم، لدرجة أن الرشيد وجد صعوبة كبيرة في العثور على رجال ممن لم تكن لهم صلة بهم ليتولوا بعض شؤون الدولة.[3]

كذلك ظهر التأثير الفارسي في الحركات الدينية التي امتلأ بها العصر العباسي الأول، والتي لبست ثوبا سياسيا، وأراد بها زعماؤها القضاء على العنصر العربي، وإعادة التراث الفارسي القديم، مما شغل الخلفاء العباسيين في هذا العصر.[4]

ومن أشهر هذه الحركات، حركة الروادنة التي ظهرت في قرية رواند بالقرب من أصفهان عقب مقتل ابي مسلم الخراساني، وهي حركة مستمدة من الافكار الفلسفية القديمة التي روجها الفرس، بدافع الشعور بالقومية الفارسية، وكانوا يعملون على تحويل الخلافة الى ملك كسروي، وكان ينظر اليهم باعتبارهم زنادقة، يرون أن تعود المجوسية أو شكل من أشكالها.[5]

---

[1] ابن طباطبا، المصدر السابق، ص 205، الجهشاوي، المصدر السابق، ص 207.

[2] الطبري، تاريخ الرسل، ج8، ص251، طقوش، الدولة العباسية، ص 98.

[3] نفسه ص 99.

[4] حافظ أحمد حمدي، الشرق الاسلامي، ص 19.

[5] حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، العصر العباسي الاول في الشرق ومصر والمغرب والاندلس، ط14، دار الجيل، بيروت، متبة النهضة الغربية القاهرة، ج2، ص 89.

وفي عهد الخليفة المهدي (158-169هـ/ 775-785م)[1]، ظهرت كذلك حركة المقنع[2] الخراساني، الذي ادعى الألوهية، وكان يقول: الله خلق آدم فتحول في صورته، ثم في صورة نوح، ثم في صورة ابراهيم، ثم الى صورة واحد في واحد من الأنبياء والحكماء، ثم في صورة محمد، ثم تحول بعده في صورة علي ابن أبي طالب، ثم انتقل الى صورة أولاده حتى حصل في صورة أبي مسلم الخراساني، ثم زعم انه انتقل منه إليه، وقال: إن أنتقل في الصور لأن عبادي لا يطيقون رؤيتي في صورتي التي أنا عليها، ومن رآني احترق بنوري، وأسقط الصلاة والزكاة والحج، وأباح للناس الاموال والنساء ، كما أباح لهم تعاليم مزدك ،فعبده الناس وسجدوا له.[3]

"فأرسل الخليفة المهدي اليه جيشا، فاعتصم بقلعة هناك، وطاولوه فضجر وضجر أصحابه فطلب أكثرهم الأمان، وبقي معه نفر يسير، وهو في القلعة محاصر أضرم نارا عظيمة وأحرق جميع ما بالقلعة من دابة وثوب ومتاع، ثم جمع نساءه وأولاده وقال لأصحابه: من أحب منكم الارتفاع معي الى السماء فليلق نفسه في هذه النار، ثم ألقى فيها نفسه وأولاده ونساءه خوفا أن يظفر بجثته أو بحرمه"،[4]وهكذا قضى عليه الخليفة المهدي هو وأتباعه سنة 163هـ/ 779م.[5]

كما ظهرت فئة الزنادقة في هذه الفترة، وكان لفظ زنديق يطلق أول الأمر على كل من يتأثر بالفرس في عاداتهم ويسرف في العبث والمجون، ثم صار يطلق بعد ذلك على كل من

---

[1] الخليفة المهدي: أبو عبد الله محمد بن المنصور، وأمه أم موسى بنت منصور بن عبد الله بن ذي سهم بن ابي سرح، ولد بإيدج سنة 127هـ، بويع بالخلافة سنة 158هـ بعد وفاة أبيه، دامت فترة خلافته عشر سنين و 45 يوما توفي سنة 169هـ، أنظر السيوطي، تاريخ الخفاء، ص 210، المسعودي، مروج الذهب، ج3، ص 256، المسعودي، التنبيه والاشراف، ص 296.

[2] المقنع: لقب هاشم ابن حكيم من رجال أبي مسلم الخراساني المقربين، فارسي الاصل من مدينة مرو، ولقب بالمقنع لأنه كان يضع قناعا على وجهه موشى بالذهب ليحجب الذات الالهية، انظر: ابن الاثير، الكامل، ج5، ص 230، ابراهيم أيوب، المرجع السابق، ص 53.

[3] حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام، ج2، ص 89.

[4] ابن طباطبا، المصدر السابق، ص 180.

[5] إبراهيم أيوب ،المرجع السابق،ص53.

يتخذ عقائد المانوية شعارا له، ويتمسك بعقيدة التثنية، وعبادة الهين اثنين، ثم توسعوا في العصر العباسي، وأصبح لفظ الزندقة يطلق على من ينكر الألوهية.[1]

والحقيقة أن الزندقة حركة سياسية مغلفة بإطار فكري ديني منظم، ينادي أتباعها بنشر مذهب المانوية بكل ما يحويه من عقيدة دينية وتراث فكري، باعتباره بديلا عن التراث الاسلامي العربي، لأن الزندقة التي كانت تتستر بستار الفلسفة، إنما كانت في ناحية من نواحيها، ثورة مجوسية ترمي الى هدم الدولة الاسلامية من أساسها ،وإقامة الدول الفارسية مكانها.[2]

وتقوم هذه الحركة على إباحة المحرمات ،وأصبحت تشكل خطرا كبيرا على الدولة والدين معا،إذ أن أتباعها كانوا لا يتبعون الديانة المانوية فحسب، بل منهم من اتبع الديانة المزدكية الاباحية،[3] لذلك نجد أن الخليفة العباسي المهدي قد اهتم بالتحري عنهم والتنكيل بهم، وأنشأ ديوانا لهذه المهمة أسماه "ديوان الزنادقة"، يعهد اليه البحث عنهم في كل مكان وقتلهم ،كما أنشأ هيئة علمية لمناظرتهم وتأليف الكتب ، للرد عليهم،[4] ويصف اليعقوبي، أعمال الخليفة في هذا الصدد بقوله: "وكان المهدي قد ألح في طلب الزنادقة وقتلهم، حتى قتل خلقا كثيرا..."[5].

طغى العنصر الفارسي في المجتمع الاسلامي في العصر العباسي الأول، ولم يلبث هؤلاء أن تركوا بصماتهم واضحة في هذا المجتمع، وخاصة ما تعلق بمظاهر الترف والثراء، مثل بناء القصور وتعدد الأزياء ،وظهور ألوان فارسية جديدة من الاطعمة، هذا اضافة الى مجالس اللهو والغناء والشراب التي بالغ فيها بعض الخلفاء العباسيين، تقليدا للعادات

---

[1] طقوش، الدولة العباسية، ص 77.

[2] نفسه، ص 77.

[3] حافظ أحمد حمدي، الشرق الاسلامي، ص 20.

[4] ابراهيم أيوب، المرجع السابق، ص 53.

[5] اليعقوبي، المصدر السابق، مج2،ص 206.

الفارسية، وظهر واضحا التأثير الفارسي في ملابس الرجال كاستعمال القلانس والأقبية والسراويل والجوارب، بل تعدى ذلك الى أزياء النساء ،فأكثرن من استعمال الحلي والمجوهرات والأحزمة، وذهب العباسيون الى ابعد من ذلك بمشاركتهم الفرس في أعيادهم الخاصة،[1] كالنيروز والمهرجان،[2] وغيرها من الاعياد الفارسية القديمة.[3]

ولم تكن هذه العناصر الفارسية هي كل ما أدى إلى الاضمحلال التدريجي للخلافة العباسية، بل نجد العنصر التركي الذي بدأ نفوذه يتغلغل في جسم الخلافة، وقد لعب دورا كبيرا في هذا الشأن، ومن الغريب أن الخلفاء العباسيين قد آثروا هذا العنصر على سواه من العرب والفرس ،وكانت النتيجة أن زادت حالة الخلافة العباسية سوءا.[4]

غلب العنصر التركي على المجتمع العباسي بعدما تكاثر عددهم منذ بداية خلافة المعتصم بالله (218-227هـ/ 833-842هـ)،[5] الذي كان يحب جمع الأتراك وشرائهم من أيدي مواليهم، فاجتمع له منهم أربعة آلاف، فألبسهم أنواع الديباج والمناطق والحلية المذهبة، وميزهم بالزي عن سائر جنوده،[6]واعتمد الخليفة المعتصم على الاتراك اعتمادا كليا، وأسقط العرب من ديوان العطاء وأهمل الفرس، فقويت شوكة الاتراك وارتكبوا الكثير من أعمال الشغب في بغداد مما أثار عليهم العامة.[7]

---

[1] ابراهيم أيوب، المرجع السابق، ص 249،250.

[2] النيروز والمهرجان: عيدهم في اليوم الحادي والعشرين من كل شهر من شهور الفرس، وأصل معنى الكلمة، الراحة والفرح، أنظر، حسن ابراهيم حسن، تاريخ النظم، ص 50.

[3] نفسه، ص 50

[4] حافظ أحمد حمدي، الشرق الاسلامي، ص 20

[5] المعتصم بالله: أبو اسحاق، محمد بن الرشيد، ولد سنة (180هـ/ 796م)، أمه ام ولد من مولدات الكوفة، اسمها ماردة ،بويع بالخلافة سنة (218هـ/ 833م)، بعد وفاة الخليفة المأمون، دامت خلافته ثمان سنين، توفي سنة (227هـ/ 842م)، أنظر السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 258، الحافظ الذهبي، العبر، ج1، ص 315.

[6] المسعودي، مروج الذهب، ج4، ص 44، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 259.

[7] عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب، العصر العباسي الأول، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 1993، ج3، ص 92،93.

وقد تفاقم أمر الاتراك ببغداد في هذه الفترة، وأصبح هؤلاء يؤذون العامة بجرهم لخيولهم في الاسواق، وما ينال الضعفاء والصبيان من ذلك[1]، الأمر الذي جعل الخليفة يقوم ببناء مدينة سامراء وفي هذا الصدد يقول ابن طباطبا "... أطلبوا لي موضعا أخرج اليه وأبني فيه مدينة وأعسكر به.. وقيل أن المعتصم استكثر من المماليك، فضاقت بهم بغداد وتأذى بهم الناس، وزاحموهم في دورهم ،وتعرضوا بالنساء،... فسار المعتصم الى موضع سامراء وبناها، وذلك سنة (221هـ/ 835م)[2].

غير أن الأمر لم يقتصر على لك وحسب، بل انتقل مركز الخلافة أيضا من بغداد الى هذه المدينة، واستفحل أمر هؤلاء الاتراك حتى أصبح بأيديهم عزل وتعذيب وقتل من يعارضهم من الخلفاء، وتولية آخرين ممن يوافقون أهوائهم، وعلى هذا النحو أصبح الخلفاء العباسيون ألعوبة في أيدي الأتراك.[3]

وخير دليل على ذلك تحريض الاتراك للمنتصر ابن الخليفة المتوكل (207-247هـ/ 824-861م) [4]، على قتل أبيه ، فدخل عليه خمسة في جوف الليل وهو في مجلس لهو فقتلوه سنة (247هـ/ 861م).

شعر الخليفة المعتصم في آخر أيامه بخطر الاتراك عليه وعلى الخلافة العباسية،[5]، وعبر عن أسفه لاعتماده على هؤلاء الاتراك في هذه العابرة التي خاطب فيها أحد جلسائه فقال: "في قلبي أمرأنا مفكر فيه منذ مدة طويلة، نظرات الى أخي المأمون وقد اصطنع أربعة

---

[1] المسعودي، مروج الذهب، ج4، ص44، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 259، حافظ أحمد حمدي، الشرق الاسلامي، ص 23.

[2] ابن طباطبا، المصدر السابق، ص 231، محمد نصر عبد الرحمان، المرجع السابق، ص 132.

[3] حافظ أحمد حمدي، الشرق الاسلامي، ص 23.

[4] الخليفة المتوكل على الله: أبو الفضل جعفر بن المعتصم بالله محمد ابن الرشيد هارون العباسي، ولد سنة 207هـ/ 822م بويع بالخلافة سنة 232هـ /846م دامت خلافته 14 سنة توفي سنة 247هـ/ 861م، أنظر، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص 451، وما بعدها، الحافظ الذهبي، العبر، ج1، ص 353.

[5] حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام، ج3، ص8،ابراهيم ايوب، المرجع السابق، ص 102.

أنجبوا، واصطنعت أنا أربعة لم يفلح أحد منهم، قلت ومن الذين اصطنعهم أخوك؟ قال طاهر بن الحسين ،فقد رأيت وسمعت وعبد الله بن طاهر فهو الرجل الذي لم ير مثله، وأنت ،فأنت والله الذي لا يعتاض السلطان منك أبدا، وأخوك محمد ابن ابراهيم ،وأين مثل محمد؟ وأنا فاصطنعت الافشين، وقد رأيت ما صار امره، وأشناس ففشل رأيه، وايتاخ فلا شيء، ووصيف فلا مغنى فيه، فقلت يا أمير المؤمنين أعزك الله، نظر أخوك الى الاصول فاستعملها فأنجبت فروعها، واستعمل أمير المؤمنين فرعا فلم تنجب لا أصول لها، قال يا اسحاق لمقاساة ما مر بي في طول هذه المدة أسهل من هذا الجواب.[1]

ولما وليّ الخليفة المنتصر[2] (247-248هـ/ 861-862م) ،الخلافة حاول التصدي للنفوذ التركي بكل حزم، وصار يسب الاتراك ويقول: هؤلاء قتلة الخلفاء،[3] وقال ايضا: قتلني الله ان لم أقتلهم وأفرق جمعهم بقتلهم المتوكل على الله[4]، وتنبه الاتراك لهذا الخطر المحدق بهم فتخلصوا من الخليفة بواسطة الطيب الطيفوري الذي قصده بريشة مسمومة، فمات سنة 248هـ/ 862م، ولم تدم ولايته الا بضعة أشهر.[5]

تعاهد الاتراك على توجيه كلمتهم في عدم اختيار أحد من أولاد المتوكل خشية أن يقتلهم بدم أبيه ،واتفقوا على تنصيب أحمد بن محمد بن المعتصم ولقبوه بالمستعين، وتوزعوا المناصب الكبرى في الدولة، فقد اكتسبت الخليفة أحمد بن الخصيب، وعقد لأتماشى على مصر والمغرب ،واتخذه وزيرا كما جعل شاهك الخادم على داره وحرسه وخاص أموره.[6]

---

[1] ابن الاثير، الكامل، مج6، ص 72.

[2] المنتصر: محمد بن جعفر بن المتوكل، وأمه أم ولد رومية تسمى حبشية، بويع بالخلافة بعد قتل ابيه سنة 247هـ/ 862م، توفي سنة 248هـ/ 862م، وله ثمان وعشرون سنة من العمر، انظر، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 276، المسعودي، التنبه والاشراف، ص 314.

[3] محمد حسن العيدروس، التاريخ السياسي والحضاري للدولة العباسية، ط1، دار الحديث، 2011، القاهرة، ص 185.

[4] المسعودي، مروج الذهب، ج4، ص 109.

[5] الحافظ الذهبي، العبر، ج1، ص 356، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص 462.

[6] طقوش، تاريخ الدولة العباسية، ص 164.

ونلاحظ أن الاتراك استبدوا بالسلطة تماما بعد مقتل الخليفة المتوكل واستضعفوا الخلفاء، حتى كان الخليفة في يدهم كالأسير، ان شاءوا أبقوه وإن شاءوا خلعوه وإن شاءوا قتلوه.[1]

بدأ عهد الخليفة المستعين بالله[2](248-252هـ / 862-866م)، بحدوث اضطرابات وتطاحن على السلطة، فنشبت ثورة في سامراء باسم المعتز، واصطم العامة والاتراك[3]، واستطاع الأتراك التغلب على الأمر، وكذلك هاج أهل بغداد مطالبين باحترام الخليفة وعقدوا الاجتماعات ونادوا فيها بالنفير،لكن الاتراك أخمدوا تحركهم وفضوا اجتماعهم، والواقع فقد رغب أهل بغداد من وراء هذه الانتفاضة أن تعود مدينتهم دارا للخلافة بعد أن نقلها المعتصم الى سامراء، على أن الخليفة المستعين بالله بعد أن يئس من اعادة سلطته هرب الى بغداد سنة 251هـ/ 865م ومعه أنصاره من الاتراك ،وقد حاول قادة الاتراك اعادته الى سامراء لأن وجوده في العاصمة ضروري لكي يُكسب حكمهم الشرعي، إلا أنه رفض وعندئذ بايعوا ابن عمه المعتز بالله.[4]

وساروا لمحاصرة بغداد، حتى اقتنع المستعين بالتنازل عن الخلافة للمعتز بالله،[5] الذي أرسل له أحمد بن طولون التركي ليقتله، فقال لا والله لا أقتل أولاد الخلفاء، فندب له سعيد الحاجب الذي قتله وأخذ رأسه الى الخليفة المعتز بالله، وذلك في الثالث من شوال سنة 252هـ/ 866م.[6]

---

[1] حافظ أحمد حمدي، الشرق الاسلامي، ص 23.

[2] الخليفة المستعين: أبو العباس احمد بن المعتصم بن الرشيد وهو أخو المتوكل، ولد سنة 221هـ/ 835م، وامه ام ولد اسمها، مخارق، بويع بالخلافة سنة 248هـ/ 862م، وله ثمانية وعشرون سنة، بعد مقتل الخليفة المنتصر، دامن خلافته خمس سنوات، توفي سنة 252هـ/ 866م، أنظر، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 278.

[3] طقوش، تاريخ الدولة العباسية، ص 163.

[4] فاروق عمر فوزي، المرجع السابق، ج2، ص 27،26.

[5] سيد أمير علي، مختصر تاريخ العرب، تر، عفيف البعلبكي، دار العلم للملايين، ط1، بيروت 1961، ص 256.

[6] ابن الاثير، الكامل، مج6، ص185، ابن تغريب بردي، المصدر السابق، ج2، ص 252.

ومن مظاهر سيطرة العنصر التركي على الخلفاء العباسيين، وتحكمه في مدة خلافتهم، حيث لماواليّ الخليفة المعتز بالله[1] (252-255هـ/ 866-868م) الخلافة قعد خواصه وأحظروا المنجمين، وقالوا لهم: أنظروا كم يعيش وكم يبقى في الخلافة؟ وكان بالمجلس بعض الظرفاء، فقال: أنا أعرف من هؤلاء بمقدار عمره وخلافته فقالوا له، فكم تقول انه يعيش؟ وكم يملك؟ قال مهما أراد الأتراك فضحك من بالمجلس.[2]

ولا شك أن هذا القول كان بعيدا جدا عن المبالغة، إذ حدث بعد ذلك أن قام الاتراك بالثورة ضد المعتز بالله وطلبوا اليه بعض المال.[3] فاعتذر اليهم وقال: ليس في الخزائن شيء، فاتفقوا على خلعه وقتله، فحظروا الى بابه وأرسلوا اليه وقالوا له: أخرج إلينا، فاعتذر بأنه شرب دواء، فهجموا عليه وضربوه بالدبابيس وخرقوا قميصه وأقاموه في الشمس، فكان يرفع رجلا ويضع أخرى لشدة الحر، وكان بعضهم يلطمه وهو يتقي بيده، ثم جعلوه في بيت وسدوا بابه حتى مات ،بعد أن أشهدوا عليه أنه خلع نفسه وذلك سنة 255هـ، 868م.[4]

ولما أعيد مركز الخلافة العباسية من سامراء الى بغداد في عهد الخليفة المعتضد بالله[5] (242-288هـ/ 856-900م)، لم يتغير تيار الحوادث، فقد استمرت القوة الحقيقية في أيدي قواد الجيوش من الاتراك.[6]

---

[1] المعتز بالله: وهو الزبير بن عبد الله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد، ولد سنة 232هـ، 846م ،وأمه أم ولد رومية تسمى قبيحة، وبويع عند خلع المستعين سنة 251هـ / 865م وله تسع عشرة سنة خلع نفسه سنة 255هـ/ 868م وتوفي بنفس السنة، أنظر: المسعودي، مروج الذهب، ج4، ص 134، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 279م.

[2] ابن طباطبا، المصدر السابق، ص 243.

[3] حافظ أحمد حمدي، الشرق الاسلامي، ص 24.

[4] ابن باطبا، المصدر السابق، ص 243، ابن الاثير، الكامل، مج6، ص 200،المسعودي ،مروج الذهب،ج4،ص144،143

[5] المعتضد بالله: أبو العباس المعتضد بالله أحمد بن الموفق أبي أحمد طلحة بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد ولد سنة 242هـ/ 856م، بويع بالخلافة سنة 279هـ/ 892م وله سبع وثلاثون سنة توفي سنة 288هـ/ 900م دامت خلافته عشر سنوات، أنظر، علاء الدين مغلطاي بن فنلج بن عبد الله البكجري الحنفي، مختصر تاريخ الخلفاء، تح، آسيا كليبان على البارح، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2001م، ص 129، 130، 131، السيوطي، تاريخ الخلفاء ص 286.

[6] حافظ أحمد حمدي، الشرق الاسلامي، ص 24.

واذا كانت الخلافة العباسية قد ضاعت هيبتها وسطوتها على هذه الصورة التي رأيناها، فقد دب الانحلال والتفكك الى الدولة الاسلامية ،حيث نشأت في أنحائها المختلفة، دويلات مستقلة انفصلت عن جسم الخلافة العباسية، واستطاع بعض ذو النفوذ الديني والسياسي، أن يؤسسوا لأنفسهم في بقاع الدولة المختلفة، منتهزين فرصة ضعف الخلافة العباية في بغداد ف هذه الفترة.[1]

ففي بلاد المغرب الاسلامي، نشأة الدولة المدرارية (140-349هـ/ 757-960م) وهي دولة خارجية صفرية، نسبة الى زياد بن محمد بن الاصفر، كانت عاصمتها مدينة سلجماسنة في جنوب المغرب الاقصى،[2] والدولة الرستمية (144-296هـ/ 761-908م) وهي إمارة إباضية نسبة الى عبد الله بن اباض، قامت بالمغرب الاوسط أسسها عبد الرحمان بن رستم وهو فارسي الاصل.[3]

وظهرت دولة الادارسة الشيعية في مراكش (172-364هـ/ 788-974م) ،واتخذ حكامها مدينة فاس حاضرة لهم، وتأسست أيضا دولة الاغالبة السنية في المغرب الادنى (184-296هـ/ 800-909م) واتخذ أصحابها مدينة قيروان حاضرة لهم، وعلى أنقاض هذه الدول، تأسست الدولة الفاطمية في المغرب (279-358هـ/ 909-969م).[4]

أما في مصر فنجد الدولة الطولونية (254-292هـ/ 868-905م) مؤسسها هو أحمد بن طولون وهو من المماليك الاتراك[5]، وتلت الدولة الطولونية دولة تركية الأصل وهي الدولة الأخشدية (322-358هـ/ 935-969م) التي أسسها محمد بن طغج الأخشيد بتقليد من

---

[1] حافظ أحمد حمدي، الشرق الاسلامي ، ص 25.

[2] ابراهيم أيوب، المرجع السابق، ص 163.

[3] طقوش، تاريخ الدولة العباسية، ص 61.

[4] حافظ أحمد حمدي، الشرق الاسلامي، ص 26.

[5] طقوش، الدولة العباسية، ص195، ابراهيم أيوب، المرجع السابق، ص 176.

الخليفة الراضي[1]، واستطاع بعد ذلك أن يبسط نفوذه على سوريا وفلسطين ،ويخضع سلطانه مكة والمدينة، واستمرت مصر في أيدي الأخشيديين حتى آلت الى الفاطميين سنة 358هـ/ 969م[2].

أما في شرق العالم الاسلامي، فنجد الدولة الظاهرية (205-259هـ/ 820-872م) التي أسسها طاهر بن الحسين بخراسان،[3] وعند زوالها حلت محلها الدولة الصفارية (254-299هـ/ 867-911م) وتنسب الى يعقوب بن الليث الصفار الفارسي الأصل، امتدت أملاكها فشملت بلاد فارس، وبعض بلاد الهند بل هددت بغداد نفسها في عهد الخليفة المعتمد بالله (256-279هـ/ 870-892م).[4]

كما قامت الدولة السامانية (261-389هـ/ 874-999م) ببعض الولايات في إقليم ما وراء النهر، ويرجع نسب السامانيين الى احدى الأسر الفارسية العريقة،[5] واستطاع نصر ابن احمد الساماني وخلفاؤه من بعده أن يمدوا نفوذهم على سجستان وكرمان وجرجان والري وطبرستان، وهذا بالإضافة الى أملاكهم الرئيسية في بلاد ما وراء النهر وخراسان، واتخذ السامانيون مدينة بخارى حاضرة لهم، بل ونافست احدى مدنهم وهي سمرقند مدينة بغداد في علومها وفنونها.[6]

---

[1] الخليفة الراضي بالله، أبو العباس محمد بن المقتدر بن المعتضد بن طلحة بن المتوكل، ولد سنة 297هـ/ 909م، وأمه أم ولد رومية اسمها ظلوم، بويع بالخلافة سنة 322هـ/ 933م بعد خلع الخليفة القاهر، توفي سنة 329هـ/ 940م دامت خلافته سبع سنين، أنظر، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 301.

[2] حافظ أحمد حمدي، الشرق الاسلامي، ص 26.

[3] عطية القوصي، تاريخ الدول المستقلة في المشرق عن الخلافة العباسية، مكتبة دار النهضة العربية، 1993، ص 43.

[4] الفقي عصام عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص 32.

[5] ابراهيم أيوب، المرجع السابق، ص 146.

[6] حافظ أحمد حمدي، الشرق الاسلامي، ص 27 .

وقد نشأت دويلات أخرى في هذه الفترة في أماكن مختلفة من أراضي الدولة العباسية، كالدولة الزيدية في طبرستان (250-424هـ/ 864-1032م)، والدولة الساجية في أذربيجان (266-318/ 879-930م) أضعفت هذه الدويلات وحدة العالم الاسلامي، وجعلته معرضا للخطر الخارجي، والداخلي في نفس الوقت.[1]

وأمام هذه الأوضاع، توفر المناخ الملائم لقوة خارجية، ألا وهي البوهيين الذين تمكنوا من تكوين ملك لهم بفارس، وتمكنوا من الأهواز ذات الموقع الاستراتيجي المتميز، وصاروا بذلك يطلون عن كثب على وجه العراق الشاحب وجسد الخلافة الواهي.[2]

ظهر بنو بويه سنة (334هـ/ 447م) وهم من بلاد الديلم او بلاد جيلان التي تقع في الجنوب الغربي من شاطئ بحر الخزر "بقزوين"[3]، ونشأوا نشأة شيعية ثورية.[4]

وقد بلغ الاضطراب في بغداد في عهد الخليفة المتقي بالله[5] (329-333هـ/ 940-944م) درجة كبية، حتى أنه هرب من بغداد خوفا وطلبا للنجاة،[6] فطلب معونة الحمدانيين، ثم أخذ يتنقل شريدا بين الموصل ونصبين، بل انه طلب معونة الاخشيد صاحب مصر الذي عرض عليه أن يترك بغداد ويقيم معه في مصر[7]، ثم حضر الاخشيد الى المتقي بالله وهو

---

[1] حافظ أحمد حمدي، الشرق الاسلامي،ص27.

[2] وفاء محمد علي، الخلافة العباسية في عهد تسلط البوهيين، المكتب الجامعي الحديث، القاهرة، ص 35.

[3] عسكرية أبي علي أحمد بن محمد بن يعقوب، تجارب الامم وتعاقب الهمم، تح، سيد كسروى منى، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003م، ج1، ص 29-30.

[4] وفاء محمد علي، المرجع السابق، ص 16.

[5] الخليفة المتقي الله: هو اسحاق بن المقتدر بن المعتضد بن الموفق بن المتوكل، وامه خلوب ولد سنة (297هـ/ 909م- بويع بالخلافة سنة 329هـ/ 940م وله من العمر أربع وثلاثين سنة، توفي سنة 357هـ/ 967م دامت خلافته ثلاث سنوات، أنظر، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 304، الحنفي، المصدر السابق، ص138، المسعودي، التنبيه والاشراف، ص 344.

[6] حسن ميمنة، تاريخ الدول البويهية السياسي والاقتصادي والاجتماعي، الدار الجامعية، 1987م، ص 52

[7] حافظ أحمد حمدي، الشرق الاسلامي، ص 28

بالرقة فقال: يا أمير المؤمنين أنا عبدك وابن عبدك، وقد عرفت الاتراك وفجورهم وغدرهم فالله الله في نفسك، سر معي الى مصر فهي لك، وتأمن على نفسك، فلم يقبل الخليفة.[1]

وفي سنة 333هـ/ 944م، عاد الخليفة المتقي بالله الى بغداد، بعد أن كتب اليه توزون (وهو أمير الأمراء) يستميله، وحلف له بأغلظ الايمان أنه لا يناله مكروه من جهته، واستقبله في السندية من نهر عيسى، فلما رأى توزن الخليفة المتقي بالله قبّل الأرض، وغدر به وأوصى جماعة من أصحابه فقبضوا عليه وسمّل عينيه وخلعه.[2]

دخل أحمد بن بويه[3] بغداد سنة (334هـ/ 945م) فاستقبله الخليفة المستكفي بالله[4] (333-334هـ/ 944-945م) ولقبه بمعز الدولة، ولقب أخاه علياً عماد الدولة، ولقب أخاه الحسن ركن الدولة، وأمر أن تضرب ألقابهم وكُناهم على الدنانير والدراهم[5]،وظن الخليفة العباسي أن عهد الذلة والاستكانة قد زال، وأن عهداً رغداً قد بات ينتظر خلفاء بني العباس بقدوم البويهيين[6]، إلا أنهم كانوا على غير ذلك ،حيث أصبح بنو بويه سلاطين مطلقي التصرف في العراق، والخلفاء تحت سيطرتهم ووصايتهم، ولم يقفوا عند هذا الحد من النفوذ

---

[1] السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 305، ابن الاثير، الكامل، مج7، ص 186.

[2] ابن طباطبا، المصدر السابق، ص 284، ابن كثير، البداية والهاية، ج15، ص 155، الحافظ الذهبي، العبر، ج2، ص44،

[3] أحمد بن بويه: أبو الحسن أحمد بن بويه بن فنا خسرو بن تمام بن كوهب، وكان أبوه بويه يصطاد السمك ولد سنة 303هـ/ 915م، دخل بغداد سنة، 334هـ/ 945م، ملك بغداد احدى وعشرون سنة، توفي سنة 356هـ/ 966م، وعمره ثلاثة وخمسون سنة، مات بالإسهال، وكان من ملوك الجور والرفض، وقيل أنه رجع في مرضه على الرفض وندم على الظلم، أنظر، ابن تغري بردي، النجوم، ج4، ص16، ابن كثير، الكامل، ج15، ص 306، الحافظ الذهبي،العبر، ج2، ص 96.

[4] الخليفة المستكفي بالله: أبو القاسم عبد الله بن المكتفي بن المعتضد، أمه أملح الناس، بويع بالخلافة سنة 333هـ/ 944م، وخلع سنة 334-946م، دامت خلافته سنة وأربعة أشهر، أنظر، السيوطي، المصدر السابق، ص 306، المسعودي، مروج الذهب، ج4، ص 282.

[5] مسكويه ابي علي احمد بن محمد ابن يعقوب،تجارب الأمم وتعاقب الهمم،تح،سيدكسروي حسن،ط1،دار الكتب العلمية ،لبنان،2003م، ج1، ص33، ابن طباطبا، المصدر السابق، ص 287، ابن الاثير، الكامل، ج7، ص 206.

[6] حافظ أحمد حمدي، الشرق الاسلامي، ص 28.

والتسلط، بل تعدوا على أشخاص الخلفاء وانتقصوا من حقوقهم، لأنهم شيعة زيدية، يعتقدون أن لا حق لبني العباس في الخلافة ،وأنهم اغتصبوها من أصحابها الحقيقيين وهم أبناء البيت العلوي.[1]

حيث أن معز الدولة استشار جماعة من خواصه في اخراج الخلافة من العباسيين، والبيعة للمعز لدين الله العلوي ولغيره من العلويين، إلا أن الصميري منعه من ذلك وقال له: "ليس هذا برأي فإنك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك أنه ليس من أهل الخلافة ،ولو أمرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه، ومتى أجلست بعض العلويين خليفة ،كان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته، فلو أمرهم بقتلك لفعلوه"[2] فتراجع معز الدولة عن ذلك، لأن مثل هذا التغيير كان سيعرض العالم الإسلامي لهزات عنيفة، بالاضافة إلى زعزعة الحكم البويهي.[3]

عمل معز الدولة على إذلال الخليفة العباسي المستكفي بالله وإضعاف شأنه[4]، "حيث أنه ركب يوما إلى دار الخلافة وسلك على الخليفة المستكفي بالله وقبل الأرض بين يديه، وأمر الخليفة بكرسي فجلس عليه معز الدولة، ثم تقدم إلى المستكفي رجلان من الديلم، بمواطأة معز الدولة فمدا أيدهما نحوه فظن المستكفي أنهما يريدان تقبيل يده، فمد يده فجذباها ونكّساه في السرير ،ووضعا عمامته في عنقه وسحباه، وحمل المستكفي إلى دار معز الدولة فاعتقل فيها، وخلع من الخلافة ونهبت داره وسملت عيناه، ولم يزل في دار السلطنة معتقلا حتى توفي سنة 338هـ- 949 م".[5]

---

[1] ابراهيم أيوب، المرجع السابق، ص 132.

[2] ابن الأثير، الكامل، ج7، ص: 208، حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج3، ص 50.

[3] طقوش، الدولة العباسية، ص 224.

[4] حافظ أحمدي حمدي، الشرق الإسلامي، ص: 28.

[5] ابن طباطبا، المصدر السابق، ص 287، الحافظ الذهبي، العبر، ج2، ص 35، فاروق عمر فوزي، المرجع السابق، ج2، ص 123.

كان الحكم البويهي في معظم مراحله لعنة حلت ببلاد الخلافة العباسية، قاسى منها المسلمون، ولم يقف الأمر عند حدود الخلافات الدامية بين الشيعة والسنة التي أشعلها بني بويه بمحاولة صبغ الدولة بالصبغة الشيعية ووقوفهم موقف النصراء للشيعة، بل تجاوزه إلى أن أصبحت البلاد الإسلامية مسرحا للصراع بين أبناء بويه من أجل الخلافة والصدارة".[1]

هكذا وصل الحال بخلفاء الدولة العباسية في عصر بين بويه، وقد عجز الخلفاء عن استرداد مكانتهم وباتوا يتطلعون إلى صديق يخلصهم من هذا النير، ولم يكن ذلك الصديق سوى طغرلبك السلجوقي.[2]

خامسا: الخلافة العباسية في العصر السلجوقي

بقيام دولة السلاجقة، بزغ عصر جديد هام في تاريخ الخلافة العباسية، ولما ظهروا من الشرق مطلع القرن 11 م، كان الخليفة لا يتمتع بشيء من سلطته الحقيقية، وكانت الخلافة تعاني التفرق والإنقسام.

فالأمويون قد استتب أمرهم في الأندلس، والعبيديون في مصر وبلاد المغرب ،ولم يعد لبغداد سبيل إلا القضاء على هؤلاء جميعا، أما شمال سورية والجزيرة الفراتية فقد آل أمرها إلى أيدي زعماء من الثائرين العرب، نجح بعضهم في تأسيس دولة قوية ،ثم إن فارس وما وراء النهر قد تقاسمها بنو بويه أو امتلكها حكام مختلفون، يترقب كل منهم الفرصة للفتك بمنافسه حتى عمت الفوضى السياسية والعسكرية جميع الأنحاء، وتفاقم الخطب المذهبي بين السنة والشيعة بحث خُيل للناظر أن دولة الإسلام في طور النزع الأخير.[3]

---

[1] وفاء محمد علي، المرجع السابق، ص 105.

[2] حافظ أحمد حمدي، الشرق الإسلامي، ص 30.

[3] طقوش، الخلافة العباسية، ص237.

إستطاع طغرلبك السلجوقي أن يغامر بجيوشه حتى وصل إلى خراسان وفي سنة 429 هـ/ 1037 م وضع السلاجقة أيديهم على مرو ونيسابور من ممتلكات الدولة الغزنوية، ثم أضافوا إليها بلخ وجرجان وطبرستان وخوارزم وهمذان والري وأصفهان[1]، وفي هذه الأثناء كان المظفر أبا حرث أرسلان المعروف بالبساسيري، قد دخل بغداد ونهبها وقتل من فيها وأخرج الخليفة القائم بأمر الله[2]، وحبسه بقلعة الحديثة.[3]

فاستنجد الخليفة العباسي بالسلطان السلجوقي طغرلبك الذي دخل بغداد سنة (451 هـ/ 1059م) فهرب آل البساسيري ، فظفروا به وقتل وحمل رأسه إلى بغداد[4]، واستقر الأمر بعد ذلك للسلاجقة في بغداد.[5]

إستتب الأمر للسلاجقة في بغداد وأصبحوا يمثلون ظاهرة جديدة في حياة الخلافة العباسية، فقد إختلف موقفهم تجاه الخلافة في موقف البويهين بشكل عام، فكانوا يحترمون الخلفاء ،تدينا ينبع من عقيدتهم ونشأتهم السنية.[6]

وكان لهم فضل على العالم الإسلامي فأزالوا الدويلات الصغيرة القائمة في ذلك الوقت وأوجدوا بدلا منها عالما موحدا يأتمر بأمر حاكم واحدا.[7]

---

[1] حافظ أحمد حمدي، الشرق الإسلامي، ص 33.

[2] القائم بأمر الله: أبو جعفر عبد الله بن القادر بالله، ولد سنة (391 هـ/ 1000م-، أمه بدر الدجى، ولي الخلافة سنة (422 هـ/ 1030 م- بعد وفاة أبيه، وكان ولي عهده في حياته، ولقبه بالقائم بأمر الله، انظر السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 320.

[3] ابن طباطبا، تاريخ الخلفاء، ص 293.

[4] الحافظ الذهبي، العبر، ص: 297، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 32.

[5] حافظ أحمد حمدي، الشرق الإسلامي، ص34.

[6] طقوش، الدولة العباسية، ص 242.

[7] حافظ أحمد حمدي، الشرق الإسلامي، ص 36

ظلت العلاقات الطيبة قائمة بين الخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية ما يقارب ثمانية عشر عاما ،منذ أن أعلن طغرلبك قيام دولته في خراسان، والراجع أن الظروف السياسية، التي أحاطت بالطرفين حتمت أن تكون هذه العلاقات وثيقة.[1]

لكن سرعان ما نشب الخلاف بين الطرفين، بسبب تدخل السلاجقة في شؤون الحكم والخلافة، بل وصلت الأمور إلى إقدام السلطان السلجوقي ملكشاه إلى طرد الخليفة العباسي المقتدي بأمر الله[2] (467- 487 هـ/ 1075- 1094 م) من بغداد سنة (485 هـ- 1092م.)[3]

"فأرسل ملكشاه السلجوقي إلى الخليفة العباسي المقتدي بأمر الله يقول له: تخرج من بغداد وتسكن في أي بلد شئت، فانزعج المقتدي من ذلك وطلب منه أن يمهله شهرا فقال ملشكاه: لا ساعة واحدة، وترددت الرسل بينهما، ثم استقرت الحال بواسطة تاج الملك أبي الغنائم وزير ملكشاه، أن يؤخره عشرة أيام، فقال ملكشاه: يجوز"[4]، ولحسن حظ الخليفة توفي السلطان السلجوقي سنة (487 هـ/1094 م) قبل انتهاء أجل الأيام العشر.[5]

وليس أدل على ضعف الخليفة العباسي من أنه لما توفي السلطان السلجوقي ملكشاه، نشأ صراع بين أبنائه ،لم يستطع الخلفاء أن يتدخلوا في هذا الصراع، بل كان موقف الخليفة، موقف الرجل الضعيف الذي يشهد صراعا بين قوتين وينتظر نتيجة المعركة، حتى إذا ما قاربت على الإنتهاء ولاحت نتيجتها، انضم إلى الجانب الغالب ضد المغلوب.[6]

---

[1] طقوش، الدولة العباسية، ص: 242، طقوش، تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، ص 91.

[2] المقتدي بأمر الله، أبو القاسم عبد الله بن محمد بن القاسم بأمر الله، بويع بالخلافة سنة (467 هـ/ 4175 م- توفي مسموما سنة (487 هـ/ 1094م-، دامت خلافته تسع عشر سنة، انظر، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 324.

[3] حافظ أحمد حمدي، الشرق الإسلامي، ص 40.

[4] ابن طباطبا، المصدر السابق، ص 296.

[5] ابراهيم أيوب، المرجع السابق، ص 200.

[6] حافظ أحمد حمدي، الشرق الإسلامي، ص 40.

وخير دليل على ذلك لكا دخل بركياروق ابن ملكشاه بغداد في أواخر سنة (486 هـ- 1093 م)، أمر الخليفة المقتدي بالله بالخطبة له، ولقب ركن الدين وحمل الوزير عميد الدولة بن جهير الخلع إلى بركياروق فلبسها وعرض التقليد على الخليفة ليعلم عليه فعلم فيه.[1]

غير أن محمد بن ملكشاه لم يرض عن سلطنة أخيه بركياروق، فنشأ صراع بينهما،[2] انتهى بانتصار السلطان بركياروق[3]، وكان الخليفة العباسي يأمر بإقامة الخطبة للسلطان الذي يدخل بغداد منتصرا[4]، يقول ابن الأثير "وفي سنة 493 هـ/ 1099 م، أعيدت الخطبة للسلطان بركياروق ببغداد ...".[5]

وهذا الموقف يدل على الضعف الكبير الذي وصل إليه الخلفاء العباسيون في هذه الفترة، ولم يستغلوا الصراع والخلاف القائم بين أبناء السلطان السلجوقي ملكشاه، ولم يستغلوا فرصة ضعف الدولة السلجوقية، والتخلص من السلاجقة،إلا أن الأمور تغيرت نوعا ما بداية الخلافة المسترشد بالله[6] (512 هـ/ 1118م- 529 هـ/ 1130م) فأصبح الخلفاء العباسيون يثورون لخلافتهم التي سلبت منهم، واستغلوا فرصة ما آل إليه السلاجقة من ضعف وانحلال، وأخذوا يعملون لأنفسهم غير مبالين بما يترتب عن ذلك من نتائج، فقد حدث أن أراد الخليفة المسترشد بعد أن ولي الخلافة، أن يستعيد مجد أسلافه بعدما رآه من تعسف

---

[1] ابن الأثير، الكامل، مج 8، ص 493.

[2] كانت المعركة الأولى في سنة (493 هـ/ 1099 م) والثانية في (494 هـ/ 1100 م) والثالثة والرابعة في سنة (495 هـ/ 1101 م) والخامسة في (496 هـ/ 1102 م) أنظر: الراوندي، المصدر السابق، ص 228.

[3] الفقي عصام الدين، المرجع السابق، ص 156.

[4] حافظ أحمد حمدي، الشرق الإسلامي، ص 40.

[5] ابن الأثير، المكامل، مج 9، ص 25.

[6] الخليفة المسترشد بالله: أبو منصور بن المستظهر بالله، ولد في ربيع الأول سنة 485 هـ/ 1092 م، وأمه أم ولد، بويع بالخلافة سنة (512 هـ/ 1118 م) كان شجاعا، قتل على أيدي الباطنية سنة (529 هـ/1130 م-)، دامت مدة خلافته سبع عشر سنة، أنظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 330، الحنفي، المصدر السابق، ص 148، 149.

السلاجقة وقد أثر عنه أنه قال: "فوضنا أمورنا إلى آل سلجوق، فبغوا علينا، فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم، وكثير منهم فاسقون".[1]

فقام الخليفة بتقليص دور السلاجقة، وذلك من خلال إستقلاليته في إختيار وزرائه وحقيقة صلاحياتهم، كما تولى الخليفة قيادة الجيوش بنفسه[2]، ومنع محمود بن محمد بن ملشكاه من دخول بغداد، يقول ابن خلدون: "فسار السلطان محمود إلى العراق، فبعث إليه المسترشد بالرجوع عن البلاد لما فيها من العناء من فتنة دبيس، وبذل له المال، وأن يسير إلى العراق مرة أخرى .... لكن السلطان محمود دخل بغداد..."[3]

ويبدوا أن الانتصارات السابقة التي حققها الخليفة على دبيس بن صدفة ،هي التي شجعته على اتخاذ هذا الموقف من السلطان محمود، وبالفعل نشب القتال بين الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي، إلا أن الدائرة دارت على جند الخليفة، ونهبت دار الخلافة وانتهى الأمر بعقد الصلح بين الجانبين، وحلف السلطان محمود للخليفة المسترشد بالله.[4]

ويصف لنا ابن الجوزي، حال دار الخلافة حين تعرضت للنهب من طرف عسكر السلطان السلجوقي محمود، وفزع حريم الخليفة "فرأيتهن وأنا صبي يستشفعن ،وقد جئن صارخات وجزن على باب المخزن فدخلن دار خاتون، وضج الناس كأن الدنيا تزلزلت، فأخبر الخليفة بالحال ،فخرج من السرادق وأبو علي بن صدفة بين يديه ،وقدموا السفن في دفعة واحدة ،ودخل العسكر في السلاح وترسوا في وجوههم ،وألبسوا الملاحين السلاح ورماة النشاب من ورائهم ،ورمي العيارون أنفسهم في الماء فعبروا وعسكر السلطان مشغولين

[1] حافظ أحمد حمدي، الشرق الإسلامي، ص: 41.

[2] محمد شعبان أيوب، آخر أيام العباسيين،الخلافة العباسية منذ سيطرة السلاجقة حتى سقوط بغداد،مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة،ط1،القاهرة،2013،ج3،ص 142.

[3] ابن خلدون، العبر، ج3، ص: 623.

[4] حامد زيان غانم زيان، اليصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية زمن الحروب الصليبية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1983م، القاهرة، ص: 27.

بالنهب، قد دخل منهم دار الخلافة نحو ألف في السلاح، فلما رأو عسكر الخليفة قد عبر، وقع عليهم الذلة، فانهزموا ووقع فيهم السيف واختفوا في السراديب، فدخل عسكر الخليفة وأسروا جماعة وقتلوا جماعة من الأمراء، ونهب العوام دور أصحاب السلطان ودخلوا دار وزيره".[1]

وعند وفاة السلطان محمود سنة (525هـ/ 1130م)، نجد الخليفة المسترشد يعمل على تقوية نفسه بجمع الجيوش لإسترداد ما كان للعباسيين من نفوذ، واتخذ من الخلاف الذي قام بين أفراد البيت السلجوقي فرصة للسيطرة على العراق[2]، وفي عهد السلطان مسعود (527-547هـ/ 1132- 1152 م) قطع الخليفة المسترشد الخطبة له، وسار إلى همذان لمحاربته، غير أن الخليفة لم يلبث أن انهزم بدون قتال، ووقع جميع رجاله واسلحته في يد السلطان مسعود، ووقع أسيرا[3]، وقتل على أيدي سبعة عشرة من الباطنية، وكان ذلك سنة (529هـ/ 1130م).[4]

بعد وفاة الخليفة المسترشد وليّ ابنه الراشد[5] (529 -530 هـ/1134-1135م) الذي نقم على السلاجقة قتلهم لأبيه خاصة السلطان مسعود، وقد أظهر الراشد من الكره والبغض للسلطان مسعود، مما جعله -أي السلطان مسعود- يسير إلى بغداد ويضرب عليها الحصار [6]، وذلك سنة 530 هـ-1135م، وحاول الخليفة منعه لكنه لم يستطع ذلك، ودخل

---

[1] ابن الجوزي ،المنتظم في تاريخ الملوك والامم، ج17، ص241، محمد شعبان أيوب، المرجع السابق، ص: 144، 145.

[2] حافظ أحمد حمدي، الشرق الإسلامي، ص 41.

[3] غانم زيان، المرجع السابق، ص 28، ابراهيم أيوب، المرجع السابق، ص 200.

[4] الحافظ الذهبي، العبر، ج2، ص: 434، ابن الأثير، الكامل، مج9، ص 283، ابن كثير، المصدر السابق، ج16، ص: 303، ابن الجوزي، المصدر السابق، ج17، ص 299.

[5] الخليفة الراشد بالله: ابو جعفر منصور بن المسترشد ولد سنة (502- 1108 م)، بويع الخلافة بعد وفاة والده سنة (529هـ -1134 م) ، توفي سنة (532هـ -1137م) وعمره ثلاثون سنة، أنظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء ، ص 331، الكازوني، المصدر السابق، ص 224، الحنفي، المصدر السابق، ص149

[6] غانم زيان، المرجع السابق، ص 29

السلطان مسعود بغداد ونهب دواب الجند[1]،واستحوذ على دار الخلافة، ثمّ استخلص من نساء الخليفة وحظاياه الحلي والمصاغ والثياب للزينة.[2]

وبعد مدة وجيزة جمع الفقهاء والأعيأن والعلماء، وكتبوا محضرا فيه شهادة طائفة بما جرى من الراشد من الظلم وأخذ الأموال، وسفك الدماء وشرب الخمر واستفتو الفقهاء، فيمن فعل ذلك، هل تصح امامته، وهل اذا ثبت فسقه يجوز لسلطان الوقت أن يخعله، ويستبدل خيرا منه، فأفتو بجوار خلعه، وحكم بخلعه ابن الكرخي قاضي البلد.[3]

وكان السلطأن قد استشار الزينبي فيمن يوليه الخلافة فقال له: هناك رجل يصلح لها، فسأله عن اسمه فقال له: إن سميته أخاف أن يقتل، ولكن اذا دخلنا بغداد سميته ذلك، أبا عبد الله محمد المقتفي عمّ الراشد، فبايع له وأجلسه على كرسي الخلافة[4]،أما الراشد فأصبح ينتقل شريدا في البلاد الإسلامية، ويعمل في نفس الوقت على استعادة نفوذه،لذلك سلط عليه السلطان مسعود جماعة من الاسماعيلية، فقتلوه بمدينة اصفهأن سنة 532هـ/ 1137م[5].

ولم يكن الخليفة المقتفي لامر الله[6] (532-566هـ/1160-1170م) ،احسن حال من سابقيه، حيث أن السلطان مسعود اخذ جميع ما في دار الخلافة من دواب وأثاث، وذهب وستور وسرادق، ولم يترك في اسطبل الخلافة سوى اربعة أفراس وثمانية بغال، وقيل أنهم بايعوه على أن لا يكون عنده خيل ولا آلة سفر[1]، كما وضع السلطان يده على كل أموال

---

[1] ابن الجوزي، المنتظم،ج17 ص312

[2] ابن كثير، البداية والنهاية، ج16، ص309

[3] السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص334، غانم زيان، المرجع السابق، ص312

[4] ابن طباطبا، المصدر السابق، ص308، ابن الجوزي، المنتظم،ج17، ص312

[5] حافظ أحمد، احمد حمدي، الشرق الإسلامي، ص 44

[6] الخليفة المقتفي لأمر الله: أبو عبد الله محمد بن أحمد المستظهر بالله ،ولد في الثاني والعشرين من ربيع الأول سنة(489هـ-1195م) وامه حبشية، بويع بالخلافة بعد خلع ابن أخيه الراشد بالله، وعمره احدى واربعين سنة، توفي سنة (555هـ-1160م) أنظر: محمود شاكر، المرجع السابق، ج، ص263

[1] السيوطي ، تاريخ الخلفاء، القاهرة، ص163

الخلافة العباسية، ويصبح المتصرف في دار الضرب، وارسل وزيره إلى الخليفة المقتفي سنة (531هـ-1136م) بطلب منه مائة الف دينار[1].

فبعث اليه الخليفة المقتفي فقال:" مارأينا اعجب من امرك أنت تعلم أن المسترشد سار اليك بأمواله فجرى ما جرى، وعاد اصحابه عراة، وولي الراشد ففعل ما فعل ثم رحل،وأخذ ما بقي من الأموال، ولم يبق في الدار سوى الأثاث فأخذته جميعه، وتصرفت في دار الضرب ودار الذهب، واخذت التركات والجوالي، فمن اي وجه نقيم لك هذا المال، وما بقي الا أن نخرج من الدّار ونسلمها، فأني عاهدت الله تعالى أن لا آخذ من المسلمين حبة واحدة ظلما...."[2]

ولما توفي السلطان مسعود سنة (547هـ-1152م) ،فقدت الدولة السلجوقية في العراق ركنا كبيرا، فأصابها الوهن وأخذت بالتداعي، وعمتها الاضطرابات مما أدى الى تقلص النفوذ السلجوقي في العراق شيئا فشيئاحتى زال في النهاية[3].

وسيطر الخليفة على ما كان للشحنة في بغداد بعد هربه الى تكريت، وجمع الرجال والعساكر وأكثر التجنيد ،وأعلن أنه من تخلف من الجند ولم يحضر للديون ليدون ويجري على عادته في اقطاعه ابيح دمه وماله.[4]

وأنتهج الخليفة العباسي سياسة ضرب القوى السلجوقية بعضها ببعض للاستفادة من أنقسام البيت السلجوقي[1] ،فولى سنة(551هـ-1156م) سليمان شاه ابن محمود سلطانا على العراق "....فأحضر سليمان شاه الى دار الخليفة...وحلف للخليفة على النصح والموافقة

---

[1] ابن الجوزي، المنتظم، ج 17، ص314، حافظ أحمد حمدي، الشرق الاسلامي، ص44

[2] ابن الجوزي، االمنتظم، ج17،ص 320

[3] طقوش، الدولة العباسية، ص245

[4] على محمد الصلابي، دولة السلاجقة، وبروز مشروع اسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، دار ابن الجوزي، القاهرة، ص163

[1] طقوش، الدولة العباسية، ص245

ولزوم الطاعة ،وأنه لا يتعرض للعراق بحال، فلما حلف خطب له ببغداد ولقب القاب ابيه.."[1]، فجهز الخليفة المقتفي له جيشا واعدّ له العدّة ورشحه لتولي السلطة [2]،كما عقد الخليفة لملكشاه بولاية العهد، ثم سيرهما الى همذان لقتال السلطان محمد الثاني[3] ،ووقعت الحرب بينهم، واشتد القتال بين الفريقين وأنهزم سليمان شاه ومن معه، وتشتت عساكر الخليفة المقتفي لأمر الله[4].

ولكن بوفاة السلطان محمد السلجوقي سنة(554هـ/1159م) ازدادت أوضاع دولة السلاجقة في العراق تدهورا، وقد حاول خلفاؤه اعادة نفوذهم السابق، لكنهم جوبهوا بمعارضة الخلفاء القوية[5].

وعظم سلطأن الخليفة المقتفي ، واشتدت شوكته، واستظهرت على المخالفين واجمع على قصد الجهات المخالفة لأمره[6] ،واستطاع أن يتخلص بصورة نهائية من خطر السلاجقة الذي ظلّ جاثما على صدر ابائه واجداده مائة عام كاملة[7].

يصف ابن الأثير الخليفة المقتفي بقوله:"........وهو اوّل من استبد بالعراق منفردا عن سلطان يكون معه من أوّل ايام الديلم الى الأن، واول خليفة تمكن من الخلافة وحكم على عسكره وأصحابه، من حين تحكم المماليك على الخلفاء من عهد المستنصر الى الآن، الا أن يكون المعتضد، وكان شجاعا مقداما مباشرا للحروب بنفسه.[1]

---

[1] ابن الاثير، الكامل، مج9، ص405

[2] الراوندي، المصدر السابق، ص382

[3] طقوش الدولة العباسية ص245

[4] محمد شعبان ايّوب، المرجع السابق، ص203،204

[5] طقوش، الدولة العباسية، ص245-246

[6] السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص377

[7] محمد شعبأن ايوب، المرجع السابق، ص212

[1] ابن الاثير، الكامل، مج9، ص438

واستمر الخلفاء العباسيون في النضال للتحرر من الطوق السلجوقي حتى تحقق لهم الاستقلال التام في عهد الخليفة الناصر لدين الله [1](575-622هـ/1179-1225م) ،حيث وصلت سلطة ونفوذ الخلافة المتجددة الى الأوّج، وتلاشت السلطة السلجوقية من العراق وغربي فارس.[2]

وزالت دولة السلاجقة العظام سنة 552هـ/1157م ،بمقتل السلطان سنجر بن ملكشاه بن آلب ارسلان[3]، في حين زالت دولة سلاجقة العراق سنة(590هـ/1194م)، بمقتل السلطان طغرل على يد السلطان خوارزم شاه تكش[4] ،وهكذا زالت دولة السلاجقة نهائيا وبدأ عصر جديد من عصور الخلافة العباسية.

وقد حسب الخلفاء العباسيون أنه بزوال سلطان السلاجقة ، سيبدأ عهد جديد في حياتهم السياسية ،يتمتعون فيه باستقلالهم بعد أن زال عددهم الاكبر ،والمتمثل في آل سلجوق ولكن الخوارزمين الذين تحمسوا لازالة الدولة السلجوقية، كانو في الواقع يعملون لأنفسهم وفق خطة وضعوها منذ أن قامت دولتهم، وبدأوا يتطلعون الى فرض سيطرتهم على الخلافة العباسية، واخذو يعملون جاهدين على أن يحتلوا ما كان للسلاجقة من نفوذ سياسي في الحاضرة الاسلامية[5].

وطالب السلطان خوارزمشاه بالسلطنة، وأن يجيء هو بغداد ،ويكون الخليفة تحت يده، كما كانت ملوك السلاجقة ، فهدّم الخليفة دار السلطنة، وردّ رسول خوارزمشاه بلاجواب.[1]

---

[1]الناصر لدين الله: احمد ابو العباس بن المستضيء بامر الله، ولد سنة (553-1158م) ، وامه زمرد، بويع بالخلافة سنة (575-1179م) دامت خلافته سبعة واربعين سنة، توفي سنة622هـ-1225م، أنظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء ، ص343، ابن الكازوني، المصدر السابق، ص242

[2] طقوش، الدولة العباسية، ص246، محمد حسن العيدروس، المرجع السابق ص242

[3] الحافظ الذهبي، العبر، ج3، ص246، محمد حسن العيدروس، المرجع السابق، ص242

[4]ابن كثير، البداية والنهاية، ج16، ص664

[5] حافظ احمد حمدي،الشرق الاسلامي، ص48

[1] محمود شاكر، المرجع السابق، ج6، ص298-299، الصيّاد المرجع السابق، ص62

فأخذت العلاقة تتأزم بين الخليفة الناصرلدين الله والسلطان السلجوقي، الامر الذي دفع بالخليفة في نهاية الامر اللجوءالى اسلوب الترهيب والترغيب لأخذ بعض البلاد التي سطر عليها تكش، وهدده بأنه سيؤلب عليه المسلمين إن لم يترك ماسيطر عليه من اراضي الخلافة العباسية ويكتفي بما كن له من قبل[1].

كما عمد الخليفة العباسي الى اسلوبه السياسي المعهود، وذلك بأن حاول تمزيق جبهة السلطان تكش الداخلية ،باستمالة بعض ولاته وتأليبهم عليه، ثمّ عرج على ما هو ادهى من ذلك بأن حاول تحريض غياث الدين الغوري سلطان الدولة الغورية، لكي يهدد بلاد الخوارزميين، ويضغط عليها من جهة الشرق ،فاستجاب غياث الدين للخليفة الناصر، وعلى الرغم من أنه لم يقع صدام بين الطرفين، فإن السلطان تكش اضطر الى عدم المسير الى بغداد، وساد على اثر ذلك هدوء وسلام بين الخلافة العباسية والدولة الخوارزمية[2].

وفي سنة (596هـ/1199م) توفي السلطان تكش اثر مرض الم به وهو في طريقه الى خراسان لتوسيع رقعه بلاده، تاركا لابنه قطب الدين محمد، –الذي اتخذ لنفسه لقب ابيه وتسمى علاء الدين محمد–، دولة عريضة تضم اقليم خوارزم وبعض البلاد الخراسانية والري وغيرها من بلاد العراق العجمي[3].

واتّسم هذا السلطان بالطموح والتوسع ،فكلما وجد فرصة استغلها ، مما اوقعه في مشاكل كان في غنى عنها، كما تميزت علاقته مع الدول الاسلامية بزرع الشقاق بينهابدلا من أن يوحدها لصد خطر كبير قادم من الشرق الا وهو الخطر المغولي[1].

---

[1] اركان طه عبد، العلاقة بين الخلافة العباسية والدولة الخوارزمية في عهد الخليفة، الناصر لدين الله (575هـ-622هـ)،مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مج5، العدد 15، جامعة تكريت، 2013، ص208

[2] الصياد، المرجع السابق، ص63، اركان طه عبد، المرجع السابق، ص 13

[3]حافظ احمد محمدي، الدولة الخوارزمية، ص33

[1] اركان طه عبد، المرجع السابق، ص209

تميزت علاقة علاء الدين تكش بالخليفة العباسي الناصر لدين الله بالتقارب في نصفها الاول والتصادم في نصفها الثأني، فكأن يتبادل ارسال الغارات والهدايا بين الجأنبين اكبر دليل على التقارب.[1]

وفي سنة 614هـ/1217م استولى علاء الدين تكش على ممتلكات الدولة الخطائية والدولة الغورية ،وكامل اقليم ايران حتى خط التماس مع الخلافة العباسية[2]،فرأى السلطان علاء الدين تكش ضرورة مهاجمة بغداد عاصمة الخلافة العباسية،[3] فيصف لنا النسوي جيش السلطان بقوله".....وتسير امامه من العساكر ما عضت به البيداء، وضاقت برحبها عن ضمها الغلا..."[4]، وتمركز علاء الدين تكش بجيشه في منطقة قلعة أسد اباذ القريبة من همذان، فنزل ثلج لم يسمع بمثله، فهلكت دوابهم ومات كثير منهم، وطمع فيمن بقي بنو ترجم الاتراك ،وبنو هكار الاكراد ،فتخطفونهم فلم يرجع منهم الى الخوارزم شاه الا اليسير.[5]

ومع بداية سنة 615هـ-1218م واجه الدولة الخوارزمية، الخطر الاعظم، الاوهو ظهور المغول الذين قضواعليها وعلى الخلافة العباسية معا[6]، بسبب الصراع الذي حدث بين الخليفة الناصر لدين الله، والسلطان الخوارزمي علاء الدين محمد، ،هذا الصراع الذي بدد قوى الطرفين، واطمع المغول في البلاد الاسلامية[1].

تعاقب على حكم المسلمين في العراق خلفاء من بني العباس ،حملوا اسم الخليفة ،ولكنهم مع بداية القن السابع هجري،اصبح همهم الوحيد هو جمع المال ،وتوطيد أركان السلطان في

---

[1] محمد شعبأن ايوب، المرجع السابق، ص377

[2] نفسه، ص382

[3] عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص144

[4] السنوي ،المصدر السابق،ص64.

[5] محمد شعبان ايوب، المرجع السابق، ص387، حافظ احمد حمدي، الدولة الخوارزمية، ص 57

[6] حافظ احمد حمدي،الشرق الاسلامي،ص48

[1] اركان طه عبد، المرجع السابق،ص217

هذه الرقعة المحدودة من الارض ،ولم ينظروا نظرة صحيحة الى وظيفتهم كخلفاء،ولم يدركوا ان من مسؤوليتهم توفيرالأمان للدولة ،وتقوية الجيش ،ويحكموا في المظالم ،ويردوا الحقوق لأهلها ،ويأمروا بالمعروف وينهون عن المنكر،فأضاعوا هذه المسؤوليات[1] ،مما فتح ابواب التدخل الخارجي ،ولعل اخطر هذا التدخل هو الغزو المغولي للخلافة العباسية ،كما سيأتي معنا ف يالفصل الثالث من هذا العمل .

المبحث الرابع:الأيوبيين في مصر وبلاد الشام.

إنفصلت مصر عن الخلافة العباسية منذ ايام الطولوبين(254–292هـ/868–905م) واستطاع احمد بن طولون بعد أن استقل بمصر ، أن يستولي على البلاد الشامية سنة (264هـ/877م)، وبهذا نجد أن مصر قد استقلت بنفسها لأول مرة منذ ايام البطالمة ،بل نجد أنها حكمت سوريا لأول مرة منذ عهد الفراعنة، وقد سارت الحوادث سريعة، فزالت الدولة الطولونية ،وتلتها الدولة الأخشيدية (323–358هـ /935–969م)، فنهج محمد بن طغج الاخشيد على منوال الطولونيين، إذ وطّد نفوذه في مصر، ثم مدّ هذا النفوذ على سوريا، بل استطاع أن يوسع سلطانه حتى شمل مكة والمدينة ولم يكن هناك منافس لهذه الدولة سوى الدولة الحمدانية،اذ سيف الدولة الحمداني أن يستولي على حلب سنة (333هـ/944م) من الاخشيد[1].

وبزوال الدولة الأخشيدية، حلت محلها الدولة الفاطمية (297–567هـ/910–1171م) ،وورثت أملاكها سواء في مصر[2]، او في بلاد الشام او في مكة او المدينة، واصبح الفاطميين ينافسون بغداد ،بل طمعو في السيطرة عليها[3]،ورغم الجهود التي قام بها

---

[1] رجب محمود ابراهيم بخيت،المرجع السابق،ص53.

[1] حافظ احمد حمدي، الشرق الاسلامي، ص117

[2] سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين في شمال افريقيا ومصر وبلاد الشام، ط2، دار النقائس، 2007، ص194

[3] حافظ احمد حمدي، الشرق الاسلامي، ص117

البساسيري في خدمة الدولة الفاطمية، ونشر النفوذ الفاطمي في بغداد، إلا أنه لم يتلق من الخليفة المستنصر ما يشجعه على مواصلة القيام ببسط سلطانه على العراق، ولم يتمكن من مواجهة الجيش السلجوقي، لذلك خرج من بغداد مع جنده، وقصد الكوفة سنة

451هـ/1059م[1]

لكن الدولة الفاطمية اصابها الضعف بسبب أنتشار القحط والمجاعة في عهد الخليفة المستنصر ،كل هذا ادّى الى أنتقال الاملاك الحجازية والشامية من ايدي الفاطميين الى ايدي العباسيين وذلك بفضل قوة السلاجقة[1].

أولا: مصر في عهد الايوبيين

أ-اصل الايوبيين:

ينتسب الأيوبيون الى أيوب بن شادي من بلدة دوين[2]الواقعة عند آخر حدود اذربيجان بالقرب من تفليس بأرمينية، وجميع اهل ذلك البلد من الاكراد الروادية احد بطون الهذبانية، وهذا القبيل من اشرف الاكراد ولم يجرِ على احد منهم رِق[3].

وأنكر جماعة من ملوك بني أيوب النسب الى الأكراد وقالو :" إنما نحن عرب نزلنا الى الاكراد وتزوجنا منهم، وادعى بعضهم النسب الى بني امية"[4].

---

[1] طقوش، تاريخ الفاطميين، ص354

[1] حافظ احمد حمدي، الشرق الاسلامي، ص117-118

[2] دوين: بلدة من نواحي أرآن في آخر حدود اذربيجان بالقرب من تفليس منها من ملوك الشام بني ايوب، أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج2، ص491

[3] محمد سهيل طقوش، تاريخ الايوبيين في مصر وبلاد الشام واقليم الجزيرة، دار النقائض، ط2، 2008، بيروت،ص16

[4] ابن واصل، جمال الدين محمد، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب،تح،جمال الدين الشيال،دار الكتب والوثائق القومية ،المطبعة الأميرية ،1957ج1، ص3.

لكن صلاح الدين أنكر هذا النسب وقال:" ليس لهذا الأصل اصلاً[1] ،كما أن الملك العادل قد أنكر هذا النسب،يقول ابن واصل"لقد كذب اسماعيل ،مانحن من بني أمية أصلاً"[2]

ويذكر ابن تغري بردي أن اصل نجم الدين أيوب، واخاه اسد الدين يشركوه من دوين، وهي بلدة صغيرة في العجم، وقيل هو من الأكراد الروادية، وهو الأصح[1].

نستخلص مما تقدم، بأن الأيوبيين ليسو عربا بالدم والجنس والأصل، لكنّهم عربا باللّغة والمشاعر، وفوق ذلك كله فأنهم مسلمون ساهمو في أحداث التاريخ الاسلامي[2].

إنتقلت الاسرة الأيوبية من دوين في بداية القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، حين غادر شادي مع ابنيه نجم الدين واسد الدين يشركوه المنطقة ،الى تكريت الواقعة على الضفة اليمنى لنهر دجلة شمالي سامراء، ويبدو أن اغلب سكانها كانو من الأكراد ،حيث عينه شحنتها مجاهد الدين بهروز حاكما عليها نظرا لصلات الصداقة التي تربطها ، ولمّا توفي خلفه ابنه نجم الدين ايوب [3].

لكن أوضاع الاسرة اضطربت لأن عماد الدين زنكي اتابك الموصل تحالف مع السلطان السلجوقي مسعود، وهاجما بغداد سنة (526هـ/1131م) غير أنهما أنهزما امام قوات الخليفة المسترشد بالله (512-529هـ/1118-1135م)، وتقهر عماد الدين زنكي الى تكريت، فاستقبله حاكمها نجم الدين ايوب وقدّم له السفن لعبور نهر دجلة الى الضفة الغربية، بالإضافة الى بعض المساعدات الاخرى، وترتب على هذه المساعدة آثار بالغة

[1] ابن خلكان ، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان،مج7، ص141

[2] ابن واصل، المصدر السابق، ج1، ص4.

[1] ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج6،ص3

[2] طقوش، تاريخ الايوبيين، ص17

[3]ابن خلكأن، المصدر السابق، ج7،ص139-140، طقوش، تاريخ الايوبيين،ص17

الأهمية على مستقبل الأسرة ،لأنها اغضبت بهروزا الذي عدّ مساعدة ايوب الزنكي خروجا على السلطة في بغداد[1].

وعين نور الدين محمود نجم الدين ايوب واليا على دمشق، واسد الدين شيركوه حاكما على حمص[1]، وارتفع شأن الأخوين عند نور الدين محمود، وبلغ نجم الدين ايوب من المكانة مالم يبلغها احد، واختار نور الدين محمود اسد الدين شيركوه لتعود قواته الى مصر للإستيلاء عليها وضمّها الى بلاد الشام سنة 559هـ/1163م، وقد صحبه ابن اخيه صلاح الدين في جميع حملاته[2]، لكن هذه الحملة لم تستمر بسبب الهدنة التي عقدت بين قوات نور الدين محمود وملك بيت المقدس أموري، والتي بموجبها انسحبت قوات نور الدين من مصر، وعلى هذه النتيجة إنتهت الحملة الاولى من النزاع على مصر بين نور الدين والصليبين [3].

وفي سنة 562هـ/1167م أمر نور الدين محمود بحملة ثانية على مصر بقيادة أسد الدين شيركوه، الذي كان يتوق الى ملك مصر، وقد ضمت هذه الحملة كسابقتها يوسف ايوب، وقد سار الجيش النوري على ميمنة الفرنج عن طريق الصحراء الشرقية لنهر الاردن حماية لها من جنود القدس وحصونها، وتابع السلطان نورالدين محمود الحملة بنفسه حتى اقتربت من الحدود المصرية[4] .

وكذلك لم تنجح هذه الحملة ولم تحقق اهدافها، وعقد الصلح مع الصليبيين، وتم الاتفاق على:

---

[1] طقوش، تاريخ الايوبيين،ص18

[1] حمدي عبد المنعم محمد حسين، دراسات في تاريخ الايوبيين والمماليك، المعرفة الجامعية، القاهرة 2000م، ص9

[2] علي محمد الصلابي، صلاح الدين الايوبي،وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، ط2، دار المعرفة، بيروت،2008م، ص168، 169، طقوش، تاريخ الايوبيين، ص19

[3] عبد الله ناصح علوان، صلاح الدين الأيوبي بطل حطين ومحرر بيت المقدس، من الصليبيين(532هـ-589م)،دار السلام، ط1، ص19

[4] وفاء محمد علي، قيام الدولة اليوبية في مصر والشام، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة 1986م، ص29.

- أن يجلو شيركوه وعموري ومعه الصليبيين عن مصر.
- أن يتحمل شاور الفاطمي جميع ما غرمه شيركوه في حملته ، بالإضافة الى مبلغ خمسين الف دينار.
- أن يحصل الصليبيون على مبلغ مئة الف دينار سنويا من داخل مصر، ويتركو جماعة من مشاهير فرسانهم واعوانهم في مصر لحمايتها من قوات نور الدين محمود[1].

وقد دعا نجاح شاور هذا الى استبداده بامور البلاد، فكان يأمر بضرب الرقاب بين يديه في قاعة البستان من دار الوزارة[2].

وفي سنة564هـ/1169م ارسل نور الدين محمود حملته الثالثة الى مصر، لأن ملك بيت المقدس اموري لم يتقيد بالاتفاق الأخير مع نور الدين محمود، واتيحت الفرصة للصليبيين أن يتعرفوا على احوال البلاد الاسلامية عن قرب، ولذلك أرسلوا الى ملكهم أموري يغرونه بامتلاك مصر، ويهونون عليه فتحها قائلين له:"أن مصر لا مانع لها ولا حافظ"[3] ، فجمع أسد الدين شيركوه الجيش، وقيل كان سبعين الفا ما بين فارس وراجل، فتقهقر الصليبيين ودخل القاهرة في ربيع الاخرة[4]، "ولما قارب مصر رحل الفرنج الى بلادهم بخفي حنين خائبين مما أملوا ،و سمع نور الدين بعودتهم فسرّه ذلك، وأمر بضرب البشائر في البلاد وبث رسله في الافاق مبشرين بذلك، فإنه كان فتحا جديدا لمصر، وحفظا لبلاد الشام وغيرها [5].

---

[1] ليلى عبد الجواد اسماعيل، تاريخ الايوبيين والمماليك في مصر والشام، دار الثقافة العربية، دون ط، سنة النشر، ص17

[2] وفاء محمد علي، المرجع السابق، ص32

[3] ليلى عبد الجواد، المرجع السابق، ص18، عبد الله ناصح علوأن، تالمرجع السابق، ص206

[4] الحافظ الذهبي ، العبر، ج3، ص42

[5] ابن الاثير، الكامل، مج10، ص14

وعيّن الخليفة العاضد شيركوه وزيرا ولقبه بالملك المنصور امير الجيوش، وكتب له سجل بخط القاضي الفاضل وفي أعلاه بخط الخليفة العاضد[1]:"من عبد الله ووليه ابي محمد الامام العاضد لدين الله أمير المؤمنين الى السيد الأجل الملك المنصور سلطان الجيوش ولي الأئمة، مجبر الامة، ، اسد الدين ،كافل قضاه المسلمين..ابي الحرث شيركوه" العاضدي"هذا عهد لم يعهد لوزير بمثله ، فتقليد طوق أمانة رآك أمير المؤمنين اهلا لحملها،والحجة عليك عند الله بما اوضحه لك من مراشد سبله، فخذ كتاب امير المؤمنين بقوة ، واسحب ذيل الفخار بأن اعتزت خدمتك الى بنوة النبوة، واتخذ امير المؤمنين للفوز سبيلا ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلا"[1]

وهكذا حقق أسد الدين شيركوه أمله وأمل نور الدين محمود بامتلاك مصر، وكانت توليه العاضد الوزارة لأسد الدين شيركوه يعني أن مصر اصبحت جزءا من دولة نور الدين ، وأن جبهة الاسلام المتحدة امتدت حتى شملت وادي النيل ،وبذلك تحققت الوحدة التي دعا اليها من قبل شرف الدين مودود ومن جاء بعده، حتى توجها شيركوه بهذا الفتح العظيم[2].

ويدل تولي شيركوه الوزارة في مصر عن مدى ضعف الدولة الفاطمية، فشيركوه قائد حربي سني المذهب ، شامي وليس مصري، فضلا عن كونه رجل نور الدين محمود[3].

واستطاع اسد الدين خلال فترة توليه الوزارة الفاطمية، ورغم قصرها أن يقبض على زمام الامور في البلاد، وأن يقضي على الفوضى والاضطراب [4]، ولم تطل وزارته حيث

---

[1] وفاء محمد علي، المرجع السابق، ص38

[1] ابن واصل، المصدر السابق، ج1، ص164-165

[2] رخاء محمد علي، المرجع السابق، ص21

[3] ليلى عبد الجواد اسماعيل، المرجع السابق، ص21

[4] نفسه، ص21

توفي في الثاني والعشرين من جمادى الاخرة سنة 564هـ/1169م ،فكانت ولايته شهرين وخمسة ايام[1].

ويذكر ابن خلدون أنه لما احتضر أوصى حواشيه بهاء الدين قراقوش فقال له: الحمد لله الذي بلغنا من هذه الديار ما اردنا ، وصار اهلها راضين عنا، فلا تفارقوا سور القاهرة ولا تفرطوا في الأسطول[1].

واجتمعت الآراء بعد وفاته على توليه صلاح الدين الوزارة، وكتب له العاضد من القصر منشور الوزارة، ولقبه بالملك الناصر[2] ،رغم صغر سنه ووجود كبار القواد والشخصيات ضمن الجيش الشامي المرابط بمصر ،ولعل سبب هذا الاختيار هو توهم الخليفة الفاطمي التغلب على صلاح الدين، وأنه سيكون رهن طوعه واشارته نظرا لصغر سنه[3].

ب-صلاح الدين الايوبي واهم اعماله:

صلاح الدين يوسف بن ايوب بن شادي، ولد في قرية بقلعة تكريت سنة(532هـ-1137م) ،وكان أبوه نجم الدين أيوب واليا بها، ثم انتقل بابنه يوسف الى الموصل، وصار منها الى الشام فاعطى بعلبك[4]،فأقام بها مدة ، ونشأ يوسف وعليه لوائح السعادة، وجالس مشايخ اهل العلم، وكان يواضب على صلاة الجماعة، وصار في خدمة نور الدين محمود

---

[1] ابن كثير، البداية والنهاية ، ج16، ص438، الحافظ الذهبي،العبر، ج3،ص 43 ، حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام ، ج4، ص102، حمدي حسين، المرجع السابق، ص21-22

[1] ابن خلدون، العبر، ج5، ص331

[2] البنداري الفتح ابن على، سنا البرق الشامي،تح، فتيحة النبراوي، مكتبة الخانجي، 1979، مصر، ص43

[3] ناصح علوان، المرجع السابق، ص22

[4] بعلبك : مدينة قديمة فيها ابنية عجيبة وآثار عظيمة، بينها وبين دمشق ثلاثة ايام ، أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج1، ص453

زنكي ،فخرج مع عمه اسد شيركوه الى مصر [1] ، الذي كان يخصه بحب وثقة، فقال له :أنت من الآن عوني، هدفنا واحد ونصر الله لا يبعد ، فهو قريب من المحسنين[2].

تولى الوزارة بعد وفاته عمه أسد الدين سنة(564هـ/1168م) ،وهو في الحادية والثلاثين من عمره، وقد اختاره الخليفة العاضد لأنه كان اصغر الأمراء سنا ولعله يكون اكثر طواعية له، الا أن الملك الناصر –كما لقبه العاضد– خيب ظنّ الفاطميين، فشرع يستميل قلوب الناس اليه، كما بذل لهم من الأموال التي جمعها عمه، فمال اليه الناس واحبوه وسيطر على الجند سيطرة تامة، وكانت المهام التي أنجزها صلاح الدين في عهد نور الدين عظيمة وضخمة، واستطاع القضاء على مراكز القوة[1].

أخذ صلاح الدين الايوبي يعمل على ازالة الدولة الفاطمية نهائيا، فكان أن خطب للخليفة العباسي المستضيء سنة(567هـ–1171م) واعاد السواء شعار العباسيين دون أن يلقى معارضة ما من المصريين[2]

فاعيدت بذلك الوحدة المذهبية للعالم الاسلامي في الشرق الأنى، والوحدة السياسية في بلاد الشام و مصر، وتسلم صلاح الدين القصر الفاطمي[3]،وكان الخليفة العاضد مريضا، فلم يشأ صلاح الدين ازعاجه، فأمر رجاله أن يُنهو اليه بالأنباء، واخفى عليه اهله ذلك حتى مات يوم عاشوراء سنة(567هـ/1171م)[4] ،فامر صلاح الدين بارسال الكتب الى البلاد بوفاته، واقامة الخطبة رسميا للخليفة المستضيء بأمر الله، وبذلك يكون قد وضع نهاية

---

[1] المقريزي تقي الدين ابي العباس، احمد بن علي بن عبد القادر العبيدي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1997م، ج1،ص149

[2] محمد رجب البيومي، صلاح الدين الايوبي قاهر العدوأن الصليبي، دار القلم بيروت ،ص76

[1] الصلابي، صلاح الدين الايوبي، ص180

[2] حافظ احمد حمدي ، الشرق الاسلامي، ص122

[3] طقوش، تاريخ الايوبيين، ص37

[4] ابن تغرب بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص7

للدولة الفاطمية في مصر، لتبدأ مرحلة جديدة في تاريخها، عادت فيها البلاد الى العالم الاسلامي السني، ولتؤدي تحت قيادة الايوبيين دورا هاما في توحيد الجبهة الاسلامية، ومواجهة الصليبيين، وأنتهي دور الدولة الفاطمية السياسي في التاريخ، وتهيأ الجو لقيام الدولة الأيوبية[1].

ويمكن تقسيم عهد صلاح الدين الايوبي منذ تولي زمام الأمور في مصر، الى ثلاثة أدوار، الأول في مصر والثأني في الشام والثالث في فلسطين، فالأول هو طور الدفاع والثاني طور اعداد العدة والتاهب والثالث هو طور الهجوم، وفي هذه الادوار الثلاثة كان صلاح الدين يوجه كل جهوده للدفاع عن رغبته الصادقة في اخراج الصليبيين من بلاد الشام ،وأنشاء امبراطورية اسلامية متحدة تستطيع مجابهة الفرنجة[1].

اما عن الدور المصري (565-570هـ/1169-1174م) فنلاحظ أن صلاح الدين كان يعمل في اثنائه حسب ما تمليه مصلحته الخاصة، وبدا بتوطيد اقدامه في البلاد المصرية، وذلك بالعمل على تحصينها ضد القوى المعادية، فقضى على بقايا الفاطميين في مصر[2]،واتخذ موقف استقلالي عن نور الدين محمود وحصن نفسه منه[3]، وتجنب لقائه، وكتب اليه يعتذر باحتلال البلاد المصرية،[4] بل إن نور الدين محمود تغير على صلاح الدين واساء الظنّ به لأنه عمل على أن يؤوّل حركاته واعماله بغير ما قصده، وعزم على السير اليه ،وصلاح الدين صابر لا ينوي مقاومته[5].

[1] طقوش، الدولة الأيوبية، ص37-38

[1] حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ،ج4، ص104

[2] حافظ احمد حمدي، الشرق الاسلامي ص 123

[3] طقوش، تاريخ الفاطميين، ص520

[4] ابن الاثير، الكامل، مج10، ص36

[5] محمد فريد ابو حديد، صلاح الدين الايوبي وعصره، دار الكتب المصرية، القاهرة، 192، ص80

ومع ذلك فإن الدلائل كانت تشير الى أن صلاح الدين ظل محافظا حتى ذلك الوقت على ولائه لسيده نور الدين محمود، وظل ينفذ تعليماته بوصفه قائد قواته في مصر، لكن الذي تغير هو الظروف المحيطة بصلاح الدين، الذي اجبرته على توسيع دائرة نشاطه،وذلك بحكم توليته الوزارة المصرية، وترتب على هذا النشاط الذي قام به صلاح الدين أن بدات تتزايد اهميته وفي نفس الوقت اثار ذلك مخاوف نور الدين ،خاصة أن الدولة الفاطمية سقطت واصبح صلاح الدين الرجل الأول في مصر[1].

وقام صلاح الدين ايضا ببناء قلعة القاهرة لتكون حصنا دفاعيا ضدّ ما تحدثه نفسه بالإغارة على مصر، سواءا كان ذلك من ناحية نور الدين محمود، او من ناحية الصليبيين[2].

اما عن فتوحات صلاح الدين لبلاد النوبة [3]وبرقة واليمن، فقد كان مدفوعا ليحقق غرضين اساسيين، اولهما تحقيق سيادة المذهب السني الذي تمثله الخلافة العباسية والذي يدين له هو شخصيا بالاعتقاد، وثانيا مطاردة الشيعة وأنصارهم والقضاء عليهم خصوصا في البلاد المتخامة لمصر أو القريبة منها، اي أن فتوحاته تمت كلها في اطار الدفاع عن كيان دولته الجديدة بمصر، وترسيخ اقدامها فيها وليس البحث عن مأوى له ولإسرته[4].

أما عن الدور الثأني المعروف بالدور السوري أو الشامي(570-582هـ/1174-1186م) ،الذي يبدا بوفاة نور الدين محمود[5]، فقد ظهر صلاح الدين بمظهر اكبر حاكم

---

[1] ليلى عبد الجواد اسماعيل، المرجع السابق ص32

[2]حافظ احمد حمدي ، الشرق الاسلامي، ص123

[3] النوبة: مملكة نصرأنية عاصمتها مدينة دنقلة، تقع في اعالي النيل، وتربطها بمصر روابط متينة بشكل عام منذ الفتح الاسلامي، وتدين بالطاعة لسلطان مصر، وتؤدي له الجزية السنوية، غير أن هذه التبعية كانت اسمية في غالب الاحيان تتأثر بما تتعرض له مصر من تيارات سياسية مختلفة، أنظر: طقوش الدولة الأيوبية، ص49.

[4] عبد المنعم، محمد حسن، المرجع السابق، ص32.

[5] ابن الاثير الكامل، مج10، ص55، ابن الجوزي، المصدر السابق، ج18، ص 209.

اسلامي في الشرق الادنى[1]،فخرج سنة 470هـ-1174م باتجاه دمشق حتى ينفذ سياسته في اعادة بناء الجبهة الاسلامية ،بحيث تمتد من شمالي العراق الى بلاد الشام فمصر ، ليتمكن بعد ذلك من البدء في حركة الجهاد ضد الصليبيين،والمسلمون اشد ما يكونون قوة وتماسكا[1].

دخل صلاح الدين دمشق، فاستقبل فيها استقبالا حسنا، وقضى الليلة التي وصل فيها الى دمشق في دار ابيه المعروفة بالعقيقي، واستقر بدمشق دون أن تشق عليه عصا الطاعة، واظهر صلاح الدين ولائه للملك الصالح اسماعيل، فلم يقطع خطبته وقال" أني أنما جئت لاخدم مولاي وابن مولاي واسترد له بلاده التي اخذها ابن عمه، كما أنه جاء ليحفظ ماله من المصالح وتدبير ملكه، فهو احق بصيانة حقه"[2]

وهكذا ضمّ صلاح الدين دمشق وقلعتها، بحجة حماية الصالح اسماعيل من خطر الصليبيين، والامراء الطامعين، واسترد الاملاك التي استولى عليها سيف الدين غازي الثاني امير الموصل والجزيرة[3] ،ثم توجه صلاح الدين الى حلب وحاصرها سنة 570هـ-1174م، فقاتله أهلها اشد القتال، وركب الملك الصالح اسماعيبل وجميع اهل البلد وقال لهم " قد عرفتم احسان ابي اليكم ومحبته لكم، وسيرته فيكم وأنا يتيمكم وقد خان هذا الظالم الحاقد احسان والدي اليه، ياخذ بلادي ولايراقب الله والخلق" مما جعل الناس يلتفون حوله وينصرونه على صلاح الدين[4].

فلم يتمكن صلاح الدين من فتح حلب ، فرحل عنها الى حماه ثم الى حمص، التي حاصرها الفرنج بناء على استعانة اصحاب حلب بهم، فرحلو عنها وتمكن صلاح الدين من

---

[1] حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام، ج4، ص 104.

[1] طقوش، تاريخ الايوبيين، ص56.

[2] وفاء محمد علي، المرجع السابق، ص91

[3] طقوش، تاريخ الايوبيين، ص 56

[4] عبد المنعم محمد حسين، المرجع السابق، ص46

السيطرة على قلعة حمص التي كانت قد استعصت عليه، ثم استولى على بعلبك بعد تأمين واليها وأهله، وبذلك صار اكثر الشام بيده[1] ،وبلاد ما بين النّهرين وبعض كردستان،واستطاع صلاح الدين بعد ذلك كله أن يوجه القوى الاسلامية مجتمعة الى محاربة الصليبيين[2]

وفي الدور الثالث أو الدور الفلسطيني(582-589هـ/1186-1139م) وجه صلاح الدين كل جهوده الى الصليبيين[3] ،والتي تعتبر معركة حطين[4] الشهيرة بداية لها، وبدات عملية الاسترداد الاسلامي المنظم ،وتقليص الوجود الصليبي على ارض فلسطين،لقد كانت الامة العربية كلها قد اتحدت على هدف واحد وهو القضاء على الصليبيين، ووجد صلاح الدين تحت قيادته منطقة تمتد من النيل الى الفرات، غير المساعدات المنتظرة من العالم الاسلامي آنذاك، وقد اجتمعت عدة عوامل سيلاسية واقتصادية وعسكرية مهدت السبيل امام هذه المعركة[5].

ولعل من هذه الاسباب اعمال بعض الصليبيين الاستفزازية، حيث أن البرنس صاحب حصن الكرك الذي يشرف على طريق التجارة والحج بين مصر والشام والحجاز، علم بمرور قافلة للمسلمين بالكرك في طريقها من مصر الى الشام، وأنقضّ عليها فنهبها وقتل من افرادها وأسر، وامتنع عن اجابة صلاح الدين الى اطلاق صراحهم، فاقسم صلاح الدين أن يقتله بيده إن هو ظفر بيه[6].

أوجد هذا الحادث شيئا من الخوف بين الصليبيين، واثار التوتر في علاقاتهم مع صلاح الدين، فاسرع بوهيمون الثالث، امير أنطاكية، يعقد هدنة منفصلة معه، اما بناء على

[1] وفاء محمد علي، المرجع السابق، ص93

[2] حافظ احمد حمدي، الشرق الاسلامي، ص125

[3] حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام، ج4،ص104

[4] حطين: قرية بين ارسوف وقيسارية وبها قبر شعيب عليه السلام، ويقع مكان المعركة بين طبرية وعكا، أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج2،ص 273

[5] قاسم عبده قاسم، علي السيد علي،الايوبيون والمماليك، التاريخ السياسي والعسكري،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،القاهرة، ص58

[6] احمد مختار العبادي، في التاريخ الايوبي والمملوكي، مؤسسة شباب الجامعة، 2010، القاهرة، ص53

طلب منه او بدعوة من صلاح الدين، ليطمئن على خطوطه الخلفية، ويتفرغ للقتال في الجنوب، ووسع ريموند الثالث مدى اتفاقيته مع صلاح الدين، مضيفا اليها حماية منطقة الجليل، وبذلك يكون قد فتح الطريق لصلاح الدين للولوج بين الاردن وفلسطين[1].

وفي أول محرم سنة 583هـ الثالث عشر مارس 1187م، خرج صلاح الدين من دمشق لجهاد الصليبيين الذين حشدو جيوشهم بقيادة ثلاثة من كبار قوادهم ،وهم البرنس ارناط صاحب الكرك، وجي دي لوزنيان صاحب بيت المقدس، والكونت ريموند صاحب طرابلس[2].

وصل صلاح الدين الى راس الماء الى الشمال الغربي من حوران[3]، ثم اتجه الى بصرى[4] ليستقبل الحجاج ويحميهم من حاكم الكرك، فوصل الحجاج في اول صفر[5]، وبعد أن اطمأن صلاح الدين على سلامة الحجاج ووصول القافلة، شرع في مهاجمة الكرك، اذ علم رينولد شاتيون بوجوده في المنطقة تراجع الى حصنه، وكان صلاح الدين قد ترك ابنه الافضل نور الدين علي في راس الماء ينتظر وصول العساكر التي استدعاها للجهاد[6].

سرّح صلاح الدين عساكره في المنطقة فراحو يعيثون فيها، ثم قصد الشوبك وفعل فيها مثل ما فعل بالكرك ،وظل في الأردن شهري صفر وربيع الاول، 583هـ-1187م، وكان هدفه حصار هذه المنطقة، وتغطية للحشود التي كانت تجتمع حول ابنه الأفضل في راس الماء[7].

---

[1] طقوش، تاريخ الايوبيين، ص142،143

[2] حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص65

[3] حوران: كورة واسعة من اعمال دمشق من جهة القبلة، ذات قرى ومزارع كثيرة، أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج2، ص 317

[4] بصرى: من اعمال دمشق، وهي قصبة حوران ، نفس المصدر، ج1، ص441

[5] الاصفهاني ابي عبد الله محمد بن محمد بن حامد، الفتح القسي في الفتح القدسي،دار المنار، ط1،القاهرة ،2004،ص42

[6] طقوش، تاريخ الايوبيين، ص 143

[7] الصلابي، صلاح الدين الايوبي، ص49

اختار الصليبيون صفورية قرب عكا مكان لتجمعهم، وحملو معهم الصليب، وعندما علم صلاح الدين أن ريموند الثالث، نقد الهدنة والاتفاقية المعقودة معه، غادر الاردن مسرعا في سير متواصل الى أن وصل الى عشترا في حوارن، فاجتمع بإبنه الافضل وشاهد جيوشه البالغة اثني عشرا الفا من الفرسان[1].

دارت معركة رهيبة إنتصر فيها المسلمون إنتصارا عظيما، وهاجمت في بداية القتال قوة صليبية، بقيادة ريموند الثالث المسلمين، في محاولة للسيطرة على الممر المؤدي الى قرية حطين حيث توجد بعض ينابيع الماء والآبار، وأنفصلت عن باقي الجيش الذي كان يتبعها، وعندما وصل افرادها الى الممر وجدو أنفسهم محاصرين من جانب المسلمين، فحاولو شق طريق لهم عبر صفوف المسلمين، لكن الرماه رموهم بالنبال ،فلقي عدد كبير مصرعهم على الفور، بينما وقع آخرون في الأسر[2].

وحمل الصليبيون ريموند الثالث تبعية هذه الهزيمة، ومسؤولية هذه الكارثة التي حلت بهم، لذلك لم يجد ريموند مفرا من نقض تحالفه مع صلاح الدين وعاد الى التعاون مع بني قومه الصليبيين من جديد، وردّا على تصرف ريموند قام صلاح الدين بمهاجمة طبرية التابعة لأشيفا زوجة ريموند، واقتحم المسلمون المدينة واحرقوها، ولكنّهم لم يتمكنو من الاستيلاء على قلعتها، التي احتمت بداخلها زوجة ريموند، ثمّ قام صلاح الدين بافساد آبار طبرية حتى لا ينتفع بها الصليبيون اذ ما فكرو في المجيء اليها[3].

---

[1] ابن كثير، البداية والنهاية، ج16، ص580، طقوش، تاريخ الايوبيين، ص146

[2] نفسه، ص150

[3] ليلى عبد الجواد اسماعيل، المرجع السابق، ص59، محمد رجب البيومي، صلاح الدين الايوبي، قاهر العدوأن الصليبي، دار القلم، دمشق، احمد مختار العبادي، في التاريخ الأيوبي، ص54

وفي الرابع والعشرين من ربيع الثأني 583هـ/1187م، تحرك الجيش الصليبي الى طبرية، فلما تمّ لهم العبور للمنطقة الصحراوية ،ووصلو الى تل حطين بالقرب من طبرية، كان السير قد أنهكهم كما أن العطش قد نال منهم، فسارعوا الى الآبار القريبة، ولكنّهم وجدوا صلاح الدين قد افسدها، وبدات المعركة وهم على شدّة الجهد من التعب والعطش وحرارة الصيف، وسرعان ما احاطت بهم جيوش صلاح الدين من مختلف الجهات[1].

ويصف ابن شداد الموقف بقوله:".وتحركت الاطلاب، والتحم القتال، واشتد الامر، وذلك بأرض قرية تسمى اللوبيا، وضاق الخناق بالقوم، هذا وهم سائرون كأنما سباقون الى الموت وهم ينظرون، وقد ايقنوا بالويل والثبور، واحست أنفسهم أنهم في غد زوار القبور."[2]

وأمر صلاح الدين ابن اخيه تقي الدين عمر أن يهجم مع خيالته على الصليبيين الذين تفرقت صفوفهم، واختل نظام جيشهم، واشعل المسلمون خلال ذلك النيران فزادت من معاناتهم،واجتمع عليهم العطش وحر الزمان والنّار والدخان والسيوف ،وادى ذلك الى فرار من بقي منهم من ساحة المعركة[3].

وكأن بين الأسرى الملك جي دي لوزنيان، والبرنس ارناط وغيرهما من قادة الفرنج وأمرائهم[4]، وسيق الاسرى الى خيمة صلاح الدين، فاستقبل الملك والأمراء في لطف وبشاشة، وامر الا يتعرض الأمراء للأذى[5].

وفي يوم الاحد السادس والعشرين من ربيع الثأني 583هـ/1187 ، توجه صلاح الدين الى طبرية، وخيّم بها، وراسل الليدي اسكيف صاحبتها، فاجابته الى التسليم، وطلبت

---

[1]عبد المنعم حسين، المرجع السابق، ص67، محمد فريد ابو حديد، صلاح الدين الايوبي وعصره، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1927، ص134

[2] بهاء الدين بن شداد، النوادر السلطأنية والمحاسن اليوسفية ، او سيرة صلاح الدين ، تح جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، ط2، 1994، القاهرة، ص128

[3]طقوش، تاريخ الايوبيين، ص151

[4] عبد المنعم محمد حسين، المرجع السابق،ص68

[5] الاصفهاني، الفتح القسي، ص86، طقوش، تاريخ الايوبيين، ص152

الامأن لها ولمن معها، فأمنوا ، وسلمت القلعة بما فيها، وخرجت باموالها الى طرابلس، مركز زوجها ريموند الثالث، وولى صلاح الدين طبرية للامير صارم الدين قايماز النجمي،ثم راى صلاح الدين أن المصلحة العليا للمسلمين تتطلب التخلص من الداوية والاسبتارية، وجعل لكل من يأتيه باسير منها خمسين دينارا.[1]

وكانت هذه الموقعة بمثابة ضربة قاضية وجهت الى الصليبيين،اذ تمكن صلاح الدين من الدخول الى بيت المقدس، وتبع ذلك سلسلة من الإنتصارات الاخرى، حتى أنه لم يعد للصليبيين في مملكة بيت المقدس سوى مدينة صور، كما لم يبق لهم من المدن الهامة في الاقاليم الشمالية سوى مدينتي أنطاكيا وطرابلس[2].

وامر صلاح الدين بترميم ما دمرته الحروب من مباني القدس، واعادة تشييد المساجد والمدارس التي هدمها الصليبيون، كما وضع نظاما خاصا لإدارتها، ولما وصل الى اهل اروبا نبا سقوط بيت المقدس في ايدي المسلمين، اخذ رجال الدين يدعون الشعوب المسيحية وملوك اروبا لاعداد حرب صليبية اخرى، ولم تلبث أن تدفقت النجدات على صور، واشترك في هذه الحملة ثلاثة من اعظم ملوك اروبا شئناً، وهم فريدريك امبراطور المانيا، وفليب الثاني ملك فرنسا، وريتشارد قلب الاسد ملك انجلترا[3].

كانت دلائل الفشل قد بدات تظهر منذ رحيل زعماء هذه الحملة التي عرفت بالثالثة (585-588هـ/1189-1192م)، فأنه فضلا عن اختلاف الطرق التي سلكها هؤلاء القادة الثلاثة، فقد غرق امبراطور المأنيا[4] في اسيا الصغرى وتفرقت جيوشه، وذلك في طريقه من

---

[1] ابن الاثير الكامل، مج10، ص149، عبد المنعم محمد حسين، المرجع السابق، ص68-69

[2] حافظ احمد حمدي، الشرق الاسلامي، ص126

[3] حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام، ج4، ص107

[4] اختلفت الروايات في كيفية غرق فردريك بربروسا، فالبعض يقول أنه قفز من فوق فرسه الى الماء البارد ينعش نفسه من حرارة الجو، فجرفه تيار النّهر وغرق، والبعض قال أن فرس فردريك جمع به والقى به فجاة في الماء، وكان الابراطور مرتديا رداء الحرب وهو من المعدات الثقيلة، فلم يستطع العوم وغرق، في حين تشير غالبية المصادر العربية الى أنه نزل الى الماء ليغتسل فغرق منه لايبلغ الماء وسط الرجل وكفى الله شره، أنظر: ابن الاثير، الكامل، مج10، ص194.

طرسوس صوب اذنه و أنطاكيه[1] ،واختلف الملكان الآخران على الخطة الحربية، فعاد فيليب الى بلاده وأنفرد ريتشارد بمحاربة المسلمين [2] ،الا أن مركزه كان ضعيفا رغم ما احرزه من إنتصار، فاضطر الى طلب الصلح من صلاح الدين، وقد تم عقد هذا الصلح الذي عرف بصلح الرملة سنة (588هـ-1192م)، وفيه وضع الصليبيون ايديهم على المدن الساحلية من عكا الى يافا، كما امتلك المسلمون الاراضي الداخلية ، وسمح للمسيحيين بالحج الى بيت المقدس[3].

ولم تمض سنة واحدة على ابرام هذا الصلح حتى حقق صلاح الدين اهم اغراضه في الحياة، وهو اخراج الصليبيين من بيت المقدس واعادة وحدة المسلمين، وقد أنهكت هذه الحروب الطويلة قواته واضعفت صحته[4]، ومرض مرضا حادا بقي به ثمانية ايام، وتوفي رحمه الله ليلة الاربعاء السابع والعشرين صفر سنة 589هـ-1192م ودفن بالقلعة بداره[5]، وترك دولة واسعة الارجاء، وسبعة وعشرون ولدا وبنتا واحدة وهي مؤنسة خاتون[6].

---

[1] عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، صفحة شرقة من تاريخ الجهاد الاسلامي في العصور الوسطى، مطبعة عبد الكريم حسان ط6، القاهرة ،2010 ، ج2، ص120، حافظ احمد حمدي، الشرق الاسلامي، ص127.

[2] حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام، ج4، ص107

[3] حافظ احمد حمدي، الشرق الاسلامي، ص 127

[4] حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام، ج4، ص108

[5] ابن الاثير، الكامل، مج10، ص224، الاصفهاني، الفتح القسي، ص326-327، ابوشامة شهاب الدين عبد الرحمان بن اسماعيل ابن ابراهيم ابن عثمان المقدسي الدمشقي الشافعي،كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية،تع،ابراهيم شمس الدين،دار الكتب العلمية ،لبنان،ج4 ،ص213.

[6] طقوش، تاريخ الايوبيين، ص229

ج- الايوبيين بعد وفاة صلاح الدين589-661هـ/1193-1263م):

وما أن توفي صلاح الدين حتى تعرضت تلك الدولة للضعف والتفكك، وأن حوادث الحلف والمنازعات الداخلية بين ابناء البيت الايوبي، حول تقسيم التركة التي خلفها صلاح الدين، لتملأ معظم تاريخ الدولة الأيوبية، ويرجع ذلك الى تطبيق مبدا اعتبار الدولة ارثا خاصا يقسم أنصبة متساوية بين ابناء البيت المالك[1].

فكان ابنه الافضل نور الدين علي (589-622هـ/ 1193-1225م)، حاكما على دمشق وأواسط سوريا، وابنه العزيز عثمان (589-595هـ/ 1193-1198م) في مصر، اما ابنه الطاهر غازي(589-613هـ/ 1193-1216م) فحكم حلب، اما اخوه سيف الدين ابو بكر العادل (589-615هـ/ 1193-1218م) فحكم بلاد ما بين النّهرين وديار بكر والجزيرة، وتقاسم بقية الابناء والاخوة عددا من الإمارات[2].

وعلى الرغم من تقسيم هذه البلاد بين أفراد الأسرة الأيوبية ،فإن النزاع لم ينقطع بين هؤلاء الإخوة،ومما يدل على ذلك أن العزيز حاصر اخاه في دمشق سنة(590هـ-1193م) ورغم أن السلام ساد بين الاخوين بعد أن تدخل العادل والظاهر، الا أن النزاع لم يلبث أن قام بينهما في العام التالي، حيث طارد الافضل اخاه حتى مدينة بلبيس، ثم عقد الصلح بعد أن تدخل العادل ايضا[3].

وهنا وجد العادل أن الظروف اصبحت مهيأة لعزل الافضل علي، فاتفق مع العزيز على أن ياخذ دمشق ويسلمه له، لتكون الخطبة والسكة للعزيز[4]، وقد أنتهز العادل تلك

---

1 الصياد، المرجع السابق، ج1، ص 87

2 حافظ احمد حمدي، الشرق الاسلامي، ص127، 128، طقوش، تاريخ الايوبيين، ص230

3 ابن الاثير، الكامل، مج10، ص240-241، حافظ احمد حمدي، الشرق الاسلامي، ص128

4 ابو الفداء، المختصر، ج3، ص92، قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص86-87

الفرصة، وراى أن يجمع الشتات تحت امرته، فلم يتردد في فرض سلطانه على مصر الى جانب املائه في الشام، وهكذا لم يمض على وفاة صلاح الدين سوى سبع سنوات حتى طوى العادل معظم اولئك الابناء وحل محلهم في دولة واحدة، وقد سلك العادل في سبيل تحقيق هذا الهدف الطرق المشروعة وغير المشروعة، ولم يقدم وسيلة الا اتخذها، ما دامت توصله الى مأربه[1].

حيث أن الملك العادل احضر جماعة من الأمراء وقال لهم وهو يصف المنصور بن عبد العزيز" أنه قبيح أن اكون اتابك صبي مع الشيخوخة، والتقدم والملك ليس هو بالارث، وأنما هو لمن غلب، وأنه كان يجب أن أكون بعد اخي الناصر صلاح الدين ،غير أني تركت ذلك اكراما لأخي، ورعاية لحقه، فلما كان من الاختلاف ما قد علمتم خفت أن يخرج الملك عن يدي ويد اولاد اخي.."[2]

ومع هذا لم يستطع الملك العادل أن يسيطر على كل ما تركه صلاح الدين، بل ظلبت الدولة منقسمة الى سبعة اقسام رئيسية[3] ، استقل بعضها استقلالا تاما عن مصر وخضع لها البعض الاخر خضوعا اسميا، وكثيرا ما كان النزاع يحتدم بين حكام هذه البلاد، فيستعين الواحد منهم بالآخر عدو ثالث، بل وصل الامر الى إستعانة بعضهم بالصليبيين على اعدائهم من الايوبيين[4].

وكان من ذلك تجدد الحملات الصليبية على الدولة الأيوبية وولاياتها الاسلامية في بلاد الشام، ولم يعد الايوبيون يقاومون الصليبيين، ففي سنة598هـ-1202م أنطلقت الحملة

---

[1] الصياد المرجع السابق، ج1، ص 87-88

[2] المقريزي، السلوك، ج1، ص264

[3] هي مصر ودمشق وحلب وبلاد مابين النّهرين وحماه وحمص وبلاد العرب، وكأنت دمشق منذ وفاة العادل تخضع خضوعا اسميا لمصر وكذلك كأن الحال بالنسبة لبلاد ما بين النّهرين اذ كأن حكامها من ابناء العادل اما حلب وحماه وبلاد العرب فكأنت مستقلة تماما. أنظر: حافظ احمد حمدي، الشرق الاسلامي، ص130

[4] الصياد ، المرجع السابق، ج1، ص88، حافظ احمد حمدي، الشرق الاسلامي، ص130

الصليبية الرابعة للسيطرة على مصر واسترجاع بيت المقدس[1]، وخرج العادل للقاء الصليبيين وايقاف زحفهم، فاختارو أن يتريثوا وينتظرو حتلى يصل المدد، الا أن الصليبيين اختاروا الاتجاه نحو القسطنطينية عاصم البيزنطيين، لذلك تمّ عقد صلح بين المسلمين والصليبيين سنة1202[1]م، ثم جاءت الحملة الصليبية الخامسة، نتيجة لنداء البابا ونداءات امبراطور القسطنطينية المتكررة ، فلبى الدعوة ملوك هنغاريا والنمسا وقبرص وارمينية، كما اشترك فيها عدد من الشبان المتحمسين من فرنسا والمانيا، لذلك سميت حملاتهم بحملات الأطفال، وقد أسر كثير من هؤلاء الشبان، وبيعو في اسواق النحاسة في البلدان المختلفة ومن بينها مصر[2].

وكان من الطبيعي أن يغتنم الصليبيون الفرص ويحاولوا الاستلاء على مصر التي كانت بمثابة القلب لدولة المسلمين في ذلك الوقت، اذ كانت الفكرة السائدة في اوروبا المسيحية منذ اواسط القرن الثاني عشر الميلادي، أنه ما دامت مصر باقية على ماهي عليه من القوة والبأس، فأن مشاريع الصليبيين في الشام فاشلة على محالة ، ولابد من حرمان الجبهة الاسلامية من تلك القاعدة الحربية الهامة[3] ،ولكن كل محاولاتهم باءت بالفشل الذريع، اما في الشام فقد استطاعوا أن يقتطعوا بعض الأجزاء من هذا الاقليم، وان ينتزعوا بيت المقدس من المسلمين، نتيجة التنافس والنزاع الذي كان يسود بيت الاسرة الأيوبية[4].

وهكذا نرى ان مصر وبلاد الشام كانتا في الفترة السابقة للغزو المغولي في حالة ضعف شديدة[5] ،نتيجة لانحلال هذا الجزء من العالم الاسلامي وانقسام زعمائه على انفسهم،

---

[1]- قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص89، عبد المنعم محمد حسين، ص100

[1] ليلى عبد الجواد اسماعيل، المرجع السابق، ص77

[2]حافظ احمد حمدي الشرق الاسلامي، ص131، عبد المنعم محمد حسين، المرجع السابق، ص103

[3] Lane poole .Stanley:History of Egypt in the middle ages ,London1925. p218

[4] الصياد، المرجع السابق، ج1، ص89

[5] حافظ احمد حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ص124

رغم هذه الفترات القصيرة التي كانت تبدو فيها مصر ومعها بلاد الشام متماسكة، وقد زاد هذا الانحلال ما احدثه الصليبيون من تأثير سياسي واقتصادي في هذا المسرح التاريخي،

وجعله يشارك بلاد العراق وفارس فيما اصابهما من انحلال نتيجة للعوامل السابقة، فلم يستطع حكام مصر والبلاد الشامية ان يوحدوا كلمتهم، بحيث يستطيعون ان يقفوا الى جانب الخوارزميين ثم الى جانب الخلافة العباسية في بغداد عندما همّ المغول باحتياج هاتين القوتين الواحدة تلوى الاخرى[1].

بعد أن حكم الإسلام مناطق شتى حتى وصل ماوراء النهر ،وعاشت مشارق الدولة الإسلامية أزهى عصورها ،بدأ الضعف والانحلال والفساد ينسج خيوطه في ثوب الخلافة الإسلامية بداية من 232هـ/847م،عهد الخليفة المتوكل العباسي وما تلاه من خلفاء ضعاف ،فتحولت الأمور من سيئ الى أسوء ،ومردود ذلك الى حياة اللهو التى عاشها الخلفاء.[2]

فلم يوجد بآسيا الإسلامية قوة تستطيع مواجهة الغزو المغولي،فالخلافة العباسية سائرة الى الإضمحلال،ودولة السلاجقة في بغداد تبدو كأنها أثر بعد عين،أما في غرب بغداد ، فتوجد دولة سلاجقة الروم بآسيا الصغرى،وهي الأخرى آخذة في الضعف والتدهو،ثم الدولة المملوكية الناشئة بمصر والشام ولم تبلغ من العمر سوى بضع سنين،وكيانها لايزل في كفة الميزان،وأخطار حداثتها لاتزال محدقة بها من كل جانب داخلي وخارجي.[3]

وأصبحت حالة القوى الإسلامية تنذر بالسقوط،وإمكانية السيطرة عليها من أية قوة خارجية وشيكة الحدوث،لتفرغ قوى الإسلام للتصارع على أتفه الأسباب،رغم أنهم يمتلكون أخصب أقاليم الأرض وأكثرها خيرا،فغلب عليهم الضعف والتخاذل ،وسادت الفتن والدسائس ،وسيطر

---

[1] حافظ احمد حمدي، الشرق الاسلامي، ص133،134

[2] ابراهيم محمدعلى مرجونة،المرجع السابق،ص 89،88.

[3] العبادي،في التاريخ الأيوبي والمملوكي،ص137.

على الحكام المسلمين التنازع والتخاصم، وأصبحوا يؤثرون مصالحهم الشخصية على مصالح رعيتهم وشؤون بلادهم[1].

[1] ابراهيم محمدعلى مرجونة،المرجع السابق،ص 89.

الفصل الثالث

الفصل الثالث:حروب المغول ضد العالم الإسلامي

المبحث الأول:سقوط الدولة الخوارزمية

أولاً:العلاقات المغولية الخوارزمية

ثانيا:حملات جنكيزخان على الدولة الخوارزمية.

1- الهجوم على منطقة ماوراء النهر
2- الاستيلاء على مدينة أترار
3- سقوط مدينة جند
4- الاستيلاء على بناكت و خجند
5- فتح بخارى
6- فتح سمرقند

ثالثا:المغول والسلطان محمد خوارزمشاه

1- عبور المغول نهر جيحون وتعقب السلطان محمد خوارزمشاه
2- نهاية السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه
3- الاستيلاء على اقليم خوارزم
4- سقوط اقليم خراسان
5- الاستيلاء على مرو
6- تدمير مدينة نيسابور
7- الاستيلاء على هراة

رابعا:المغول والسلطان جلال الدين منكبرتي

1- استيلاء المغول على اقليم غزنة
2- السلطان جلال الدين منكبرتي في الهند
3- اتجاه السلطان جلال الدين منكبرتي الى كرمان
4- نهاية السلطان جلال الدين منكبرتي.

خامسا:سقوط الدولة الخوارزمية ،وتوسع المغول..

المبحث الثاني:القضاء على طائفة الإسماعيلية.

أولا:حملة هولاكو على ايران ،والقضاء على طائفة الاسماعيلية

ثانيا:أسباب مهاجمة المغول لطائفة الاسماعيلية.

ثالثا:هولاكو يقضي على طائفة الاسماعيلية.

المبحث الثالث:سقوط الخلافة العباسية

أولا:أوضاع الخلافة العباسية عشية الغزوالمغولي.

ثانيا:حملة هولاكوعلى بغداد

ثالثا :سقوط بغداد

رابعا :نتائج سقوط بغداد

المبحث الأول: المغول والدولة الخوارزمية:

أولا: العلاقات المغولية الخوارزمية:

بعد أن جاورت املاك الدولة الخوارزمية أراضي المغول ، في هذا الوقت الذي كانت فيه القوة غير متكافئة، والظروف التي تعيشها الدولتين مختلفة، فقد خرج جنكيزخان بالفتح بعد ان نظّم دولته وحدد قوانينها وعرفها ، وكانت قوى السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه مشتتة في اتجاهات كثيرة، وكان ميالا للسلطة والسيطرة ، واضافة الممتلكات وتأسيس امبراطورية على حساب القوى الاسلامية وغير الاسلامية[1].

قد عمل جنكيزخان على توطيد علاقته بالدولة الخوارزمية، وذلك بعقد معاهدة تجارية تكون الصلة بينه وبين الاتراك الخوارزميين، ويستطيع من خلالها معرفة احوالها ويكون على صلة برجالها، ففي سنة 615هـ-1218م استقبل علاء الدين محمد خوارزمشاه ثلاثة من التجار هم رسل جنكيزخان، وهم محمود الخوارزمي، وعلي خوجة البخاري، ويوسف كنب الاتراري،[2] مصحوبين بثروات الترك من المعادن، وكانت الرسالة تشمل على طلب المسالمة والموادعة وسلوك مسلك المجاملة[3]، وحملو معهم شيء كثير من النقرة والقندر.[4]

وحملوا معهم أيضا رسالة من جنكيزخان موجهة إلى علاء الدين محمد خوارزمشاه يقول فيها[5]" ليس يخفى علي عظيم شأنك، وما بلغت من سلطانك، ولقد علمت بسطة ملكك، وانفاذ حكمك في أكثر أقاليم الأرض، وأنا أرى مسالمتك من جملة

---

[1] عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص155

[2] ينسب هؤلاء الرسل الى مدن خوارزم وبخاري، واترار على التوالي، انظر: النسوي، المصدر السابق، ص 83

[3] نفسه، ص83.

[4] ابن الاثير، الكامل، مج10، ص401

[5] عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص162

الواجبات، وانت عندي مثل اعز أولادي، وغير خاف عليك ايضا انني ملكت الصين وما يليها من بلاد الترك، وقد اذعنت لي قبائلهم، وانت اعلم بأن بلادي مثارات العساكر ومعادن الفضّة، وان فيها لغنية عن طلب غيرها، فان رايت ان تفتح للتجار في الجهتين على سبيل التردد، عمت المنافع وسملت الفوائد"[1].

وكان وقع الرسالة على السلطان الخوارزمي شديدا، ودرس مستشاوره رسالة جنكيزخان ،واستقر رأيهم جميعا على أنها تحمل في طياتها معاني التهديد والوعيد في اكثر من موضع، فقول جنكيزخان ان علاء الدين محمد خاورزمشاه في منزلة الابن معناه،التبعية لجنكيزخان.[2]

فاستنكف السلطان الخوارزمي من ذلك وامتعض له ، واجمع عداوته واستدعى محمود الخوارزمي من رسل جنكيزخان، واصطنعه ليكون عينا له على صاحبه[3]، وهناه بشتى الوعود،بل منحه جوهرة نفسية دليلا على الوفاء بما وعده، وطلب اليه ان يكون عينا للخوارزميين على جنكيزخان، فلم يسعه الا الموافقة خوفا ورهبة من السلطان حتى يهدئ من ثورته ويتجنب نقمته[4].

ثم بدا السلطان الخوارزمي يسأل التاجر عن حقيقة ملك جنكيزخان للأراضي الصينية، واستيلائه على مدينة طمغاج فاجابه بالاثبات[5]، فقال السلطان : انت تعرف ممالكي وبسطتها، وعساكري وكثرتها، فمن هذا اللعين حتى يخاطبني بالولد؟ ما مقدار ما معه من العساكر؟ فلما شاهد محمود الخوارزمي اثار الغيظ وتبدل لطف الكلام بالخصام،

---

[1] النسوي، المصدر السابق، ص83-84

[2] عبد العزيز فهمي، المرجع السابق،ص49

[3] ابن خلدون، الخبر عن دولة التتر،تاريخ المغول من كتاب العبر،تح،أحمد عمراني،دار الفرابي،ط1،بيروت،2013،ص92

d ohison .histoir des mongols voi.pp 202/

[4] الصياد المرجع السابق، ص100

[5] عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص164

اعرض عن النصح ومال الى الاسترحام، وقال: ليس عسكره بالنسبة الى هذه الأمم والجيش العرمرم الا كفارس في خيل، او دخان في جنح ليل، ثم اجاب السلطان الى ما التمس جنكيزخان من امر المهادنة، فسر جنكيزخان بذلك[1] ،وعاد الرسل الى بلاط الخان المغولي[2].

وفي ظل هذه الحالة من الهدوء و الأمن، قام ثلاثة من التجار الخوارزميين وهم احمد جندي ،وابن الامير حسين واحمد بالخج، برحلة الى مماليك المغول محملين ببعض الثياب الحريرية الموشاة بالذهب والكرباس[3] ، فقادهم حراس الطرق الى بلاط جنكيزخان، خصوصا عندما تاكدو أن ثالثهم يحمل ثيابا فاخرة تليق بزعيمهم، فلما مثل التجار امام جنكيزخان وأعجبته بضاعتهم ، ابتاعها منهم بالذهب والفضة ،واعز التجار واكرمهم، وكانو ينظرون إلى المسلمين آنذاك نظرة اعتزاز واحترام ، ولهذا عاملوهم معاملة طيبة، واكراما لهم وتيمنا بهم فقد اعطوهم خياما جديدة طاهرة من اللباد الابيض ليقيموا بها طوال فترة اقامتهم[4].

ولما عزم هؤلاء التجار على الرحيل، رأى الخان ان يختار كل امير مغولي وكل قائد من قواده واحدا او اثنين من اتباعه لتكوين قافلة تحمل الأمتعة المختلفة، وتصحب هؤلاء التجار الخوارزميين الى مماليك السلطان لتبادل التجارة هناك، وبهذا تكّون وفد مغولي كبير عدد افراده 450 رجلا كانوا كلهم مسلمين[5]، وهؤلاء التجار كانو يحملون

---

[1] عمل جنكيز خان بعد ابرام هذا الاتفاق على تأمين التجارة بين شرق اسيا وغربها، وتوسيع نطاقها فحرص على تامين الطرق والضرب على ايدي المعتدين من قطاع الطرق، وزود الطرق الرئيسية بحراس، وكلفهم بان يرافقوا كل اجنبي يحمل تجارة ما الى معسكرات المغول، انظر:ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص229.

[2] النسوي، المصدر السابق، ص85.

[3] لفظ فارسي معرب، معناه الثوب الخشين، مصنوع من القطن الابيض، انظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، الطبعة الخامسة، لبنان، 1992، مج6، ص195

[4] الجويني، تاريخ فاتح العالم ، مج1، ص107-108، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص229، الصياد، المرجع السابق، ج1، ص102

[5] يذكر ابن العبري ان عددهم بلغ مئة وخمسين شخصا فقط من جميع الاديان دون تفريق، انظر: ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص230

اصناف كثيرة وامتعة فاخرة من الذهب والفضة، والحرير والاقمشة القيمة والمسك والأحجار ، ولابد أن ما معهم كان شيئا كثيرا، اذ كانت القافلة من خمسمائة من الابل.[1]

وارسل معهم رسولا الى السلطان الخوارزمي بقوله: " ان التجار وصلوا الينا وقد اعدناهم الى مأمنهم سالمين غانمين، وقد سيّرنا معهم جماعة من غلماننا ليحصلوا من ظرائف تلك الأطراف، فينبغي ان يعودوا الينا آمنين ، ليتأكّد الوفاق بين الجانبين وتتحسم موّاد النفاق من ذات البين"[2].

سارت القافلة متجهة نحو مماليك السلطان حتى وصلت الى مدينة اترار[3] ،على الساحل الغربي لنهر سيجون، وهي ملتقى طرق التجارة، بين شرق آسيا وغربها، فضلا على أنها تعتبر مفتاحا لاقليم ما وراء النّهر، وكان يحكم المدينة في الوقت الذي وصلت فيه القافلة" إينال خان" وعرف ايضا باسم "غايرخان ، ورسلان"، وهو ابن خال السلطان الخوارزمي[4].

عندما وقع بصر"إينال خان" على ما كان يحمله التجار المغول من نفائس شرهت نفسه، وطمع في اموالهم، فما كان منه الا ان كاتب السلطان وادخله في روعه أن هؤلاء الناس ماهم الا جواسيس في زي التجار، قدموا بغرض الإستطلاع وجمع الاخبار عن قوة الخوارزميين تمهيدا لمهاجمتهم، وبدأ يُلفق لهم التهم ، في انهم كانوا قد اختلوا بأحد العامة يهددونه بقولهم انكم في غفلة مما ورائكم وسيأتيكم مالا قبل لكم به، وامثال ذلك فأذن له

---

[1] الجويني، تاريخ فاتح العالم، مج1، ص108، النسوي، المصدر السابق، ص85، عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص166، الصياد، المرجع السابق، ج1، ص103

[2] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص230

[3] تعتبر مدينة اترار مفتاح اقليم ما وراء النّهر، وتقع على نهر سيحون، وقد ذكرها الملك هيثون، hithon ملك ارمينة الصغرى في مذكراته واعتبرها اعظم مدن تركستان، وذكرها ايضا يي لوشوتساي ye-lu-chu-ta.taiوزير جنكيزخان وسماها باسم otala انظر: النسوي ، المصدر السابق ،ص66 حاشية 1.

[4] النسوي المصدر السابق، ص85، ابن نظيف الحموي، التاريخ المنصوري، تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، تح، ابو العيد دودو، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1990، ص81، عبد العزيز فهمي، المرجع السابق، ص52

السلطان في الاحتياط عليهم، حتى يقرر امره منهم، إلا ان حاكم أترار صادر أموالهم، وقتل جميع أفراد القافلة[1].

ويرى إبن الاثير ان حاكم أترار قد أرسل الى خوارزمشاه يعلمه بوصولهم، ويذكر له ما معهم من الأموال، فبعث اليه خوارزمشاه يأمر بقتلهم، وأخذ ما معهم من الاموال وانقاذه اليه[2].

والحقيقة ان حاكم أترار تعدى صلاحياته، ولم يسمع لرأي السلطان في التحفظ على رجال القافلة بل قام بقتلهم جميعا[3] ،ويؤكد الجوزجاني رأي ابن الاثير، في أن السلطان أمر نائبه الحاكم على مدينة اترار بقتلهم جميعا، وان يجور على سلعهم،"....فعرض على السلطان أمر كثرة الأموال وطلب الإذن في الخيانة، والقبض على هذه الطائفة، وبعد ذلك اصدر أمرا بقتل جميع الرسل والتجار"[4].

كما أن الجويني يؤكد رأي ابن الأثير والجوزجاني بقوله:" ......فأمر السلطان بإباحة سفك دمائهم دون تفكير أو روية....."[5]

وعندما علم جنكيزخان بما لحق رعاياه، هاج وماج واشتدّ غضبه، ولكنّه حاول أوّل الأمر أن يحسم الموقف مع الخوارزميين بطريقة سلمية، إذ أنه أوفد إلى السلطان محمد خوارزم شاه سفارة مؤلفة من ثلاثة رجال، رجلان مغوليان ،وثالث تركي اسمه "بغرا" يحملون رسالة شديدة اللهجة، ويطلب تسليم حاكم اترار ليلقى جزاءه[6] ،وجاء في

[1] النسوي، المصدر السابق، ص86/85، الجوييني، تاريخ فاتح العالم، مج1، ص109، ابن خلدون، الخبر عن دولة التتر،ص93، عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص167، الصياد المرجع السابق، ج1، ص104

[2] ابن الاثير، الكامل، مج10، ص401

[3] عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص168

[4] الجوزجاني، المصدر السابق، ج1، ص468

[5] الجويني، تاريخ فاتح العالم، مج1، ص109

[6] الصياد المرجع السابق، ج1، ص104-105

نص الرسالة: " أنك قد أعطيت خطك ويدك بالأمان للتّجار وأن لا تتعرض إلى أحد منهم ، فغدرت ونكثت، والغدر قبيح، ومن سلطان الإسلام أقبح، فإن كنت تزعم أن الذي ارتكبه "ينال خان" كان من غير أمر صدر منك، فسلّم "ينال خان" إليّ لأجازيه على ما فعل، حقنا للدّماء، وتسكينا للدهماء، وإلاّ فأذن بحرب ترخص فيها عوالي الأرواح، وتتعضد معها عوامل الرماح"[1].

لكن السلطان محمد رفض تسليم "ينال خان" ، لأنه كان ابن اخ تركان خانون، والدة السلطان، وكانت لهذه المرأة شخصية قوية تحمي أقاربها وتقف إلى جانبهم معتمدة على تأييد قبيلتها من أتراك القنقلي، الذين كاناو رهن إشارتها وطوع أمرها، فلو أخذ السلطان برأي جنكيزخان لتعرض لقيام ثورة عسكرية ضدّه من جانب رجال الجيش الذين يؤازرون والدته ، كما أن السلطان اعتقد أنه إذا اسلم "ينال خان" يكون قد أقرّ بضعفه وتخاذله أمام جنكيزخان ،على حين أنه يريد أن يبدو دائما رجلا قويا، مهابا من الجميع"[2].

لذلك قرر السلطان محمد قتل رسول جنكيزخان "بغرا" ، وأمر الآخرين بالعودة إلى مملكتهم، وبذلك قطع كل أملاٍ ممكن في التفاهم مع المغول[3]، وبهذا جرّ السلطان على نفسه وعلى المماليك الاسلامية الخراب والدمار[4] ،"فيالها من قتلة هدرت دماء الإسلام وأجرت بكل نقطة سيلا من الدّم الحرام، فاستوفى عن الغيظ فيضا وأخلى بكل شخص أرضا"[5].

---

[1] النسوي، المصدر السابق، ص87، اما نص الرسالة عند ابن نظيف "انت رجل مسلم ومانفذ اليك إلاّ مسلمون موحدون حجاجا ، فكيف جاز لك في دينك ما فعلته من قتلهم واخذ مالهم،والله لابد لنا منك، إمّا أن تجيبهم كما كانوا وتسيرهم الينا، وإلاّ فنحن واصلون اليك قولا وفعلا، انظر: ابن نظيف، التاريخ المنصوري، ص82

[2] الصياد، المرجع السابق، 105

[3] السنوي، المصدر السابق، ص88

[4] الصياد، المرجع السابق، ج1، ص105

[5] النسوي، المصدر السابق، ص88

يقول الجويني أيضا "...وجرت بحار كثيرة من دمائهم عوضا عن كل قطرة اريقت منهم ،وصار قصاص كلّ شعرة واحدة من رؤوسهم مئات الألوف من الرؤوس ،صرعى مبعثرة على مفارق الطرق، ودفع مقابل كل دينار قنطار"[1].

" وبعد أن قُتل أصحاب جنكيزحان، أرسل خوارزمشاه جواسيسه إلى المغول ينظر حقيقتهم وعددهم، فمضى الجواسيس وسلكوا المفازة والجبال التي على طريقهم حتى وصلوا اليهم ، فعادوا بعد مدّة طويلة وأخبروهم بكثرة عددهم، وأنهم يخرجون عن الإحصاء وأنهم اصبر خلق الله على القتال لا يعرفون هزيمة ، وأنهم يعملون ما يحتاجون إليه من السلاح بأيديهم، فندم خوارزمشاه على قتل أصحابهم وأخذ أموالهم[2]".

" ووصل رسول من جنكيزخان ومعه جماعة ، يتعهد خوارزمشاه ويقول له : تقتل أصحابي وتجاري، وتأخذ مالي منهم ، فاستعد للحرب، فإني واصل إليك بجمع لا قبل لك به"[3].

ثانيا:حملات جنكيزخان على الدولة الخوارزمية:

كان للأحداث المتعاقبة التي أسفرت عن قتل رعايا جنكيزخان اسوأ الأثر في نفس هذا الإمبراطور المغولي، فقد استفزه هذا التصرّف لدرجة أنه حرم على نفسه النوم وقضى وقته يفكر فيما عساه أن يفعل[4].

يروي الجويني أنّ جنكيزخان وفي أثناء حدّة غضبه صعد وحيدا إلى قمّة جبل صغير ،وأمضى ثلاثة أيّام بلياليها حاسر الرأس مطرق الوجه متضرعا قائلا:" يا رب إني

---

[1] الجويني، تاريخ فاتح العالم، ج1، ص402

[2] ابن الأثير، الكامل، مج10، ص402.

[3] ابن ابي الحديد، المصدر السابق، ص28.

[4] الصياد، المرجع السابق، ج1،ص 111.

لم أكن بادي هذه الفتنة فامنحني قوّة الإنتقام [1]،ومنذ تلك اللحظة أخذ يستعدّ لقتال السلطان علاء الدّين محمد خوارزمشاه[2].

واقترح الإمام شهاب الدين الخيوفي الذي كان يعتقد فيه السلطان الخوارزمي كثيرا، بأن يرسل الرسائل والرسل الى كافة البلاد لجميع العساكر، واستنفار الناس للدفاع عن الإسلام ، وجمع التبرعات والمعونات لإيقاف عبور المغول نهر سيحون، لكن أمراء الجيش لم يستحسنوا الفكرة ورأوا أنه من الأفضل ترك المغول يعبرون نهر سيحون ثمّ اصطيادهم بعد ذلك في بلاد ما وراء النّهر الذي لا يعرفون مسالكها.[3]

1: الهجوم على منطقة ما وراء النّهر:

وضع جنكيزخان خطة محكمة للاستيلاء على هذا الإقليم، تتلخص في غزوه من أربع جهات، ولهذا قسم قواته إلى أربعة جيوش، كلّف كلاً منها بفتح منطقة معينة.[4]

الأوّل بقيادة ابنيه "جغتاي"و"أوكتاي"، وقد ألقى جنكيزخان على عاتق هذا الجيش اخضاع مدينة أترار، أمّا الجيش الثاني فكان تحت قيادة "جوجي" الإبن الأكبر لجنكيزخان، وكان عليه ان يخضع مدينة "جند" إحدى الحصون الإسلامية الهامة على نهر سيحون، أمّا الجيش الثالث فقد أمر عليه جنكيز خان ثلاثة من كبار قواده، وكان على هذا الجيش الاستيلاء على على مدينتي "بنكت" و "خجندة" وكانا من أهمّ المعاقل

---

[1] الجويني، تاريخ فاتح العالم، ج1، ص110، وفي رواية ابن العبري: أن جنكيزخان صعد إلى رأس تل عال وكشف عن رأسه ودعى الله أن ينصره على عدّوه الخوارزمي، ووقف على هذا التل ثلاث أيّام لم يذق فيها طعاما، وفي الليلة الثالثة رأى في منامه راهبا في أثوابه السواد وبيده عصاه وهو قائم على بابه يقول: "لا تخف افعل ما شئت فأنك مؤيد، فانتبه مذعورا ذعرا مشوبا بالفرح وعاد إلى منزله وقصّ رؤياه على زوجته، فقالت له: هذا زيّ أسقف كان يتردد إلى أبي ويدعو له ،ومجيئه إليك دليل انتقال السعادة إليك، ثم استدعى جنكيزخان أحد الأساقفة ففسر له حلمه، بأن من رآه في منامه لم يكن إلاّ قديسا من القدسين، ثمّ زيّن له رؤياه، ومن ذلك الوقت صار يميل إلى النصارى ويحسن الظنّ بهم ويكرمهم، انظر: ابن العبري تاريخ مختصر الدول، ص230.

[2] الصياد، المرجع السابق، ج1، ص111

[3] عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص172

[4] الصياد، المرجع السابق، ج1، ص113

والمنافذ على نهر سيحون، أمّا رابع جيش فكان تحت قيادة جنكيزخان نفسه ومعه ابنه "تولوى"، قاصدا وسط إقليم ما وراء النّهر خاصة "بخاري"، وكان يهدف من وراء ذلك الى الحيلولة دون اتصال السلطان محمد ببقية جنوده الذين يدافعون عن البلاد المحاصرة[1].

وبذلك نرى أن جنكيزخان قد خطّط تخطيطا دقيقا لحصر العالم الإسلامي من خلال هذا التقسيم الدقيق ،الذي يبين لنا أن جنكيزخان كان على علم تام بطبيعة هذا الإقليم، كما كانت لديه معلومة صحيحة عن الطرق والمسالك التي سوف يسلكها، وقد استقى تلك المعلومات من خصوم السلطان محمد خوارزمشاه، الذين فروا منه، ولجؤا إلى جنكيزخان، وكانوا بحثونه على مهاجمة السلطان[2].

2: الاستيلاء على مدينة أترار:

كانت مدينة أترار أوّل مدينة قصدها المغول، والتي تعتبر مفتاحا لإقليم ما وراء النّهر، ومازال يحكمها "نيال خان" وقد ركّز عليها المغول، لأنها شهدت مذبحة التجار المغول، وكان هجومهم عليها عنيفا، وكانوا يتوقون للثأر من "ينال خان".[3]

وما إن علم حاكم المدينة "ينال خان" بقدوم المغول حتى قام بإصلاح الحصون وقلعة المدينة وزودها بحامية كبيرة، ووكل أمر الدّفاع عنها إلى أحد قوّاده المهرة [4]، وصمد "ينال خان" في وجه المغول ما يقرب من خمسة أشهر، واعتصم مع جنوده في قلعة المدينة، واستمر مدّة شهر يوقع الضربات الجريئة بجنود المغول، وينزل بهم افدح

---

[1] حافظ احمد حمدي، الدولة الخوارزمية، ص138، الصياد، المرجع السابق، ج1، ص112 عبد العزيز فهمي ، المرجع السابق، ص59

[2] الصياد، المرجع السابق، ج1، ص113.

[3] عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص174، حافظ أحمد حمدي، الدولة الخوارزمية، ص138.

[4] عبد العزيز فهمي، المرجع السابق، ص59.

الخسائر، حتى إذا وجد نفسه محاصرا من كلّ جانب ، وقد سقط جنوده صرعى من حوله وفقد الأمل في الصمود أمام المغول[1].

اضطرّ "ينال خان" إلى التنقّل من أسوار الحصن إلى أسطح المنازل، وأخذ يدافع عن نفسه بمفرده بالحجارة، وكانت تناوله إياها جارية له، فكان يقذف بها أعداءه، حتى وقع في أسر "أوكتاي" [2]، " الذي أرسله إلى معسكر جنكيز خان، فأمر بسبك الفضّة وقلبها في أذنيه وعينيه فقتل تعذيبا جراء عن فعله الفظيع وخطبه الشنيع، وسعيه المذموم عند الجميع"[3].

وبذلك استولى المغول على مدينة اترار وقلعتها وقتلو الناس جميعا ، وبسقوط هذه المدينة سقط مفتاح إقليم ما وراء النّهر، واهتزت الدّفاعات الخوارزمية إزاء الحادث الكبير، وواصل المغول زحفهم نحو سمرقند[4].

3: سقوط مدينة جند:

أمّا الجيش الثاني الذي كان يقوده "جوجي" فقد تحرك قاصداً المدن الواقعة على نهر سيحنون ، وسرعان ما وصلت طليعة جيشه إلى مشارق سقناق" على مسافة أربعة وعشرين فرسخا من أترار، أرسل "جوجي"، "حسن حاجي" الذي كان تاجرا ثمّ التحق بخدمة جنكيز خان برسالة الى اهل سقناق يدعوهم فيها إلى التسليم ،ولكنّهم هجموا عليه

---

[1] الصياد، المرجع السابق، ج1، ص113.

[2] فامبري، المرجع السابق، ص166

[3] السنوي، المصدر السابق، ص91

[4] الجوزجاني، المصدر السابق، ج1، ص469، عبد العزيز فهمي، المرجع السابق، ص59، عبد العزيز الخالدي، المرجع السابق، ص79، حافظ أحمد حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ص139.

وقتلوه فسار اليهم "جوجي" على رأس جيشه وحاصر المدينة سبعة أيّام ،ثمّ سقطت في يده ونصّب ابن حسن حاجي حاكما عليها[1].

وكان هدفه بعد ذلك مدينة "جند" احدى الثغور الهامة على نهر سيحون ،وذلك بعد أن استولى على كثير من المدن والحصون، ولمّا اقترب من مدينة "جند" غادرها حاكمها ليلاً تاركا لسكانها أمر الدفاع عن أنفسهم وعن مدينتهم ، وقد نصب المغول المجانيق حول المدينة استعدادا لتحطيم أسوارها، وإزاء هذا الاستعداد من طرف المغول انقسم الاهالي على أنفسهم ، فرأى فريقتا منهم ضرورة الدّفاع عن المدينة، ورأى فريق آخر أنه لا فائدة من الدفاع، وآثر أن يسلم المدينة في الحال، ولعلّ الأهالي في ذلك يجدون خير شفيع ينجيهم من الوقوع تحت سيوف المغول.[2]

والظاهر أن هذا الرأي كان يناصره اغلبية السكان، بدليل أن المغول لم يجدوا مقاومة داخل المدينة وسلم من سلم من أهلها وقتل من قتل من المغول، وبعد أن وضع "جوجي" على المدن المفتوحة حكاما مخلصين ،اصدر أوامره لجنوده بالعبور إلى إقليم خوارزم[3]، وبذلك سيطر على القسم الغربي من بلاد ما وراء النّهر وقطع اتصال الخوارزميين به[4].

4: الإستيلاء على بناكت وخجند:

سار الجيش الثالث للإستيلاء على منطقة فرغانة والوادي الأعلى من نهر سيحنون ،وقد بدأ هذا الجيش مهمته بمحاصرة مدينة "بناكت" الواقعة على هذا النّهر[5]، وخجند الى

---

1 الجويني، تاريخ فاتح العالم، ج1، ص115، الصيّاد ، المرجع السابق، ج1، ص114

2 حافظ أحمد حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ص139،140

3 عفاف سبد صبرة، المرجع السابق، ص175، d/ohsson.op.cit. pp 221-223

4 فامبري، المرجع السابق، ص167

5 الصياد، المرجع السابق، ج1، ص114،115

الجنوب منها، وقد تمكن المغول من دخول مدينة البناكت بعد أن سلمها الأهالي، وكان المغول قد أمّنوهم على حياتهم ،ولكن هؤلاء المغول الذين لا يعرفون معنى للعهود والمواثيق، لماّ دخلو المدينة فصلوا الجند عن المدنيين وأعملوا القتل في رقاب الفريق الأوّل ،واختاروا من الفريق الثاني خيرة شبابه لينتفعوا بهم في أعمالهم الحربية[1].

ثمّ سارت الفرق المغولية بعد ذلك نحو الجنوب باتجاه مدينة خجند الواقعة على نهر سيحون، فتركها قائدها والتجأ الى جزيرة صغيرة في وسط النّهر بعيدة عن شاطئه فحاصرها حصارا شديدا [2].

ومن الغريب حقا ان المغول استعانوا بقرابة خمسين ألف من شباب الخوارزميين الذين سخروهم لمساعدة الجيوش المغولية، فكلّفهم المغول بإحضار الحجارة من الجبال المجاورة وإلقائها في النّهر ، وأخيرا لاذ الحاكم الخوارزمي من مكمنه بالفرار من وجه المغول في سبعين مركبا بعد ان شحن جندّه وامتعه وسار في النّهر متجها نحو الشمال، لكن المغول كانو يراقبونه من جانبي النّهر الذي سدوه بقنطرة من السفن، فما كان منه إلاّ ان امتطى صهوة جواده وقاتل أعداءه قتال اليأس، واستطاع الإفلات بنفسه فقط من حصارهم والوصول إلى مدينة خوارزم ،حيث كان يرابط جلال الدين منكبرتي الابن الاكبر للسلطان الخوارزمي علاء الدين محمد خوارزمشاه[3].

---

[1] حافظ احمد حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ص140

[2] عفاف سيد صبرةن المرجع السابق،ص howorth historry of the mongolsp 77.dohsson op-cit p221.175

[3] فهمي عبد العزيز، المرجع السابق، ص60.

5: فتح بخارى:

أما الجيش الرابع الذي كان يقوده جنكيزخان وابنه تولوى، فقد توجه الى مدينة بخارى، واستطاع جنكيزخان أن يستولي على المدن التي صادفته في طريقه الى هذه المدينة، وأن يعيّن على كل منها حاكما من قبله[1].

ثم شرع في حصار بخارى نفسها حتى إذا لم يجد سكّانها في أنفسهم القدرة على الصمود اضطرو الى التسليم[2]، وقد قصد جنكيزخان بذلك أن يقطع بين السلطان وبين عساكره المتفرقة،حتى لو بدا له فيما فعل من تفرقهم ولم يقدر على جمعهم،[3]

وقد أمر محمد خوارزمشاه أهل بخارى وسمرقند بالاستعداد للحصار، وجمع الذخائر للإمتناع، وجعل في بخارى عشرين ألف وفي سمرقد خمسين ألف[4].

ورغم كل هذه القوة إلا أن ما لبثت أن انهارت أمام استعداد المغول وقوة روحهم المعنوية ، وما يقابل ذلك من ضعف في الروح المعنوية لدى المسلمين [5] ،ولما وجد السكان انفسهم بلا جيش يحميهم ويدافع عنهم ، دبّ الرعب بينهم وقرروا الاستسلام، فأرسلو وفداً إلى المغول برئاسة القاضي بدر الدين، فأجابهم جنكيزخان إلى طلبهم ودخل المغول المدينة في 4 ذي الحجة،(616هـ/1220م)، أمّا القلعة فقد استمرت تقاوم مدّة اثنى عشر يوما،على الرغم من أن عدد أفراد حمايتها لم يزد عن اربعمائة جندي، كان من بينهم "كوك خان" الذي أظهر ضروبا من البسالة ،وبعد سقوط القلعة ثمّ القضاء على كلّ المدافعين عنها، وأجبر جميع التجّار والأغنياء بعد ذلك على ردّ الفضّة التي اشتروها من

---

[1] حافظ احمد حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ص143

[2] الصياد ، المرجع السابق، ج1، ص116

[3] عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص177

[4] ابن الأثير، الكامل مج 10 ، ص403

[5] حافظ احمد حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ص143

خوارزمشاه، عقب كارثة أترار ،وأخيرا اضطر السكّان إلى مغادرة المدينة، ونهبت ممتلكاتهم على ايدي المغول.[1]

ودخل جنكيزخان المسجد الجامع وظنّ أنه قصر السلطان فقيل له أنه بيت الله ،فترجل من على حصانه وصعد المنبر وطلب من جنوده أن يأتوا بعلف للخيول ووضع العلف في صناديق المصاحف، بعدما القيت المصاحف تحت حوافر الخيول، وأحضروا كؤوس النبيذ و المغنيات وصاروا يشربون ويرقصون بينما وقف الأئمة والمشايخ والعلماء أمام المزاود يعلفون الخيول ويحافظون عليها[2].

وبعدها أمر جميع أهل المدينة بالخروج منها مجردين من أموالهم، ليس مع أحد منهم غيّر ثيابه التي هي عليه [3]،وأمر جنكيزخان بإشعال النّار في المدينة ،ولمّا كانت أبنية بخاري كلّها من خشب، فلم تمض إلاّ أيام قليلة حتى تحولت كلّها إلى رماد ، إلاّ بعض المساجد والقصور المبينية بالحجارة ظلت قائمة[4].

ويصف الجوزجاني حالة المدينة بقوله:"....فاستولوا على بخارى وقتلوا أهلها ،وقتلوا العلماء وأحرقو الكتب"[5] ،أمّا ابن الأثير فيقول "....وأصبحت بخارى خاوية على عروشها عروشها كأن لم تغن بالامس، وارتكبوا من النساء العظيم، والنّاس ينظرون ويبكون ولايستطيعون أن يدفعوا عن انفسهم شيئا مما نزل بهم، فمنهم من لم يرض بذلك واختار الموت على ذلك فقال حتى قتل...." [6].

---

[1] ابن الأثير، الكامل ، مج10، ص 404، طقوش، تاريخ المغول، ص61-62

[2] الجويني، تاريخ فاتح العالم، ج1، ص129، علي مرجونة، المغول، ص112

[3] عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص179

[4] فامبري، المرجع السابق، ج1، ص171

[5] الجوزجاني، المصدر السابق، ج1، ص469

[6] ابن الاثير، الكامل، مج10، ص405

ويذكر الجويني أن عدد الذين قتلوا من الرّجال يزيد عن ثلاثين الفا [1]،ثمّ توجّه المغول بعد ذلك إلى مدينة سمرقند، ومعهم عدد كبير من الأسرى من سكان بخارى، لتسخيرهم في الاعمال العسكرية التي يقومون بها[2].

6: فتح سمرقند:

ترك جنكيزخان أنقاض مدينة بخارى وسار إلى مدينة سمرقند حاضرة إقليم ما وراء النّهر، وصحب معه عددا كبيرا من الأسرى ليستعين بهم في حصار هذه المدينة الجديدة[3]، ويصف ابن الاثير حال هؤلاء الأسرى بقوله:".....واستصحبوا معهم من سلم من أهل بخارى أسارى، فساروا بهم مشاة على أقبح صورة، فكل من أعيا وعجز من المشي قتل..."[4]

لم تكسب سمرقند شهرتها من أنها كانت حاضرة بلاد ماوراء النّهر فحسب، بل لأنها كانت من أعظم مدن العالم التجارية ،وكانت محاطة بأسوار عليها أبراج للدّفاع عنها، ولها اثنا عشر بابا من الحديد[5].

كان السلطان محمد خوارزمشاه قد ترك في هذه المدينة حامية قوامها مائة وعشرة آلاف مقاتل، كان منهم ستون ألفا من الأتراك وخمسون الفا من التاجيك[6] ،ومعهم

---

[1] الجويني، تاريخ فاتح العالم، ج1، ص131

[2] طقوش، تاريخ المغول، ص62، الصياد، المرجع السابق، ج1، ص118

[3] حافظ أحمد حمدي، الدولة الخوارزمية والمغولن ص145

[4] ابن الأثير الكامل، مج10، ص405

[5] حافظ أحمد حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ص146

[6] التاجيك: لقب أطلقه الفرس على الأتراك ، وفيما بعد على العرب، بمعنى: الّصوص والمغيرين، انظر: طقوش تاريخ المغول، ص63، حاشية :1

عشرون فيلاً [1] ،وكان جنكيزخان يعلم بهذه التفاصيل الدّقيقة، وهو بأترار وتوقع مقاومة شديدة، وعلى هذا فقد وضع خطّة عسكرية تقتضي:

- تجميع كلّ قواته المتفرقة عند سمرقند.
- إخضاع المناطق المحيطة بها لعزلها.
- قدم الفرسان ثمّ المشاة ثمّ الأسرى الذين نظّمهم على هيئة صفوف مجهزة للقتال[2]، وقسموهم إلى فرق صغيرة، وأعطو كلّ عشرة منهم علما، فظنّ الخوارزميون أنهم أمام جيش مغولي كبير ،فتسرب اليأس إلى أنفسهم وانتشر الذعر بينهم[3].

عندما وصل جنكيزخان إلى المدينة ضرب حصارا حولها، وراح يتفقد حصونها واستحكاماتها لمدة يومين، وفي اليوم الثالث أمر جنوده بالهجوم، فتقدّم عدد كبير من المحاربين الخوارزميين والتحموا بالمغول ،إلاّ أن هذه الحامية هزمت وكان على رأسها "طغاي خاتون" شقيق "تركان خاتون" مما زاد من مخاوف الجنود المحاصرين.[4]

ويذكر ابن الأثير" أن عدد الذين قتلو من هذه الحامية سبعين ألفا، فكانت الكارثة بالنسبة للخوارزميين"[5]،أدّت هذه الضربة القاسية إلى إقدام ما تبقى من الحامية إلى وقف القتال والاستسلام، وطلب أفرادها الأمان والانضمام إلى قوات جنكيزخان، فكان من الطبيعي ان يضطر الأهالي بدورهم إلى التسليم، فأوفدو جماعة برئاسة شيخ الإسلام وقاضي المدينة إلى جنكيزخان، وعندئذ فتحت المدينة ودخلها المغول في العاشر من محرّم سنة 617هـ/1220م ،واستولوا على قلعتها، وبعد أن جمعوا الأسلحة والأموال

---

[1] الجوزجاني، المصدر السابق، ج1، ص470، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص234.

[2] فامبري، المرجع السابق، ص173، طقوش، تاريخ المغول، ص63

[3] ابن الاثير، الكامل، مج10، ص405، حافظ احمد حمدي، الدولة الخوارزمية، ص146

[4] طقوش، تاريخ المغول، ص73، عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص180

[5] ابن الأثير، الكامل، مج1، 405

والحيوانات، أغاروا على المدينة، وأشعلوا فيها النيران، وأباحوا القتل العام في السكّان[1] ،ولم يسلم إلاّ شيخ الإسلام وقاضي المدينة ،ومن كان تحت حمايتها ومعظمهم من رجال الدين، ثمّ سمح لخمسين ألفا بالعودة إليها بعد أن دفعو مائة ألف قطعة ذهبية[2].

وهكذا استطاع جنكيز خان أن يجهز على كل ما وراء بلاد النّهر التي اتخذها الخوارزميون مركزا للدفاع، ومن أجل هذا وضع المغول خطّة حربية كفلت لهم القضاء على هذه البلاد دفعة واحدة، وبإنهيار هذا الجزء الهام من الدولة الخوارزمية ، انهارت الخطوط الدفاعية للخوارزميين، وسهل على المغول بعد ذلك الدفاع على الأقاليم الباقية من الدولة الخوارزمية[3].

ثالثا: المغول والسلطان محمد خوارزمشاه:

1- عبور المغول نهر جيجون وتعقب السلطان محمد خوارز مشاه:

بعد أن استولى جنكيزخان على سمرقند، أرسل جيشين لمطارة السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه، يتكون كلّ منهما من ألف فارس يقودهما قائدان من امهر قوّاده هما: "جيبي" و"سوبوتاي"[4] ،ولم يكن بوسع السلطان خوارزمشاه أن يبدي أيّة مقاومة، بل آثر الفرار هائما على وجهه، وكان قصد نيسابور فلمّا علم أنّ المغول عبروا نهر جيجون،

---

[1] الصيّاد، المرجع السابق، ج1، صص119-120

[2] طقوش، تاريخ المغول، ص64، فامبري، المرجع السابق، ص174

[3] حافظ أحمد حمدي، الدولة الخوارزمية، ص148، طقوش، تاريخ المغول، ص64، عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص181، الصيّاد، المرجع السابق، ج1، ص120

[4] حافظ أحمد حمدي، الدولة الخوارزمية، ص149

اتجّه نحو إقليم العراق العجمي[1]، نزولا عند نصيحة الوزير "عماد الملك"[2]،فعبر بسطام[3]، واجتاز الري[4] ،ثمّ ذهب إلى قلعة فرزين [5]،حيث كان يعسكر ابنه ركن الدين في جيش قوامه ثلاثون ألف جندي[6].

أما عن الجيش المغولي فقرر اللحاق بالسلطان الخوارزمي إلى نسيابور، فعبروا نهر جيجون بطريقة أوضحها لنا ابن الأثير بقوله:" أنّهم لما اقتربوا من النّهر لم يجدوا هناك سفن تصلح للعبور، فصنعو أحواضا من الخشب وكسوها بجلود البقر لئلا يتسرب الماء اليها، ثم وضعوا فيها أسلحتهم وأمتعتهم وألقوا بخيولهم في الماء وتعلقوا بها بعد أن شدّوا تلك الأحواض إلى أجسادهم ،فكان الفرس يجذب الرجال، وكان الرجل يجذب الحوض بالسلاح وغيره ، فعبرو كلّهم دفعة واحدة "[7].

2- نهاية السلطان علاء الدين خوارزمشاه:

اتجهت القوات المغولية المكلّفة بمطاردة السلطان الخوارزمي من هراة[8]الى خراسان[1]

خراسان[1]

---

[1] عراق العجم: هي منطقة الجبال المعروفة باصطلاح العجم بالعراق، وهي ما بين اصفهان إلى زنجان وقزوين وهمذان والدينور وقرسين والري، انظر: الحموي، المصدر السابق، ج4، ص94

[2] كان عماد الملك وزيرا لركن الدين ابن السلطان علاء الدين خوارزمشاه، الذي كان يحكم العراق العجمي قبل أبيه، ولما وجد حرج مركز ابيه أرسل إليه وزيره ليستفيد من خبرته في ذلك الوقت العصيب، ولما كان إقليم العراق العجمي هو الموطن الأصلي لهذا الوزير وبه أسرته وأولاده رغب ألا يبتعد عنه واستطاع أن يغري علاء الدّين بتغيير خطّته، وأن يتّجه إلى العراق العجمي وأوهمه أنّه سيجد هناك المال والرّجال الذين يساعدونه على صدّ المغول، انظر: حافظ احمد حمدي، الدولة الخوارزمية، ص1، حاشية 2

[3] بسطام: بلدة كبيرة بقومس، على حادة الطريق إلى نيسابور بعد دامغان بمرحلتين ، انظر: الحموي، المصدر السابق، ج1، ص421

[4] الري: هي طهران الحديثة

[5] فرزين: احدى قلاع كرج التي تقع في جنوب شرق همذان بالقرب من سلطان آباذ الحالية، انظر: الصياد، المرجع السابق، ج1، ص121، حاشية 1

[6] طقوش، تاريخ المغول، ص64

[7]ابن الأثير، الكامل، مج10، ص406، عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص187، 188

[8] هراة: مدينة عظيمة مشهورة من أمّهات مدن خارسان، انظر: الحموي، المصدر السابق، ج5، ص396

ثم إلى طوس[2]،واستولت في طريقها على الري[3]، وبذلك أدرك القادة الخوارزميون أنّه لا فائدة من الدّفاع وأخذ كل منهم يفكر في الطريق الذي ينجيه من الهلاك، وانصرف كلّ الى شأنه، وهكذا تفرقت بقايا الجيش الخوارزمي، واستولى الفزع على نفوس الجميع[4].

أمّا السلطان محمد خوارزمشاه فقد كان يفكر في الهرب الى بغداد، عله يجد مخرجا من هذا المأزق عند الخليفة العباسي الذي كان عدّوه بالأمس القريب، غير أنّه اضطر إلى العدول عن هذه الفكرة عندما علم أنّ المغول يتابعونه، وأنّ الفرصة ضاعت،ولم تعد تسنح له بتحقيق هذه الخطّة[5]،مما اضطره الى الاتجاه نحو اقليم مازندارن[6]،جنوبي بحر قزوين،ووصل إلى مرسي يعرف "باب سكون"[7].

يقول النسوي: "وظلّ في احدى قرى هذا الميناء يصلي بالناس في المسجد، وينذر لله لئن كتبت له السلامة وأعيد له ملكهُ ليقيمن العدل، إلى أن انكشف أمره، وهاجم المغول موضعه "[8].

ومما يؤسف له: أنّ هناك بعض رجال السلطان علاء الدين الخوارزمشاه انظمّوا في هذه الفترة إلى المغول، ومنهم "ركن الدين كبود خان"، وذلك لأنّ السلطان كان قد قتل

---

[1] خراسان: بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق، وآخر حدودها مما يلي الهند وتشتمل على أمهات المدن منها نسيابور، وهراة ومرو، وبلخ، وطالقان،ونسا، وابيرود، وسرخس، وغيرها، انظر: المصدر السابق، ج2، ص350

[2] طوس: مدينة في خراسان بينها وبين نسيابور نحو عشر فراسخ، الحموي،المصدر السابق، ج4، ص49

[3] طقوش، تاريخ المغول، ص65

[4] عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص188

[5] حافظ أحمد حمدي، الدولة الخوارزمية، ص151، dohsson :histon des mongols tion pp251-252

[6] مازندارن: اسم لولاية طبرستان وهي بلاد واسعة والغالب عليها الجبال، وقصتها آمل، وهي بين الري وقومس والبحر وبلاد الديلم والجبل ، انظر: الحموي، المصدر السابق، ج5، ص13

[7] عفاف سيد صبرة،المرجع السابق،ص188.

[8] النسوي،المصدر السابق،ص106.

عمّه نصرة الدّين، وابن عمه عز الدين كيخسروا ،لذلك قرّر الإنتقام من السلطان، فشارك المغول في هجومه على القرية وسهّل لهم ذلك[1].

وعندما علم السلطان نبأهجوم المغول ركب سفينته وأسرع بها، بينما كانت سهام الأعداء تنهال عليه دون أن تصيبه، وقد بلغ من شدّة حرص المغول على القبض عليه أن ألقى الكثيرون منهم بأنفسهم في الماء يريدون اللّحاق به والقبض عليه، فلقو حتفهم غرقا، وأخيرا استطاع ان يصل سالما لى احدى الجزر الصغيرة المنعزلة في بحر قروين[2].

قروين[2].

وقد وصف السنوي حالة السلطان علاء الدين محمد الخوارزمشاه وهو بالسفينة يقول: "حدثني غير واحد ممن كانوا مع السلطان في المركب قالو: كنّا نسوق المركب وبالسلطان من علة ذات الجنب ما آيسه من الحياة ،وهو يظهر الإكتئاب ضجرا ويقول: لم يبق لنا مما ملكناه من أقاليم الأرض قدر ذراعين نحفر فنقبر، فما الدنيا لساكنها بدار، ولا ركونه إليها سوى انخداع واغترار، ما هي إلاّ رباط يدخل من باب ويخرج من باب، فاعتبرو ياأولي الألباب "[3].

وصل السلطان علاء الدين خوارزمشاه إلى إحدى الجزر الصغيرة طلبا للأمان، وأقام في إحدى الخيّام ،وكان بعض أهالي مازندران ممن إتّصفوا بالنخوة والشهامة يقومون على خدمته، ويجلبون له ما يلزمه من مأكل وما يحتاجه من ضروريات الحياة، وفي نظر ذلك كان السلطان الخوارزمي يوصى بإقطاعهم الإقطاعات، ولمّا استعاد جلال الدين

---

[1] عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص189

[2] الصيّادن المرجع السابق، ج1، ص122، منصور عبد الحكيم، المرجع السابق، ص179

[3] السنوي، المصدر السابق، ص106-107

منكبرتي أملاك أبيه بعد بضعة سنين، أقرّهذه الإقطاعات لأصحابها، ونلاحظ أنّ كلّ من كان معه علامة من السلطان علاء الدين، كان جلال الدين منكبرتي يقطعه إقطاعا[1].

أقام السلطان الخوارزمي مدّة شهر في هذه الجزيرة في محنة وبلاء ،واشتدّ عليه المرض والإعياء، خاصة بعد أن بلغه أنّ والدته تركان خانون قد وقعت في أسر المغول وأحسّ بدنو أجله، استدعى أبناءه، جلال الدين منكبرتي و أزلاغ شاه وأق شاه، ووكّل أمور دولته إلى إبنه جلال الدين منكبرتي، لأنّه هو الوحيد الذي يستطيع حماية الدولة الخوارزمية واستعادة أملاكها، ومقاومة المغول[2].

وقال لأبناء هذه العبارات التي ذكرها النسوي :

"إن عرى السلطنة قد انفصمت ،والدولة قد وهنت قواعدها وتهدّمت، وهذا العدو قد تأكّدت أسبابه، وتشبثت بالملك اضافره، وتعلّقت أنيابه، وليس يأخذ بثأري منه إلاّ ولدي منكبرتي، وها أنا موليه العهد، فعليكما بطاعته"[3].

وفي شوّال سنة 617هـ-1221ه توفي السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه، ودفن بهذه الجزيرة[4]، وعجز أتباعه في ايجاد كفن له يكفنونه به حتى انّ شمس الدين محمود، كان من المقربين إليه خلع قميصه وكفّنه به[5]، ويروي السيوطي أنّه كفن بشاش

---

1 حافظ أحمد حمدي، المرجع السابق، ص151-152

2 منصور عبد الحكيم، المرجع السابق، ص179-180، طقوش، تاريخ المغول، ص65، عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص123

3 النسوي، المصدر السابق، ص120

4 ابن الأثير، الكامل، مج10، ص406، 407، الحافظ الذهبي، العبر، ج3، 174، 175، أبو الفداء، المختصر، ص127، أحمد حطيط، المرجع السابق، ص152.

5 حافظ أحمد حمدي، الدولة الخوارزمية، ص152

فراش كان معه [1]، وقد وصف ابن الوردي، حالة السلطان علاء الدين خوارزمشاه في أواخر أيّامه فقال:

وفارق المسكين أوطانه ومِلكه ممتحنا بالمرض

وكم حوى من جوهر مثمن فما فدى الجوهر هذا المرض[2]

وذكر النسوي الذي عاصر هذه الحوادث، وخدم في بيوتات الخوارزميين، ببعض أبيات تصور حال علاء الدين في أيام سطوته الأولى، وحاله بعد أن مالت به الأيّام :

أذّل الملوك وصادم القروم وصيّر كلّ عزيز دليلا

وحف الملوك به خاضعين وزفوا اليه رعيلا رعيلا

فلما تمكن من أمره وصارت له الأرض إلاّ قليلا

وأوهمه العز أنّ الزمان إذا رامه إرتدّ عنه كليلا

أتته المنية مغتاظة وسلت عليه حساما صقيلا

فلم تغن عنه حماة الرجال ولم يجد قيل عليه فتيلا

كذلك يفعل بالشامتين ويفنيهم الدّهر جبلا فجيلا[3]

وعلى هذا الشكل كانت نهاية السلطان الذي كان دوره ضعيفا وكتخاذلا في مواجهة المغول، بحيث أنّ هؤلاء نسوه تماما، ولم يكن بمقدوره كحاكم أن يقاوم إلاّ كمغامر ،ومن

---

[1] السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص359

[2] ابن الوردي، المصدر السابق، ج2، ص155

[3] النسوي، المصدر السابق، ص106.

المؤكد أنّ طبيعته لم تؤهله للقيام بمثل هذا الدور، فهو دور توافق إلى حد كبير مع طباع إبنه وخليفته جلال الدين منكبرتي[1].

أمّا عن القائدان "شي" و"سوبوتاي" الذين كانا يقتفيان أثر السلطان علاء الدين خوارزمشاه حتى أوصلاه إلى هذا المصير، فإنّهما استوليا على كل ما يحمله السلطان من كنوز وأحجار كريمة وآنية فضيّة، وبعثا بها إلى جنكيزخان[2]، كما أنّهما استوليا على ما مراّ به في الأقاليم الغربية من الدولة الخوارزمية أثناء مطاردتهما للسلطان الخوارزمي[3].

وبعد أن سيطر المغول على هذا الجزء من الدولة الخوارزمية، سارو إلى مدينة "الري"، إذ ترامى إلى مسامعهم أن السلطان يقيم في هذا الجزء الغربي من الدولة، وفي الطريق عثروا على تركان خاتون والدة السلطان، التي أرادت أن تعتصم في العراق العجمي فأسروها ووضعوا أيديهم على ما معها من نفائس وكنوز وجواهر، وبعثو بهذا كله مع أسيرتهم إلى جنكيزخان[4].

قضى المغول الفترات التالية منتقلين بين المدن الإسلامية المختلفة ،في العراق العجمي أذربيجان وأران و جورجيا، مدمرين مخربين ما بقي من مدنها، حاملين ما يستطيعون حمله من خيراتها، ثمّ عبر "شي" و"لوبوتاي" المنطقة الواقعة بين بحر قزوين والبحر الأسود إلى بلاد القفجاق وروسيا، وسار المغول بقيادة هذين القائدين إلى بلغاريا وأوصلوا الرعب إلى أقصى حدود أوروبا[5].

3- الإستيلاء على إقليم خوارزم:

[1] طقوش، تاريخ المغول، ص65

[2] الجويني تاريخ فاتح العالم،مج1، ص158

[3] منصور عبد الحكيم، المرجع السابق، ص181

[4] حافظ أحمد حمدي، الدولة الخوارزمية، ص153-154

[5] نفسه، ص158ص151،331 dohsson :histoir des mongols tion pp

كان إقليم خوارزم نصب عيني جنكيزخان ورغب في الإستيلاء عليه لأهميته[1]، وكان من الأقاليم التي تسيطر عليها تركان خاتون والدة السلطان محمد خوارزمشاه، فقد كان نفوذها في هذا الإقليم يفوق نفوذ السلطان نفسه ،وذلك بفضل اتباعها المخلصين من قبلية "كانكالي" التي تسكن السهول الواقعة شمال خوارزم وشمال شرقي بحر قزوين[2].

وعلى الرغم من هذا الشقاق بين السلطان علاء الدين محمد وأمّه، فإنّه لمّا رأى الخطر ماثلاً أمام عينيه أرسل إليها في خوارزم يطلب منها أن تتقهقر هي وحاشيتها إلى إقليم مازندران، جنوب بحر قزوين حرصا على حياتها[3].

واستغل جنكيزخان هذا الشقاق بين السلطان علاء الدين محمد أمّه، فأراد أن يستميلها إلى جانبه وأن يدعوها إلى الإستسلام، فأرسل إليها رسالة مضمونها أنّه في حرب فقط ضدّ خوارزمشاه، وليس في نيته أن يتعرض لها بسوء، ولا أن ينتزع ما في يدها من ممتلكات، ثمّ طلب منها أن ترسل إليه أحد معاونيها حتى يسلمه فرمان توليها حكومة خوارزم وخراسان، وملحقاتها، غير أنّ تركان خاتون لم تطمئن إلى هذا الوعد، ولم تستجب لهذه الدّعوة[4]، ولمّا سمعت أنّ خوارزمشاه قد عبر نهر جيجون وأخلى ماوراء النهر ،حتى جمعت حريم السلطان وأطفاله الصغار ونفائس خزائنه ، وغادرت خوارزم[5]، وقبل ان ترحل ترحل أمرت بقتل أولئك الأمراء الذين كان علاء الدين قد استولى على املاكهم، والذين كانو في سجون خوارزم،وذلك أواخر سنة 616هـ-1219م[6].

---

[1] محمد علي مرجونة، المرجع السابق، ص144، عبد العزيز فهمي، المرجع السابق، ص64

[2] حافظ أحمد حمدي، الدولة الخوارزمية، ص158، تزوج السلطان علاء الدين تكش خوارزمشاه من تركان التي تنسب إلى قبيلة كانكالي التي تسكن شمال إقليم خوارزم فأنجبت له علاء الدين محمد، وكان من أثر هذه المصاهرة أن نزح عدد كبير من كبار رجال هذه القبيلة إلى الدولة الخوارزمية نفسها وتكونت من هؤلاء قوة كبيرة، أصبحت تناهض قوة السلطان نفسه: انظر: النسوي، المصدر السابق، ص99

3 علي محمد الصلابي ،دولة المغول والتتار بين الانتشار والانكسار، الدار العالمية للكتب والنشر،ط1،مصر،2010. ص127

[4] الصيّاد، المرجع السابق، ج1، ص124

[5] عبّاس إقبال ،تاريخ إيران،ص360.

[6] حافظ أحمد حمدي،الدولة الخوارزمية ،ص161.

رحلت تركان خاتون من إقليم خوارزم، وعبرت نهر جيجون، واخترقت الطريق الصحراوي قاصدة خراسان، ثمّ توجّهت إلى "مازندران" حيث لجأت إلى إحدى القلاع الحصينة الموجودة بهذه المنطقة[1]، ويذكر الذهبي أنّها قلعة "إيلال"[2] ،وهي من أمّهات قلاع "مازندران"، فأقامت بها إلى أن فرغ المغول من إجلاء السلطان إلى الجزيرة التي مات فيها[3]،لكن المغول حاصروا هذه القلعة مدّة ثلاثة أشهر حتى نفذ الماء عن المحاصرين، فوقعت "تركان خانون" أسيرة في أيدي المغول، الذين قادوها هي وحاشيتها وأبناء علاء الدين إلى معسكر جينكيزخان، وقد ظلّت "تركان خاتون" أسيرة في أيدي المغول حتى رحلوا إلى بلادهم وصحبوها معهم إلى هناك، حيث ماتت سنة 630هـ/1233م، أمّا أبناء السلطان علاء الدين فقد قتلهم جنكيزخان رغم صغر سنّهم، كما اعطى إبنه "جغتاي" إثنين من بنات علاء الدين فتزوج واحدة، وأعطى الثانية لأحد رجاله المقربين، كما أعطى جنكيزخان إبنة ثالثة لحاجبه "داشمند"[4]،وهكذا خلا إقليم خوارزم من الحكام الخوارزميين، وبات ينتظر مصيره المحتوم على أيدي المغول[5].

وبعد وفاة السلطان علاء الدين خوارزمشاه في الحزيرة المنعزلة في بحر قزوين، عبر أولاده الثلاثة وهم جلال الدين منكبرتي، وأزلا غشاهن، وآق شاه، البحر نحو إقليم خوارزم لمواصلة الكفاح ،حيث استقبلوا بمظاهر الفرح والسرور، يقول السنوي: " لما اندرج السلطان إلى رحمة ربّه ودفن بالجزيرة ،ركب جلال الدين البحر إلى خوارزم بأخويه أزلاع

[1] الصيّاد، المرجع السابق، ج1، ص124، الصلابي، دولة المغول، ص128

[2] الحافظ الذهبي، العبر، ج3، ص168

[3] النسوي، المصدر السابق، ص95

[4] حافظ أحمد حمدي، الدولة الخوارزمية، ص161

[5] الصلابي،دولة المغول،ص128.

شاه وآقا شاه، وتباشر النّاس بقدومهم ، تباشر من أعضل داؤه، فظفر بدوائه، واجتمعت عندهم من العساكر السلطانية، زهاءسبعة آلاف فارس[1].

وعلى الرغم من أنّ جلال الدين منكبرتي وأخويه استطاعوا أن يجمعوا جيشا كبيرا لمواجهة المغول، فقد من سوء حظ الخوارزميين أنّ هذا الجيش كان يتكون من تلك القبائل التركية التي تنتمي إليها تركان خاتون، والتي لم ترض عن تولي جلال الدين منكبرتي الحكم بعد أبيه[2].

وأراد جلال الدين منكبرتي أن يخضع هذه الجيوش الثائرة بالقوّة، فتآمروا على قتله فلم يجد مخرجا إلاّ الفرار والنجاة بنفسه من الهلاك نحو خراسان بصحبة ثلاثمائة فارس تحت إمرة "تيمور ملك"، حاكم مدينة خجندة، الذي فرّ إلى خوارزم بعد غزو المغول لمدينته، وقد عبر جلال الدين هذه الصحراء التي تفصل إقليم خوارزم عن خراسان في ستة عشر يوما، وصل بعدها إلى الأراضي القريبة من مدينة "نسا"[3].

كانت خطوة جنكيزخان التالية هي السيطرة على إقليم خوارزم، وهو يعرف جيّدا أهمية موقع هذا الإقليم، فاتخذ كافة الإحتياطات اللازمة، وتقدّم في خريف سنة 617هـ/1220م صوب مدينة" ترمذ"[4]، واستولى عليها بعد حصار وقتل جميع سكانها، وأمضى شتاء سنة 617-618هـ/ 1220_1221م على ضفاف نهر جيجون[5].

---

[1] النسوي، المصدر السابق، ص122، محمد دبير سياقي، المرجع السابق، ص69

[2] منصور عبد الحكيمن المرجع السابق، ص187، كان علاء الدين خوارزمشاه قد اضطر أن يوصي لإبنه أزلاغ شاه بالحكم من بعده تحت تأثير تركان خاتون، متخطيا في ذلك إبنه الأكبر جلال الدين منكبرتي، غير أنّ علاء الدين عاد وهو على فراش الموت، فنقض العهد الذي أعطاه لإبنه الصغير، وأوصى بالحكم لجلال الدين بعد أن تأكّد أنّه الوحيد الذي يستطيع حماية الدولة الخوارزمية، وطبيعي أن يثير ذلك حفيظة الجيوش الخوارزمية من قبيلة كانكالي، التي تنتمي إليها تركان خاتون ، والتي تؤيد الإبن الأصغر أولاغ شاه انظر: حافظ احمد حمدي، الدولة الخوارزمية، ص162، حاشية 2

[3] الصلابي، دولة المغول، ص129

[4] ترمذ: مدينة مشهورة من امّهات المدن، راكبة على نهر جيجون من جانبه الشرقي، انظر: الحموي، المصدر السابق، ج2، ص26

[5] طقوش، تاريخ المغول، ص66

وأمر إبنيه "جغتاي" و"أوكتاي" بالتحرك بقواتهما من إقليم النهر والتوجه إلى جرجانية[1]، ولم يكتفي بهذا، بل كلف إبنه "جوجي" الذي كان يرابط بالقرب من جند،أن يسير بقواته لمساعدة أخويه حتى بلغت هذه الجيوش نحو مئة ألف جندي[2] .

وصل القادة الثلاثة إلى مدينة خوارزم وطلبوا من أهلها التسليم ،ووعدوهم بحسن ، المعاملة واعلمهم "جوجي" أنّ أباه أعطاه إقليم خوارزم ليحكمه، وأنّه حريص على أن تبقى حاضرة هذا الإقليم بعيدة عن التخريب، كما أخبرهم أنّه حذّر جنوده ألاّ يمسوا هذا الإقليم بأذى[3].

وكان السلطان المتوفي علاء الدين خوارزمشاه قد أرسل إلى أهالي المدينة على إثر تقهقره وفراره ينصحهم بالتسليم وعدم المقاومة، صوناً لأرواحهم، وقد ذكر النسوي نص الرسالة في قوله "إنّ لأهل خوارزم علينا وعلى سلفنا من الحقوق المتلاحقة، والسوالف الحاضرة والسابقة، ما يوجب علينا النصح لهم، والإشفاق عليهم، وهذا العدو عدو غالب فعليكم بالمسالمة، والطريق الأرفق ودفع الشر بالوجه الأوفق"[4].

ورغم تحذير "جوجي" ونصح السلطان الخوارزمي، انقسم السكان إلى معسكرين، فريق منهم يؤمن بضرورة التسليم، وفريق آخرين ضرورة المقاومة والدّفاع عن مدينتهم، وقد انتصر أنصار الرأي الثاني، ووقفت المدينة موقف الدّفاع، واستعدّ السكّان للمقاومة[5].

---

[1] جرجانية: قصبة ناحية خوارزم، مدينة عظيمة مشهورة على شاطئ جيحون من أمهات المدن جامعة لأشتات الخيرات وأنواع المسرات ، وهي كثيرة الأهل ،واهلها كلهم أخيار من البقّال والقصّاب والخبّاز والحائك وأهلها أهل الصناعات الدقيقة كالحداد والنّجار وغيرهما. انظر: القزويني، زكرياء بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، دإر صادر، بيروت، ص519،520،521.

[2] الصيّاد، المرجع السابق، ج، ص125

[3] حمدي، الدولة الخوارزمية، ص164

[4] النسوي، المصدر السابق، ص172.

[5] حافظ أحمد حمدي، الدولة الخوارزمية، ص164.

اقتربت طلائع المغول في بوابات المدينة، فظنّ النّاس أنّ جميع قوات جنكيزخان لا تتعدى هذه الطلائع، فتجرؤوا وحاولوا أن يتعقبوهم ليقضوا عليهم، وتقهقر المغول ليطمعوهم فيهم فخدع الخوارزميون، وساروا في أثر خصومهم حتى ابتعدوا عن قواعدهم ما يقرب من فرسخ ،وهنا أحدقت بهم جيوش المغول، وطوقتهم من كلّ جهة، وصاروا يعملون فيهم سيوفهم حتى إذا آذنت الشمس بالمغيب كانو قد أهلكوا عددا كبيرا من هؤلاء الجنود[1].

حاصرت القوات المغولية حصارا شديدا امتدّ خمسة أشهر، وقد قاسى المحاصرون كثيرا من جرّاء ذلك وتكبّدوا خسائر كبيرة[2] ،ونشب الخلاف بين "جوجي" و"جغتاي"، فأرسلا إلى جنكيزخان يطلبان منه مددا، ونقلوا إليه أنباء ذلك الخلاف الذي نشأ بين إبنيه، وما أدّى إليه من شقاق وفساد وفوضى في صفوف الجيش المغولي[3].

أرسل جنكيزخان المدد، وأمر بإسناد قيادة الجيش إلى إبنه الثالث "أجتاي"، وأمره أن يصلح بين أخويه، ولما أعاد القائد الجديد تنظيم جيوشه ،وقضى على تلك الفوضى التي انتشرت في صفوف الجيش، أمر جنده بالهجوم على المدينة[4].

استطاع المغول في النهاية، أن يخترقوا أسوار المدينة، وأن يرفعوا أعلام النّصر على هذه الأسوار، ثمّ أشعل المغول النّار في منازل المدينة ومبانيها[5].

وعلى الرغم من نجاح المغول في اختراق حصون المدينة، صمّم الخوارزميون على الإستماتة في الدّفاع عن أنفسهم ومدينتهم، وقد ساهم النساء والأطفال في هذا الجهاد[1].

---

[1] الصيّاد، المرجع السابق، ج1، ص126.

[2] ابن الأثير، الكامل، مج10، ص421.

[3] عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص198، حمدي، الدولة الخوارزمية، ص165.

[4] منصور عبد الحكيم، المرجع السابق، ص190 .

[5] الجويني، تاريخ فاتح العالم، ج1، ص 149، الصلابي، دولة المغول، ص131

استمرت مقاومة الخوارزميين على هذا النحو سبعة أيّام، وأخيراً وجد السكّان أنفسهم قد تجمّعوا في ثلاثة أحياء، وبعد أن أعيتهم الحيلة وضاقت بهم السبل عرضوا على المغول التسليم ، فأرسلو الفقيه "عالي الدين" محتسب[2] خوارزم إلى قائد الجيش المغولي، الذي أولاه احترامه وأمر أن تفرد له خيمة خاصة، ولمّا مثل أمامه قال له: إنّنا شاهدنا من هيبة الخان وقد آن أن نشاهد من مرحمته، فغضب القائد المغولي وقال: ماذا رأوه من هيبتي، وقد أفنو الرجال وطالوا القتال، فأنا الذي شاهدت هيبتهم وها أنا الآن أريهم هيبتي"[3] ،وقد أمر القائد المغولي الأهالي الخروج من المدينة إلى الصحراء، وفصلوا عنهم ما يزيد عن المئة ألف كانو من الحرفين والصناع[4] ،وأرسلوهم إلى الأقاليم المغولية[5].

يصف ابن الاثير حال المدينة بقوله:"..... حتى ملكوا البلد جميعه، وقتلوا كلّ ما فيه ونهبو كلّ ما فيه، ثمّ إنّهم فتحوا السدّ الذي يمنع ماء جيجون عن البلد، ولم يسلم من أهله أحد البتة، فإنّ غيره من البلاد قد كان يسلم بعض أهله، منهم من يختفي ومنهم من يهرب، ومنهم من يخرج ثم يسلم، ومنهم من يلقي نفسه بين القتلى فينجو، وأمّا اهل خوارزم فمن اختفى من المغول أغرقه الماء ،أو قتله الهدم، فأصبحت خرابا يباباً:

كأنّ لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنين ولم يمر بمكّة سامر"[6]

---

[1] منصور عبد الحكيم، المرجع السابق، ص190

[2] كانت وظيفة المحتسب من الوظائف ذات الشأن عند المسلمين بوجه عام، إذكان للمحتسب نواب يطوقون في الأسواق فيفتشون في القدور واللّحوم وأعمال الطهاة، ويلزمون رؤساء المراكب ألاّ يحملوا أكثر ممّا يجب حمله من السلع، ويشرفون على السقاينين لضمان تغطيتهم القرب، ولبس السراويل، بما لا ينافي الآداب العامة، ويمنعون معلمي الكتاتيب من ضرب الصغار ضربا مبرحا...واتسعت سلطته حتى ألزم رجال الشرطة أن يقومو بتنفيذ أحكامه: انظر: حسن ابراهيم حسن، النظم الإسلامية، ص355

[3] النسوي، المصدر السابق، ص162

[4] الجويني،تاريخ فاتح العالم ، ج1، ص150

[5] الصياد، المرجع السابق، ج1، ص127

[6] ابن الأثير، الكامل، مج1، ص422، ابي الفداء، المختصر، ج3، ص128

هكذا سيطر المغول على إقليم خوارزم، وسيطرتهم على حاضرة هذا الإقليم، لم تعد هناك مدينة أو قرية تستطيع أن تقف في وجوههم، كما أصبح الجيش الخوارزمي في هذا الإقليم محطّما تماما[1]، وبإستيلاء المغول على إقليم ما وراء النهر وخوارزم، استطاعوا أن يحيطوا تماما بإقليم خراسان ،حيث وجّهوا ضربتهم التالية، فاستولوا على مدن هذا الإقليم المدينة تلو المدينة، ولم يقف في طريقهم عائق أو يمنعهم مانع[2].

4- سقوط إقليم خراسان:

حرص جنكيزخان على فتح بقية الأقاليم التي تتكوّن منها الدولة الخوارزمية في أسرع وقت ممكن، وكان يهدف من وراء ذلك إلى القضاء نهائيا على عظماء هذه الدولة وسلاطينها، والعمل على بث الرعب والفزع في نفوس الأهالي، لكي يسرعوا إلى الخضوع والإستسلام، وعلى هذا الأساس أعدّ جنكيزخان حملته لغزو إقليم خراسان، فبعد أن استولى على نخشب وترمذ، عبر نهر جيحون وتوجّه إلى بلخ التي تقع على الضفّة الغربية، وكانت في ذلك الوقت من أهم المدن في إقليم خراسان[3] ،وأمر بإخراج جميع أهالي بلخ صغيرا أو كبيرا رجالا ونساء إلى الصحراء، وقامو بقتلهم جميعا وأضرموا النّار في حديقة المدينة[4].

عندما فرغ جنكيز خان من أمر القتال في بلخ، عيّن "إبنهتولي" مع جيش كبير قدّر بسبعين ألف مقاتل ،وأمره بالإتّجاه نحو خراسان والسيطرة عليها، واتجه هو نحو الطالقان[5]، بهدف إخضاع المدن الواقعة في أعالي نهر جيجون [1].

---

[1] منصور عبد الحكيم، المرجع السابق، ص192

[2] حمدي، الدولة الخوارزمية، ص168

[3] الصيّاد، المرجع السابق، ج1، ص129

[4] الجويني، تاريخ فاتح العالم ، ج1، ص154

[5] الطالقان: بلدتان إحداهما بخراسان بين مرو الروذ وبلخ، والأخرى في طرخستان، انظر: الحموي، المصدر السابق، ج4، ص06

تقدمت طلائع جيش "تولوي" بقيادة "طغجا"ر، زوج ابنة جنكيزخان وتحت إمرته عشرة آلاف جندي، وعسكرو اتجاه مدينة نسا [2]، وعنما اقتربت احدى الفرق المغولية من هذه المدينة، تصادف ان أصيب قائدها المغولي بأحد سهام المسلمين فأرادوه قتيلا ، فشدّدوا الحصار على المدينة، كما حاصروا قلعتها خمسة عشر يوما، لم يتوقفوا عن القتال ليلا ولا نهارا ، ونصبوا عليها عشرين منجنيقا تجذبها الرجال الذين جمعوا من أطراف خراسان[3]، حتى سقطت المدينة في أيديهم، ارتكبوا مع الأهالي أشد الفضائع ، و أنزلوا بهم أقسى الأهوال، ويصف النسوي ذلك يقوله : " فساقوهم إلى فضاء وراء البساتين، كأنهم قطعان الضانية تسوقها الرعاة، ولم يمد المغول أيديهم إلى سلب و نهب، إلى أن حشروهم إلى ذلك الفضاء الواسعة بالصغار و النساء، و الضجيج يشق جلباب السماء، و الصياح يسد منافذ الهوا، ثم أمروا الناس بأن يُكتفوا بعضهم بعضا ففعلوا ذلك خذلانا، و إلا فلو تفرقوا و طلبوا الخلاص عدوا من غير قتال و الجبل قريب لنجا أكثرهم، فحين كتفوا جاؤا إليهم بالقوس، و أضجعوهم على العدى و أطعموهم سباع الأرض، و طيور الهوى، فمن دماء مسفوكة، و ستور منهوكة، و صغار على ثدي أمهاتها المقتولة متروكة، وكان عدة من قتل بلسان أهلها، و من انضوى إليها من الغرباء و رعية بلدها سبعون ألفا "[4].

وقد التجأ محمد النسوي مؤرخ حياة جلال الدين منكبرتي هو وبعض الأسرى إلى قلعة "مرج سائغ"، إحدى قلاع خراسان الحصينة، و التي كانت ملكا له ولآبائه و أجداده من قبل، و كانت لوقوعها وسط خراسان وفي هذا المكان الحصين، تعد ملجأ يعتصم فيه الكثيرون وقت الحاجة، وقد حاصر المغول هذه القلعة، لكنهم لما لم يجدوا وسيلة

---

[1] عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص201، طقوش، تاريخ المغول، ص67

[2] عبد العزيز فهمي، المرجع السابق، ص67،

[3] الصياد، المرجع السابق،ج1 ص 129

[4] النسوي، المصدر السابق، ص114 115

للاستيلاء عليها فرضوا على أهلها في مقابل رفع الحصار عنها مئة ألف لباس من القطن، وبعض الأشياء الأخرى التي كان المغول في حاجة إليها.[1]

وقد قبل محمد السنوي أن يرسل إليهم ما طلبوه، على أن أحدا لم يقبل مهمة توصيل هذه الأشياء للمغول خوفا من الغدر به، وأخيرا قبل رجلان مسنان القيام بهذه المهمة، وقتلا على أيدي المغول.[2]

5- الاستلاء على مرو:

كان هدف "تولي" الرئيسي هو الاستلاء على مرو عاصمة هذا الإقليم، فسار إليها على رأس جيش كبير[3]، وكانت حتى ذلك الوقت مدينة عامرة يمتاز أهلها بالغنى و الثراء، فكانوا يعيشون في سعة من العيش، و لقد رأت هذه المدينة من العز و رفعة الشأن الشيء الكثير إذ كانت مقر سلاطين السلاجقة،[4] فكان السلطان سنجر بن ملك شاه السلجوقي مقيما بها، و دفن هناك[5] ،ووقع إختيار الخوارزميين عليها لتكون حاضرة لهم، و كانت تزخر بالمكتبات و تموج بالعلماء و الأدباء[6].

تقدم "تولي" إلى مدينة مرو بجيش تعداده حوالي سبعين ألف، منهم أعداد كبيرة من أسرى البلاد التي استولوا عليها، و في طريقهم وقعوا على جماعة من التركمان كانوا قد

---

[1] حمدي، الدولة الخوارزمية، ص 173، منصور عبد الحكيم، المرجع السابق، ص 199

[2] نفسه، ص 200

[3] الصياد، المرجع السابق، ج، ص 130

[4] كي يسترنج، المرجع السابق، ص 442،443.

[5] ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص 144.

[6] عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص 203.

غنموا من مرو أشياء منتهزين تلك المحنة التي حلت بها، فأوقع بهم المغول وسلبوهم ما معهم.[1]

إجتمع بمدينة مرو مائتي ألف رجل من الأعراب والأتراك و غيرهم ممن نجو من المغول، وهم عازمون على لقائهم،[2] لكن القائد المغولي سار في خمسمائة من الخيالة لإجتياز حصون المدينة، ولم يمض أسبوع حتى تجمعت الجيوش المغولية التي أخذت في الهجوم على المدينة، و كان أمام المحاصرين منفذان للنجاة، و لكن المغول فطنوا إليهما، و قضوا الليل على حراسة الأسوار و المنافذ ليحولوا دون خروج الأهالي والجيوش الخوارزمية منها.[3]

ولما كان اليوم الخامس من الحصار أرسل المغول إلى الحاكم المدينة يقولون له:"لاتهلك نفسك وأهل البلد، وأخرج إلينا، فنحن نجعلك أميرهذه البلدة، ونرحل عنك[4].

وفي اليوم التالي أرسل حاكم المدينة و كان يطلق عليه، "مدير الملك"، كبار رجال الدين إلى "تولوي" يعرضون التسليم بشرط أن يؤمن من في داخل المدينة، فوعدهم المغول بتلبية مطالبهم حتى أن المديرالملك خرج بنفسه إلى معسكر المغول يحمل الهدايا إلى "تولوي"[5] ،الذي أكرمه و عاهده ألا يتعرض لأحد من أهل مرو،[6] وطلب منه رؤية كبار رجال مدينته وأعيانها ليخلع عليهم الخلع و يمنحهم الهبات، فجد الحاكم الخوارزمي في استدعائهم ،ولما حضروا إلى معسكر المغول قيدهم "تولوي"، و طلب منهم اعداد قائمة

---

1 ثروت عكاشة، المرجع السابق، ص 214، صبرة، المرجع السابق، ص 203.

2 ابن الأثير، الكامل، مج10، ص 420، ابن خلدون، العبر، ج5، ص 135.

3 حافظ أحمد حمدي، الدولة الخوارزمية، 174،175.

4 ابن الأثير، الكامل، مج10، ص 420، ابن خلدون، العبر، ج5، ص 135.

5 حمدي، الدولة الخوارزمية، ص 175.

6 ابن أبي حديد، حملات الغزو المغولي للشرق، تر، مختار جبلي، دار لامارتون، باريس،1940، ص 51.

بأسماء الأغنياء و كبار الملاك، الذين جيء بهم الى معسكر المغول مع نحو أربعمائة من أصحاب الحرف و المهن، وفعلوا ما أراد[1].

ثم دخلت الجيوش المغولية المدينة و طاردت السكان، الذين أمرهم "تولوي" بالخروج هم وأسرهم ومايملكون من أموال،[2] وجلس على كرسي من ذهب في أحد السهول المحيطة بالمدينة، ووزع الرجال و النساء و الأطفال، فكان يوما مشهودا من كثرة الصراخ و البكاء و العويل،[3] و أزال المغول أسوار المدينة ومبانيها، و دمروا قلعتها و نبشوا قبر السلطان سنجر طلبا للمال، و قدر عدد قتلى هذه المدينة سبعين ألفا،[4] أما الجويني فيذكر أن عدد عدد القتلى يزيد عن مليون و ثلاثمائة ألف قتيل.[5]

6- تدمير مدينة نيسابور:

احتلت مدينة نيسابور منزلة كبيرة في تاريخ الحضارة الإسلامية، إذ اتخذتها السمانيون و الغزنويون عاصمة لهم، وارتفع شأنها كذلك في عهد السلاجقة و الخوارزميين ،و صارت عامرة بمبانيها و آهلة بسكانها إلى أن كانت نهايتها على أيدي المغول[6] ، فبعد أن استولى "طغاجار" على مدينة نسا، توجه الى نيسابور ،وكانت قد استعادت حريتها بعد رحيل قوات المغول عنها عند ما كانت تتعقب السلطان الخوارزمي.[1]

---

[1] ابن الأثير، الكامل، مج10، ص 420،فهمي،المرجع السابق، ص 69

[2] حمدي، الدولة الخوارزمية، ص 175.

[3] ابن الأثير، الكامل، مج10، ص 420، محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص 39.

[4] الصلابي، دولة المغول، ص 137.

[5] ابن الأثير، الكامل، مج10، ص 420، الصياد، المرجع السابق، ج1، ص 131.

[6] تعرضت مدينة نيسابور للتخريب مرتين في غضون نصف قرن، مرة سنة (548هـ – 1153م- على أيدي الأتراك الغز الذين ثاروا في وجه السلطان سنجر السلجوقي، و اكتسحوا خراسان، و مرة أخرى سنة (605هـ – 1208م- بتأثير زلزال عنيف حتى اضطر الأهالي الى الهجرة و

سار"طغاجار" بعد مذبحة نسا سنة (**617هـ/1220م**) الى مدينة نيسابور،وعزم الاستلاء عليها و قد هاجمها بالفعل، و لكنه قُتل بعد ثلاثة أيام بسهم من سهام أعدائه،[2] فتيقن المغول أنه لابد من جمع جيش كثيف ليتمكنوا من اسقاط هذه المدينة، لذلك تراجعوا عنها الى مرو كما ذكرنا سابقا، واتصلوا بجنكيزخان يطلبون منه المدد، فأرسل إليهم "تولوي".[3]

قصد القائد المغولي تولوي مدينة نيسابور، بعد أن فرغ من فتح مدينة مرو، و كان مدفوعا بعامل الحقد و الضغينة و الانتقام من قتله "طغاجار" زوج أخته، أما الأهالي فقد أساؤا الى فصائل المغول التي كانت تظهر تباعا بالقرب من المدينة، ثم أخذوا أهبتهم للاستعداد عندما علموا ان المغول سيهاجمون المدينة،[4] فجهزوا ثلاثة آلاف آلة من السهام المعدة للعمل فوق الجدار، و نصبوا ثلاثمائة من المنجنيق و آلات القذف و جهزوها بما يلزمها من أسلحة، و كانوا على قلب رجل واحد.[5]

غير أن ما أعده المغول من آلات الحرب، لم يكن أقل من ذلك فضلا على أنهم خربوا جميع الأراضي التي كانت تحيط بالمدينة، فنصبوا أمامها ثلاثة آلاف آلة لقذف الرماح و ثلاثمائة منجنيق، وسبعمائة آلة القذف النفط، و أربعة آلاف سلم ،كما أحضروا من الجبال القريبة ألفين و خمسمائة حمل من الطوب[6].

الاستقرار في الأراضي الصحراوية المحيطة ردحا من الزمن، و بعد أن استعادت سينابوربهائها و عمرت سكانها و مبانيها، قدر ان تخرب للمرة الثالثة على يد تولوي انظر: السنوي المصدر السابق، ص 118، حاشية،8، الحموي، معجم البلدان،ج5، ص 332.

[1] الصياد، المرجع السابق، ج1، ص 131.

[2] النسوي، المصدر السابق، ص 118، حمدي، الدولة الخوارزمية، ص 176، الصلابي، دولة المغول، ص 136.

[3] عفاف ستيد صبرة، المرجع السابق، ص 204.

[4] حمدي، الدولة الخوارزمية، ص 176، الصياد، المرجع السابق، ج1، ص 131.

[5] الجويني، تاريخ فاتح العالم، ج1، ص 192.

[6] حمدي، الدولة الخوارزمي، ص 176، Dohsson op .cit p

ولما رأى سكان نيسابور المحاصرون، و قواد الجيوش الخوارزمية هذه المعدات الحربية، فضلا عن الجيوش المغولية التي أحاطت بالمدينة من كل جانب، فقدوا رباطة جأشهم، و ارسل الأهالي نوابا عنهم من الائمة و كبار رجال المدينة و على رأسهم قاضي القضاة في خراسان الى المعسكر المغولي، وعرضوا على "تولوي" التسليم، و تعهدوا بأن يؤدوا للمغول ضريبة سنوية، لكن "تولوي" رفض التسليم، و قرر الانتقام لزوج أخته "طغاجا"[1].

و في العاشر من صفر 618هـ/1221م، شرع المغول في مهاجمة المدينة من كل جانب حتى سقطت، واندفعوا الى داخلها كالسيل العرم الذي لا يبقي و لا يزر ، وانقضوا على السكان كالوحوش الضارية، و أخذوا يثأرون لمقتل "طغاجار"، حتى أن زوجته دخلت المدينة هي الأخرى، بصحبة عشرة آلاف رجل، قتلوا كل من صادفهم من رجال و نساء وأطفال و لم يتركوا حتى القطط و الكلاب، و ذلك ثأرا لمقتل زوجها.[2]

يصف الجوزجاني ذلك المشهد بقوله:"...وقضى على أهالي تلك المدينة تماما انتقاما منهم، لأن صهر جنكيزخان كان قد قتل هناك، و خرب المدينة وهدم أسوارها، و ربط المحاريث وساقها في المدينة، بحيث لم يبق من عماراتها أثر".[3]

أما ابن الاثير فيقول:".....قتلوهم و سبوا حريصهم وعاقبوا من اتهموه بمال كما فعلوا بمرو، و اقاموا خمسة عشر يوما يحربون و يفتشون المنازل عن الأموال ... و امروا بأهل نيسابور ان تقطع رؤوسهم لئلا يسلم من القتل أحدا " .[4]

---

[1] الجويني، تاريخ فاتح العالم، ج1، ص 192، عبد العزيز فهمي، المرجع السابق، ص 69، 70.

[2] حمدي، الدولة الخوارزمية، ص 177.

[3] الجوزجاني، طبقات ناصري، ج2، ص 136.

[4] ابن الاثير، الكامل، مج10، ص 136.

لم يُبق المغول الا على أربعمائة رجل من أصحاب المهن للانتفاع بها، و حملوهم الى تركستان،[1] و قد قدر عدد من قتل من سكان هذه المدينة بمليون و نصف المليون من المسلمين[2]، ومما هو جدير بالذكر ان سقوط هذه المدينة حدث بعد وفاة علاء الدين خوارزم شاه شهرين[3].

" وعند فراغ المغول من هذه المدينة، سير "تولوي" فرقة من جيشه الى مدينة"طوس" فخربوها و خربوا المشهد الذي فيه الامام على بن موسى الرضا، وهارون الرشيد، حتى جعلوا الجميع خرابا "[4].

7- الاستلاء على مدينة هراة:

لم يبق أمام المغول من مدن خراسان الهامة إلا مدينة هراة، التي وصلها "تولوي" بعد مسيرة خمسة أيام في الجنوب الشرقي من سينابور، و تقع وسط سهل خصيب تحيط بها الجبال، وقد أرسل "تولوي" رسولا الى هذه المدينة يطلب من أهلها التسليم، غير أن نصيب هذا الرسول كان القتل، وطلب حاكم المدينة من رجاله الدفاع عن أنفسهم وعن مدينتهم بكل ما أتوا من قوة.[5]

أمر "تولوي" بمهاجمة المدينة من جميع جهاتها في آن واحد، و بعد ثمانية أيام عرض حاكم المدينة التسليم بشرط تأمين الأهالي على أرواحهم، فوافق "تولوي" على ذلك[6] ذلك[6] ،الا أنه بعد ان دخل المدينة بدأ في قتل أتباع السلطان جلال الدين منكبرتي، والذي

[1] الجويني، تاريخ فاتح العالم، ج1، ص 193.

[2] النسوي، المصدر السابق، ص 119، حاشية،03.

[3] منصور عبد الحكيم، المرجع السابق، ص 203، الصلابي، دولة المغول، ص 137.

[4] ابن الاثير، الكامل، مج10، ص 421.

[5] حمدي، الدولة الخوارزمية، ص 178،177، الصياد، المرجع السابق، ص 132.

[6] الجوز جاني، طبقات، ج2، ص 137،عبد العزيز فهمي، المرجع السابق، ص 70،.

والذي بلغ عددهم ما يقارب من **12000** شخص، ثم ولى عليها حاكما مسلما، وغادرها بأمر من أبيه جنكيز خان ليلحق به عند مدينة الطالقان.[1]

على أن هراة ما لثبت أن ثارت على الحكم المغولي بعد سماع أهلها خبر انتصارات جلال الدين منكبرتي التي احرزها على المغول في إقليم غزنة، الامر الذي جعل المغول يجردون عليها حملة قاسية و دخلوها قهرا و عنوة، و قتلوا كل من فيها، و نهبوا الأموال، و سبوا الحريم، و نهبوا السواد و خربوا المدينة و احرقوها.[2]

وبذلك حقق "تولوي" هدفا كبيرا من أهداف المغول، و هو الاستلاء على إقليم خراسان، الذي يعد من أهم ممتلكات الدولة الخوارزمية،[3]و مما هو جدير بالذكر أنه في الوقت الذي غزا فيه المغول خراسان، تركت احدى القبائل التركمانية التي كانت تسكن بالقرب من مدينة مرو، املاكها تحت تأثير الفزع من ناحية المغول وهاجرت غربا الى أرمينية، وبعد ثمانية أعوام أغار المغول على هذا الإقليم، فتركت هذه القبيلة المكان و سارت الى آسيا الصغرى، واستطاع قائدها "أرطغرل" مع رجاله ان يقيموا في احدى المقاطعات التابعة لسلطان السلاجقة الروم، في إقليم أنقرة على حدود الدولة البيزنطينة، و لما توفى أرطغرل وسعت هذه القبيلة أراضيها على البيزنطيين، و تحولت الزعامة الى عثمان الذي استطاع في سنة **700هـ/ 1300م**بعد أن دب الضعف الى السلاجقة في آسيا الصغرى، أن يكون دولة على أنقاض هذه الدولة السلجوقية، و اتخذ لنفسه لقب سلطان، و يعتبر عثمان هذا هو المؤسس الحقيقي للدولة العثمانية.[4]

رابعاً: المغول والسلطان جلال الدين منكبرتي.

---

[1] الصلابي، دولة المغول، ص 137.

[2] ابن الاثير، الكامل، مج10، ص 421، ابن ابي حديد، المصدر السابق، ص 52، الصلابي، دولة المغول، ص 138.

[3] عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص 207.

[4] حمدي، الدولة الخوارزمية، ص 180،181، Dohsson op_ cit.p 293

1-إستيلاء المغول على إقليم غزنة.

لما بلغ جنكيز خان أن السلطان جلال الدين منكبرتي وصل إقليم غزنة في جيش كبير، أسرع في المسير إلى هذا الإقليم، وحاصر في طريقه قلعة "باميان" الحصينة ببعض جيشه الذي كان قوامه ستين ألف مقاتل، في حين أرسل معظمه للقاء جلال الدين، وما لبثت قواته أن اقتحمت هذه القلعة، ودخلت المدينة، وهدمت ما بها من جوامع وقصور وأزالت معالم الحياة فيها[1].

إستقبل أهل غزنة السلطان جلال الدين استقبالا طيبا، يقول النسوي " وصل غزنة في سنة 618هـ، وتباشر الناس بوصوله، تباشير الصوّام بهلال الفطر، وذوي المحلول، والإعدام بإنهلال القطر..."[2]، والتفوا حوله، وقدم عليه الجنود الخوارزميون المشتتون في النواحي ،فكوّن من الجميع جيشا بلغ تعداده ستين ألفا من المشاة، وسبعين ألفا من الفرسان[3].

وفي الوقت الذي كان فيه جنكيزخان ينعم بثمرة انتصاره في باميان، تلقى خبرا بانتصار السلطان جلال الدين منكبرتي على احدى فرقه العسكرية في السهول المحيطة بمدينة بروان شمالي غزنة، وكانت تحاصر قلعة واليان في طخارستان[4]، وعندما علم بنبأ هذا الهجوم، أرسل جيشا على وجه السرعة يقدر بثلاثين ألفا جندي، بقيادة " شيكي كوتولا "، لحرب السلطان الخوارزمي، واشتبك الطرفان في رحى معركة ضارية على بعد فرسخ من بروان، إستمرت يومين ،واسفرت عن انتصار السلطان جلال الدين[5].

---

[1] الصلابي، دولة المغول، ص138.

[2] النسوي، المصدر السابق، ص154.

[3] ابن الأثير، الكامل، مج10، ص422، طقوش، تاريخ المغول، ص68.

[4] الجويني، تاريخ فاتح العالم، ج1، ص155.

[5] فهمي، المرجع السابق، ص75.

ولقد كان لي انتصار المسلمين على المغول في جميع البلاد التي سيطر عليها المغول، فقامت بثورات ضد هؤلاء الغزاة، اسفرت عن مقتل بعض الحكام المغول في هذه البلاد، فقد ثار الاهالي في هراة وقتلوا الحاكم المغولي، لكن المغول سرعان ما استعادوا زمام السيطرة ،وقتلوا جميع السكان وخربت المدينه تخريبا كاملا [1].

وكان انتصار جلال الدين منكبرتي على المغول في سهول بيروان انتصارا مؤقتا، فبينما كان يوزع الغنائم على قواده وجنوده، اشتد النزاع بين قائدين من كبار قواده على حصان عربي كان كل منهما يريده لنفسه، وبلغ من حدة الخلاف أن ضرب احدهما الآخر على رأسه بسوط كان يحمله، ولم يرضى السلطان عن هذه الإهانة، ولم يقبل القائد المعتدي أن يعتذر عما بدر منه، وكانت النتيجة أن انسحب القائد الآخر بجنوده إلى مدينة " بشاور" على حدود الهند، وانضم إليه عدد كبير من الجنود الغورية في مدينة غزنة بعد أن خابت جميع جهود السلطان لإعادتهم، ولما وجد جلال الدين أن جيوشه أصبحت مقصورة على الأتراك والخوارزميين دون الجنود الغورية، الذين كانو يكونون عصب الجيش الخوارزمي، أدرك انه لم يعد قادرا على مواجهة المغول[2]، فقرر الإنسحاب إلى السهل الواقع غربي نهر السند، خاصة عندما علم أن جنكيزخان قدم إلى إقليم غزنة لينتقم لهزيمة قائده في سهول بيروان.[3]

تجهز جنكيز خان بقواته من الطالقان نحو غزنة، وحينما وصل إليها علم بأن جلال الدين هرب منها منذ خمسة عشر يوما متجها نحو نهر السند، ولم يتوقف جنكيزخان بل اخذ طريقه مسرعا ليتعقب جلال الدين إلى حيث وصل[4].

---

[1] ابن الأثير، الكامل، مج10، ص422.

[2] النسوي، مصدر سابق، ص155، 156، حافظ أحمد حمدي، الدولة الخوارزمية، ص187.

[3] ابن الأيثر، الكامل، مج10، ص 423.

[4] عفاف سيد صبرة، المرجع السابق،209،210.

أما جلال الدين فجمع السفن ليعبر بها نهر السند هو وجنوده، عله يجد مأمنا في بلاد الهند، وما إن علم البحارة الهنود من أهل السند بمقدم جنكيزخان حتى لاذوا بالفرار تاركي السلطان الخوارزمي وجنوده على الشاطئ، ولم يستطع أن يحصل إلاّ على سفينة واحدة أمر أن تنقل فيها أمه وزوجه وأولاده الصغار، لكن المركب ما لبث أن تحطمت وتعذر عبور أسرة الخوارزمساه.[1]

وفي هذه الأثناء وصلت جحافل المغول واستطاعت أن تحاصر قوات جلال الدين منكبرتي ،وانحسرت الجيوش الخوارزمية بين نهر السند من جهة وجيوش المغول من جهة أخرى[2] ، فطاف به العسكر من أمامه ومن خلفه وداروا عليه دائرة وراء دائرة كالقوس الموترة ونهر السند كالوتر وهو في الوسط.[3]

وأمام هذا الوضع لم يكن لجلال الدين سوى مواجهة قوة المغول، حيث حدد النسوي تاريخ اللقاء في صبيحة يوم الأربعاء 08 شوال 618 هـ/ 1221م، في وقت قلت فيه جيوش جلال الدين، ومع ذلك فقد استطاع أن يشق صفوفهم مرة بعد مرة[4] ، وحمل بنفسه على قلب جنكيز خان فمزقه بددا، وولى جنكيزخان بنفسه هزيما ،وكادت الدائرة تدور على المغول، إلاّ أن جنكيز خان قد دبر كمينا لجلال الدين مكون من حوالي عشرة ألاف فارس من فرق البهادرية، نجحوا في الإجهاز على ميمنة جلال الدين، وكان عليها أمين ملك فهزموهم هزيمة نكراء، وانقلب انتصار جلال الدين إلى هزيمة، حيث تبدد نظامه وتزعزعت من الثبات أقدامه، وأسفرت المعركة عن أعداد كبرى من القتلى، إلى

---

[1] عبد العزيز فهمي، المرجع السابق، ص76.

[2] حافظ أحمد حمدي، المرجع السابق، ص186.

[3] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص236.

[4] النسوي، المصدر السابق، ص158، ابن العبري، تاريخ مختصر الدوّل، ص 236.

جانب الغارقين في النهر، وأسر جنكيزخان إبن جلال الدين وعمره ثمانية سنوات، وقتل على يدي جنكيزخان[1].

وأكثر من ذلك أإن رأى جلال الدين والدته وزوجته وحريمه يصحن بالله عليك أقتلنا وخلصنا من الأسر، فأمر بهن فغرقن حتى لا يقعن في أسر المغول[2]، وعبر جلال الدين النهر بواسطة فرسه الذي انقذه من المغول[3]، الذين بقوا مندهشين لشجاعة وبسالة السلطان الخوارزمي، حتى أن جنكيز خان توجه إلى أولاده قائلا لهم " ينبغي أن يكون للأب ابن مثل جلال الدين، وحيث أنه نجا من الغرق والنار ووصل إلى الساحل سالما، فسوف تتولد عنه أعمال كثيرة لا حصر لها بالنسبة إلينا، وإذن فكيف يستطيع الرجل العاقل أن يغفل عنه ".[4]

وكانت الجيوش المغولية تتوق إلى اللحاق بجلال الدين، إلاّ أن جنكيزخان منعهم عن ذلك، وأمرهم بالغوص في النهر لإستخراج الذهب والفضة التي ألقاها السلطان الخوارزمي في النهر حتى لا تقع غنيمة سهلة في أيدي المغول، فأخرجوا ما يمكن إخراجه[5]،وعاد المغول بعد ذلك إلى إقليم غزنة، وقتلوا أهلاها ونهبوا الأموال، وسبوا حريمها، وخربوها.[6]

وكان إقليم غزنة آخر حصون الخوارزميين التي غزاها المغول، ويمكن القول أن بخضوع هذا الإقليم لم يعد هناك ما يحول بينهم وبين السيطرة التامة على جميع أراضي

---

[1] النسوي، نفسه، ص158، 159، عطية القوصى، المرجع السابق، ص 143.

[2] ابن الوردي، المصدر السابق، ج2، ص 155.

[3] النسوي، المصدر السابق، ص 160، الجوزجاني، طبقات ناصري، ج2، ص 135.

[4] الجويني، تاريخ فاتح العالم، ج1 ، ص 158، ابن العبري، تاريخ مختصر الدوّل، ص 136.

[5] نفسه، ص 136، حافظ أحمد حميدي، الدولة الخوارزمية، ص 187.

[6] ابن الأثير، الكامل، مج10، ص 423.

الدولة الخوارزمية التي ألحق المغول بها التخريب من كل جانب، ولم يسلم من هذا التخريب إلا الأقاليم البعيدة التي لم تكن في متناول أيديهم، أو تلك التي وجد المغول أن لا فائدة من الاستيلاء عليها كأتابكيتي فارس و لورستان.[1]

وبعد أن سيطر المغول على منطقه غزنة، وكامل البلاد الخوارزمية، وقد تتبعوا الخوارزميين في كل مكان تقتيلا وتشريدا، ولما اطمأن جنكيزخان إلى تحقيق أهدافه، صمم على العودة إلى منغوليا، خصوصا عندما علم أنّ ثورة قامت ضده في شمال الصين والتبت، وأن الظروف تستدعي وجوده هناك، فسلك طريق هراة، كما أمضى ثلاثة أشهر في أطراف بيشاور وولاية البنجاب، ومن بيشاور توجه إلى كابل وحدود نهر جيحون، وبعد أن أمضى الشتاء من عام (620 هـ/ 1223م) ،وبالقرب من نهر سيحون أرسل في إستدعاء أبنائه ليقوموا بالصيّد والقنص، وليتفاوض معهم في مهام الأمور التي تتعلق بتدبير شؤون الممالك التي سخرها المغول، فلحق به جغتاي و أوكيتاي عند هذا النهر.[2]

وعند حدود الدولة الخوارزمية، وقف جنكيزخان فترة مع تركان خاتون والدة السلطان محمد خوارزمشاه، لتلقي آخر نظرة على أراضي وطنها، وتقف على ملكها الضائع، ولتكفر عن أعمالها وقسوتها، عندما أمرت بقتل البقية الباقية من أمراء السلاجقة والغوريين، وكانوا رهائن لديها لا يملكون من أنفسهم شيئا.[3]

2-السلطان جلال الدين منكبرتي في الهند:

[1] حمدي، الدولة الخوارزمية، ص 192.

[2] الصيّاد، المرجع السابق، ج1، ص 136.

[3] براون إدوارد جرانفيل، تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي، تر، ابراهيم أمين الثوارزي، مكتبة الثقافة العربية، د، س،ش، وبلد النشر، ص 570، الصياد، المرجع السابق، ج1 ص137.

بعد الهزائم التي مني بها جلال الدين منكبرتي، لم يصبح أمامه مفراً سوى نهرالسند، فلبس ملابسه وركب جواده، وألقى بنفسه في ماء النهر[1]، فنجا منهم إلى ذلك البر نحو أربعة آلاف رجل حفاة عراة، ورمى الموج جلال الدين مع ثلاثة من خواصمه إلى موضع بعيد ولقوه بعد ثلاثة أيام[2]، وبدؤا في شن الحملات ضد الأهالي الهنود في المنطقة يقتلون وينهبون، حتى يحصلوا على السلاح والمال [3].

توغل جلال الدين منكبرتي في الهند، وحاول أن يلجأ إلى شمس الدين ألتمش سلطان دلهي[4]، الذي وقع في حرج كبير وحاول أن يبعد جلال الدين عن بلاده بشتى الوسائل، فأرسل إليه الهدايا وأخبره أن جو بلاده لا يلائمه، ونصح له بالالتجاء إلى مدينة " مولتان " على نهر السند [5].

كما تعامل جلال الدين منكبرتي مع قباجة أحد الولاة التابعين للغور في بلاد الهند، وخاصة عندما علم أن بنت أمين ملك قد نجت من الغرق، وتوجد في مدينة أوجاهي التابعة لممتلكات قباجة، فطلب جلال الدين منه أن يرسلها فوافق قباجة، وأرسلها ومعها الهدايا[6].

لم تستمر الألفة والمودة طويلا بين هذا الوالي الهندي، وبين جلال الدين، وبدأ الصراع عندما وصل شهاب الدين ألب الذي كان وزيرا لجلال الدين أثناء ولايته على غزنة، إلى أراضي قباجة بعد معارك المغول، ولم يكن قباجة في هذه الفترة يعرف بخبر

---

[1] عفاف سيّد صبرة، المرجع السابق، ص 214.

[2] ابن الوردي، المصدر السابق، ج2، ص156.

[3] النسوي، المصدر السابق، ص 162.

[4] شمس الدين ألتمش أحد الأتراك في الدولة الغورية، وقد سار إلى بلاد الهند بعد سقوط هذه الدولة ،وتمكن من تأسيس إمارة في الجزء الشمالي من هذه البلاد، أنظر: حمدي، الدولة الخوارزمية، ص 200، حاشية، 2.

[5] النسوي، المصدر السابق، ص 162، طقوش، تاريخ المغول، ص82.

[6] عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص 215.

نجاة جلال الدين ووصوله سالما إلى الأراضي الهندية، لذلك فقد تحدث قباجة إلى شمس الدين في موضوعات سرية كثيرة تخص جلال الدين، وعندما وصلته الأخبار بنجاة جلال الدين تخوف كثيرا من شهاب الدين وزاده الوهم عندما قام جلال الدين منكبرتي بالمطالبة بإرسال وزيره شهاب الدين إليه، إلاّ أن قباجة قرر قتل الوزير خوفا من افتضاح أمره[1].

وهناك سبب آخر لتأزم العلاقة بين قباجة وجلال الدين، وهي قيام أهل كلور التابعة لممتلكات قباجة بالإستيلاء على ممتلكات قرن خان إبن أمين، الذي لجأ إلى هذه المدينة، ولم يتوقفوا عن السلب والنهب، وإنما قاموا بقتله، لذلك قرر جلال الدين الانتقام، فخرج بقواته إلى مدينة كلور فحاصرها وحارب أهلها، حتى سقطت في يده[2].

طلب قباجة النجدة والدعم من شمس الدين ألتمش الذي جلب جيش قوامه عشرة ألاف فارس، وبذلك وجه قباجة وشمس الدين قواتهما ضد جلال الدين لطرده من البلاد، إلاّ أن جلال الدين أحرز انتصارا واضحا على هذين الحليفين[3].

وقد نجح جلال الدين بعد ذلك في القيام بمحاولات عديدة لكسر شوكة قباجة، فاستطاع أن يتوجه إلى لاهور، وأن يدخل ابن قباجة في طاعته على أساس أن يدفع له هذا الأخير مالا قد قدر عليه، كما توجه إلى سيستان، وجعلها تابعة له مع الإبقاء على واليها فخر الدين السعلاري .[4]

إزدادت قوة جلال الدين في بلاد الهند وخاصة عندما إنضم إليه كثير من القواد الخوارزميين الذين جاؤوا من العراق العجمي، فرارا من غياث الدين، وسخطا على سياسته

---

[1] النسوي، المصدر السابق، ص 163، عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص 215.

[2] النسوي، المصدر السابق، ص 165.

[3] نفسه، ص 165.

[4] ابن خلدون، العبر، ج5 ، ص 141 /.D'ohsson opp-cit p 309 .

هناك، وقد ساعد هذا المدد السلطان الخوارزمي على مواجهة الأقاليم الواقعة في حوض نهر السند، فتمكن من السيطرة على بعض الأقاليم والإستيلاء على خيراتها[1].

إلا أن الحكام الهنود تحالفوا ووقفوا في وجه جلال الدين مرة أخرى، ولم يستطع جلال الدين أن يقف أمام هذه القوات المتحالفة، ولما عبر عن مخاوفه لقواده، أنقسم الخوارزميون إلى فريقين فريق رأى ضرورة العودة إلى الدولة الخوارزمية، وانتزاع السلطة من غياث الدين، وفريق آخر آثر البقاء في بلاد الهند ليكون في مأمن من جنكيزخان وجيوشه، إذا ما فكر في العودة إلى غزو الدولة الخوارزمية.[2]

إلا أن جلال الدين قد آثر بدافع الحنين إلى وطنه، الأخذ بالرأي الأول، والتوجه إلى العراق لاستعادته من أخيه غياث الدين، وترك جهان بهلوان أزبك الملقب بوفاء الملك نائبا عنه في بلاد الهند[3]، وعبر نهر السند سنه 622هـ/1225م، وأسرع إلى الأقاليم الغربية من دولته.[4]

ومما لا شك فيه أن السلطان جلال الدين في الفترة التي قضاها في بلادي الهند، كثيرا ما كان يظهر بمظهر الكسير الذليل من هول ما أصاب دولته عامة، وأصابه خاصة بعد موقعة السند،[5] وقد نظم ابن الوردي قصيدة وصف فيها جلال الدين ودولته في هذه الأثناء جاء فيها:

من ملك الدنيا دانت لـه فالجهل كل الجاهل أن يحسدا.

بقدر ما ترفع عن أصحابها تحطمهم فالرأي قرب المدا.

---

1 حمدي، الدولة الخوارزمية، ص 201.

2 النسوي، المصدر السابق، ص 169، حمدي، المرجع السابق، ص201.

3 النسوي، المصدر السابق، ص169.

4 حمدي، الدولة الخوارزمية، ص 201.

5 النسوي، المصدر السابق، ص 169، حاشية، 1.

ويلي على المغري بعليائها سيضحك اليوم ويبكي غدا.

تعطيه كالمشفق لكنها تبطش في الأخذ كبطش العدا.

مبتدأ حلو لمن ذاقه ولكن أنظر خبر المبتدأ.

غدارة خوانه أهلها ما زهد الزهاد فيها سدى.[1]

3-اتجاه جلال الدين إلى كرمان:

لعل الظروف الصعبة التي أوضحناها داخل بلاد الهند أجبرت السلطان جلال الدين على إعداد العدة لترك هذه الأراضي، إلى جانب الظروف التي آل إليها وضع المغول حيث انحصر المد المغولي وعادوا إلى منغوليا، وكذلك موقف أخاه غياث الدين، لذلك قرر التوجه صوب بلاد العراق.[2]

اتجه اولا ناحية كرمان ويصور لنا النسوي مدى ماقاساه جلال الدين منكبرتي، وهو في طريقه من بلاد الهند إلى كرمان من صعاب وشدائد "..... أنستهم سائر الكرب وأوردتهم بأجمعهم سواقي العطب، وقد أوعزتهم في تلك القفار علالات الشفاه، وبلالات الأفواه، فضلا عن الأقوات، فكان الرجل يتنفس عند هبوب السموم، تنفس المحموم فلم تزل نفسه بالسموم يرجع إلى أن ينقطع، فتخلص إلى كرمان في أربعة ألاف فيهم ركاب أبقار وحمير".[3]

ولما وصل جلال الدين إلى كرمان إستقبله حاكمها " براق الحاجب " الذي ينتمي إلى دولة الخطأ، والذي استطاع أن يؤسس لنفسه دولة في كرمان سنة 619 هـ/ 1222م

---

[1] ابن الوردي، المصدر السابق، ج2 ، ص 155، 156.

[2] عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص 2018.

[3] النسوي، المصدر السابق، ص 173.

،وقد أظهر براق ولاءه للسلطان الجديد ،وقدم إليه ما استطاع أن يحمله من هدايا، وليؤكد هذا الولاء عرض على السلطان إحدى بناته فتزوجها.[1]

ثم رحل جلال الدين إلى جلال الدين إلى " شيراز "[2] ، وورد عليه الأتابك علاء الدولة صاحب " يزد "[3]، مذعنا له بالطاعة، ومعلنا شعار التباعة، فرحا بإقبال مواكبه وطلوع كواكبه[4] ، وحذا حذوه كل من أتابكي كرمان وفارس، وزوج جلال الدين من ابنته، ولما أدرك جلال الدين صدق نوايا هذا الأتابك، أقره على ما بيده من البلاد.[5]

وكانت الخطوة التالية لدى جلال الدين هي الإستيلاء على مدينة أصفهان عاصمة إقليم الجبال، الذي يتحكم في المنطقة الغربية من إيران، ومن ثمة إنتقل إليها فدانت له، ولما كان أخوه غياث الدين – الذي كان يحكم تلك المنطقة من قبل أبيهما السلطان علاء الدين وتوطد حكمه فيما بعد انسحاب المغول منها عائدين في اتجاه الشرق – قد أعلن بدوره انضواءه تحت راية أخيه، فقد أصبح غربي ايران بأكمله واقعا تحت سلطان جلال الدين منكبرتي، وأضحت مملكته الجديدة متاخمة لأملاك الخلافة العباسية.[6]

وقد وصف النسوي حالة البلاد الخوارزمية بعد عودة جلال الدين بقوله:" فأفرجت أيام السلطان عن الناس الكرب، وأطفأت من نيران الفتن ما التهب، وتفرقت الوزراء والعمال في الأطراف بالتواقيع السلطانية فضبطوها " .[7]

---

[1] حافظ أحمد حمدي، الدولة الخوارزمية، ص 201.

[2] شيراز: حاضرة أتابكية فارس، انظر: النسوي، المصدر السابق، ص 176، حاشية: 01.

[3] يزد: احدى مدن فارس وتقع على بعد سبعين فرسخا من سيراز، والفرسخ ثلاثة أميال: أنظر: نفسه، ص176، حاشية:02.

[4] النسوي، المصدر السابق، ص176.

[5] حمدي، الدولة الخوارزمية، ص202.

[6] صبري سليم، الاتراك الخوارزميون، ص 27.

[7] النسوي، المصدر السابق، ص 179.

استقر جلال الدين منكبرتي على عرش أبيه، وامتد سلطانه على أقاليم خوارزم وغزنة وكرمان وفارس وخرسان ومازندران، وليس معنى أن استرداد جلال الدين أقاليم الدولة الخوارزمية أنه أصبح صاحب النفوذ المطلق فيها، فالواقع أن الوحدة السياسية بين هذه الأقاليم لم تعد من مميزات هذا العهد، إذ انتقل كل أمير بما تحت يده من إقطاع أو مدينة، وأصبح لا يعترف للسلطان الخوارزمي إلاّ بتبعية إسمية، فترى من هؤلاء من يبعث بجزية صغيرة للسلطان دفعا لشره، ومنهم من آنس في نفسه القوة فلم يهتم بإرسال هذه الجزية إليه، ولم يجرأ السلطان نفسه عل طلبها، وليس أدّل على تفكك الدولة الخوارزمية في ذلك الوقت، من أن المغول لم يجدوا أية مقاومة تذكر عندما فكروا في غزوها من جديد، وإذا كان جلال الدين قد استطاع أن يسيطر إلى حين على بعض أقاليم الدولة، فذلك راجع إلى عدم اهتمام المغول في الفترة التي أعقبت عودة جلال الدين من الهند بأمور الدولة الخوارزمية، خاصة وأمور غربي آسيا عامة، فقد حدث أن مات جنكيزخان سنة (1227/624م) فشغل المغول عن كل شيء ولم يهتموا إلا بشؤونهم وأحوالهم الداخلية[1]، وانهمكوا في الإعداء للقوريلتاي "المؤتمر العام الذي يناط به اختيار الخان الجديد"، مدة عامين أدار خلالهما "تولوي" بن جنكيزخان دفة الأمور حتى انتخاب" أوكتاي" ثالث أبناء جنكيزخان خانا أعظم مكان والده سنة (1229/626م)[2].

وكان العداء يطبع العلاقة بين جلال الدين والخلافة العباسية، لأن الخوارزميين حملوا مسؤولية ما أصاب العالم الإسلامي من هجمات مغولية للخليفة الناصر لدين الله، وأنه هو الذي استدعى المغول للقضاء على الخوارزميين، لذلك قرر جلال الدين أن يكوّن حلفاً ضد الخليفة العباسي، ويغزو أراضيه[3].

---

[1] حمدي، الدولة الخوارزمية، ص204.

[2] بارتود، تركستان، ص 649، صبري سليم، الأتراك الخوارميون، ص 28.

[3] النسوي، المصدر السابق، ص 192، حاشية 2، عفاف صبرة، التاريخ السياسي للدولة لخوارزمية، ص 221.

إلا أن الظروف السياسية قد ساعدت جلال الدين كثيرا فقد توفي عدو الخوارزميين العنيد الخليفة الناصر لدين الله في شوال سنة (622هـ/1225 م)، ولم يمكث ابنه الظاهر في الخلافة سوى تسعة أشهر، إذ توفي في رجب سنة (623هـ/1226م)[1].

ثم آلت الخلافة إلى ابنه المستنصر(623هـ -640هـ/ 1226م-1243 م) الذي لم يكن يرى الدخول في مواجهات عسكرية ضد الخوارزميين، ومن ثمة فقد استقبل في قصر لخلافة في بغداد رسول جلال الدين منكبرتي[2]، وانصرف جلال الدين عن أراضي الخلافة العباسية إلى حين، وعوّل على توسيع نفوذه على حساب القوى المجاورة له من الشمال، ومن أهمها أذربيجان وجورجيا، وسار لتحقيق هذا الهدف سنة (622هـ/ 1225م)[3].

والواقع أن الخوارزميين فكروا منذ أيام السلطان علاء الدين محمد في توليه وجوههم صوب أذربيجان، فقد بدأ جلال الدين في إرسال مبعوث من قبله إلى الأتابك أزبك بن البهلوان يأمره بإقامة الخطبة والسكة باسمه في عامة بلاد ممالكه ،وأن يحمل إلى الخزانة السلطانية إتاوة معينة، فأما الخطبة والسكة فقد لبا دعوة السلطان فيهما سريعا، وأجاب إليهما جميعا، واعتذر في أمر الإتاوة بأن الكرج استضعفوا جانبه واستولوا على أطراف بلاده، فصدقه السلطان في ذلك وأعفاه[4].

أرسل السلطان الخوارزمي رسولا إلى الكرج يحذرهم من محاولة مهاجمة أذربيجان لأنها من ممالكه الخاصة، وكان في نية السلطان جلال الدين مهاجمة الكرج لولا اضطراره إلى العودة بجيوشه إلى خراسان للاستعداد لمواجهة الخطر المغولي، وكان في نيته أن يبعث إلى أزبك بحوالي خمسين ألف فارس من نخب عسكره يغزون الكرج[5].

---

[1] صبري سليم، الأتراك الخوارزميون، ص 26.

[2] النسوي، المصدر السابق، ص 307.

[3] حمدي، الدولة الخوارزمية، ص 206.

[4] النسوي، المصدر السابق، ص 58.

[5] نفسه، ص 59. عفاف صبرة، التاريخ السياسي، ص 225، 226.

استولى جلال الدين على مدينة مراغة[1] ،على حدود أذربيجان الجنوبية دون صعوبة تذكر، وأخذ يتودد لأهلها لإصلاح أحوالهم، وإصلاح ما تخرب من هذه المدينة بسبب هذه الحرب، ولما اطمأن إلى حب الأهالي له، سار إلى تبريز حاضرة أذربيجان، فشدد عليها الحصار حتى سُلمت له بعد خمسة أيام، وأكرم الأهالي وعفا عنهم، على الرغم من انه وقفوا في وجه الخوارزميين أثناء غزو جنكيزخان لبلادهم، وناصروا المغول عليهم وقت محنتهم، ومما يدل على تسامح جلال الدين مع أهالي تبريز ما قاله لأهالي هذه المدينة[2].

"....قد رأيتم ما فعلت بمراغة من الإحسان والعمارة بعد أن كانت خرابا، وسترون كيف اصنع معكم من العدل فيكم وعمارة بلادكم".[3]

وبعد أن مكث جلال الدين في تبريز عدة أيام توجه إلى إقليم جورجيا، حيث عزم على توسيع حدود دولته هناك، وكانت الحالة في جورجيا تختلف تماما عما عهدناه في إقليم أذربيجان، فقد كان السواد الأعظم من أهالي هذه البلاد يدينون بالمسيحية بخلاف ما كانت عليه أذربيجان، وكثيرا ما اتخذ المسيحيون في جورجيا من المحن التي حلت بالعالم الإسلامي أمام الغزو المغولي ومن ضعف أذربيجان والأقاليم المجاورة لها، فرصة للإغارة عليها في فترات متعددة، واستولوا على المدن الواقعة على حدود بلادهم أذاقوا أهلها العذاب، ونهبوا ما استطاعوا أن يحصلوا عليه من خيرات هذه البلاد، لذلك نرى أن المعاملة التي عامل بها جلال الدين أهالي جورجيا، تختلف تماما عن ما رأيناه من تسامحه

---

[1] يذكر النسوي أن أهل مراغة هم الذين استدعوا جلال الدين ليخلصهم من الظلم ،وإستيلاء أرباب الدولة وحكم النساء، أنظر: النسوي، المصدر السابق، ص 194.

[2] حافظ حمدي، الدولة الخوارزمية، ص 207.

[3] ابن الأثير، الكامل، ج10، ص 449.

مع أهالي أذربيجان[1]، وقابله أهلها باستهزاء فقالوا:"... أننا قصدنا المغول الذين فعلوا بأبيك وهو أعظم منك ملكا وأكثر عسكرا وأقوى نفسا ، ماتعلمه، واخذوا بلادكم فلم نبال بهم"[2].

بدأ الكرج في تجهيز قوتهم لمهاجمة الخوارزميين، والبدء بالهجوم، قبل أن يبدأ جلال الدين، فقد اجتمعوا بموضع يقال له "بكربى"، بجيش تعداده سبعين ألف رجل[3]، فسار إليهم جلال الدين والتقى بها الجيش وهزمهم شر هزيمة ،وقتل عشرين ألف، وأسر عددا كبيرا من قوادهم[4].

ويعرض النسوي صورة حية لما فعله جلال الدين بالكرج بعد هزيمتهم على يديه، يتضح منها الرغبة الأكيدة للانتقام منهم لما سبق أن فعلوه بالمسلمين، فكان انتقام جلال الدين واضحا، فقد كان الكرج سباقون إليه وهو واقف على التل[5] "والكرج تساق إليه بجزايم الذل كما ساق المجرمون إلى النار، وجوه عليها غبرة الكفران ترهقها قترة الخذلان حتى أن جلال الدين كان يأمر أتباعه أن كل من يصل إليه يطأ بأقدامه على قتلى الكرج ويدوسهم"[6].

أقر جلال الدين جنوده داخل أرض الكرج وأمرهم بالبقاء بها تحت إمرة أخيه غياث الدين، وكان قد انضم إليه وصار من أعوانه، وتوجه نحو تبريز لما وصله من أخبار الفتنة التي قام بها من قبل شمس الدين الطغرائي وابن أخيه نظام الملك[7].

---

1 حافظ حمدي، الدولة الخوارزمية، ص 207، 208.

2 النسوي، المصدر السابق، ص 197، حاشية 4، ابن الأثير، الكامل، ج10، ص 449.

3 ابن واصل، مفرج الكروي، ج4، ص 152.

4 النسوي، المصدر السابق، ص 199، حاشية 4، ابن الأثير، الكامل، ج10، ص 450.المقريزي، السلوك ج1، ص 339، الحافظ الذهبي، العبري، ج3، ص 185، ابن الوردي، المصدر السابق، ج2، ص 146.

5 عفاف صبرة، المرجع السابق، ص

6 النسوي، المصدر السابق، ص 199.

7 ابن الأثير، الكامل، مج10، ص 450.

ثم توجه جلال الدين إلى " تفليس " التي كانت محصنة تحصينا دقيقا، لكنه حطم هذه التحصينات، واقتحم المدينة، ونجح الجيش الخوارزمي في السيطرة على تفليس عاصمة الكرج، ومقر الملكة " روسودان "، وذلك في الثامن من ربيع الأول سنة 623هـ، 9 مارس سنة 1226م،[1] "..... وقتل كل من فيه من الكرج، ولم يبق على عدد كبير ولا صغير إلا من أذعن بالإسلام وأقر بكلمتي الشهادة، فإنهم أبقى عليهم.... ونهب المسلمون الأموال، وسبوا النساء، واسترقوا الأولاد ...."[2].

وهكذا انتقم جلال الدين للمسلمين الذين عانوا ما عانوه من أهالي جورجيا في السنوات التي سبقت عودته إلى فارس من بلاد الهند، واستطاع الخوارزميين بهذا النصر أن يضعوا أيديهم على هذه البلاد، وان يطبعوها بالطابع الإسلامي إلى حين.[3]

وتتميز الفترة الممتدة بين سنتي (623-628هـ/ 1226-1231م) ،أي منذ أن أتم جلال الدين منكبرتي إخضاع جورجيا وأذربيجان في الشمال وكرمان وفارس في الجنوب حتى غزا المغول الدولة الخوارزمية للمرة الثانية،بطابع خاص في سياسة جلال الدين منكبرتي يتميز بمحاولة المحافظة على ما استولى عليه من البلدان والوقوف في وجه أعدائه الكثيرين في الداخل والخارج، فضلا على أنه كان يرمي إلى التوسع على حساب جيرانه من الأمراء المسلمين، ويحاول الانتقام من الخلافة العباسية، لعدائها السابق للخوارزميين.[4]

---

[1] حافظ أحمد حمدي، الدولة الخوارزمية، ص 209، صبري سليم، الأتراك الخوارزميون، ص 28.

[2] ابن الأثير، الكامل، ج10، ص 461، الحافظ الذهبي، العبر، ج3، ص 189.

[3] النسوي، المصدر السابق، ص 212، حاشية 4.

[4] حافظ أحمد حمدي، الدولة الخوارزمية، ص 209، 210.

4- نهاية جلال الدين منكبرتي:

رغم أن السلطان الخوارزمي إستطاع أن يسيطر على بعض أقاليم الدولة الخوارزمية، وذلك لإنشغال المغول بوفاة جنكيزخان، واستمر الوضع على حاله إلى غاية سنة 626هـ-1229م، وانتخاب "أوكتاي" بن جنكيزخان خاقان جديد، والذي أخذ على عاتقه إخضاع الدولة الخوارزمية من جديد[1].

وبدل أن يعمل السلطان الخوارزمي على حماية العالم الإسلامي من خطر المغول قام بمهاجمة الخليفة العباسي، الناصر لدين الله، كما هاجم أذربيجان، واحتل تبريز واتخذها قاعدة للوثوب على بلاد الكرج، والواقع أنه لم يحاول أن يقيم لدولته الجديدة نظاما ثابتا ومتينا يقيها ضربات أعدائه المغول، كما أن افتقاره إلى الروح السياسية أوقعه في عداء مع حلفائه الطبيعيين في غربي آسيا.[2]

وفي سنة 624هـ/1227م، أي بعد وفاة جنكيزخان مباشرة، كان أوّل احتكاك مباشر بين السلطان جلال الدين منكبرتي والمغول، عندما كانت قوة من المغول قاصدة الدولة الخوارزمية، وتوغلوا في أراضيها حتى وصلوا إلى الري وهمذان،[3] ثم توجه جلال الدين نحو مدينة " خلاط "[4] للإستيلاء عليها من صاحبها الملك الأشرف بن الملك العادل أيوب، منتهزا فرصة ذلك الشقاق الذي ساد البيت الأيوبي في ذلك الوقت، فقد وقع خلاف بين ثلاثة أمراء للدولة الأيوبية من أبناء الملك العادل أيوب، وهم الكامل محمد صاحب مصر، والأشرف موسى صاحب بلاد الجزيرة وخلاط، والمعظم عيسى صاحب دمشق وبيت المقدس وطبرية وما جاورها، فقد سار الأشرف لزيارة أخيه الكامل في مصر

---

[1] طقوش، تاريخ المغول، ص 82، 83، فهمي، المرجع السابق، ص 86.

[2] طقوش، تاريخ المغول، ص83.

[3] الصياد، المرجع السابق، ج1، ص171.

[4] خلاط: البلدة العامرة المشهورة ذات الواسفة والثمار اليانعة، طولها أربعة وستون درجة ونصف وثلث، وعرضها تسع وثلاثون درجة وثلثان في الإقليم الخامس وهي من فتوح عياض بن غنم، أنظر: الحموي معجم البلدان، المصدر السابق،مج2، ص 380، 381.

دون أن يصحب أخاه المعظم معه، فظن المعظم أن أخاه يرمي من وراء هذه الزيارة، إلى تكوين حلف ضده، لذلك لم يدخر جهدا في الكيد لأخويه بمهاجمة أملاكهما تارة، وبتأليب بعض الحكام عليهما تارة أخرى.[1]

فأرسل إلى جلال الدين يعرض عليه تكوين حلف بينهما يكون هدفه الأول الإستيلاء على مدينة خلاط، وهي من أملاك الأشرف موسى، وقد صادف ذلك قبولا حسنا لدى جلال الدين، وأرسل الهدايا إلى المعظم في دمشق كما اعتز المعظم بذلك الحلف إلى درجة أنه أصبح لا يقسم إلا برأس جلال الدين.[2]

وفي سنة 622هـ/1225م، عزم جلال الدين على قصد بغداد، فانزعج الخليفة وأخرج المال وفرق في العساكر ألف ألف دينار، ونصب المجانيق على الأسوار، وفرق السلاح، وفتح الأهواء.[3]

وأراد جلال الدين أن يشغل هذا الحلف، للهجوم على بغداد، والخليفة العباسي وكتب إلى المعظم عيسى يقول:[4] "... وواصلت زحفها حتى حدود أذربيجان في أوائل سنة (628هـ/1221) ،وفي ذلك الوقت كانت جهود المغول كلها منصرفة إلى تتبع جلال الدين منكبرتي والقضاء عليه، لأن هذا يكفل لهم – في سهولة – إحكام سيطرتهم من جديد على أقاليم الدولة الخوارزمية، فلما رحل السلطان الخوارزمي إلى تبريز، مطمئنا إلى أن المغول سيقضون فصل الشتاء في إقليم العراق العجمي، إذ بهم يفاجئونه، وهم يجدون في إثره ويرغمونه على التقهقر إلى سهل "موقان"، المجاور للساحل الغربي من بحر

---

[1] ابن الأثير، الكامل، ج10، ص 440، الحافظ الذهبي، العبر، ج3، ص 182.

[2] النسوي، المصدر السابق، ص 299، حاشية01.

[3] بسط بن جوزي شمس الدين أبي المظفر بن عبد الله، مرآة الزمان في تواريخ الأيان، تح، ابراهيم الزيبق دار الرسالة العالمية، ط1، سوريا، 2013م، ج22، ص 273.

[4] عفاف سيد صبرة، المرجع السابق، ص 245.

قزوين، قبل أن يتمكن من جمع جيوشه، ولم يكد يستقر في موقان حتى علم بمسير المغول إليه، فاضطر إلى العودة ثانية لأذربيجان.[1]

ولما رأى جلال الدين ما يفعله المغول في بلاد أذربيجان، وإنهم مقيمون بها يقتلون وينهبون ويخربون السواد ويحيون الأموال، وهم عازمون على قصده، ورأى ماهو عليه من الوهن والضعف فارق أذربيجان إلى بلاد "خلاط"،[2] وأرسل إلى النائب بها عن الملك الأشرف يقول له : ما جئنا للحرب، ولا للأذى، إنما خوف هذا العدو حملنا على قصد بلادكم، وكان عازما على أن يقصد ديار بكر والجزيرة، ويقصد باب الخليفة يستنجده وجميع الملوك على المغول ،ويطلب منهم المساعدة على دفعهم، ويحذرهم عاقبة إهمالهم، فوصل إلى خلاط، فبلغه أن المغول يطلبونه، فسار إلى "أمد"،[3] فجاءت طائفة من المغول يقصدون أثره.[4]

لحق المغول بالسلطان الخوارزمي، واصطدموا به وتغلبوا عليه وقتلوا كثيرا من جنوده، واستولوا على ما كان معه من سلاح وعتاد، وتفرق الباقون لا يلوون على شيء وكان السلطان جلال الدين منكبرتي ضمن من ولوا الأدبار.[5]

فتعقبه خمسة عشر من فرسان المغول، وأدركه إثنان منهم، فقتلهما جلال الدين، أما الفرسان الباقون فقد عادوا من حيث أتوا بعد أن يئسوا من اللحاق به.[6]

---

[1] الصياد، المرجع السابق، ج1، ص 171.

[2] هي البلدة العامرة المشهورة ذات الخيرات الواسعة والثمار اليانعةن طولها أربعة وستون درجة، وعرضها تسعة وثلاثون درجة، انظر: الحموي، المصدر السابق، ج1، ص 380.

[3] هي أعظم مدن ديار بكر وأجلها قدرا وأشهرها ذكرا، انظر: نفسه، ج1، ص 56.

[4] ابن الأثير، الكامل، مج10، ص 492.

[5] نفسه، مج10، ص 429، طقوش، تاريخ المغول، ص 85، فهمي، المرجع السابق، ص 90، 91.

[6] حافظ أحمد الحمدي، الدولة الخوارزمية، ص 224، الصياد، الرجع السابق، ج1، ص 172.

وهكذا وصل جلال الدين سيره هائماً على وجهه، حتى بلغ قرية من قرى "ميافارقين"[1]، وأخيرا احتمى بجبال كردستان، حيث لقي مصرعه على يد أحد الأكراد، في 15 شوال 628هـ/1231م.[2]

ويشرح لنا النسوي النهاية المفجعة التي انتهت بها حياه هذا السلطان الخوارزمي: "... ثم صعد الجبل، وكان الأكراد يحفظون الطرق لسحت يجمعونه، فأخذوه وسلبوه كعادتهم بسائر ما طفروا به، فحين هموا بقتله قال لكبيرهم سرا : إنني أنا السلطان فلا تستعجل في أمري، ولك الخيار في إحضاري عند الملك المظفر شهاب الدين، فيغنيك أو إيصالي إلى بعض بلادي فتصير ملكا.[3]

فرغب الرجل في إيصاله إلى بلاده، ومشى به إلى عشيرته وحلته، فتركه عند امرأته ومضى بنفسه إلى الجبل، لإحضار خيله، فبينما الرجل غائب إذ جاء رجل كردي، وقال للمرأة من هذا الخوارزمي، وهلا تقتلونه، فقالت، لا سبيل إلى ذلك، وقد أمنه زوجي، وعرف بأنه هو السلطان، فقال الكردي، كيف تصدقونه بأنه السلطان، وقد قتل لي بخلاط أخ خير منه، فضربه بالحربة فأرداه قتيلا،وكان ذلك منتصف شهر شوال 628هـ/15 أوت 1231م.[4]

---

[1] أشهر مدينة بديار بكر، بميا بنت لأنها أوّل من بناها، وفارقين، هو الخلاف بالفارسية، يقال له بارجين، لأنها كانت أحسنت خندقها، فسميت بذلك، أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج5، ص 235، 236.

[2] طقوش، تاريخ المغول، ص 85.

[3] النسوي، المصدر السابق، ص 381، 382.

[4] نفسه، ص 382.

وعقّب كذلك على وفاته قائلا:

يا من أسال رقاب الكاشحين دما من بعد فقدك أبكيت العيون دما

لئن أتاح صروف الدهر ساحته فانظر إلى الملك والإسلام لا جرما

فالدين متثلم والملك منهزم وظل حيل العلى والمجر منجدما[1]

وبعد وفاة السلطان جلال الدين منكبرتي اعتدى الفلاحون والرعاة على من وجدوهم من الخوارميين، إنتقاما منهم لما فعلوه بهم من قبل، مما ساعد المغول على الإستيلاء على البلاد الإسلامية ونهبها.[2]

خامساً : سقوط الدولة الخوارزمية وتوسع المغول.

بمقتل السلطان جلال الدين منكبرتي آخر حكام الدولة الخوارزمية،زالت هذه الدولة عن مسرح الحياة السياسية.[3]

1-عوامل زوال الدولة الخوارزمية.

إن العوامل التي أدت إلى سقوط وانهيار الدولة الخوارزمية كثيرة ومتشبعة، يرجع بعضها إلى ضعف العالم الإسلامي عامة قبيل الغزو المغولي ومن هذه العوامل والأسباب مايلي:

1-إستبداد وغرور وتعصب السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد خوارزمشاه الذي واجه المغول، وكان هذا السلطان مصابا بأمراض نفسية تتمثل في حبه للسيطرة

---

1 النسوي ،المصدر السابق، ص 383.

2 حمدي حافظ، الدولة الخوارزمية، ص 226.

3 طقوش، تاريخ المغول، ص 85.

والتوسع على حساب القوى الإسلامية، وغير الإسلامية، حتى أنه طمح في فتح الصين وبلاد الكرج، فكان من أثر سياسته تلك أن أزّم الموقف الإسلامي، وحاربت الجيوش الإسلامية بعضها البعض، وخشي كل أمير من جاره ،وانتهى الأمر بضعف تلك القوى جميعها، وضعفت الدولة الخوارزمية أيضا، وما إن فر السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه من المغول لم يكن هناك أمير قوي يستطيع أن يقود العالم الإسلامي ويقف به في وجههم.[1]

2-تدخل تركان خاتون والدة السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه في شؤون الدولة واستبداد رأيها بما كان لها من قوة ونفوذ، وكانت تلك المرأة من قبائل قنقلي وهي قبائل تركية سكنت السهول الواقعة شمال إقليم خوارزم في الجزء الشمالي الشرقي من بحر قزوين، وقد اندفع أفرادها إلى أراضي الدولة الخوارزمية إثر تصاهرهم مع السلطان علاء الدين تكش، وكانت تركان خاتون صاحبة سلطان قوي في حياة زوجها أو في عصر ولده علاء الدين محمد، وكان من أثر ذلك أن هاجر كثير من رجال تلك القبائل التركية من أقرباء الملكة وأفراد عشيرتها إلى أراضي الدولة الخوارزمية، حيث وصلوا إلى أعلى المناصب وأرقاها ،حتى تكونت منهم عصبية لا يستهان بها بعد أن حكموا أقاليم الدولة وأطلقت أيديهم فيها، وكانت النتيجة اضطراب أحوال البلاد السياسية والاجتماعية.[2]

3-نشوب الخلافات بين أمراء الجيش وقادته وشيوع النفاق بينهم، وإهمالهم تدريب قواتهم استعدادا للقتال كما أن الجيش الخوارزمي كان ينقصه النظام والطاعة للقادة، والقدرة على تحمل الصعاب.[3]

---

[1] فهمي، المرجع السابق، ص 92، 93.

[2] آمال سليمان عبد الحميد الزوي، الإمبراطورية المغولية في عهد أوكتاي، أطروحة دكتوراه، إشراف، علي حسين الشطشاط، جامعة قار يونس، ليبيا، 2009، 2010، ص 25.

[3] فهمي، المرجع السابق، ص 94.

4-كان السلطان علاء الدين محمد يخشى تجمع الجيش، في يد قائد واحد، وذلك خوفا من العصيان والاستئثار بالسلطة والإطاحة بالأسرة الخوارزمية، كما فعل الخوارزميين مع الدولة السلجوقية من قبل.[1]

5-كان "أوكتاي" يظم إلى حاشيته الأكفاء من أهالي البلاد المفتوحة، ويتخذ منهم وزراءه ومستشاريه، وكان أشهرهم، محمود يلواج من المسلمين، وتاتاتونجا من الإيغوريين، ولي ليوجوتساي من الصين، وهؤلاء كانوا يلازمونه ويذهبون من قبله كسفراء لدى السلاطين، كما لعبوا دورا كبيرا في إخضاع الأهالي لسيطرة المغول، وذلك دون إراقة الدماء في بعض الأحيان.[2]

6-كان المغول يعمدون إلى اتخاذ وسائل الإرهاب لإثارة الرعب في قلوب أعدائهم، فكانوا إذا توجهوا للاستيلاء على إقليم أو مدينة من المدن، أرسلوا إنذارا لحاكم الإقليم أو المدينة، وأعلنوا في كلمات قلائل ما سيحل به وبالأقليم الذي يحكمه إن هو فكر في المقاومة، وكانت عبارتهم المشهورة في هذه المناسابات هي " إذا لم تبادر إلى الخضوع والتسليم فلا يعلم إلا الله ما سيحدث بعد ذلك"، وكان التسليم في هذه الحالة معناه التبعية المطلقة، وتسليم عشر خيرات الإقليم أو المدينة، كما كان معناه قبول حاكم مغولي على الإقليم أو المدينة، ومع ذلك كان حكام المغول غلاظ القلوب لا يعرفون شفقة ولا رحمة.[3]

7-السرعة الفائقة للجيش المغولي في تنفيذ أوامر الخان، والطاعة العمياء من القادة والجنود ووقوفهم صفا واحدا، وبروح نشطة مما مكنهم من عدم إتاحة الفرصة

---

[1] آمال سليمان ، المرجع السابق، ص 25.

[2] الصلابي، دولة المغول، ص 170.

[3] حافظ حمدي، الدولة الخوارزمية، ص 251.

للسلطان محمد خوارزمشاه لتمركز قواته وإعادة خططه لدرجة أنه وجد نفسه، في نهاية الأمر يفر أمام المغول من مدينة لأخرى.[1]

8-وجود طابور خامس لجنكيزخان منتشر في المدن الإسلامية عامة، وبلاد الدولة الخوارزمية خاصة، وكان عمل هؤلاء الجواسيس، موافاة قياداتهم بأخبار الدولة الخوارزمية وإشاعة الفوضى والاضطراب والخوف والرهبة في نفوس السكان قبل المعارك، حتى لا يتمكنوا من محاربة المغول.[2]

9-العداء الشديد بن خوارزمشاه والخليفة في بغداد، ومحاولته الإطاحة بالخليفة الأمر الذي أدى إلى إحجام الكثير، من الأمراء المسلمين عند دعم خوارزمشاه أثناء المواجهة مع المغول.[3]

10- استبداد السلطان جلال الدين منكبرتي برأيه، ومعاداته أخاه غياث الدين شيرشاه الذي إستتب له الأمر، ونشوب الحرب بينهما وهزيمة هذا الأخير في الوقت الذي كان يتحتم على أخيه جلال الدين منكبرتي الإستفادة من مجهود كل رجل في دولته، وعندما ظهر المغول في الميدان للمرة الثانية للإجهاز على الدولة الخوارزمية والقضاء على جلال الدين منكبرتي، كان جيش الخوارزميين مجهدا من كثرة القتال وعدم وجود نصير له من أمراء المسلمين ،فأخذه المغول على غرة، ووجد نفسه آخر الأمر يفر أمامهم، حيث ألقت به المقادير في بلاد كردستان يذبح ذبح الشاه وتنتهي بنهايته السيئة الدولة الخوارزمية.[4]

---

[1] آمال سليمان، المرجع السابق، ص 26.

[2] فهمي، المرجع السابق، ص 98.

[3] سامي محمد المرسي، المغول، دار العالم العربي، القاهرة، ط1، 2011، ص 90.

[4] فهمي، المرجع السابق، ص 98، 99.

بالإضافة إلى هذه العوامل التي كانت سببا مباشرا في سقوط الدولة الخوارزمية هناك أخطار عديدة وقع فيها السلطان جلال الدين منكبرتي، ساهمت وعجلت في موته وسقوط دولته وسيطرة المغول على المنطقة ومن هذه الأخطار مايلي:

1-ضعف نظام إستطلاعه فقد وقعت إحدى سراياه في أيدي المغول عند مدينة الري، بينما أعطت سرية أخرى معلومات خاطئة عن عودة المغول، وتخاذلت الثالثة، فلم يذهب أفراده إلى مازندران أو خراسان، كما أمر بذلك السلطان الخوارزمي نفسه.[1]

2-اعتقاده الخاطئ أن المغول سيقضون الشتاء بالعراق العجمي، وأنهم لن يتعدوه إلى أذربيجان إلا في الربيع، فكانت مباغتتهم له على غير استعداد منه، فاضطر إلى ترك نسائه في العراء على مقربة من مدينة تبريز، وسارع هو الى موقان ليجمع عساكره المتفرقة هناك.[2]

3-إلحاحه على مكاتبة الملك الأشرف الأيوبي صاحب الجزيرة وأخلاط – رغم نصح خلصائه له بعدم جدوى ذلك – خاصة وأنه أي جلال الدين قد دخل بزوجة الملك الأشرف الكرجية، في ليلة إقتحامه مدينة أخلاط، وأصر على الاحتفاظ بها حتى بعد انهزامه من جيش الأشرف وحلفائه سلاجقة الروم سنة 627هـ .[3]

4-تجريده ستة آلاف فارس خوارزمي – رغم حرج موقفه بعد الهزيمة السابقة واقتراب خطر المغول – للهجوم على مدن خرتبرت وملطية وأرزنجان إنتقاما من خصمه علاء الدين كيقباذ سلطان سلاجقة الروم ،فأغار هؤلاء الفرسان الخوارزميين على تلك المدن الرومية، وساقوا إلى المعسكر الخوارزمي الكثير من الغنائم[4]، وكشف هذا الإجراء من قبل السلطان الخوارزمي عن فقده بصيرته السياسية، إذ إنه بذلك

---

[1] النسوي، المصدر السابق، ص 352.

[2] عباس إقبال، تاريخ إيران، ص 404، صبري سليم، الاتراك الخوارزميون، ص 31، 32.

[3] سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج22، ص 303.

[4] النسوي، المصدر السابق، ص 373.

قد بدد أية بارقة أمل في إحتمال حدوث تغيير في موقف سلاجقة الروم معه في صراعه المحتوم ضد المغول المتجهين نحوه.[1]

5-إنخداع السلطان الخوارزمي برسالة الملك الأرتقى المسعود بن أرتق صاحب آمد، الذي أخذ يحرضه على غزو بلاد السلاجقة الروم، واعدا إياه بالمساعدة العملية في هذا الغزو بإمداده بخمسة آلاف فارس من قبله، وبالفعل عزم السلطان الخوارزمي عن الإتجاه إلى مدينة أصفهان، وغير مساره نحو آمد، فغلقوا في وجهه الباب، ورموه بالحجارة من فوق الأسوار، فأخذ على وجهه واضطر إلى مواجهة المغول وحده.[2]

6-وضع ثقته المطلقة في " أوترخان " الذي كان يصله بقرابة من ناحية الخؤولة، إلا أنه كان يخادعه خورا وجبنا، فأوهمه مرة أن المغول قد رجعوا من حدود منازجرد، وأشار عليه بالعودة من نفس الطريق الذي سلكه المغول إليه، فرجع برأيه ليكون هلاكه من جميع الوجوه بتدبيره، ليأتي عليه قدره وأجله.[3]

7-وقوعه في الكثير من الأخطاء الشخصية وأهمها:

إدمانه على تعاطي الخمر مع ندمائه وخاصته في ساعات الحرج التي أصدق فيها المغول به، حتى أوشك بعضهم أن يدخل عليه خيمته، وهو نائم سكران لا يملك من أمر نفسه شيئا، مخالفا بذلك تعاليم الدين الإسلامي من ناحية، وشرف الجندية الذي يلزم القائد وجنده – في ميدان الحرب– بإعمال العقل والتركيز بدلا من الوقوع تحت طائلة التخاذل والتشويش من ناحية أخرى.[4]

---

[1] صبري سليم، الأتراك الخوارزميون، ص 32.

[2] ابن أيبك الدواداري، كنز الدرر، ج7، ص 302.

[3] النسوي، المصدر السابق، ص 375، صبري سليم، الاتراك الخوارزميون، ص 32، الصلابي، دولة المغول، ص 146.

[4] براون، تاريخ الأدب في إيران، ص 572، صبري سليم، الأتراك الخوارزميون، ص33.

8-حادثة خادمه فلج، يصفها أبو الفداء، يقوله ".... كان له مملوك يحبه حبا شديدا، ولما مات حزن جلال الدين حزنا شديدا لم يسمع بمثله، وأمر أهل توريز بالخروج والنواح واللطم عليه، ثم أنه لم يدفنه وبقي يستصحب ذلك المملوك الميت حيث سار وهو يلطم ويبكي، وكان إذا قدم إليه الطعام يرسل منه إلى المملوك الميت ولا يتجاسر أحد أن يتفوه أنه ميت ،فكانوا يحملون إليه الطعام ويقولون أنه يقبل الأرض، وهو يقول الأن أصلح مما كنت، فانزعج أمراؤه من ذلك وخرج بعضهم عن طاعته، فضعف أمر جلال الدين لذلك.[1]

9-لما داهمه المغول أصدر أمرا إلى قائد جيشه، أورخان أن يفارقه بمن معه من العسكر ليتبع المغول أثره، ويخلص هو بمفرده، ولقد أخطاء في ذلك، فإن أورخان لما فارقه إنضوى إليع من شداد العسكر خلق، ووصل إلى إربل ومعه أربعة آلاف فارس، وساق إلى أصفهان وملكها زمانا إلى ان قصدها المغول، وأورخان باق في فارس إلى سنة 639هـ،[2]، وهي نفس السنة التي كتب فيها النسوي كتابه المشهور سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي.[3]

كانت الدولة الخوارزمية في وضعها السياسي الذي ذكرناه سابقا، وحدة سياسية لا يستهان بقوتها رغم تلك العوامل التي اجتمعت على إضعافها، فقد كانت هذه الدولة بمثابة الحاجز المنيع الذي يحول بين الشعوب والقبائل المتبربرة في شرق نهر سيحون، وبين مركز الخلافة العباسية في بغداد بوجه خاص وأقاليم غرب آسيا بوجه عام، وبعبارة أخرى كانت الدولة الخوارزمية بالنسبة لغرب آسيا بمثابة الباب من المنزل، إذا فتح الباب سهل دخول المنزل واقتحامه، وعلى هذا الأساس كان من السهل على المغول أن يتوغلوا في

---

[1] أبو الفداء، المختصر، ج3، ص 147.

[2] النسوي، المصدر السابق، ص 379.

[3] صبري سليم، الأتراك الخوارزميون، ص 35.

غرب آسيا، وأن يزيلوا دون عناء ما بقي في أيدي المسلمين من أملاك وخاصة ما كان بيد الخلافة العباسية في العراق.[1]

المبحث الثاني:القضاء على طائفة الإسماعيلية

أولاً:حملة هولاكو على إيران والقضاء على طائفة الإسماعيلية.

بعد قضاء المغول على الدولة الخوارزمية ،وقتل آخر سلاطينها وهو جلال الدين منكبرتي، توقع بعض حكام المسلمين أن الدور سيكون عليهم[2].

ووقعت أحسن الأقاليم في ايران تحت نفوذ المغول،الذين لم يجدوا مقاومة تذكر في تسخير تلك المناطق ،ولم تبق هناك قوة تستطيع ان تقف أمام هؤلاء الغزاة لتصد هجماتهم تلك[3].

وقد كان الحكام المسلمين يعرفون تمام المعرفة قيام الدولة الخوارزمية ، فيقول ابن تغري بردي:"...ولما قتل السلطان جلال الدين منكبرتي دخل جماعة على الملك الأشرف موسى، فهنؤوه لموته ،فقال :تهنئوني به وتفرحوون ! سوف ترون غبّة !والله لتكونن هذه الكَسرة سببا لدخول التتار الى ديار الإسلام، ما كان الخوارزمي إلاّ مثل السد الذي بيننا وبين يأجوج ومأجوج".[4]

وقد صدقت نبوؤة الأشرف،إذ لم يكد "منكوخان"(648-655هـ/1250-1257م)،يتربع على عرش المغول،ويقضي على الفتن الداخلية ، ويتخلص من المناوئين لسياسته، حتى نراه في السنة الثانية من حكمه ،يوجه همته نحو الغزو والفتح ،ويعمل على توسيع

---

[1] حافظ أحمد حمدي، ادولة الخوارزمية، ص 268.

[2] رجب ابراهيم بخيت ،المرجع السابق ،ص199.

[3] الصياد،المرجع السابق،ص 231.

[4] يعني :المغول،ابن تغري بردي،النجوم ،ج6،ص246.

إمبراطوريته، فيكلف أخاه هولاكو خان بقيادة الحملة على إيران[1]، و أوصاه بالمحافظة على تقاليد جنكيز خان"الياسا"، التي كان قد وضعها لتسير عليها الإمبراطورية المغولية من بعده.[2]

حرص "منكوخان" على إعداد حملة أخيه هولاكو إعداداً دقيقا، و باشر ذلك بنفسه فأمده بكثير من القوات، و أرسل رسله إلى بلاد الخطا لاستدعاء ألف أسرة من الذين مهروا في إستخدام أدوات الحرب ،مثل المنجنيق و قاذفات النفط ورمي السهام، كما قام بإختبار إثنين من كل عشرة رجال جنكيزخان، الذين قسموا بين أبنائه و إخوته وأبناء إخوته، و يعطوا لهولاكو، ليكونوا بمثابة حرس خاص له، ويرافقوه في حملته على إيران ويلازموه هناك.[3]

وصل تعداد الجيش المغولي الزاحف نحو الغرب إلى 120 ألف جندي من خبرة محاربي المغول[4]، و قبل قيام الجيش بمهمته، "أرسل "منكوخان" المرشدين، فاختبروا الطريق الذي ستمر منه عساكر هولاكوخان ،من قراقورم حتى شاطئ جيحون، واعتبروا جميع المزارع والمراعي مناطق محرمة، وأقاموا الجسور على الأنهار العميقة ومجاري المياه السريعة".[5]

وبعد أن جهز "منكوخان" كل ما يلزم لهذه الحملة من الرجال والعد والعتاد، رسم لأخيه هولاكو الخطة التي سوف يتبعها فقال له[6] :"... إنك الآن على رأس جيش كبير، وقوات لا حصر لها، فينبغي أن تسيير من توران إلى إيران"، وحافظ على تقاليد

---

[1] الصيّاد، المرجع السابق، ص 232.

[2] ابراهيم بخيت، المرجع السابق، ص 199.

[3] الهمذاني، تاريخ المغول، م2 ، ج1 ، ص 235.، فهمي، المرجع السابق، ص 108.

[4] نفسه، ص 108.

[5] الهمذاني، المصدر السابق، م2 ، ج1 ، ص 235، الجويني، تاريخ فاتح العالم ، ج3 ، ص94.

[6] الصيّاد،المرجع السابق،ص232.

جنكيرخان و قوانينه، في الكليات والجزئيات، وخص كل من يطيع أوامرك ويجتنب نواهيك، في الرقعة الممتدة من جيحون حتى أقاصي بلاد مصر، بلطفك وبأنواع عطفك وإنعامك، أما من يعصيك، فأغرقه في الذلة والمهانة مع نسائه وأبنائه وأقاربه، وكل ما يتعلق به، وابدأ بإقليم قهستان في خراسان، فخرب القلاع والحصون، فإذا أفرغت من هذه المهمة، فتوجه إلى العراق، وأزل من طريقك اللور والأكراد، الذين يقطعون الطرق على سالكها، وإذا بادر خليفة بغداد بتقديم فروض الطاعة، فلا تتعرض له مطلقا، أما إذا تكبر وعصى، فألحقه بالآخرين من الهالكين، كذلك ينبغي أن تجعل رائدك في جميع الأمور، العقل الحكيم والرأي السديد، وأن تكون في جميع الأحوال يقضاً عاقلاً، وأن تخفف على الرعية التكاليف والمؤن ، وأن ترفه عنهم، وأما الولايات الخربة، فعليك أن تعيد تعميرها في الحال، وثق أنك بقوة الله العظيم، سوف تفتح مماليك الأعداء، حتى يصير لك فيها مصايف ومشاتي عديدة، وشاور دوقوز خاتون[1] في جميع القضايا والشؤون"[2].

وكان في نية "منكوخان" أن يرسل هولاكو بجيش عظيم ففعل وعززه بغيره، وأمله أن يبقى في إيران بعد الاستيلاء عليها، ويكون سلطانا مطلقا فيها، ولكنه أمر ظاهرا أن يرجع إليه إذا تم له الفوز، وبعد أن أتم وصاياه ونصائحه بهذا الوجه، أكرمه ومن تبعه من الخواتين والأولاد كلا على حدة في الذهب واللباس والخيل، ما يليق بهم من وافر العطايا، وأنعم على بقية الأمراء والأتباع الذين كانوا معه[3].

وفي سنة651هـ/ 1253م، تحرك هولاكو على رأس جيشه متجها نحو الغرب، وكان بمعية أولاده الكبار "يشمون" و "أباقا"، وأخذت الفيالق تتحرك من مختلف المواقع

---

[1] كانت زوجة تولوي المفضلة عنده، ثم آلت من بعده إلى إبنه هولاكو خان، فتزوج منها جريا على عادة المغول الذين كانوا يتزوجون من نساء أبائهم، وكانت إمرأة حازمة ذات شخصية قوية، وتدين بالمسيحية، وكان هولاكو يعزها ويحترمها ويستشيرها في مهام الامور. أنظر: الصيّاد، المرجع السابق، ص 233، حاشية: 01.

[2] الهمذاني، المصدر السابق، م2 ، ج1 ، ص236، 237.

[3] عباس العزاوي، تاريخ العراق بين إحتلالين، ج1 ، ص 149، الصيّاد، المرجع السابق، ص 233.

التي كانت ترابط فيها[1]، وأسرع أمراء الأطراف إلى تقديم كافة التسهيلات لتموين الجيش، كما أنهم أخذوا على عاتقهم تنظيف الطرق من الحجارة و الأشواك[2].

ويصف الجونيي جيوش هولاكو بقوله "...وتحركت الجيوش – حيثما و جدت – من أماكنها، فبدأت الجبال ترتج، وقلوب الملوك ترتعد من هيبة تلك الأخبار، وأخذ الملك يتقدم ببطء"[3].

وكانت أولى البلاد التي وصلها هولاكو و جيشه بعد خروجه من قراقورم هي مدينة سمرقند سنة 653هـ –1255م، حيث وجد أن حاكمها قد أعد إستقبالاً فخيماً له[4].

وأقام له مسعود بيك، حاكم ما وراء النهر وتركستان هناك خيمة مطرزة بالذهب، حيث أمضى ما يقرب من أربعين يوما وهو منصرف للشراب، وفي خلال تلك الأيام أسرع الملك شمس الدين كرث، إلى استقبال هولاكو فخصه بأنواع عطفه وإنعامه، وقد رحل هولاكو من هناك، ولم يتوقف إلا عند حدود "كش"[5]، حيث وصل الأمير أرغون مع كافة الأكابر والأعيان والصدور في خراسان، وقدّموا خضوعهم وهداياهم، وفي كش أقام هولاكو مدة شهر، ثم أرسل عدة رسائل إلى الملوك و السلاطين في إيران[6].

وجاء في هذه الرسائل "بناء على أمر الخاقان قد عزمنا على تحطيم قلاع الملاحدة وإزعاج تلك الطائفة، فإذا أسرعتم وساهمتم في تلك الحملة بالجيوش والعدد

---

[1] عبد الأمير الرفيعي، المرجع السابق، ج1 ، ص 110.

[2] فهمي، المرجع السابق، ص 109، 110.

[3] الجويني، تاريخ فاتح العالم، مج3 ، ص 97.

[4] ساهر رافع، هولاكو، الدار العالمية للكتب والنسر، ط1، مصر، 2013م، ص 58. فهمي، المرجع السابق، ص 110.

[5] قرية على ثلاثة فراسخ من جرجان على جبل، وقيل موضع سيلار ما وراء النهر، أنظر، الخوري، معجم البلدان، ج5 ، ص 462.

[6] الهمذاني، تاريخ المغول، مج2 ، ج1 ، ص 239، الجويني، تاريخ فاتح العالم، مج3 ، ص 98. الصيّاد، المرجع السابق، ص 236، 237، فهمي، المرجع السابق، ص 110.

والآلات، فسوف تبقى لكم ولاياتكم وجيوشكم ومساكنكم، وستحمد لكم مواقفكم، أما إذا تهاويتم في امتثال الأوامر وأهملتم، فإننا حين نفرغ بقوة الله من أمر الملاحدة، فإننا لا نقبل عذركم، ونتوجه إليكم ، فيجري على ولاياتكم و مساكنكم مايكون قد جرى عليهم"[1].

وعندما وصل هولاكو إلى الأراضي الإيرانية، كانت قد سبقته أخبار قوته وما يقصده، فتلقى الترحيب من أتباع جدد، ابتداء من شمس الدين كرث ملك هرات، والأتابك سعد بن زنكي أتابك فارس، وكيكاووس الثاني، وقلج أرسلان الرابع سلطان سلاجقة الروم، و القائمين بالحكم في آسيا الصغرى[2].

ثانيا:أسباب مهاجمة المغول لطائفة الإسماعيلية:

يتبادر إلى أذهاننا سؤال مفاده: ما الذي جعل المغول يغيّرون نظرتهم إلى جماعة الإسماعيلية، بحيث يشير "منكوخان" على أخيه هولاكو بأن يغزو إقليم قهستان مقر هذه الطائفة، ويكلفه بتحطيم قلاعهم و حصونهم مع أنهم ظلوا مع المغول في صفاء مدة طويلةّ؟... ألم يكن جلال الدين حسن بن محمد زعيم الإسماعيلية هو أول حاكم يرسل رسولا إلى جنكيزخان ليقدم له فروض الخضوع والطاعة، عندما جاء على رأس جيشه إلى إقليم ما وراء النهر، وبعد عبوره نهر جيحون، أليس الإسماعيلية هم الذين اتصلوا بالمغول ودعوهم أكثر من مرة لمهاجمة جلال الدين منكبرتي، والقضاء نهائيا على الدولة الخوارزمية[3]، وكلما إعتلى العرش المغولي خان جديد كان الإسماعيلية هم أول المهنئين، وفي حالة الوفاة كانوا أول المعزين[4].

---

[1] الهمذاني، تاريخ المغول، مج2 ، ج1 ، ص 240.

[2] الصيّاد، المرجع السابق، ص237، فهمي، المرجع السابق، ص110. Grosset, L’Empier des steppes, p.247

[3] الصيّاد، المرجع السابق، ص 234، سامي محمد المرسي، المرجع الاسبق، ص 96.

[4] محمود إبراهيم بخيت، المرجع السابق، ص 204.

ولما رأى الإسماعيلية أن مطامع المغول لا تقف عند حد، وأن فتوحهم مستمرة في الصين وأروبا وخراسان والعراق العجمي وآسيا الصغرى، خافوا خطرهم وصمموا على مقاومتهم، فأخذوا يرسلون رسلهم إلى إنجلترا وفرنسا، سنة 637هـ/1239م، طالبين معونة الأوربيين الذين عرفوهم إبان الحروب الصليبية، ولكنهم لم يلقوا مجيبا، يشهد بذلك ما قاله أسقف مدينة و نشتر" دع هؤلاء الكلاب يأكل بعضهم بعضا حتى يُقضى عليهم نهائيا، وعندئذ سوف نقيم على أنقاضهم الكنيسة الكاثوليكية العالمية، فنكون حقا راعيا واحدا و قطيعا واحدا"[1] .

ولم يقف الإسماعيلية عند هذا الحد، بل إنهم حاولوا تكوين اتحاد من جميع الإمارات المجاورة لهم، لصد الخطر المشترك الذي يتهددهم جميعا.[2]

أغضبت خطة الإسماعيلية هذه المغول، وكانت سببا في سوء معاملتهم لرسول شيخ الجبل الذي حضر مجلس انتخاب "كيوك" سنة 644هـ/1246م[3]، ويصف ابن العبري ذلك بقوله "...و أما رسل الملاحدة[4] فصرفهم مذلين مهانين..."[5].

وعندما كان المغول يفكرون في إزالة الخلافة العباسية، أدركوا أن طائفة الإسماعيلية ستكون شوكة في ظهورهم، وقد تحول دون تحقيق أطماعهم في السيطرة على القسم الغربي من العالم الإسلامي، لهذا أوصى "منكوخان" أخاه هولاكو بالقضاء على هذه الطائفة قبل مسيره إلى بغداد، قضاء مبرما فيخرب قلاعهم ،ويجعل أعاليها أسافلها، ولا يبقى منها أي أثر[6].

---

[1] الصيّاد، المرجع السابق، ص237، مصطفى بدر، المرجع السابق، ص 151، محمود إبراهيم بخيت، المرجع الاسبق، ص 205.

[2] مصطفى طه بدر، المرجع السابق، ص 151، الصيّاد، المرجع السابق، ص 232.

[3] مصطفى طه بدر، المرجع السابق، ص 151.

[4] يقصد الإسماعيلية.

[5] ابن العبري غريغوريوس الملطي، تاريخ مختصر الدول، دار الأفاق العربية ،ط1،القاهرة ،2001م،ص 257.

[6] الصيّاد، المرجع السابق، ص 235.

ومن العوامل التي شجعت المغول على مهاجمة الإسماعيلية هم المسلمين أنفسهم الذين كانوا خاضعين للسلطة المغولية، كانوا دائمي الشكوى من الإسماعيلية بسبب ما لاقوه منهم من عنت وظلم وجور، وكانوا يغيرون عليهم ويسلبونهم أموالهم وأغنامهم ،لا سيما أهل قزوين الذين كانوا يجاورونهم[1] .

يقول ابن طباطبا: "حدثني الملك إمام الدين يحي بن الافتخاري، قال: أذكر ونحن بقزوين إذا جاء الليل جعلنا جميع مالنا من أثاث و قماش و رّحل في سراديب لنا في دورنا غامضة خفية، ولا نترك على وجه الأرض شيئا خوفا من كبسات الملاحدة، فإذا أصبحنا أخرجنا أقمشتنا، فإذا جاء الليل فعلنا كذلك، ولأجل ذلك كثر حمل القزاونة للسكاكين، وكثر حملهم للسلاح،ومازال الملاحدة على ذلك حتى كان من أمر شمس الدين قاضي قزوين وتوجهه إلى قان، وإحضار العسكر وتخريب قلاع الملاحدة ما كان "[2].

يورد لنا الجوزجاني رواية يقول فيها أن حملة المغول هذه، بقيادة هولاكو، كانت أصلا استجابة من "منكوخان" للتحريض الذي قام به القاضي السني المذهب شمس الدين أحمد الخوفي القزويني[3]، " وقد سافر القاضي شمس الدين القزويني وكان إماما صادقا وعالما محققا من قزوين إلى الخطا عدة مرات، وتحمل ألم مفارقة الأوطان حتى عهد الملك منكوخان، فذهب إليه للمرة الثانية بالطريقة التي يسرت له وطلب المدد، وعرض شرور الملاحدة ومسارهم في بلاد الاسلام، وقيل انه تفوه في حضور منكوخان بكلمات عنيفة بسبب قوة حميته للإسلام والدين، بحيث استولى الغضب والكبر على منكوخان، لأن القاضي وصف قوة ملكه و سيطرته بلفظ العجز والضعف، فقال منكوخان، أي عجز قد شاهده القاضي في بلادنا، حتى يتفوه بمثل هذه الكلمات الجافة؟ قال القاضي شمس

---

[1] ساهر رافع، المرجع السابق، ص 56، الصياد، المرجع السابق، ص 235.

[2] ابن طباطبا، المرجع السابق، ص 31.

[3] الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص 247

الدين: ماذا يكون الحال وقد بنى جماعة من الملاحدة عدة قلاع، ودينهم على خلاف الدين المسيحي، ومغاير للدين الإسلامي والمغولي، وهم يغرونهم بأموالكم، ويترقبون فرصة أقل وهنفيدولتكم لتخرج تلك الجماعة من بين الجبال والقلاع، وتقضي على بقية أهل الإسلام، بحيث لا يتركون من الإسلام أثرا"[1].

وما نفهمه من رواية الجوزجاني الأخيرة هذه، يبدو لنا وكأن المؤلف جعل من منكوخان، حاميا للمسلمين ولدينهم، وهذا بطبيعة الحال خلاف الواقع، فالمسلمين السنيين الساكنين في مناطق قزوين قد عاشوا في حالة حرب مع عدوهم اللدود، وهم أتباع المذهب الإسماعيلي، أو الباطنية، والمعروفين أيضا بالحشاشين والملاحدة، وهم أناس كانوا يعيشون في القلاع الجبلية الحصينة المجاورة لأهل قزوين، والتي كانت منتشرة على قمم الجبال المحيطة بأراضي القزوينيين من أهل السند وعلى وجه الخصوص، قلاع الإسماعيلية في منطقتي ألحوت وكردكوه في منطقة كوهستان، لهذا فإننا نجده من غير المستغرب لأهل قزوين أن يبحثوا لهم عن نصير من الخارج، ويطلبوا منه المساعدة ضد عدوهم، إلا أنه مع هذا يبدوا لنا من غير الممكن أن يقدم المسلمون السنيون القاطنون في قزوين على أن يسألوا المغول الذين كانوا يمثلون أخطر وأكبر تهديد مميت عرفه المسلمون طوال تاريخهم العريق لمساعدتهم ضد الإسماعيليين.[2]

---

[1] الجوزجاني، المصدر السابق، مج2 ، ص 196،197، وهذه الرواية توافق ما جاء في به الهمذاني، بقوله: ".... وفي ذلك الوقت كان قاض القضاة المرحوم شمس الدين القزويني موجودا في بلادالخان، وذات يوم ظهر للخان مرتديا الزرد، وأحبه أنه يلبسه تحت ثيابه خشية الملاحدة، كما سرد له طرفا من اعتداءاتهم وغاراتهم، أنظر: الهمذاني، جامع التواريخ، مج2 ، ج1 ، ص 233.

[2] الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص 248.

3- هولاكو يقضي على طائفة الإسماعيلية.

ذكرنا سابقا أنه عندما خرج هولاكو خان باتجاه إيران والإسماعيلية، أسرع أمراء الأطراف إلى تقديم كافة التسهيلات لتموين الجيش، كما أنهم أخذوا على عاتقهم تنظيف الطرق من الحجارة و الأشواك[1].

وفي الوقت ذاته كانت طائفة الإسماعيلية تستوطن الجبال في ولاية طالقان ورودبار وآلموت، وهذه الأخيرة كانت المركز الرئيسي لتجمع الإسماعيلية وكرسي ملكها وهي بلغة الديلم، عش الشر أو ملجأ العقبان[2].

وأمر هولاكو خان القائد المغولي " كتبغا نويان " بالتقدم في طليعة الجيش المغولي إلى قهسان، وهي المناطق الجبلية الوعرة الواقعة بين هراة، ونسيابور، فاستطاع أن يستولي على كثير من القلاع الموجودة هناك، غير انه عندما تقدم إلى قلعة " كردكوه "، وجدها حصينة محكمة، فأمر جنوده بحفر خندق عميق حولها، أحاطوه بسور محكم، وعسكر الجيش خلفه[3].

طال الحصار على القلعة، فانتشر الوباء بين أهلها، فكان ذلك سببا في وفاة الكثيرين منهم ،وعندما علم بذلك علاء الدين حاكم الإسماعيلية في ذلك الوقت، خشي مغبة الأمر، وخاف أن تسقط القلعة في أيدي المغول إن استمر الحال هكذا، فأرسل 110 شخصا من الفدائيين المشهورين لإنقاذ أهالي هذه القلعة، وقد تزوجت ابنته احد الأمراء فخضبوا يداها وقدميها بالحناء ثم غسلوهما، فشربت طائفة من الناس الماء الملوث

---

[1] الصيّاد، المرجع السابق، ص236، Grosset, L'Empier des steppes, paris 1948 p.247

[2] الخالدي، المرجع السابق، ص 111. فهمي، المرجع السابق، ص110.

[3] الهمذاني، جامع التواريخ، مج2 ،ج1 ، ص 243، عباس إقبال، تاريخ المغول، ص 193، فهمي، المرجع السابق، ص 111.

بالحناء، فلم يمت منهم احد من هذا الوباء، و بهذا وضحت لهم فائدة هذه التجربة فطلبوا الحناء[1].

وفي نهاية شوال سنة 635هـ/1255م، وجد علاء الدين محمد زعيم الإسماعيلية مقتولا في مكان يدعى شيركوه، ويقال أن الحسن المازندراني الحاجب، هو الذي قتله بالإتفاق مع خورشاه بن علاء الدين، وكان المازندراني أخص الخواص بالنسبة لعلاء الدين، كما كان موضع أسراره، ولا يفارقه ليلا ونهارا، وكان ركن الدين خورشاه يحقد على أبيه، بسبب سوء معاملته له، ولأنه خلعه من ولاية العهد، ولكن الإسماعيلية لم يقبلوا ذلك، جريا وراء تقليدهم القاضي بأن النص الأول هو الصحيح،وان عهد الإمام لا ينقض.[2]

ووجه أولاد علاء الدين و قومه تهمة القتل إلى عدة أشخاص، فقاموا متأثرين بذلك الوهم بقتل عدد من المقربين لعلاء الدين، وخدمه الذين كانوا قد شوهدوا بجوار الموضع الذي قتل فيه، حيث كانوا يقومون بحراسته ليلا، ولقد توسعوا في توجيه الاتهام والاشتباه إلى المواضع البعيدة والقريبة... حتى استطاعوا بعد مضي أسبوع أن يتوصلوا إلى أن الحسن المازندري هو الذي قتله، فقتلوه واحرقوا جثته، كما احرقوا أبناءه الثلاثة وكانوا بنتين وولد، وجلس ركن الدين خورشاه مكان أبيه[3].

وجاء في رواية الهمذاني أن ركن الدين هوالذي أمر بقتل الحسن المازندري .. ورغم أن حسن المازندري هو الذي قتله بناء على مشورة ابنه خورشاه، إلا أن هذا الأخير لم يستطع الاعتماد عليه، فكتب إليه رسالة وأعطاها فدائيا حتى يذهب إليه ويسلمها إياه،

---

[1] الهمذاني، جامع التواريخ، مج2 ، ج1 ، ص 244، 245، الصياد، المرجع السابق، ص 238.

[2] براون، تاريخ الأدب في ايران، ص 580، الصياد، المرجع السابق، ص 293، عباس إقبال، تاريخ المغول، ص 193، عباس اقبال، تاريخ ايران بعد الاسلام، ص 429.

[3] الجويني، تاريخ فاتح العالم، مج3 ، ص 223.

ولما انشغل حسن بالقراءة قتله ذلك الفدائي، ثم أعلن خورشاه انه قتل حسن لأنه هو الذي قتل والده..."[1].

وفي غرة ذي الحجة سنة653هـ/1256م، عبر هولاكو بجيشه نهر جيحون، وتقدم بجحافله نحو القلاع المنيعة، وأخذ هو وقواده يعملون على تخريبها وتحطيمها ،لكنه أدرك منذ اللحظة الأولى أنه إذا اعتمد على القوة في الاستيلاء على تلك القلاع، فإن ذلك سيكلفه مزيدا من التضحية، فضلا عن طول الوقت نظرا لمناعة تلك القلاع، ولاستماتة المدافعين في الدفاع عنها، فلجأ هولاكو إلى سياسة الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد[2].

وقد نجحت هذه السياسة بالفعل، فعندما أرسل هولاكو الملك شمس الدين كرث برسالته إلى ناصر الدين[3] محتشم الإسماعيلية في قلعة " سر تخت " يدعوه إلى الدخول في طاعته، إمتثل لهذا الأمر، وقصد هولاكو في صحبة شمس الدين كرث، حيث قدم للخان جملة من الهدايا والتحف، بعد أن قبل الأرض بين يديه[4]، فتعطف هولاكو وقبل تلك الهدايا وقال له: " إنك نزلت من القلعة، وقبلت الخضوع لإنقاذ حياة زوجتك وأبنائك، فلماذا لم تنزل معك سكان القلعة وتحثهم على التسليم؟..." فأجاب ناصر الدين أن لهم ملكا يدعى خورشاه يأتمرون بأمره"[5].

---

[1] الهمذاني، جامع التواريخ، مج2 ، ج1 ، ص 245.

[2] فهمي، المرجع السابق، ص111.

[3] هو ناصر الدين أبو الفتح عبد الرحيم بن أبي منصور كان رجلا كريما فاضلا يقرب إليه العلماء والأولياء، ويميل إلى مجالستهم، عاش في بلاطه بقهستان فترة طويلة الخواجه نصر الدين الطوسي، والف له كتابا " أخلاق ناصرى " باللغة الفارسية، في حدود سنة 633 هـ، وقدمه بإسمه: انظر: الهمذاني، جامع التواريخ، مج2 ، ج1 ، ص 247، حاشية، 01.

[4] الصياد، المرجع السابق، ص 240.

[5] الهمذاني، جامع التواريخ، مج2 ، ج1 ، ص 247.

بعد ذلك أنعم عليه هولاكو بلوحة ذهبية (بايزه) ومرسوما (يرليغ)[1]، ونصبه حاكما على مدينة (تون) ،إلى أن توفي في شهر صفر سنة655هـ/ 1257م[2].

ولما فرغ هولاكو من هذه المهمة، صار يتنقل من مكان إلى آخر، حتى وصل إلى حدود زاوه وخواف، وحدث أن اعتلت صحته، فترك الميدان لقواده إلى أن يشفى من مرضه[3]، ثم أرسل هولاكو رسله إلى ركن الدين خورشاه ملك الإسماعيلية، وزعيم الطائفة يطلب إليه الخضوع والتسليم، وفي الوقت نفسه لم ينتظر الرد من ملك الإسماعيلية، وشرع جنوده يفتحون القلاع الواحدة بعد الأخرى ،حتى تمت لهم الغلبة على أكثرها، ولم تستعصي عليهم أول مرة إلا قلعتا " سمون دز " و " آلموت "[4].

يقول رشيد الدين الهمذاني " ثم أمر هولاكو بالمسير، وقد كان أوفد "بكتيمو قورجي" وظهير الدين يسبلار البيكجي (الكاتب) وشاه أمير برسالة إلى خورشاه سلطان الملاحدة فذهبوا إليه، وابلغوه ما أمر به هولاكوخان، ثم عادوا بعد أداء مهمتهم في التاسع من جمادي الآخرة، و في اليوم نفسه وصل جيش المغول إلى قلاع الملاحدة وشرع في الهجوم[5].

وفي العاشر من شعبان سنة 654هـ/1256م، قدم هولاكو إلى خرقان وبسطام، وأرسل مركتاي شحنة هراة، بصحبة منكلمش برسالة أخرى إلى ركن الدين خورشاه ،وأمرهما بتخويفه و تهديده و وعيده [6].

1 اليرالغ، بمعنى المراسيم، انظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج4 ، ص 423.
2 الهمذاني، جامع التواريخ، مج2 ، ج1 ، ص 247.
3 الصياد، المرجع السابق، ص 240.
4 فهمي، المرجع السابق، ص 111، 112، عباس العزاوي، المرجع السابق، ج1، ص 151.
5 الهمذاني، جامع التواريخ، مج2، ج1، ص 249.
6 الهمذاني، جامع التواريخ، مج2، ج1، ص 249

والمعروف عن المغول أنهم كانوا يدمرون كل بلد يمرون فيه، باستثناء ما فعلوه عند دخولهم إيران وبالأخص مدينة طوس، حيث أمر هولاكو بتجديد عمارة بعض المدن، ودفع التكاليف اللازمة من الخزانة حتى لا يتحمل الرعايا عبء هذه النفقات، ثم حفرت الكظائم (الكهاريز) وشيدت المصانع...[1].

وفي ذلك الوقت كان الخواجة نصير الدين الطوسي[2]، وجماعة آخرون من الأطباء، منهم رئيس الدولة وأبناؤه يقيمون لدى ملك الإسماعيلية مكرهين، لما رأوه من أفعال خورشاه السيئة، ولما لمسوه من ظلمه و جوره، " وكانوا قد ملوا ملازمة الملاحدة، ونفروا منهم، ومالوا إلى هولاكو إلى أقصى حد، فصاروا يتشاورون سرا لكي يجعلوا هذا الملك يخضع لهولاكو على الوجه الأحسن والطريق الأسهل، إنظم إليهم كثير من الغرباء المسلمين، واتفقوا جميعا على الخضوع والطاعة، وصاروا يخوفونه مغبة المقاومة وعدم التسليم فاستجاب لنصحهم"[3].

ولما رأى هولاكو أن خورشاه يراوغه و يداوره، عقد العزم على فتح القلعة عنوة، فشدد الحصار عليها من جميع الجهات، ولكن مع هذا تعذر عليه اقتحامها، فاستشار هولاكو النبلاء والأمراء من المغول في استمرار الحصار أو العدول عنه، والعودة إلى قواعدهم، والانتظار حتى يحل الربيع فقالوا له[4]: " إننا في وقت الشتاء، وحيواناتنا نحيفة

---

[1] محمد جاسم حمادي المشهداني، في محكمة التاريخ ابن العلقمي والطوسي، دا القلم، ط1، 200م، دمشق، ص71.

[2] هو محمد بن محمد بن الحسن الطوسي، المشتهر بنصير الدين الطوسي، ولد في طوس سنة 597م، وتوفي ببغداد سنة 672هـ فيلسوف ومؤسس المنهج الفلسفي في علم الكلام الاسماعيلي، وكان ممن عفى عنهم هولاكو بل جعله من خاصته وأتباعه وملازميه، وكان له دورا كبيرا في احتلال هولاكو لقلاع الإسماعيلية، وكان من الذين أثاروا على هولاكو مثل الخليفة العباسي المستعصم. انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج17، ص 515، بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ص 389، حمادي المشهداني، المرجع السابق، ص70، 76، محمود ابراهيم بخيت المرجع السابق، ص 206، حسن الأمين، الإسماعيليون والمغول، ص9-12.

[3] الهمذاني، جامع التواريخ، مج2، ج1، ص 249، 250.

[4] الصياد، المرجع السابق، ص 241.

عجفاء، والعلف معدوم ويجب المبادرة بنقل العلف من ناحية بلاد الأرمن أو حدود كرمان، فمن الأفضل أن نعود إلى قواعدنا"[1].

أرسل هولاكو مرة أخرى رسالة إلى خورشاه ملؤها التهديد والوعيد، يعرض فيها انه إذا نزل من القلعة، وتخلى عن المقاومة، وتوجه إلى معسكر الخان، فإن تصرفه هذا سوف يكون سببا في إنقاذ حياة طائفة كبيرة من الضعفاء والمساكين، وإما إذا تلكأ ولم يقدم نفسه خلال خمسة أيام، فأن عليه أن يستعد لحرب ضروس[2].

وكانت تلك الرسالة ذات اثر بالغ على خورشاه ونفسيته، فاستشار أركان دولته و استقر الرأي أن يرسل إلى هولاكو الخواجة نصير الدين الطوسي مع طائفة من الوزراء والأعيان والأئمة، محملين بالتحف و الطرائف الكثيرة، فوصلوا إلى معسكر هولاكو في يوم الجمعة 28 شوال 654هـ/1256م[3].

اضطر خورشاه الى الاستسلام ،بعدما أدرك ان الأمر خرج من يده ،ولم تعد له طاقة على المقاومة، كما أن اليأس قد تطرق إلى نفوس رجاله المحاصرين، وفقدوا كل أمل في الصمود، فنزل من قلعة "ميمون دز" التي كان يقيم فيها، وذلك في غرة ذي القعدة 654هـ/ 1256م، وسلم نفسه لهولاكو[4].

---

[1] الهمذاني، جامع التواريخ، مج2، ج1، ص 253، 254.

[2] الصياد، المرجع السابق، ص 242.

[3] الهمذاني، جامع التواريخ، مج2، ج1، ص 254. فهمي، المرجع السابق، ص 112، عبد الأمير الرفيعي، المرجع السابق، ج1، ص112.

[4] الهمذاني، جامع التواريخ، مج2، ج1، ص 254. الجويني، تاريخ فاتح العالم، مج3، ص1331-232، الصياد المرجع السابق، ص242، مصطفى طه بدر، المرجع السابق، ص154.

ونظم الخواجة نصير الدين الطوسي بيتين من الشعر في تاريخ تلك الواقعة هما:

عندما صارت السنة الهجريةاربعاوخمسين وستمائة... وفي صباح يوم الأحد الموافق غرة ذي القعدة قام خورشاه ملك الإسماعيلية من على عرشه... ووقف بين يدي هولاكـــــو[1]

بعد ذلك توجه هولاكو إلى معقل الإسماعيلية في آلموت، واستدعى ركن الدين خورشاه ليحث المدافعين على التسليم، ولكن قائد القلعة رفض أن ينصاع لنصائح خورشاه، فأمر هولاكو جنوده بفتح القلعة، وبعد ثلاثة أيام من القتال الشرس، تم له فتح آلموت كغيرها من قلاع الإسماعيلية، وسقط بذلك آخر معاقل الفدائيين الكبرى في يد المغول، ودخلوا الوكر الأصلي للحسن الصباح وأتباعه، وحطموا مجانيقهم ونهبوا أموالهم وخزائنهم، واستولوا على المكتبة النفسية التي أسسها الإسماعيلية في آلموت على مدار سنوات طويلة وذاع صيتها في أرجاء الدنيا، وأمر هولاكو بتدميرها[2].

وجاء على لسان الجويني الذي كان موجودا عند دخول هولاكو إلى قلعة آلموت "... وعندما كنت بأسفل لمسّر، استولت عليّ الرغبة في تفقد مكتبة آلموت، التي إستطار صيتها في الأقطار، فعرضت على السلطان أن لا ينبغي تضييع نفائس الكتب الموجودة بآلموت، فتقبل السلطان طلبي بقبول حسن، وأعطى الأوامر اللازمة، فتوجهت لتفقد المكتبة، وأخرجت كل ما وجدت من المصاحف و نفائس الكتب..."[3].

أما عن مصير ركن الدين خورشاه، فقد عامله هولاكو معاملة حسنة، إذ انعم عليه ومنحه فتاة مغولية ليتزوج منها، واختار له مدينة قزوين لتكون مكانا لإقامته، ولحفظ أمتعته وأمواله، وليتخذها سكنا لأتباعه[4].

---

[1] الهمذاني، المصدر السابق، مج2، ج1، ص 254، 255.

[2] عباس إقبال، المغول، ص195، ساهر رافع، هولاكو، ص65، الصيّاد، المرجع السابق، ص 242، 243.

[3] الجويني، تاريخ فاتح العالم، مج3، ص 234.

[4] ابن العبري،تاريخ مختصر الدوّل، ص 266، الصيّاد، المرجع السابق، ص243.

ويفسر لنا الهمذاني، اهتمام هولاكو بخورشاه، فيقول "... لم يشأ هولاكو أن ينكث بعهده لخورشاه، وأن يقضي عليه، ذلك لأنه أمنه على حياته، ولأنه يعرف انه مازالت هناك قلاع كثيرة تخص الملاحدة، موجودة في هذه الديار وفي ديار الشام، يمكن استخلاصها بتوجيه خورشاه ونفوذه، وإلا فإن عليه أن يقضي عدة سنوات حتى يتيسر فتحها، وعلى هذا صار هولاكو يعز خورشاه ويكرمه مدة من الزمن"[1].

ولكن هذه المعاملة القائمة على التسامح لم تدم طويلا، حيث أرسله هولاكو إلى قراقورم، ليقابل منكوخان[2]، وذلك في أول ربيع الأول 655هـ/مارس1257م[3]، وحينما علم الخان بقدومه قال لأتباعه: " لماذا تحضرونه وتشقون بذلك عبثا على الدابة التي يركبها"، ثم أرسل رسولا من قبله قضى على حياة خورشاه[4].

كما أمر منكوخان بإبادة كافة الإسماعيلية وتدمير آثارهم في إيران، ونفذ هولاكو أوامر منكوخان بكل دقة، ووضع خطة محكمة للقضاء عليهم، إذ تظاهر بالعفو عنهم لكي يخرجهم من أماكنهم، بحجة انه يود عمل إحصاء عام للنفوس، وعندما تم اكتشاف هؤلاء أمر بإعدامهم جميعا، وتبع ذلك حركة تقتيل في جميع أفراد أسرة ركن الدين خورشاه، وأقاربه من الرجال والنساء والأطفال، وكان ذلك في موقع بين ابهر وقزوين[5].

كان لاندحار الحشيشية صدى ايجابي في العالم الإسلامي، على الرغم مما كان يعانيه المسلمون على أيدي المغول، وما يتوقعونه منهم في المستقبل، ولعل مرد ذلك يعود إلى أن هذه الطائفة، قاومت في القرن 6هـ/ 12م، كل جهود سلاطين السلاجقة

---

[1] الهمذاني، جامع التواريخ، مج2،ج1، ص257، 258، ساهر رافع، هولاكو، ص 66.

[2] الصياد، المرجع السابق، ص 244، فهمي، المرجع السابق، ص 114.

[3] الجويني، تاريخ فاتح العالم، مج3، ص 238.

[4] الهمذاني، جامع التواريخ، مج3، ج1، ص 258، الجوزجاني، طبقات ناصري، ج2، ص 201، براون، تاريخ الأدب في إيران، ص 581، طقوش، تاريخ المغول، ص138، عباس إقبال، تاريخ المغول، ص 196.

[5] فهمي، المرجع السابق، ص 115.

واستطاعت أن تفزع الخلفاء العباسيين وترهبهم، وكانت سبباً من أسباب الفساد المعنوي، والتفرق في العالم الإسلامي[1]، فإذا كان هولاكو قد أبادها أخيرا ،فإنما يكون قد أدى بذلك خدمة كبيرة لقضية النظام و الحضارة[2].

وقد استمر ملك الإسماعيلية مئة وسبعة وسبعين سنة، وكان بدء حكمهم سنة477هـ ،وهو العدد الذي يكنى عنه بلفظ "آلموت" وانتهاؤه في غرة ذي القعدة سنة 654هـ وكان عدد ملوكهم ثمانية، تولوا الحكم على التوالي بالترتيب الآتي:

1-محمد بن علي بن محمد الصباح الحميري (473 – 518هـ/ 1081 – 1125م).

2-كيابزرك أميد (518 – 533هـ/ 1152 – 1139م).

3-محمد بن بزرك أميد (533 – 557هـ / 1139 – 1162م).

4-حسن بن محمد بزرك أميد (557 – 561هـ/ 1162 – 1116م).

5-محمد بن حسن (561 – 607هـ/ 1166 – 1211م).

6-جلال الدين بن محمد بن حسن (607 – 618هـ/ 1211 – 1222م).

7-علاء الدين محمد بن جلال بن محمد حسن (618 – 653هـ/ 1222 – 1256م).

8-ركن الدين خورشاه بن علاء الدين[3] (653 – 654هـ/ 1256 – 1257م).

[1] طقوش، تاريخ المغول، ص 139، الصياد، المرجع السابق، ص 244، 245.

[2] Grosset, L'Empier des steppes, p.247

[3] الهمذاني، جامع التواريخ، مج2، ج1، ص 258، 259، عباس العزاوي، المرجع السابق، ص 152، 153.

وعبّر الجويني عن مدى سعادته بالقضاء على طائفة الإسماعيلية بقوله: " والآن إستراح سكان العالم، ولا سيما أهل الإيمان، من شر مكيدتهم، وخبث عقيدتهم، بل إن الأنام من خاص وعام، كرام ولئام سعداء الآن، وغدت هذه الحكايات أشبه بحكاية رستم الخرافية القديمة، يقدرها أهل البصر، ويدركون قيمة هذا الفتح المبين الذي حل و الزينة التي عمّت"[1].

" حقا!... لقد كان هذا العمل مرهما لجراح المسلمين، وتداركا للدين من الخلل، وإن كان الناس الذين يبقون من هذا العهد، يعرفون إلى أي حد بلغت فتنة هذه الطائفة، وإلى أي مدى بلغ اضطراب الناس وانزعاجهم، وإن الشخص الذي كان على وفاق معهم منذ عهد الملوك السالفين حتى عهد ملوك هذا العصر، إنما كان فقط مدفوعا بدافع الخوف منهم، أما إذا عاداهم فكان عليه أن يعيش ليله و نهاره سجينا خوفا من رعاعهم، لقد كان كأسا طافحا، وريحا عاتية، و لكنها أخمدت"[2].

وبهذا تنفس الناس الصعداء بالقضاء على هذه الطائفة الملحدة، لكنهم لقوا ماهو أشد وأنكى على أيدي المغول[3].

وبذلك أصبح الطريق آمنا مفتوحا إلى بغداد، وبدأت الجيوش المغولية الرابطة في فارس تزحف ببطء، في اتجاه عاصمة الخلافة، ووضح للجميع أن اللحظات المتبقية في عمر العاصمة الإسلامية أصبحت قليلة[4].

---

[1] الجويني، تاريخ فاتح العالم، ج2، ص 270، نقلا عن: إخلاص محمد سليمان العيدي، المغول كما أرخ لهم عطاء ملك الجويني في كتابه تاريخ جهانكشاي (تاريخ فاتح العالم)، رسالة دكتوراه في تاريخ، إشراف أحمد عبد الله الحسّو، جامعة مؤتة، 2008، ص 174.

[2] الجويني، تاريخ فاتح العالم، ج2، ص 278، نقلا عن: الصيّاد، المرجع السابق، ص 245، طقوش، تاريخ المغول، ص 139.

[3] الخالدي، المرجع السابق، ص 86.

[4] محمود ابراهيم بخيت، المرجع السابق، ص 208.

المبحث الثالث:سقوط الخلافة العباسية.

بعد أن حقق هولاكو هدفه الأوّل، وهو القضاء على طائفة الإسماعيلية، سارلتحقيق هدفه الثاني وهو القضاء على الخلافة العباسية في بغداد[1]، وقد أدرك جل المعاصرين لهذه الأحداث أن دور بغداد قد أصبح على أبواب الجيوش المغولية، بعدما دانت لهم السيطرة الكاملة على شمال وجنوب وشرق آسيا ،والأجزاء الشمالية والغربية منها والتي كانت تحت سيطرة الدولة الخوارزمية[2].

وقبل الخوض في أحداث حملة هولاكو على الخلافة العباسية، وإسقاط العاصمة بغداد، يجدر بنا أن تعرف الحالة التي كانت عليها الخلافة عشية هذه الحلمة.

أولا: أوضاع الخلافة العباسية عشية الغزو المغولي:

كانت أوضاع الخلافة متردية، والوضع الداخلي في بغداد كان مزعزعا تشوبه حالة من الفوضى وعدم الاستقرار، وذلك بفعل عدة عوامل، لعل أهمها[3]:

- كانت الخلافة العباسية آنذاك تسير من سيئ إلى أسوأ ، وهي في طريقها إلى التدهور والانهيار، فقد تطاول عليها الزمن وأدركتها الشيخوخة[4]، ونخرتها الصراعات السياسية والمذهبية، وبدت عليها مظاهر الانهيار التي تعود بجذورها إلى أبعد من ذلك في المدى الزمني، بسبب التنافس على عرش الخلافة، وسيطرة العنصر الأعجمي من أتراك وبويهيين والسلاجقة، على مقدراتها منذ العصر

---

[1] الصيّاد، المرجع السابق، ص 249، طقوش، تاريخ المغول، ص 139.

[2] ساهر رافع، هولاكو، ص 72.

[3] طقوش، تاريخ المغول، ص 139.

[4] رحمة بنت حمود بن فطيس النفيعي، العلاقات السياسية لدولة إيلخانات المغول (658هـ- 759هـ/ 1260- 1355م)، اطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، إشراف عبد العزيز بن عبد الله السلومي، مكة المكرمة، 2013، ص19.

العباسي الثاني الذي بدأ عام (232هـ/ 847م) في ظل تراجع قوة العنصر العربي[1]، أدى ذلك إلى تراجع هيبة الخلافة، الأمر الذي أطمع ولاّة الأمصّار في الإستقلال بولاياتهم، والإكتفاء بتقديم ولاء صوري للخلافة، وبذلك تفككت الروابط التي كانت تربط الحكومة المركزية بالأمصار في العصور الأولى، وعلى هذا نشأت دوّل عديدة وإمارات مستقلة في قلب الخلافة، وعلى أطراف مناطقها[2].

- وقع الخلفاء تحت تأثير ونفوذ الأمراء مما أدى إلى تحجيم دورهم السياسي الفاعل، وفقدوا الإحترام الذي كان يتمتع به أسلافهم خلفاء العصر العباسي الأوّل، وهكذا عمرت الخلافة العباسية لتشهد إنسلاخ الأطراف عنها، حتى إذا ما اقتربت نهايتها لم يبق تحت حكمها سوى بغداد وجوارها[3].
- كان الخليفة آنذاك المستعصم بالله (609- 656هـ)[4]، آخر الخلفاء العباسيين، يصفه ابن طباطبا بقوله: " كان المستعصم رجلا خيّرا متدينا ليّن الجانب سهل العريكة عفيف اللسان، حمل كتاب الله تعالى، وكتب خطا مليحا، وكان سهل الأخلاق، وكان خفيف الوطأة ،إلاّ أنه كان مستضعف الرأي ضعيف البطش قليل الخبرة بأمور المملكة ، مطموعا فيه غير مهيب في النفوس ولا المطلّع على حقائق الأمور، وكان زمانه ينقضي أكثر بسماع الأغاني والتفرج على المساخرة، وفي بعض الأوقات يجلس بخزانة الكتب جلوسا ليس فيه كبير فائدة، وكان أصحابه مستولين عليه، وكلّهم جهّال من أراذل العوام، إلا وزيره مؤيد الدين محمد

---

1 طقوش، تاريخ المغول، ص 139، 140.

2 الصيّاد، المرجع السابق، ص 249، 250.

3 طقوش، تاريخ المغول، ص 140.

4 المستعصم بالله، آخر الخلفاء بني العباس بالعراق، وهو أبو أحمد عبد الله بن أمير المؤمنين، المستنصر بالله أبي جعفر منصور بن الظاهر بأمر الله، وأمه هاجر، ولد سنة 609هـ، وبويع بالخلافة في 20 جمادى الأولى سنة 640 هـ، وكان مقتله يوم الأربعاء 14 صفر656هـ، فيكون عمره يوم قتل 47 سنة، أنظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص 374، 375، السيطوطي، تاريخ الخلفاء، ص 355.

بن العلقمي[1]، فإنه كان من أعيان الناس وعقلاء الرجال، وكان مكفوف اليد مردود القول، يترقب العزل والقبض صباح مساء"[2].

ومع كل هذه الصفات الحسنة إلا أنه كان صاحب لهو وقصف وشغف بلعب الطيور، واستولت عليه النساء، وكان ضعيف الرأي قليل العزم كثير الغفلة[3]، ونجد للمستعصم وصفا من هذا القبيل في كتابات مؤرخين آخرين، عرب وغير عرب، ومع ذلك، كانت الظروف الراهنة والمحيطة بالخلافة العباسية آنذاك قد جعلت الخليفة عاجزا كل العجز حيثما جاء إلى كرسي الخلافة، خلفا لوالده، فقد أختير المستعصم بصورة متعمدة، من بين أضعف شخصيات أفراد البيت العباسي، وذلك لكي يتمكن رجال، وحاشية بلاط الخلافة في الإستمرار بهيمنتهم، وتحكمهم في جميع الشؤون المتعلقة بالدولة[4].

وهذا ما فسح المجال لبروز شخصية إلى جانب الخليفة، هي على النقيض تماما، من القوة والدهاء والخبرة، تلك هي شخصية مؤيد الدين بن العلقمي، يقول السيوطي: " ثم ركن المستعصم إلى وزيره مؤيد الدين ابن العلقمي الرافضي[5]، فأهلك الحرث والنسل، ولعب بالخليفة كيف أراد ..."[6].

---

[1] هو مؤيد الدين أبو طال محمد بن أحمد بن محمد بن علي، المعروف بإبن العلقمي، إستوزره المستعصم ولم يكن وزير صدق فإنه كان من الفضلاء والأدباء، إلا أنه كان رافضيّا خبيثا رديء الطويلة على الإسلام وأهله أنظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج17، ص 379، 380، حمادي المشهداني، المرجع السابق، ص17.

[2] ابن طباطبا، المصدر السابق، ص 333، ابن كثير، البداية والنهاية، ج17، ص 365.

[3] ابن العبري، تاريخ مختصر الدوّل، ص 254.

[4] الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص 203.

[5] الروافض: هم إحدى فرق الشيعة، يرفظون إمامة أبي بكر وعمر، ويرون أن عليّا أحق بالإمامة والمقصود بالرافضة عموما هم معظم الشيعة أنظر: محمد على مرجونة، المرجع السابق، ص 130، حاشية -01- .

[6] السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 355.

- لم يقدر الخليفة المستعصم جدّية الخطر المغولي، فكانت الأخبار تصل إلى بغداد بإقتراب جيش المغول، ومع ذلك لم يستعد لمواجهتهم، وهو موقف أقرب إلى التهاون والإهمال، ويبدوا أنه اعتقد أن بإستطاعته القدرة على المكر والصمود أمامهم، مبرهنا عن قصر نظر في الحقل السياسي[1]، فبدلا من أخذ الأهبة لمواجهتهم قبل أن يستفحل وخطرهم، أو على الأقل يداهنهم ويصانعهم، كما صنع مع غيره من أمراء الولايات، بل كان على العكس، إذا لفت نظره إلى ما يجب أن يفعله مع المغول، إما المداراة والدخول في طاعتهم وتوخي مرضاتهم، أو تجيّيش العساكر وملاقاتهم بتخوم خراسان قبل تمكنهم واستيلائهم على العراق[2].

فكان يقول: " أنا بغداد تكفيني ولا يستكثرونها لي إذا نزلت لهم عن باقي البلاد، ولا أيضا يهجمون عليّ وأنا بها ،وهي بيتي ودار مقامي"[3]، وأرسل رسالة إلى هو هولاكو يقول له فيها: " لو غاب عن الملك، فله أن يسأل المطلعين على الاحوّال إذ أن كل ملك – حتى هذا العهد – قصد أسرة بني العباس ودار السلام بغداد، كانت عاقبته وخيمة ومهما قصدهم ذوو السطوة من الملوك، وأصحاب الشوكة من السلاطين، فإن بناء هذا البيت محكم للغاية، وسيبقى إلى يوم القيامة..."[4]، مع ضعفه فقد كان يعتقد أنه قادر على على الصمود أمام المغول، كما فعل من سبقه من الخلفاء مع البوهيين والسلاجقة والخوارزميين، إذ كان هؤلاء يستسلمون لأمرائهم في حالة ضعفهم، فكانت الخلافة أبقى من هؤلاء الأمراء[5]، لكن للأسف فإن هذا لم ينطبق على المغول، فالخليفة كان واهيا.

---

[1] طقوش، تاريخ المغول، ص 141.

[2] الصيّاد، المرجع السابق، ص 251، 255.

[3] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 254، 255.

[4] الهمذاني، تاريخ المغول، مج2، ج1، ص 275.

[5] أحمد عودات وآخرون،تاريخ المغول والمماليك،من القرن 7هـ،الى 13م،دار الكندي،إربد ،1990م، ص 10.

– لم تكن الأمور في بغداد بيد رجل واحد، وإنما كانت هناك سلطات متعارضة ،اختلفت فيما بينهما بفعل عوامل سياسية ومذهبية، ووقف الخليفة عاجزا عن وضع وحد للمشكلات المتفاقمة، فقد إشتد النزاع بين قائد الجيش والكاتب، مجاهد الدين أيبك، الدواتدار الصغير، السني المذهب ،والذي لقي تأييدا ومساندة من ولي العهد أبي بكر بن المستعصم، ومن مؤيد الدين بن العلقمي وزير الخليفة، الشيعي المذهب[1].

فقد حدث قبيل حملة هولاكو على بغداد، أن جمع مجاهد الدين أيبك حوله كثيرا من الرعاع والمشاغبين والسفلة، وأخذ يهدد الأمن، ويضع الخطط لخلع الخليفة ،وإحلال آخر محله، فلما علم الوزير بتلك المؤامرة، أخبر الخليفة على الفور بما يدبر ضده، وطلب إليه أن يقضي على تلك الفتنة في مهدها، ولكن الخليفة جريا على سياسية التهاون واللامبالاة، لم يصغ إلى نصيحة وزيره، وأمّن الدواتدار على حياته، وأمر بذكر إسمه في الخطبة بعد إسم الخليفة، ولا شك أن تصرف الخليفة على هذا النحو دليل على سوء الحالة التي وصلت إليها الخلافة في هذا العهد، وأنها لا محالة قد آذنت بالمغيب[2].

يقول ابن الفوطي: " .... نسب إلى مجاهد الدين أيبك الدواتدار الصغير أنه يدبر في خلع الخليفة المستعصم، والمبايعة لولده الكبير، فانزعج لذلك، وأقسم بالإيمان المعتبرة أن ما عنده مما نسب إليه علم، وسأل أن يواقف مع من قال عنه ذلك، وكان قد نسب هذا القول إلى فلك الدين محمد بن علاء الدين الطبرسي[3]، الدويدار الكبير وإلى الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي، فاستوحش منهما وخاف على نفسه وجمع عساكره إليه وباتوا

---

[1] ابو الفداء، المختصر، ج3، ص193، العريني، تاريخ المغول، ص 214، طقوش، تاريخ المغول، ص 141.

[2] الصيّاد، المرجع السابق، ص 253، طقوش، تاريخ المغول، ص 141.

[3] فلك الدين أبو الفوارس محمد بن علاء الدين الطبرسي بن عبد الله الظاهري البغدادي، الأمير ولد سنة 625هـ، ورتب أميرا وعمره 12 سنة، وجعل أميرا للحجاج، وعقد عليه ضمان قوسان، قتله المغول، سنة 656هـ، أنظر: ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة تحقيق، مهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م، ص214، الملك الأشرف الغساني، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق، شاكر محمود عبد المنعم، دار البيان، بغداد 1975، ج1، ص 633.

تحت السلاح، وفعل الوزير أيضا مثل ذلك، وكانوا مستعدّين ... ووقعت وقعه عظيمه بين عوام سوق المدرسة ومشرعة الصبّاغين بسبب الحديث في ذلك، وقتل فيها خلف كبير...."[1].

وازدادت الضغوط على الخليفة لعزل وزيره، ولكنه رفض أن يتخلى عن رجل مثله، ربما لأنه كان يدرك بأن ذهابه كان سيزيد من عزلته ويضعف مركزه ،أمام تسلط أمراء الأتراك في مثل تلك الظروف العصبية التي كانت تحيط بالبلاد[2].

وقد هزت تلك الأزمة كيان الدولة، ودفعت الأوضاع نحو الأسوأ، فالاضطرابات لم تخمد في بغداد بل اشتدت، إذ كثر فساد العيارين الذين كانوا ينهبون الدكاكين ويسلبون الناس[3].

- كان سكان بغداد من أهل السنة والشيعة والمسيحيين واليهود، في خلاف دائم حول المسائل الدينية، كما كانوا يختلفون في الميول السياسية، ولا شك أن مثل هذه الحالة كثيرا ما كانت تثير الفتن والمنازعات بين الناس[4]، ولعل أشدّها وأخطرها، ما حدث في نهاية عهد الخليفة المستعصم، حيث نشب قتال بين الشيعة وأهل السنة يقول أبو الفداء: ".... فجرت فتنة بين السنة والشيعة ببغداد على جاري عادتهم، فأمر أبو بكر ابن الخليفة، وركن الدين الدوادار العسكر فنهبوا الكرخ، وهتكوا النساء وركبوا منهن الفواحش، فعظم ذلك على الوزير ابن العلقمي، وكاتب المغول وأطمعهم في ملك بغداد..."[5].

---

1 ابن الغوطي، الحوادث، ص214، 215.

2 طقوش، تاريخ المغول، ص 142.

3 الرفيعي، المرجع السابق، ج1، ص 119.

4 الصيّاد، المرجع السابق، ص 254.

5 أبو الفداء، المختصر، ج3، ص 193، الجوزجاني، المصدر السابق، ج2، ص 206، الصيّاد، المرجع السابق، ص 254.

- كان للعامل الاقتصادي أثر بارز في تراجع قوة الخلافة العباسية، إذ بعد سيطرة المغول على الأقاليم الإسلامية الشرقية وعلى آسيا الصغرى وسهوب روسيا وشرقي أوروبا، تحوّلت خطوط التجارة العالمية بين الشرق والغرب إلى شمالي بحر قزوين، بعيدا عن العراق، عبر أراضي القبيلة الذهبية، وقد ضاعفت تلك التحولات في تقلص النشاطات التجارية بين دار الخلافة والشرق الإسلامي، وتراجعت تجارة الرقيق القادم من تركستان عبر خراسان إلى العراق وبلاد الشام، ولما كانت التجارة المصدر الأساسي لتزويد المؤسسة العسكرية في العراق بالجند، ومما زاد من تدهور الأوضاع الاقتصادية، كسّاد الزراعة بسبب الإقطاع الذي كان سائدا آنذاك[1].

وفي آخر صيف سنة 654هـ/ 1256م، حدث سيل عظيم أغرق مدينة بغداد يقول ابن الغوطي: "... وانهزم الناس كلهم والماء في أثرهم فأحاط ببغداد، وغرق الجانبين منها، وهدم دورا كثيرة بالحريم....وامتلأت أسواق الجانب الشرقي، وخرج الماء من حيطان الدور والمنافذ ...[2]، ... ثم أشرق البلد كله على الغرق، وغرقت خزانة السلاح، وامتلأ صحن السلام والفردوس، وامتلأ المطبق، ... ووقع حائط دار الشجرة..."[3].

وقد إستمر إنهمار السيل في تلك الديار خمسين يوما، ثم بدأ في النقصان، وكان من نتيجة ذلك، أن بقيت نصف أراضي العراق خرابا يباباً[4].

كما أن كثرة الأمطار، والمصحوبة في كثير من الأحيان ببرد، يتلف الزراعة، ويأتي على منتوجات الفواكه والخضار، فتنتج عنها كثرة الفيضانات، التي

---

[1] طقوش، تاريخ المغول، ص 143، أحمد عودات، تاريخ المغول، ص 11، 12.

[2] ابن الفوطي، الحوادث، ص 228، الصيّاد، المرجع السابق، ص 254، 255.

[3] الغسّاني، العسجد المسبوك، ج2، ص 615، 616.

[4] الهمذاني، جامع التواريخ، مج2، ج1، ص 262، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج48، ص 23.

كانت تحصل في كل موسم فصلي تقريبا، ورغم أن هذه الفيضانات كانت تحصل في أيام الخلفاء السابقين، إلا أن إهمال نظام الري والصرف الزراعيين، وانهيار سد العظيم وسد نمرود - الواقعة على نهري العظيم ودجلة- ، في السنوات الأخيرة، جعل الحالة أكثر سوء أبعد أضرارا عما كانت عليه سابقا، فينتج عنها خراب، وهجرة كبيرة للسكان[1].

- لم يكن الجيش العباسي في أيام الخلفاء العباسيين المتأخرين قويا بمعنى الكلمة، وقد رأينا كيف أن الخلافة في أيام الخليفة الناصر لم تعتمد عليه في القضاء على سلاجقة فارس، لما أنه لم يتمكن من الوقوف أمام الجيوش الخوارزمية في أيام الخليفة الناصر و الخليفة المستنصر، ولكنه كان على كل حال قوة ثانوية ، وانتصر انتصارات لا بأس بها، فقضى على بعض الخارجين في الداخل، كما انتصر في خوزستان على جيوش خوارزمية صغيرة، وصّد غارات مغولية متعددة[2]،"... وكان المستنصر بالله، قد استكثر من الجند حتى قيل أنه بلع عدد عسكره نحو مائة ألف، وكان منهم أمراء وأكابر يطلق على كل منهم لفظ الملك، وكان مع ذلك يصانع المغول ويُهادنيهم..."[3].

وكان باستطاعة الخليفة العباسي المستعصم بالله، في ظل أوضاع هادئة، أن يحشد 120 ألف جندي، غير أن ذلك كان يتوقف على ثقته بأمرائه الذين حظُوا بإقطاعات حربية، ونظرا لأنه لم يكن يثق بهم، فقد أثار عليه وزيره ابن العلقمي أن يخفض عدد أفراد الجيش ويحمل إلى المغول متحصل إقطاعات الأمراء، وذلك من أجل أن يتجنب خطرهم[4].

---

[1] الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص 209، 210.

[2] طه مصطفى بدر، المرجع السابق، ص 135.

[3] قطب الدين أبي الفتح محمد بن أحمد بن قطب الدين البويني، ذيل مرأة الزمان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ط1، الهند، 1954م، مج1، ج1، ص86، 87.

[4] طقوش، تاريخ المغول، ص 143.

يقول أبوالفداء "... وكان عسكر بغداد يبلغ مائة ألف فارس فقطعهم المستعصم ليحمل إلى المغول متحصل اقطاعاتهم، وصار عسكر بغداد دون عشرين ألف فارس"[1].

ومنه يمكن القول أن المستعصم بالله قد اتبع سياسية تقليل الجيش، توفيرا للأموال، ويحمل جزء منها إلى المغول، وكان عازفا عن سماع نصيحة قادة جيوشه غير آبه لهم، بل يأمرهم بلزوم أماكنهم وعدم مجاهدة المغول، ولا شك أن هذه كارثة في القيادة بكل تأكيد، لذلك لا نستغرب الوصف المتكرر في تراجم المؤرخين عنه، والتي تصفه بالخليفة " ضعيف الرأي"[2].

ويصف ابن الفوطي تعامل الخليفة المستعصم بالله مع الجند يقوله "... وكان الخليفة قد أهمل حال الجند ومنعهم أرزاقهم، وأسقط أكثرهم من دساتير ديوان العرض، فآلت أحوالهم إلى الناس وبذل وجوههم في الطلب في الأسواق والجوامع "[3].

ثانيا: سيّر حملة هولاكو على بغداد.

عندما حاصر هولاكو قلاع الحشيشية، أرسل إلى الخليفة المستعصم، يطلب منه أن يمده بقوة عسكرية تعاونه في القضاء على هذه الطائفة، إستشار الخليفة مستشاريه وأركان حربه[4]، فحذروه أن يقدم على هذا العمل، وأدخلوا في روعه أن هولاكو يريد بهذه الوسيلة أن تخلوا بغداد من الجيش، حتى يسهل عليه

---

[1] ابن الفوطي، الحوادث، ص229.

[2] محمد شعبان أيوب، المرجع السابق، ص 468.

[3] ابن الغوطي، الحوادث، ص 229.

[4] طقوش، تاريخ المغول، ص 144.

أن يستولي عليها في أي وقت يشاء ،دون أن يجد صعوبة أو مشقة، فوافقهم الخليفة وامتنع عن إرسال المدد إلى هولاكو[1].

وإكتفى الخليفة بإرسال بعض الهدايا ومعها رسالة ودية إلى هولاكو، إلتمس فيها من القائد المغولي المعذرة والصفح لعدم إرسال جنود لمساعدته، – كما طلب – ضد الإسماعليين[2].

ولما فرغ هولاكو من محاربة الإسماعلية، قصد همذان، وفي شهر رمضان سنة 655هـ/ 1257م، أرسل رسولا يحمل رسالة إلى الخليفة العباسي، عاتبه فيها عن عدم إرسال الجنود[3] "... لقد أرسلنا إليك رسلنا وقت فتح قلاع الملاحدة، وطلبنا مددا من الجند، ولكنك أظهرت الطاعة ولم تبعث الجند، وكانت آية الطاعة والاتحاد، أن تمدنا بالجيش عند مسيرنا إلى الطغاة، فلم ترسل إلينا الجند، والتمست العذر...."[4].

ومن خلال الرسالة نلخص مطالب هولاكو كالآتي:

– طلب من الخليفة أن يهدم الحصون ويردم الخنادق، ويسلم البلاد لإبنه.

– أن يحضر لمقابلته، أو يرسل الوزير وسليمان شاه والدواتدار ليحملوا رسالته إليه[5] .

ولم تخلوا رسالة هولاكو من التهديد والوعيد، ويتحلى ذلك في قوله ".... فإذا أردت أن تحفظ رأسك وأسترك، فاستمع لنصحي بمسمع العقل والذكاء، وإلاّ فسأرى كيف تكون إرادة الله"[6].

---

[1] الصيّاد، المرجع السابق، ص 255، محمد شعبان أيوب، المرجع السابق، ص 484.

[2] الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص 272.

[3] ابن العبري، تاريخ مختصر الدوّل، ص 269، الصيّاد، المرجع السابق، ص 255.

[4] انظر نص الرسالة كاملا عند: الهمذاني، جامع التواريخ، مج2، ج1، ص 267 وما بعدها.

[5] طقوش، تاريخ المغول، ص 145.

[6] الهمذاني، جامع التواريخ، مج2، ج1، ص 268.

ردّ الخليفة العباسي بالرفض على هذه الرسالة، بقوله "... أيها الشاب الحدث!.... المتمني قصر العمر، ومن ظن نفسه محيطا ومتغلبا على جميع العالم، مغترا بيومين من الإقتبال متوهما أن أمره قضاء مبرم ، وأمر محكم، لماذا تطلب مني شيئا لن تجده عندي ،إلاّ ليعلم الأمير أنه من الشرق إلى الغرب، ومن الملوك إلى الشحاذين، ومن الشيوخ إلى الشباب ،ممن يؤمنون بالله ويعملون بالدين، كلهم عبيد هذا البلاط وجنود لي، إنني أشير بجميع الشتات، سأبدأ بحسم الأمور في إيران، ثم أتوجه منها إلى بلاد تُوران وأضع كل شخص في موضعه، وعندئذ سيصير وجه الأرض جميعه مملوء بالقلق والاضطراب، غير أني لا أريد الحقد والخصام، ولا أن أشتري ضرر الناس وإيذائهم، كما أنني لا أبغي من وراء تردد الجيوش أن تلهج ألسنة الرعية بالمدح أو القدح، خصوصا وأنني مع الخاقان وهولاكو خان قلب واحد ولسان واحد، وإذا كنت مثلي تزرع بذور المحبة، فما شأنك بخنادق رعيتي وحصونهم فأسلك طريق الود، وعد إلى خراسان، وإن كنت تريد الحرب والقتال، فلا تتوان لحظة ولا تعتذر...[1].

إذا أمعنا النظر في رسالة الخليفة، نجد أنه هو الآخر كان حريصا على التهديد والوعيد، أكثر من حرصه على المسالمة والمهادنة، وربما كان يظن أن ذلك قد يرعب هولاكو، ويجعله يفكر مليّا قبل أن يقدم على خطوته، ولكنه كان واهيّا في ظنه، لأنه لم يكن له سند حقيقي من قوة حتى يمكنه أن يقف هذا الموقف المشدد من قوم محاربين جبابرة، ثم إنه إذا كان يعتمد على العالم الإسلامي الذي يدعي أنه رهن إشارته، فقد أخطأ التوفيق، لأن العالم الإسلامي لا يزال يعاني، وفقد أهم أجزائه ،فلا يعقل أن يهب لنجدته مهما كانت الأسباب [2].

---

1 الهمذاني، جامع التواريخ ،مج2، ج1، ص 269، 270، ساهر رافع، هولاكو، ص 77.

2 الصياد، المرجع السابق، ص 257، طقوش، تاريخ المغول، ص 154.

والواقع أن الخليفة العباسي إعتقد بأنه سوف يلبي نداءه الأيوبيون في الشام والمماليك في مصر، فيهرعون إلى الانضواء تحت العلم الأسود شعار العباسيين، وسوف تعلن إيران وتركستان التمرد والعصيان على المغول، على أن هذه الآمال كانت خادعة، إذ أن الأيوبيين بالشام والمماليك بمصر، توافر عنهم من المشاكل ما يمنعهم من النهوض لمساعدة بغداد، ولن يتحرك الأتابكة الترك والفرس لمساندة الخليفة، بعد أن إستبد بهم الخوف والرعب من المغول [1].

وصل رسل الخليفة إلى حضرة هولاكو، وهم ابن الجوزي وبدر الدين وزنكي، وبلغوا الرسالة فغضب هولاكو من عبارة الخليفة غير اللائقة وقال: " إن إرادة الله مع هؤلاء القوم أمر آخر، إذا ألقى روعهم مثل هذه الأوهام" [2].

أذن هولاكو لرسل الخليفة بالانصراف من موضع " بنج انكشت " على حدود همذان التي كانت معسكرا له، وحمّلهم رسالة أخرى تتضمن إنذاراً نهائيا في لهجة شديدة[3]، وجاء في نص الرسالة " إن الله الأزلي رفع جنكيزخان، ومنحنا وجه الأرض كله من الشرق إلى الغرب، فكل من سار معنا، واطاعنا، وإستقام قلبه ولسانه، تبقى له أمواله ونساؤه وأبناؤه، ومن يفكر في الخلاف والشقاق لا يستمتع بشيء من ذلك"[4].

ثم عاتب الخليفة بشدة قائلا " لقد فتنتك حب المال والعجب والغرور بالدولة الفانية، بحيث أنه لم يعد يؤثر فيك نصح الناصحين بالخير، وإن في أذنيك وقرا فلا تسمع نصح المشفقين، ولقد انحرفت عن طريق آبائك وأحدادك، وإذن فعليك

1 الباز العريني، تاريخ المغول، ص 216، 217، طقوش، تاريخ المغول، ص 145، ساهر رافع، هولاكو، ص 79، 80، أحمد عودات، المرجع السابق، ص 31.

2 الهمذاني، جامع التواريخ، مج2، ج1، ص 270، ص271.

3 الهمذاني، جامع التواريخ، مج2، ح1، ص 271، طقوش، تاريخ المغول، ص 145، طقوش تاريخ الدولة العباسية، ص 253.

4 الهمذاني، جامع التواريخ، مج2، ج1، ص 271.

أن تكون مستعدا للحرب والقتال، فإني متوجه إلى بغداد بجيش كالنمل والجراد، ولو جرى سير الفلك على شاكلة أخرى، فتلك هي مشيئة الله العظيم"[1].

عرض الخليفة هذه الرسالة على كبار رجال دولته مستطعاً رأيهم، فأشار عليه الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي، بأن يبعث إلى هولاكو الأموال والتحف والهدايا، مع الإعتذار إليه، وأن يجعل الخطبة والسكة باسمه[2]، لكن الدواتدار الصغير، مجاهد الدين أيبك، وغيره رفضوا ذلك، وقالوا أن غرض الوزير هو إصلاح حال هولاكو[3]، أصروا على المقاومة،[4] وهكذا لم يكن لتبادل المراسلات بين هولاكو والخليفة العباسي من أثر سوى جعل الحرب ضرورة لا بد منها .[5]

ثالثا: سقوط بغداد.

لما أيقن هولاكو أن بإستطاعته السير إلى بغداد دون أن يتعرض للمصاعب، أخذ في تنفيذ خططه العسكرية التي وضعها أثناء إقامته في همذان، وأصدر أوامره بأن تتحرك الجيوش المغولية بإتجاه بغداد عاصمة الخلافة[6].

وطلب من حسام الدين المنجم الذي كان مصاحبا له، ليختار وقت النزول والركوب وقال له " بيّن كل ما يبدو لك في النجوم دون مراهنة" [7]، وكان حسام الدين سنياً يعطف على الخليفة العباسي، ويحرص على أن يمنع هولاكو من الإقدام على غزو بغداد ،فراح يؤكد له أن هذه الحملة سوف تُحدث خللاً في نظام الكون، فضلاً على أنها سوف تكون وبالاً على الخان نفسه [8].

---

[1] الهمذاني، جامع التواريخ، مج2، ج1، ص 271.

[2] ابن كثير، البداية والنهاية، ج17، ص 357.

[3] الحافظ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج48، ص32، ، ابن الفوطي، الحوادث، ص 28، عبد الأمير الرفيعي، المرجع السابق، ج1، ص 126

[4] طقوش، تاريخ المغول، ص 147.

[5] حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج4، ص 149.

[6] طقوش، تاريخ المغول، ص 147.

[7] الهمذاني، جامع التواريخ، مج2، ج1، ص 279.

[8] الصيّاد، المرجع السابق، ص 259، محمد شعبان أيوب، المرجع السابق، ص 489.

ومما قال له: "... ليس ميموناً قصد أسرة الخلافة، والزحف بالجيش إلى بغداد، إذ أن كل ملك – حتى زماننا هذا – قصد بغداد والعباسيين، لم يستمتع بالملك والعمر، وإذا لم يُصغ الملك إلى كلامي، وذهب إلى هناك، فستظهر ستة أنواع من الفساد.

1- أن تنفق الخيول كلها ، ويمرض الجنود.

2- أن الشمس لا تطلع.

3- أن المطر لا ينزل.

4- تهب ريح صرصر، وينهار العالم بالزلزال.

5- لا ينبت النبات في الأرض.

6- أن الملك الأعظم يموت في تلك السنة.[1]

وعندما ما عرض هولاكو ما سمعه من حسام الدين على أمراء الجيش وقادته، رفضوا الإنصياع وراء هذا الكلام الذي وصفوه بالهراء، وأكدوا لهولاكو أن هذا الوقت هو الأنسب لإجتياح بغداد [2].

وبعد ذلك إستدعى هولاكو نصير الدين الطوسي لإستشارته فقال له " لن تقع أية واقعة من هذه الأحداث " فقال هولاكو " إذن ماذا يكون"، قال " إن هولاكو سيحل محل الخليفة" ، ثم أحضر هولاكو حسام الدين ليتباحث مع نصر الدين الطوسي، الذي قال " لقد إستشهد جمع كثير من الصحابة بإتفاق آراء الجمهور وأهل الإسلام، ولم يحدث فساد قط، ولو قيل أن للعباسيين مكرمة خاصة بهم، فإن طاهرا جاء من خرسان بأمر من المأمون، وقتل أخاه محمد الأمين، وقتل المتوكل

[1] الهمذاني، جامع التواريخ، مج2، ج1، ص 279.

[2] ساهر رافع، هولاكو، ص 84، مصطفى طه بدر، المرجع السابق، ص 161، الصياد، المرجع السابق، ص 259، 260.

إبنه بالإتفاق مع الأمراء، كذلك قتل الأمراء والغلمان المنتصر والمعتز، وقتل عدد من الخلفاء على يد جملة أشخاص فلم تختل الأمور"[1].

وقد فعل نصر الدين الطوسي ذلك، نكاية في الخليفة العباسي الذي كان يكرهه لإختلافه عنه في المذهب الديني، ولأنه جاء مدرّه إلى بغداد وقدم إليه قصيدة شعرية فلم يُجزه عليها[2]، فكان الطوسي يكره الخليفة ويعمل على إسقاطه، بل لعله هو الذي زين هولاكو الإستيلاء على بغداد وتملكها.[3]

وقال الهمذاني معلقا على تشجيع الطوسي هولاكو على غزو بغداد بقوله:

فأضاء قلب الملك من قول العالم

كأنه زهرة اللعل في الربيع الباكر[4]

وعلى إثر ذلك تحرك جيش مغولي بقيادة "جرماغون"و"بايجونويان"، من أطراف بلاد الروم، عن طريق إربل والموصل، متوجها إلى بغداد ليحارصها من الجهة الغربية، وتوجه "كتبغا" على رأس جيشه بإتجاه العاصمة العباسية، عن طريق لورستان وخوزستان، وشكل الجناح الأيسر للحملة، كما وصل إليها بعض أمراء المغول عن طريق شمالي العراق [5].

وفي أوائل محرم سنة 655 هـ/ 1257م، نزل هولاكو من همذان إلى دجلة عن طريق كرمانشاه وحلوان، وكان معه في تلك الغزوة، الأمير أرغون، ونصير

[1] الهمذاني، جامع التواريخ، مج2، ج1، ص 279، 280.

[2] مصطفى طه بدر، المرجع السابق، ص 162.

[3] فهمي، المرجع السابق، ص 118.

[4] الهمذاني، جامع التواريخ، مج2، ج1، ص 280.

[5]ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 270،ابن الفوطي، الحوادث، ص 228، طقوش، تاريخ المغول، ص 147، الصياد، المرجع السابق، ص 260،

الدين الطويسي، والوزير سيف الدين البيتكجي[1]، وعلاء الدين عطا ملك الجويني، مع كافة السلاطين والملوك وكتاب بلاد إيران [2].

كما إستطاع أن يضم إليه كثيرا من جنود سليمان شاه[3]، وكان بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ،والأتابك أبو بكر في إقليم فارس ممن أمدوا هولاكو بالمال والرجال، وكان صاحب الموصل يهيء للمغول الإقامات، ويكاتب الخليفة سراً، فكان ابن العلقمي لايدع تلك المكاتبات تصل إلى الخليفة ،مع أنها لو وصلت لما أجدت، لأن الخليفة كان يرد الأمر إليه [4].

وعندما وصل هولاكو إلى آباد، أوفد رسولا لدعوة الخليفة مرة أخرى للحضور، فكان يماطل ويتعلل، ووصل ابن الجوزي إلى دينور للمرة الثانية، قادماً من بغداد يحمل رسالة بالوعد والوعيد، وملتمساً أن يعود هولاكو ويتراجع ، في مقابل أن يسلم الخليفة للخزانة كل ما يقرره هولاكو، فظن هذا أن الخليفة يريد من وراء عودة الجيوش أن يعدّ جنده ويهيئهم لمقاومة المغول، فقال " وكيف نترك زيارة الخليفة بعد كل ما قطعناه من هذا الطريق، سوف نعود بإذنه بعد الحضور للقائه

---

[1] هو الأمير سيف الدين البيتكجي، بهادر بن عبد الله الخوارزمي، وزير هولاكو ومدير مملكته، قدم مع هولاكو عندما جاء بحملته على إيران سنة 653 هـ،، وبعد أن فرغ هولاكو من فتح بغداد، طلب إليه سيف الدين أن يرسل مائة نفر من المغول إلى النجف، ليحافظوا على قبر أمير المؤمنين علي، والسكان القاطنين هناك أنظر: الصيّاد، المرجع السابق، ص260، 261.

[2] الهمذاني، جامع التواريخ، مج2، ج1، ص 282.

[3] سليمان شاه ابن برجم الأيوبي أحد قواد المستعصم المشهورين يقترن إسمه بحادثة سقوط بغداد اذ كان أحج الأشخاص الثلاثة الذين آلت إليهم مقاليد الأمور في دولة الخليفة النستعصم :سليمان شاه والدواتدار الصغير ومؤيد الدين ابن العلقمي،وذلك بعد وفاة إقبال الشرابي ،والدواتدار الكبير،وسليمان شاه كان في مقدمة الأشخاص الذين أشاروا على الخليفة المستعصم برفض مهادنة المغول ،والاستعداد للقائهم ،ونظرا لأهميته في خلافة المستعصم ،كان هولاكو في رسائله الى الخليفة يطلب إليه أن يرسل سليمان شاه ،فكان الخليفة يعتذر دائما،وهكذا الى أن صار النصر محققا للمغول ،فأُجبر الخليفة على ارساله مع الدواتدار الصغير الى هولاكو،ومما يُؤثر عن سليمان شاه ،انه كان ملماً بعلم النجوم والكواكب ،كما كان ينظم الشعر الفارسي ،أنظر:الصياد ،المرجع السابق،ص 261،هامش 1.

[4] الحافظ الذهبي، العبر، ج3، ص 277.

والتحدث معه"[1]، وكانت تلك آخر بعثة لإبن الجوزي، إذ لم يحضر الخليفة أمام هولاكو، ولم يبعث بأي رسول بعد ذلك [2].

ولما إنتهى حشد القوات المغولية، وأقام هولاكو معسكره في ظاهر بغداد من الشرق، حاول الجيش الصغير الذي أعده الخليفة بقيادة مجاهد الدين أيبك الدواتدار الصغير ملاقاتهم ، فنزل بجانب باعقوبا، ثم نحو الأنبار، ، فكان نصيبه الهزيمة النكراء، وقتل عدد كبير من جنوده، وفرّ مع قليل من أتباعه [3].

ويصف لنا صاحب ذيل مرأة الزمان ما حدث لعسكر الدواتدار الصغير بقوله: "... وقعت الكسرة على عسكر بغداد، فوقع بعضهم في الماء الذي خرج من تلك الفتوق ،فارتطمت خليهم وأخذتهم السيوف، فهلكوا وبعضهم رجع إلى بغداد هزيما، وقصد بعضهم جهة الشام..."[4].

وفي يوم الثلاثاء 22 محرم 656 هـ/ 1258م، أحكم المغول الحصار حول مدينة بغداد واستمر حتى نهاية الشهر، وخلال تلك الفترة كان المغول يطلقون يد التخريب في المدينة، ويقتحمون الأبراج حتى إستولوا على القسم الشرقي، ولما رأى الخليفة، حرج موقفه، أراد أن يهديّ المغول ويثنيهم عن عزمهم على متابعة الهجوم، فأرسل الرسل والهدايا إلى هولاكو، لكنه رفض الإستجابة لهذا النداء، وأرسل هولاكو نصر الدين الطوسي برسالة إلى الخليفة، جاء فيها: " إن الرأي للخليفة فله أن يخرج أو لا يخرج، وسيكون جيش المغول مقيماً على الأسوار إلى أن يخرج سليمان شاه والدواتدار"، وفي يوم الخميس غرة صفر 656هـ، خرج الرجلان، فلما وصلا إليه، أعادهما إلى بغداد لاصطحاب أتباعهما وأصحابهما

---

[1] الهمذاني، جامع التواريخ، مج2، ج1، ص 282، العزاوي، المرجع السابق، ص 168.

[2] عبد الأمير الرفيعي، المرجع السابق، ج1، ص 127.

[3] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 270، أبو الفداء، المختصر، ج3، ص 194.

[4] اليونيني، المصدر السابق، ج1، ص88، الحافظ الذهبي، العبر، ج3، ص 277.

بحجة أنهم سينفون إلى الشام ومصر، فخرج معهما جند بغداد وكثير من السكان، فقتلهم هولاكو جميعا [1].

وكان مما قاله هولاكو لسليمان شاه ، " وأنت يا من تعرف سير النجوم (كان فلكيا) وما يقع من خير وشر، لما لا تعرف يوم مصرعك وتتصح سيدك وتدعوه إلى المسالمة"[2]، ثم أرسل رؤوس الدواتدار الصغير، وسليمان شاه، وتاج الدين ابن الدواتدار الكبير، إلى بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، ليعلقها على أسوار مدينته، ورغم أنّ بدر الدين كان صديقا لسليمان شاه، فإنه لم يكن في وسعه إلا أن يذرف الدموع، ويذعن للآمر، وعلق تلك الرؤوس خوفاً من بطش هولاكو وتجنبا لنقمته [3].

عندما أكمل المغول إحاطتهم ببغداد، أمرت قواتهم بالشروع في بناء حسائك، وحفر خنادق حول الأسوار لتطويق المدينة، وذلك طبقا لطريقة المغول عند الشروع في محاصرة أي موقع حصين، وقد إستطاعت قواتهم المتمركزة في الجانب الغربي من المدينة، حيث كانت مواقع قوات ب"ايجونويان"، وتلك التي تحاصر المدينة من جهاتها الشرقية، حيث كانت قد نصبت مخيمات هولاكو،أن تبني تلك الأيسجة في خلال يوم واحد فقط، إذ أنهم قاموا بحفر خندق عظيم داخل الحسائك، واستخدموا الطين الناتج عن عملية الحفر في بناء الأيسجة [4].

---

[1] الهمذاني، جامع التواريخ، مج2، ج1، ص288، 289.

[2] طه مصطفى بدر، المرجع السابق، ص 275.

[3] الهمذاني، تاريخ المغول، مج2، ج1، ص 290، الصياد، المرجع السابق، ج1، ص262.

[4] الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص 308، محمد مفيد آل ياسين، دراسات في تاريخ العراق في العهد الايلخاني(عهد السيطرة المغولية 656-737هـ)،ط1دار غيداء للنشر والتوزيع ،عمان 2010م، ص28.

ونصبوا المجانيق والعدادات[1]، وآلات الحصار والنفط، وأهل بغداد يرقبون ذلك من أسوارهم وقد نصبوا عليها مجانيقهم، إلا أنها لم تصح ولم تنفع لنقص إستعداداتهم، وعدم تهيئهم للقتال وترميمهم الأسوار، ولعدم توفر الحجارة اللازمة للمجانيق في أطراف بغداد ، صار المغول يأتون بها من جبل حمرين وجلولاء، ويقطعون النخيل ليستعملونها في الرمي[2].

كما أمر هولاكو بأن يقيموا جسراً في أعلى بغداد، وآخر في أسفلها، وأن يُعدّوا السفن، لصدّ كل من يحاول الهرب بالسفن، عن طريق النهر[3].

استعمل المغول أسلحة مميتة جلبوها من الصين برفقة مجموعة من المهندسين، وكانت هذه الآلات تقذف الأسهم الملتهبة، والتي كانت آلاتها تسير على عجلات، ومعها كمية هائلة لا تحصى من القذائف[4]، إما نصال أو سهام المنجنيقات فكانت مصنوعة من عجين الرماد، ولشدة فعالية هذا السلاح، فإن جنود الأعداء المحاصرين بداخل المدن لا يستطيعون التصدي له ،بل إن البروج المشدة لا تنجوا من ضرباته [5].

ولما رأى الخليفة العباسي حرج موقفه، لجأ إلى وزيره إبن العلقمي، والذي أشار عليه بالخروج لمقابلة هولاكو[6]، يقول الهمذاني " فلما وقف الخليفة على تلك

---

[1] آلة أصغر من المنجنيق، تستخدم لرمي الأحجار إلى مسافات بعيدة لغرض هدم تلسوار أو ضرب المعسكرات أو الجند المهاجمين، أنظر، ابن الفوطي، الحوادث، ص233، حاشية 1.

[2] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 271، ابن الفوطي، الحوادث، ص233، جعفر حسين خصباك،العراق في عهد المغول الايلخانيين(656-736هـ/1258-1335م)الفتح ،الادارة،الاحوال الاقتصادية،الاحوال الاجتماعية ،ط1،مطبعة العاني،بغداد،1968م، ص 52، الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص 308.

[3] الهمذاني، جامع التواريخ ، مج2، ج1، ص 288، العريني،تاريخ المغول، ص 218.

[4] الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص 308، 309.

[5] قاسم محمد غنيمات، المرجع السابق، ص 110.

[6] الصلابي، دولة المغول، ص 196.

الحال يئس نهائيا من الإحتفاظ ببغداد، ولم ير أمامه مفراً ولا مهرباً قط، وقال: "سأسلم و سأطيع" [1].

وفي 14 محرم 656هـ، خرج الوزير ابن العلقمي إلى خدمة هولاكو، مع جماعته من مماليكه وأتباعه، وكانوا ينهون الناس عن الرمي بالنشاب، ويقولون سوف يقع الصلح إن شاء الله فلا تحاربوا [2]، ثم رجع إلى الخليفة وقال له أن هولاكو يرغب في تزويج إبنته من إبنك أبي بكر ويبقيك في منصب الخلافة، كما أبقى سلطان الروم، وينصرف بعساكره عنك، وهذا فيه حقن لدماء المسلمين، ويمكن بعد ذلك أن تفعل ما تريد[3].

كما طلب من الخليفة الخروج إلى هولاكو والمثول بين يديه، لتقع المصالحة على أن تكون نصف خراج العراق لهم ونصفه للخليفة [4].

وفي الرابع من صفر سنة 656هـ/ 1258م، خرج الخليفة ومعه أبناؤه الثلاثة: أبو الفضل عبد الرحمان، وأبو العباس أحمد، وأبو المناقب مبارك، ومعهم ثلاثة آلاف من السادات والأئمة والقضاة، والأكابر وأعيان المدينة، ثم قابل هولاكو، ولم يبد غضبا قط وكلمه بالحسنى، ثم قال له بعد ذلك:

" مر حتى يضع سكان المدينة أسلحتهم، ويخرجوا لكي نحصيهم"[5].

أما الجوزجاني فيروي عن خروج الخليفة العباسي بقوله: " فخرج أمير المؤمنين مع ألف ومائتي فارس معروف من الملوك وصدور العلماء والأكابر والتجار، وعمال الدولة الأكفاء، وحينما وصل إلى معسكر هولاكو ... صحبوه مع ذلك الموكب إلى مكان حيث فرقوا الجميع بعضهم عن بعض، وهناك أسر أمير

[1] الهمذاني، جامع التواريخ، مج2، ج1، ص 288.

[2] ابن الفوطي، الحوادث، ص 233، الجوزجاني، طبقات، ج2، ص 210.

[3] اليونيني، المصدر السابق، مج1، ص 88، الذهبي، العبر، ج3، ص 278.

[4] ابن كثير، البداية والنهاية، ج17، ص 358.

[5] الهمذاني، جامع التواريخ، مج2، ج1، ص 290، 291.

المؤمنين، وأمر بأن يكتب بقلمه إلى بقية رجالات بغداد ممن كانوا قد بقوا بها حتى يأتوا، حيث أمسك هولاكو بالجميع وقتلهم"[1].

وهكذا شجع الوزير لقاء الخليفة بهولاكو، وهو يعلم أن في هذا اللقاء هلاكه، وربما كان متواطأ من واقع الظن أن في قتله إنقاذاً للمسلمين [2].

ويصف لنا ابن كثير حال الخليفة بعد خروجه لملاقاة هولاكو فيقول: "....وأحضر الخليفة بين يدي هولاكو فسأله عن أشياء كثيرة، فيقال: إنه اضطرب كلام الخليفة من هول ما رأى من الإهانة والجبروت، ثم عاد إلى بغداد وفي صحبته نصير الطوسي، والوزير ابن العلقمي وغيرهما، والخليفة تحت الحوطة والمصادرة، فأحضر من دار الخلافة شيئا كثيرا من الذهب والحلي والمصاغ والجواهر والأشياء النفسية" [3].

وإستجابة لأمر الخليفة، خرج أهل بغداد بعد أن وضعوا أسلحتهم، فكان المغول يقتلونهم، ثم أمر هولاكو أن تقام الخيام للخليفة وأبنائه وأتباعه، وكان الخليفة ينظر بعين الحقيقة إلى هلاكه، ويأسف على تركه الحزم، وإبائه قبول النصح [4].

وفي يوم الأربعاء السابع من صفر 656هـ، بدء القتل العام والنهب، واندفع الجند مرة واحدة إلى بغداد، فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبان، ودخل كثير من الناس في الآبار وأماكن الحشوش.... وكان الناس يجتمعون في الخانات، ويغلقون عليهم الأبواب، ففتحها المغول إما بالكسر او بالنار، ثم يدخلون عليهم فيهربون منهم إلى أعالي المكان،

---

[1] الجوزجاني، طبقات، ج2، ص 211.

[2] طقوش، تاريخ المغول، ص 147.

[3] ابن كثير، البداية والنهاية، ج17، ص358.

[4] الهمذاني، جامع التواريخ، مج2، ج1، ص 291.

فيقتلونهم في الأسطح، ولم ينج منهم سوى اهل الذمة من اليهود والنصارى، ومن إلتجأ إليهم وإلى دار الوزير ابن العلقمي[1]، ودار صاحب الديوان بن الدامغاني، ودار حاجب الباب ابن الدوامي، وما عدا هذه الاماكن فإنه لم يسلم فيه أحد ،إلا من كان في الآبار والقنوات، وأحرق معظم البلد، وجامع الخليفة وما يجاوره [2].

وكما قام المغول بتخريب المساجد بقصد الحصول على قبابها الذهبية، وهدموا القصور بعد أن سلبوا ما بها من تحف نادرة ومنقولات قيمة، وأتلفوا عددا كبيرا من الكتب القيمة في مكتباتها ،وتعطلت المدارس والربط، وتم تدمير المدينة، وقد إستمر النهب والقتل والسلب أربعين يوماً متتالية[3].

وقد اختلفت المصادر في عدد من قتل ببغدا من المسلمين، فيقدرهم ابن كثير، بثمانية مائة ألف ،وقيل ألف ألف وثمانمائة ألف، وقيل بلغت القتلى ألفي ألف نفس[4]، أما ابن الدقماق فيقول: أن عدد من قتل ببغداد ما ينيف على ألفي ألف وثلاثمائة ألف، وثلاثين ألف نفس[5]، أما ابن الفوطي، فيقدر عدد القتلى بأكثر من ثمانمائة ألف نفس[6].

وكان استهتار المغول بالغا حد الفظاعة، فيروى أن أحدهم دخل زقاقا، وقتل أربعين طفلا شفقة منه ورحمة حين علم أن أمهاتهم قتلن من قبل.7

[1] ابن كثير، البداية والنهاية، ج17، ص359، 360، الهمذاني، جامع التواريخ، مج2، ج1، ص 291.

[2] ابن الغوطي، الحوادث، ص 236، عباس إقبال، تاريخ المغول، ص202، حسن ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج4، ص 152.

[3] الذهبي، العبر، ج3، ص278، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج48، ص 39، فهمي، المرجع السابق، ص 114، طقوش، تاريخ المغول، ص 147.

[4] ابن كثير، البداية والنهاية، ج17، ص358.

[5] ابن الدقماق صارم الدين بن محمد بن يدمر العلائي، نزهة الأنام في تاريخ الإسلام، تحقيق، سمير طباره، المكتبة العصرية ط1، بيروت، 1999، ص239.

[6] ابن الغوطي، الحوادث، ص 237.

[7] RICHARD COKE : Bagdad the city of peace, p :146 نقلا عن: الصياد، المرجع السابق، ص 265.

وعندما دخل هولاكو مدينة بغداد، قصد قصر الخلافة، وجلس في الميمنة، واحتفل مع الأمراء بذلك اليوم، وأمر بإحضار الخليفة[1] وقال له: "إنك مضيف

ونحن الضيوف... فهيا أحضر ما يليق بنا"، فظن الخليفة أن هذا الكلام على سبيل الحقيقة، وكان يرتعد من الخوف وبلغ من دهشته أنه لم يعد يعرف مكان مفاتيح الخزائن، فأمر بكسر عدة أقفال، واحضر لهولاكو ألفي ثوب وعشرة آلاف دينار، ونفائس ومرصعات وعددا من الجواهر، فلم يلتفت هولاكو إليها، ومنحها كلها للأمراد والحاضرين ثم قال للخليفة: "إن الأموال التي تملكها على وجه الأرض ظاهرة، وهي ملك عبيدنا، لكن اذكر ما تملكه من الدفائن، ماهي وأين توجد فاعترف الخليفة بوجود حوض مملوء بالذهب في ساحة القصر، فحفروا الأرض حتى وجدوه، كان كليئا بالذهب الأحمر، وكان كله سبائك تزن الواحدة مائة مثقال.[2]

ثم أمر هولاكو بأن يحصوا حرم الخليفة، وحاشيته، وجميع النساء اللاتي باشرهن هو وبنوه، فوجدوا سبعمائة من النساء، وثلاثمائة خادم[3]، وعندما وقف الخليفة على تعداد نسائه قال في تضرع[4]: "إمنحني تلك النسوة اللائي لم يكن يطلع عليهن ضوء الشمس ولا ولا نور القمر"، فقال هولاكو: "اختر مائة من هذه النساء السبعمائة واترك الباقي" [5].

رجع هولاكو إلى المعسكر ليلا، وفي الصباح أمر أن يسير سونجاق إلى المدينة، وأن يجرد اموال الخليفة ويخرجها.[6]

---

[1] الصياد، المرجع السابق، ص265.

[2] الهمذاني، جامع التواريخ، مج2، ج1، ص292.

[3] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص271، الصياد، المرجع السابق، ص265، 266.

[4] الصياد، المرجع السابق، ص266.

[5] الهمذاني، تاريخ المغول، مج2، ج1، ص292.

[6] نفسه، ص193.

وحينئذ إلتمس الناس من "شرف الدين المراغي" و "شهاب الدين الزنجاني" و "الملك دل راست"[1]، ليذهبوا إلى هولاكو، ويطلبوا منه الامان، فتشفع هؤلاء فشفّعهم، وأمر ان يكفوا عن القتال وسلب الأموال والنهب، لأن بغداد ملكا لنا، فليستقر الاهالي، ولينصرف كل شخص إلى عمله، وبهذا وجد الامان أولئك الذين نجوا من السيف.[2]

"ولما نودي ببغداد بالأمان خرج من كان تحت الأرض بالمطامير، والقني والمقابر، كأنهم الموتى إذ نبشوا من القبور، وقد أنكر بعضهم بعضا، فلا يعرف الوالد ولده، ولا الأخ اخاه، وأخذهم الوباء الشديد، فتفانوا ولحقوا بمن سلف من القتلى، واجتمعوا في البِلى تحت الثرى".[3]

وفي يوم الأربعاء 14 صفر 656هـ، رحل هولاكو عن بغداد، لعفونة هوائها بسبب القتلى، ونزل بقريتي "وقف وجلابية"، وأرسل الأمير عبد الرحمان لفتح ولاية خوزستان.[4]

ثم استدعى الخليفة، فخاف خوفا شديدا وكان ينشد بيتين أو ثلاثة من قصيدة هذا مطلعها:

وأصبحنا لنا دار لجنات وفردوس

وأمسينا بلا دار كأن لم تغن بالأمس.[5]

ويذكر ابن دقماق حادثة غريبة حدثت للخليفة "... بينما الخليفة جالس في خيمته، وإذا بطائر أبيض سقط على الخيمة التي فيها الخليفة، فأقام ساعة ثم حلق طائرا ،ففي

---

1 هو نجم الدين أبو جعفر بن عمران ويسمى أيضا: وزير داست دل، أنظر: عباس العزاوي، المرجع السابق، ص180، حاشية: 1.

2 الهمذاني، تاريخ المغول، مج2، ج1، ص293، طه مصطفى بدر، المرجع السابق، ص180.

3 ابن كثير، البداية والنهاية، ج17، ص362، 363، اليونيني، المصدر السابق، ص89، ابن الفوطي، الحوادث، ص236، الذهبي، العبر، ص278.

4 الهمذاني، تاريخ المغول، مج2، ج1، ص293.

5 نفسه، ص294،293.

تلك الساعة بعث إليه هولاكو وأحضره، وكان له وهو قائم بين يديه يكلمه من أربع حجاب، على لسان الترجمان: ماهذا الطائر الذي اتاك؟ فقال: طائر سقط على الخيمة ثم طار، قال فما قال لك وما قلت له؟ فقال الخليفة: وهل يتكلم الطائر، فقال له: لابد أن تقر بالصحيح، ومن أين أتاك، وماذا قال لك، وما الذي قلت له؟ وجرى في ذلك كلام كثير ومحاورات كثيرة من جملتها، أنكم أهل سحر وهذا الطائر جاءك رسولا من بعض أعوانك، ثم جرى مع ولد الخليفة كلام كثير ما يشابه ذلك"[1].

ثم امر هولاكو بقتل الخليفة المستعصم بالله، الذي يعد آخر الخلفاء العباسيين في بغداد،[2] يقول ابن العبري "... وفي الرابع عشر صفر رحل هولاكو من بغداد، وفي أول مرحلة قتل الخليفة المستعصم، وابنه الاوسط مع ستة نفر..."[3]

وأما عن الكيفية التي قتل بها الخليفة فهي لا تزال محل خلاف وتضارب بين المؤرخين،فيقول الجوزجاني:"أراد الكفار أن يحتفظوا بأمير المؤمنين المستعصم بالله عدّة أيام ،فقال جماعة من المسلمين الذين كانوا بين جيش المغول ،انه اذا أراق هولاكو دم الخليفة على الأرض،فسوف يغوص هولاكو وجيش المغول داخل الأرض نتيجة زلزال ،لذلك لاينبغي قتله،وكان هدف المسلمين أن يبقى الخليفة حيا،فعطل الجميع قتله ،إلا ملك الموصل "بدر الدين لؤلؤ"حيث قال لهولاكو:"إذا بقي الخليفة حيا ،فسوف يثور المسلمين الموجودين في الجيش والطوائف الموجودة في البلاد الأخرى ،ويخلصونه ولن يتركوك ياهولاكو حيا،فسيطر الخوف على هولاكو ،فأمر فلفوا الخليفة في جوال ،وكالوا اللكمات حتى هلك رحمه الله".[4]

---

1 ابن الدقماق، المصدر السابق، ص238، 239.

2 فهمي، الرجع السابق، ص125.

3 ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص272.

4 الجوزجاني،طبقات، ج2،ص212،213.

يقول ابن الفوطي:"...فقتل يوم الاربعاء14صفر656هـ،ولم يهرق دمه بل جعل في غرارة ورفس حتى مات،ودفن وعفي أثر قبره..."[1]

رابعا:نتائج سقوط بغداد.

يعد سقوط بغداد ،وانقراض الخلافة العباسية التى استمرت قائمة أكثر من خمسة قرون ، من أكبر الوقائع التى حدثت في التاريخ ،ولقد كان لهذا الحدث أسوأ الأثر في نفوس المسلمين جميعا،واعتبرت هذه المأساة لطمة قاسية وبلاء شديد سلط على رؤوسهم ،واذ انتهكت حرمتهم على ايدي المغول ،الذين صوبوا طعنة نجلاء الى مقام الخلافة المقدس ،وكان لهذا الحادث نتائج أهمها:[2]

- كان لسقوط بغداد أثر عميق في مختلف أنحاء العالم الاسلامي،واهتز الحكام المسلمون في المناطق المجاورة لهذا الحدث الجلل،وعدّ المسلمون في كل مكان أن سقوط الخلافة العباسية صدمة مريعة ،وتحديا مخيفاً ،كان له أسوأ الأثر في نفوسهم ،فعلى الرغم من أن الخلافة ظلت منذ زمن طويل تفقد قدرا كبيرا من سلطتها المادية،فإن مكانتها الأدبية والروحية لازالت قوية،فما حدث من استئصال الأسرة العباسية ،وتدمير العاصمة،جعل خلافة المسلمين شاغرة تتطلع الى زعيم طموح من المسلمين[3].
- نتج عن سقوط بغداد على ايدي المغول آثار ونتائج عديدة في الحياة الاسلامية، فالوحدة السياسية للمسلمين أصبحت من الأمور التى يستحيل تحقيقها ،أضف الى ذلك أن الثقافة الإسلامية منيت على أيدي المغول بخسارة كبيرة،حيث أتلفوا آلافا

---

[1] ابن الفوطي،الحوادث الجامعة ،ص233،234.

[2] الصياد ،المرجع السابق ،ص 279.

[3] طقوش ،تاريخ المغول،ص148،149،رنسيمان،تاريخ الحروب الصليبية ،ج3،ص522.

من الكتب القيمة والمخطوطات النادرة ،وقتلوا كثيرا من العلماء والأدباء ،وشتتوا شمل من بقي منهم في مختلف البقاع الإسلامية [1].

- كان لذيوع أنباء تدمير بغداد ،أثر عميق في جميع أنحاء آسيا،فابتهج المسيحيون في كل مكان بآسيا،إذْ كتبوا في نشوة النصر عن سقوط بابل الثانية ،وهللوا لهولاكو "وطوقزخاتون" ،واعتبروهما قسطنطين وهيلينيا ،وأنهما ليسا إلا ادوات الله للإنتقام من أعداء المسيح[2]، وفي الحقيقة كان الاستيلاء على بغداد وزوال الخلافة عملاً شجعه وباركه حاشية هولاكو من النساطرة ،ابتداء من "طوقوزخاتون" حتى كيتوبوقا الذي كان ينتمي هو الآخر الى قبيلة النايمان،وقد تراءى غزو بغداد كأنه من أعمال حملة صليبية نسطورية ،ويؤيد ذلك ما كان من اختيار البطريك النسطوري "ماكيكاليكون" رسولا للخليفة المستعصم الى هولاكو ،وكان يأمل أن يتوسط له عند "طوقوزخاتون" ، لمحاولة التفاوض مع الغازي المغولي ،يضاف الى ذلك مانصادفه من وحدات عسكرية لجيوش هولاكو، كانوا أول من اقتحم أسوار بغداد ،واشتهروا بشدتهم وقسوتهم في التخريب والتدمير[3].
- ترتب على سقوط بغداد الاتجاه الى إعادة ترتيب البيت السياسي ، مثل وجوب تعيين حدود جديدة،وعقد أحلاف مختلفة،كما ترتب عليه تغيير سلاكين المماليك في مصر سياستهم نحو الخلافة ،واصبحوا يفكرون في إحيائها من جديد،وفي الوقت نفسه أعطاهم فرصة قصيرة من الزمن يستعدون فيها لصد هذا الغزو المغولي[4] .

---

[1] العبادي أحمد مختار،قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام،دارالنهضة العربية ،د،ط،بيروت ،1986م،ص 148.

[2] رنسيمان،تاريخ الحروب الصليبية ،ج3،ص522.

[3] الصياد ،المرجع السابق،ص282.

[4] رجب محمود ابراهيم بخيت،المرجع السابق،ص251.

- إن سقوط بغداد كان جناية كبيرة على الحضارة والثقافة،إذْ فقدت اللغة العربية تلك المكانة التى كانت تتمتع بها قبل الغزو المغولي في ميادين الثقافة العلمية والأدبية ،وبفتح المغول لهذه العاصمة الكبيرة تمت الخطوة النهائية في سبيل تفوق اللغة الفارسية على اللغة العربية،ورغم أن هذه اللغة قد بقيت كلغة علمية وأدبية في إيران،ولم يستطع الإدباء والكتاب الإيرانيون أن يكفوا عن تعلمها والتأليف بها إلا ان عنايتهم باللغة الفارسية كانت أشد وأقوى ،لانها اللغة التى إستطاعت أن تشبع رغبة العامة ،وتوافق إحساس الناس في ذلك الوقت[1]،"ومع ذلك كله فإن تحطيم بغداد كعاصمة للمسلمين ،وانزالها الى مرتبة المدن الإقليمية ،قد أصاب رباط الوحدة بين الأمم الإسلامية بلطمة شديدة ،كما أصاب مكانة اللغة العربية في إيران بضربة قاصمة،فاقتصر استعمالها بعد ذلك على العلوم الفقهية والفلسفية ،فإذا وصلنا الى نهاية القرن 7هـ/13م،لم نعد نصادف غلا القليل النادر من الكتب العربية التى تم تأليفها في إيران " [2].
- كان لسقوط بغداد الأثر البالغ على الناحية الاجتماعية،فالمعروف أن الخلافة العباسية السنية اشتهرت في ذلك الوقت بمحاربة التشيع والحد منه في مناطق ايران وغيرها،الا انه بسقوطها انتشر التشيع في تلك المناطق بطريقة غير مألوفة ،نتيجة لازدياد نفوذ رجال الشيعة الذين أصبحوا يتبوؤون المراكز الهامة لدى المغول،كنصير الدين الطوسي الذي كان مستشارا لهولاكو،ووزير الخليفة مؤيد الدين ابن العلقمي الذي أسند إليه حكم بغداد بعد سقوطها[3].

---

[1] الصياد ،المرجع السابق،ص 281.

[2] براون ،تاريخ الأدب في إيران ،ص 564.

[3] عبدالله سعيد محمد الغامدي،جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين في بلاد الشام،في النصف الثاني من القرن السابع هجري،أطروحة دكتوراه،اشراف،محمدحمدي المناوي،جامعة أم القرى ،المملكة السعودية ،1986،ص66.

انه لمن الخطأ ان نقول بأن سقوط بغداد ،ونهاية الخلافة العباسية ،كان قد قام به المغول فقط ،اذْ أنه لولا تعاون ومشاركة أولئك المسلمين في الاطاحة بالعباسيين ، لوجد المغول من الصعب جدا أن يحققوا ماحققوه من حملتهم تلك ،ولربما أخذت مجريات الأحداث التاريخية سبيلا غير السبيل الذي نعرفه[1].

[1] الغامدي ،سقوط الدولة العباسية ،ص 369.

الفصل الرابع

الفصل الرابع:المغول ومعركة عين جالوت

المبحث الأول:زحف المغول نحو بلاد الشام.

المبحث الثاني:المغول وبلاد مصر في العصر الأيوبي.

المبحث الثالث:مقدمات واستعدادات المعركة.

أولاً:الجانب المملوكي.

أ- تعداد الجيش وخبرته.

1- الجيش النظامي

2- الجيش القبلي

3- الجيش المتطوع.

ب- السلاح

ثانيا:الجانب المغولي.

أ- تعداد الجيش وحجمه.

ب- السلاح

المبحث الرابع:حوادث المعركة.

المبحث الخامس:نتائج المعركة.

المبحث الاول: زحف المغول نحو بلاد الشام:

لما فرغ هولاكو من فتح قلاع الإسماعيلية والاستيلاء على بغداد، بقي عليه من الخطة التي رسمها له أخوه "منكوخان"، أن يخضع بلاد الشام ومصر، فوجه همته لإخضاع هذين الإقليمين،[1] وكان قد أرسل أثناء حصاره لبغداد، فرقة عسكرية بقيادة "نويان"، استولت على إربل، من ثم أشرف المغول على بلاد الشام، وقد حرص الزعيم المغولي أن يقوي سيطرة المغول على إقليم الجزيرة، وهو الطريق المؤدي إلى حلب التي كانت هدفه الأول.[2]

كان في بلاد الشام في هذه الفترة ثلاث قوى:

أ- قوة الأرمن والنصارى: وهؤلاء وقفوا مع المغول بحماسة شديدة ضد المسلمين، وقدموا لهم كل مساعدة ممكنة، بل قدموا فرقاً من الجيش قاتلت مع المغول جنبا إلى جنب[3].

---

[1] الصياد، المرجع السابق، ج1، ص289.

[2] طقوش، تاريخ المغول، ص149.

[3] عبد العزيز الخالدي، العالم الاسلامي والغزو المغولي، ص94

ب- قوة الإمارات الصليبية: التي كانت لا تزال في اجزاء من سواحل فلسطين ولبنان ،وهذه كانت مترددة وتفضل أحيانا التعاون مع المسلمين، لأن أمرائها رأوا في المغول عداوة شديدة للإنسانية، وللحضارة معاً، ورأوا جرائم المغول في أوروبا[1].

ج- قوة المسلمين المتمثلة في الملوك والأمراء الأيوبيين، الذين حكموا مدن "ميافارقين"[2]، وحصن كيفا و الكرك وحلب، وحمص وحماه، ودمشق، إلا انهم افتقروا إلى رابطة اتحادية، فكان كل امير يعمل مستقلاً عن الآخر، مما أضعف قوتهم أمام المغول[3].

وكان الناصر يوسف- صاحب حلب ودمشق (640-659هـ/1242-1260م)- أكثر الامراء الأيوبيين قوة واقتداراً،[4] "فتوجه إليه الأشرف بن الملك الغازي بن الملك العادل صاحب ميافارقين ،يطلب منه نجدة ليمنع المغول من الدخول إلى الشام، فاستخف برأيه ولم يسمع مشورته ،بل سوّفه بكلام وسرحه من عنده بالأمان"[5]، " كما أرسل ابنه العزيز إلى

---

[1] طقوش، تاريخ المغول، ص150.

[2] أشهر مدينة بديار بكر، قالوا سميت بميا بنت لانها أول من بناها، وفارقين هو الخلاف بالفارسية يقال له بارجين، أنظر: الحموي، معجم البلدان، مج5، ص265، 2363.

[3] طقوش، تاريخ المغول، ص150.

[4] الصياد، المرجع السابق، ج1، ص290.

[5] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص277.

هولاكو يحمل الهدايا والتحف، ويقدم الخضوع والولاء، وسأله على لسان أبيه في نجدة، ليأخذ مصر من المماليك" [1].

وعندما عاد الملك العزيز إلى أبيه قائلاً :" قد قال ملك الأرض نحن للملك الناصر طلبنا لا ولده، فالآن ان كان قلبه صحيحا معنا يجيء إلينا، وإلا فنحن نمشي إليه" [2]

لكن الملك الناصر رفض الذهاب إلى هولاكو، وتعرض لاستنكار شديد من الامراء الآخرين، بسبب تقربه من المغول، فأظهروا العداء السافر له، فلما رأى حبوط مسعاه، وأن محاولته هذه جعلته مريباً عند المسلمين، أظهر العداء لهولاكو، وغادر دمشق إلى الكرك[3]، والشوبك[4] ،هروبا من المغول[5].

وهناك عامل شجع هولاكو والمغول على المضي قدماً في فتوحاتهم، وقصد بلاد الشام، ألا وهو الحركة المسيحية الغربية، واتجاهها لمحاولة التحالف مع المغول، وكان من أكبر المتحمسين لهذا الرأي، البابا انوست الرابع (641-652هـ-1243-1254م) ،الذي

---

[1] المقريزي، السلوك، ج1، ص500.

[2] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص278.

[3] الكرك: قلعة حصينة جدا في طرف الشام من نواحي البلقاء في جبالها بين أيلة وبحر القلزم –الأمر وبيت المقدس وهي على سن جبل عال تحيط بها الاودية إلا من جهة الربض: أنظر: الحموي، معجم البلدان، ج4، ص 442.

[4] الشوبك: قلعة حصين في اطراف الشام بين عمان وايلة القلزم، قرب الكرك: أنظر: المصدر السابق، مج3، ص370.

[5] الصياد، المرجع السابق، ج1، ص291.

عاصر لويس التاسع، فأرسل إلى "كيوك" خان الأعظم، ثم أعقب ذلك بسفارة على رأسها أسلم Anselmu الراهب اللمباردي، ونهجت نهج سابقتها من دعوة المغول إلى المسيحية الكاثوليكية، كما صحبت معها رسولين من المغول إلى البابا في روما، وتلقاها أنوسنت الرابع في مستهل عام 649هـ-1251م.[1]

فقد رأى "هيتوم" ملك أرمينية أن الفرصة سانحة للإنظمام إلى المغول، لاستخلاص الشام بوجه عام، وبيت المقدس بوجه خاص،[2] وكما كان "بوهيمند" السادس ملك انطاكية الصليبي حليفاً وفياً لجاره "هيثوم"، وكان قد تزوج من ابنته، دخل هو الآخر في الحلف المغولي.[3]

وظلت السلطتان المسيحيتان في الشرق والغرب، تتطلعان إلى المغول، لمساعدتهم في حروبهم ضد المسلمين في سبيل امتلاك الأراضي المقدسة [4].

لكن جهود الغرب الاوروبي فشلت في إقامة تحالف صليبي كامل ضد المسلمين، بإستثناء الدور الذي لعبه "هيثوم" ،الذي شارك في هجوم المغول على بلاد الشام، ولم ينجح سوى في اجتذاب بوهيمند السادس، أما بقية الصليبيين في بلاد الشام فقد تقاعسوا عن

---

[1] محمد على مرجونة، المرجع السابق، ص134.

[2] فايد حماد محمد عاشور، الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين والمغول في العصر المملوكي، ط1، مكتبة جروس برس، لبنان، 1995، ص151.

[3] الصياد، المرجع السابق، ج1، ص291.

[4] محمد عاشور، المرجع السابق، ص89.

إجابة هيثوم إلى طلبه، وكان ذلك من حسن حظ المسلمين، إذ لو تحالف الصليبيون جميعاً في بلاد الشام مع المغول، لهددوا مؤخرة جيش المماليك، ولم يتحقق النصر في عين جالوت.[1]

وفي سنة 657هـ-1259م، قاد هولاكو جيشه باتجاه حلب، للاستيلاء عليها، ولما كانت الطريق إليها تمر بديار الجزيرة فإنه أرسل قسما من جيشه بقيادة ابنه "شيموت"، وبصحبته القائد "نويان" إلى ميافارقين، فحاصرها، وكان حاكمها يدعى الملك الكامل محمد المظفر غازي ابن العادل بن أيوب.[2]

فارسل إليه المغول رسولهم يدعونه إلى الانقياد والطاعة، لكن الملك الكامل فضّل الجهاد والدفاع عن بلاده،[3] فحاصر المغول ميافارقين، ونصبوا عليها المنجنيقات من كل ناحية، فقاتل أهلها وامتنعوا عن تسليمها ،وصبروا أنفسهم على الحصار الشديد والجوع

---

[1] على محمد على عودة الغامدي، بلاد الشام قبيل الغزو المغولي (589 657هـ 1193 1259م) مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ط1، 1988، ص381.

[2] حمزة احمد بن عمر المعروف بإبن سباط،تاريخ ابن سباط، تحقيق، عمر عبد السلام تدمري، جروس برس ، ط1، طرابلس، 1993، ج1، ص380.

[3] علي محمد مرجونة، المرجع السابق، ص135.

المبيد حتى أكلوا الميتة والدواب.. وطال عليهم الأمد ،وقل منهم الجلد، فاستولى المغول على المدينة وفتحوها، بعد سنتين من الحصار [1].

ويصف لنا الهمذاني شجاعة الملك الكامل ،وهو يخاطب سكان المدينة قائلاً: " سوف لن أبخل عليكم بالذهب والفضة والغلال الموجودة في المخازن، وسأوثر بها كلها المحتاجين، فإني بحمد الله لست كالمستعصم – عبداً للدينار والدرهم– الذي طوح برأسه وبملك بغداد بسبب بخله شحه "، فاتخذ معه سكان المدينة كلهم.[2]

ولما تأكد الملك الكامل ان المقاومة اصبحت عديمة الجدوى، استسلم للمغول، فقتلوه شر قتلة،[3] يصف لنا ابن الوردي حاله بقوله "... فقتلوه وطافوا برأسه في البلاد بالمغاني والطبول، وعلق راسه في شبكة سور الفراديين، إلى أن عادت دمشق إلى المسلمين، فدفن بمشهد الحسين، داخل باب الفرّاديين" [4].

---

[1] ركن الدين بيبرس المنصوري الدوادار، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق، دونالد، س، ريتشاردز، ط1، بيروت، 1998، ص41، الجوزجاني، المصدر السابق، ج2، ص217.

[2] الهمذاني، تاريخ المغول، ج1، ص319، 320.

[3] الصياد، المرجع السابق، ج1، ص293.

[4] ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج2، ص199.

ولما اتم المغول فتح ميافارقين، تقدموا نحو "ماردين" [1]، وكانت في قبضة الملك السعيد ، الذي أبى إلاّ أن يقاوم، فاستمر المغول يحاصرونها مدة ثمانية أشهر دون أن ينجحوا في السيطرة عليها، وأخيرا حاول أحد أبناء الملك السعيد أن يثني أباه عن عزمه، ويَحمله على التسليم للمغول، فلما فشل في اقناعه، فلم يجد بداً من قتله سنة 658هـ-1260م، وسلم القلعة للمغول، فنصّبوه والياً على ماردين بدلاً من ابيه [2] .

ثم توجه هولاكو إلى حلب على رأس جيس كبير، يعاونه الأرمن والفرنج لمحاصرتها، وكان جرياً على عادة المغول، أرسلوا غلى حاكم حلب الملك المعظم "تورانشياه"[3] ،" إنكم تصعفون عنا ونحن قصدنا سلطانكم الملك الناصر، فاجعلوا لنا عندكم شحنة[4] بالقلعة، وآخر بالبلد، فإن انتصر علينا سلطانكم فاقتلوا الشحنتين، وإن انتصرنا فحلب والشام كله لنا، فأبى عليه تورانشاه "[5].

---

[1] ماردين: قلعة مشهورة على قمة جبل الجزيرة، مشرفة على دنسير ودارا ونصبين: انظر: الحموي، معجم البلدان، ج5، ص39.

[2] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص280، الصياد، المرجع السابق، ج1، ص293، 294، سامي محمد المرسي، المرجع السابق، ص152، 153.

[3] علي مرجونة، المرجع السابق، ص136، الصياد، المرجع السابق، ج1، ص.

[4] رئيس شرطة ينوب عن هولاكو، أنظر: الذهبي، دول الاسلام، ج2، ص176.

[5] الحافظ الذهبي، العبر، ج3، ص287، الذهبي، دول الاسلام، ج2، ص176.

فنزلوا على حلب وحاصروها، لكن أهلها أبوا الخضوع والتسليم ، معتمدين على متانة قلعتهم، وأقدموا على القتال، فشيّد المغول الأسوار حول المدينة، وأقاموا المجانيق، وأشتبك الطرفان في قتال عنيف مدة أسبوع، وأخيرا فتحت المدينة [1].

ويصف لنا المقريزي ما فعل المغول بهذه المدينة بقوله "... فحاصرها المغول سبعة أيام وأخذوها بالسيف، وقتلوا خلقا كثيراً وأسروا النساء والذرية، ونهبوا الأموال مدة خمسة أيام، استباحوا فيها دماء الخلق حتى امتلأت الطرقات من القتلى، وصارت عساكر المغول تمشي على جيف من قتل... وخرب جميع أسوارها وجوامعها ومساجدها وبساتينها، حتى عادت موحشة..." [2].

ثم أصدر هولاكو أمره بوقف تلك المذابح ، وأعطى ملك الأرمن جزءا من الأنفال، وأعاد إليه الأقاليم والقصور التي كان قد استولى عليها مسلمو حلب، كما رد إلى بوهيمند جميع الاراضي التي كان المسلمون قد اقتطعوها منه [3].

---

[1] الهمذاني، جامع التواريخ، مج2،ج1، ص306، اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج1، ص349.

[2] المقريزي، السلوك، ج1، ص511، ابن تعري بردي، النجوم، ج7، ص70.

[3] الصياد، المرجع السابق، ج1، ص294 295.

بعد ذلك رحل المغول إلى قلعة حارم[1]، ورفض اهلها أن يسلموها لهم، وطلبوا أن يسلموها إلى رجل مسلم يكون صاحب شريعة يطمأن إليه، حيث يحلف لهم بالطلاق والمصحف أن لا يدنو لإحداٍ منهم سوء ، وينزلوا ويسلموا إليهم القلعة، فسألهم هولاكو من يريدون فقالوا: فخر الدين، الوالي بقلعة حلب،فإنه رجل صادق مؤمن خيّر،فقبل هولاكو طلبهم واستدعى فخر الدين، فحينئذ فتحوا الابواب ونزل الناس، وتسلم المغول القلعة، ثم أمر هولاكو بقتل فخر الدين أولاً، ثم بقتل جميع من كان في القلعة من الصغار والكبار الرجال والنساء منهم حتى الاطفال[2]، كذلك سقطت في ايدي المغول حماه والمعرة وحمص[3].

وبعد ان حقق هولاكو كل هذه الإنتصارات ، تسارع امراء الشام بتقديم فروض الطاعة والولاء له، منهم الملك الأشرف موسى بن ابراهيم بن شيركوه، وهو صاحب حمص، فأكرمه هولاكو وأعاد عليه حمص، وكان الملك الناصر قد اخذها منه في سنة 646هـ، وعوضه عنها تبل باشر[4]، فأعادها هولاكو عليه الآن[5]، ووصل إليه أيضا من دمشق

---

[1] حارم: حصن حصين وكورة جليلة اتجاه انطاكية، وهي من اعمال حلب، انظر: الحموي، معجم البلدان، مج2، ص205.

[2] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص279.

[3] الصياد، المرجع السابق، ج1، ص295.

[4] تل باشر: قلعة حصينة في شمالي حلب، اهلها نصارى أرمن وهي عامرة آهلة، انظر: الحموي، معجم البلدان، مج2، ص40.

[5] النويري، نهاية الأرب ج27، ص262، أحمد مختار العبادي، قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام،ص153.

القاضي محي الدين بن الزكي، فأقبل عليه هولاكو وخلع عليه وولاه قضاء الشام، ولما عاد ابن الزكي إلى دمشق لبس خلعة هولاكو، فكانت مذّهبة، وجمع الفقهاء وغيرهم من أكابر دمشق وقرأ عليهم تقليد هولاكو[1].

أما الملك الناصر آخر حكام بني أيوب بالشام، فخرج بجيوشه من دمشق ومعه مماليكه الناصرية ، والعزيزية وعدة من البحرية، وعلى رأسهم بيرس البندقداري[2]، وخيّم على "برزه"[3]، على مسافة يسيرة من دمشق شمالاً [4].

غير ان تعدد عناصر جيشه، والتنافر بين تلك العناصر، وتآمر مماليكه الناصرية على قتله، وخوف الامراء من هولاكو وجنوده، سرعان ما جعل ذلك الجيش ينفض من

---

[1] النويري، نهاية الارب، ج27، ص262، اليونيني، ذيل مرئة الزمان، ج1، ص350.

[2] بيرس البندقداري: السلطان الملك القاهر ثم الظاهر ركن الدين ابو الفتوح بيبرس بن عبد الله البندقداري، الصالحي النجمي الأيوبي التركي، سلطان الديار المصرية والبلاد الشامية والاقطار الحجازية، وهوالرابع من ملوك الترك مولده في حدود 620هـ، بصحراء القبجاق، عرف بالشجاعة والإقدام ادركته المنية في مدينة دمشق في 18 محرم 676هـ، ودفن بدمشق، دام ملكه سبعة عشر سنة، انظر: ابن تغري بردي، النجوم، ج7، ص86، احمد بن يوسف القرماني، اخبار الدول وأثار الاول في التاريخ، تحقيق، احمد حطيط وفهمي سعد، دار عالم الكتاب، بيروت، 1992، مج2، ص271، 272.

[3] برزة، قرية من غوطة دمشق، انظر: الحموي، معجم البلدان، مج1،ر ص381.

[4] الحافظ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج48، ص50 51، الذهبي، دول الإسلام، 2، ص176، ابن خلدون، الخبر عن دولة التتر، ص271، المكين جرجرس بن العميد، أخبار الأيوبيين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، دط، د س ن، ص48 49، احمد حطيط، المرجع السابق، ص64.

حول الناصر، فقرر ان يترك دمشق وينسحب إلى غزة ، حيث يكون على مقربة من النجدة التي وعده بها سلطان مصر [1].

لم يفكر الملك الناصر في حماية عاصمته، وتعريض حياته للخطر بها، بل أسرع بتركها لوزيره زين الدين الحافظي[2]، الذي سلمها للمغول في مارس سنة 658هـ/1260م[3]، ولما خابت آمال الملك الناصر،فرّ هائماً على وجهه إلى أن وقع في قبضة المغول ،يقول الهمذاني:" ولما كان الملك الناصر سلطان حلب والشام، قد فرّ إبان وصول هولاكو خان إلى حلب، ولجأ إلى قلعة كرك، فقد اراد "كيتوبوقا " ان يحاصره، فطلب الأمان وسلم نفسه، فأرسله "كيتوبوقا" إلى الحضرة، فوعده هولاكو قائلاً: "عندما استولى على مصر، سأفوض إليك حكومة الشام" [4].

---

1 الذهبي، تاريخ الإسلام، ج48، ص51، ابو الفداء، المصدر السابق، ج3، ص241، 242.

2 زين الدين الحافظي، سليمان بن عامر العقرباني، كان طبيا في دمشق، فلما قدم المغول مع هولاكو أذى المسلمين في المدينة ،ودلهم على عوراتهم، وبعدها استقدمه هولاكو واتهمه بالخيانة في الاموال التي ندبه لاستخراجها، فأمر بقتله مع إخوته واولاده: انظر: النويري، نهاية الأرب، ج30، ص70، ابن كثير، البداية والنهاية، ج17، ص458.

3 العبادي، قيام دولة المماليك، ص154.

4 الهمذاني، جامع التواريخ، مج2، ج1، ص308، الصياد، المرجع السابق، ص296 304.

بينما هولاكو يتقدم على رأس جيشه إلى دمشق، كان سكانها يفرون منها، بعدما علموا ما جرى لأهالي المدن الاخرى، التي فتحها المغول قبل وصولهم إلى دمشق، لذلك كانوا لا يفكرون في مقاومة المغول، حتى لا يتعرضوا لنفس مصير كل من قاومهم[1].

يقول الهمذاني " ولما أحس أهالي دمشق بالأهوال التي ارتكبها جيش المغول، وعرفوا أن جميع أطراف الشام ونواحيها قد دخلت في حوزة هولاكو، قصّد جمع من أكابرها وأعيانها إلى حضرة هولاكو، ومعهم انواع التحف والهدايا، ومفاتيح بوابات المدينة، وأظهروا الطاعة والخضوع، وسلموا المدينة.."[2]

فسيّر هولاكو جماعة من المغول ،فتسلموا دمشق نواباً له[3]، وأخذوها سريعا من غير ممانعة ولا مدافعة، بل تلقاهم كبارها بالرحب والسّعة، وأرسل إليهم هولاكو "كتبغا"، فعيّن رجاله عليها، يعاونهم ثلاثة من أهل البلدة هم: علاء الدين الجاشي، وجمال الدين القرقاوي، والقاضي شمس الدين القومي [4].

أما قلعة دمشق، فقد استعصت على المغول، ورفض أهلها التسليم، فحاصرها المغول وضربت بالمجانيق، وخرّب من القلعة مواضع كثيرة، فطلب من بداخلها الأمان، ودخلها

---

[1] سامر رافع، هولاكو، ص111، الصياد، المرجع السابق، ج1، ص296.

[2] الهمذاني، جامع التواريخ ، مج2، ج1، ص307.

[3] ابن سباط، المصدر السابق، ج1، ص387.

[4] ابن كثير ،البداية والنهاية، ج17، ص397، الهمذاني، جامع التواريخ ، مج2، ج1، ص308، محمد الشبوخي، المرجع السابق، ص155.

المغول، ونهبوا ما كان فيها من الكنوز والدفائن، وأحرقوا مواضع كثيرة منها ، وهدموا عددا كبيراً من أبراجها، وأتلفوا سائر ما بها من الآلات والعدد.[1]

يصف لنا ابن كثير حال القلعة بقوله "... هذا والقلعة ممتنعة مستورة، وفي اعاليها المجانيق منصوبة، والحال شديدة، فأحضرت المغول مجانيق تحمل على عجل والخيول تجرها، وهم راكبون على الخيل، وأسلحتهم تحمل على أبقار كثيرة، فنصب المجانيق على القلعة من غربيها، وهدموا حيطانا كثيرة، وأخذوا حجارتها ورموا بها القلعة، رميا متواترا كالمطر المتدارك، فهدموا كثيرا من اعاليها وشرفاتها، وتداعت للسقوط، فأجابهم متوليها في آخر ذلك النهار للمصالحة، ففتحوها وخربوا كل بدنة فيها، واعالي بروجها، وذلك منتصف جمادى الاول سنة 658هـ".[2]

وعلى إثر فتح دمشق، سنحت الفرصة للمسيحيين الانتقام من المسلمين، فتجرؤوا عليهم، واستطالوا بتردد المغول إلى كنائسهم، وذهب بعضهم إلى هولاكو، وجاؤوا من عنده بفرمان يتضمن الوصيّة بهم، والاعتناء بأمرهم، ودخلوا بالفرمان من باب ثوما، وصلبانهم مرتفعة وهم ينادون بإرتفاع دينهم، واتضاع دين الاسلام، فنظموا مواكب عامة، وكانوا

---

[1] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج48، ص52، ابن سباط، المصدر السابق، ج1، ص388، النويري، نهاية الأرب، ج27، ص263، إيناس حسن البهجي، دولة المماليك البداية والنهاية، دار التعليم الجامعي، ط1، الاسكندرية، 2015، ص139، 140، احمد مختار العبادي، في التاريخ الأيوبي والمملوكي، مؤسسة شباب الجامعة، د ط، الاسكندرين، 2010، ص145.

[2] ابن كثير البداية والنهاية، ج17، ص396، 397.

ينشدون الأناشيد وقالوا جهراً ظهر الدين الصحيح دين "المسيح"، ويجبرون المسلمين على ان يقفوا احتراما لصلبانهم، ومن يمتنع منهم، يتعرض للسب والإهانة"[1].

"وبلغ بهم التحدي أقصاه، فدقوا النواقيس، وتظاهروا بالخمر في شهر رمضان، ورشوه على ثياب المسلمين في الطرقات كما صبوه على ابواب المساجد، ولم يستثنوا حتى الجامع الأموي، وكانوا يمرون في الشوارع غلى كنيسة مريم،[2] ويخطبون في الثناء على دينهم، فضجر المسلمون من ذلك، ورفعوا شكواهم إلى "كيتوبوقا" نائب هولاكو، فلم يحفل بهم بل أهانهم وضرب بعضهم، واخذته موجة من التقوى، فجعل يزور الكنائس ويعظم رجالها على اختلاف مذاهبهم، وساهم مع "يوهموند" السادس في تحويل عدة مساجد غلى كنائس ".[3]

---

[1] الحافظ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج48، ص59 ، الذهبي، دول الإسلام، 2، ص177، شهاب الدين ابي الفلاح عبد الحي بن احمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي المعروف بابن العماد، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تحقيق، محمود الأرناؤوط، دار بن كثير، ط1، دمشق، 1991، مج7، ص503، ابن كثير، البداية والنهاية، ج1، ص397، ،، الحافظ الذهبي، العبر، ج3، ص288، ابن تعري بردي، النجوم، ج7، ص75، الصياد، المرجع السابق، ج1، ص296

[2] كنيسة مريم، كانت تلك الكنيسة تابعة للطوائف اليونانية المسيحية، أنظر: المقريزي، السلوك، ج1، ص512، حاشية 03.

[3] الحافظ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج48، ص59 60، الذهبي، دول الإسلام، 2، ص177، شهاب الدين ابي الفلاح عبد الحي بن احمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي المعروف بابن العماد، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تحقيق، محمود الأرناؤوط، دار بن كثير، ط1، دمشق، 1991، مج7، ص503، ابن كثير، البداية والنهاية، ج1، ص397، 398، 397، الحافظ الذهبي، العبر، ج3، ص288، ابن تعري بردي، النجوم، ج7، ص75، الصياد، المرجع السابق، ج1، ص296

وفي الأسابيع الثلاثة التي أعقبت فتح دمشق، اتَّم المغول فتح سورية، وقتلوا حامية نابلس، لانهم قاوموا، ثم تقدموا إلى غزة دون ان يلقوا مقاومة تذكر، واستسلمت لهم حامية عجلون، غير أن قوات المغول لم تصل مطلقا إلى بيت المقدس نفسها، وأحاط المغول بالفرنج كن كل الجهات، ولكن لن يكن في نيتهم أن يهاجموا مملكة الفرنج، بشرط أن تُظهر لهم الانصياع التام [1].

المبحث الثاني: المغول وبلاد مصر في العصر المملوكي:

بفتح كل بلاد الشام يكون هولاكو قد نجح في تحقيق الأهداف التي كُلف بها من طرف "منكوخان"، إذ استطاع ان يقضي على الطائفة الإسماعيلية ثم اسقط نهائيا الخلافة العباسية في بغداد، وبعد ذلك بلاد الشام، وها هو يفكر في بلاد مصر.[2]

يقول "رنسيمان": "وبسقوط المدن الثلاثة الكبيرة ،بغداد، وحلب ودمشق، تراءى كأن الاسلام في غرب آسيا حان أجله، ففي دمشق، وفي سائر الجهات في غرب آسيا، لم يكن للفتح المغولي من معنى سوى انتعاش المسيحيين المحليين، وإذا كان "كتبغا" نفسه

[1] عبد العزيز الخالدي ، المرجع السابق، ص98، الصياد، المرجع السابق، ج1، ص296، 297.

[2] ساهر رافع، هولاكو، ص112.

مسيحيا، لم يخف على عواطفه، فأضحى المسلمون بداخل سوريا لأول مرة منذ القرن السابع، يُعتبرون أقلية مغلوبة على أمرها، فأخذوا يتحرقون للانتقام [1].

ولا شك ان هذه الانتصارات المتتابعة التي أحرزها المغول، كانت قد حيرت الناس، وتركت في نفوسهم أثراً عميقاً، وجعلتهم يميلون إلى الاعتقاد بأن هؤلاء المغول إنما هم بلاء من الله سلطه على المسلمين، ولن تستطيع قوة على ظهر الأرض أن تقف امامهم.[2]

وبينما الحال كذلك، وقعت حادثة قلبت الموازين كلّية، إذ وصلت الاخبار إلى هولاكو تنبئ بوفاة اخيه الاكبر "منكوخان " في الصين منذ سنة 655هـ/1257م، فأسند قيادة جيوشه في الشام إلى "كتبغا نوين"، ورحل مسرعا إلى القورلتاي في العاصمة قرة قرم[3].

1 ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص528، 529.

2 الصياد، المرجع السابق، ج1، ص296، 297، 298.

3 قرة قرم: مدينة في منغوليا على نهر أرخون وسط آسيا، ولم يبق منها الآن سوى الانقاض ودير بوذي،أنظر مختار العبادي، في التاريخ الايوبي والمملوكي، ص145، حاشية 145.

حيث تجرى الانتخابات لإختيار خاقان المغول الجديد، وقدّر هولاكو أنه سوف يُعين خاقاناً للمغول لأهمية فتوحاته واتساعهما، ولكنه علم في تبرير،[1] ان الاختيار وقع على اخيه "قوبلاي" [2](1260-1293م)، وان الاختيار تقرر بصفة غير شرعية بوساطة امراء مغول الشرق الأقصى، الذين ارادوا إفساد الانتخابات قبل مجيء أمراء الغرب، وكان ذلك منافياً لقواعد الحكم التي قررها جنكيزخان، ولكن هولاكو قبل النتيجة احتراماً لأخيه "قوبلاي".[3]

ومن ناحية أخرى علم هولاكو انه مهدد من جهة الحدود القوقازية، من قبل ابن عمه "بركة خان" الذي كان يحكم القبجاق، وصار يتوعد هولاكو بالانتقام منه، بسبب ما اقترفه من مذابح، راح فيها الآلاف من الضحايا المسلمين، ولتجرئه على مقام الخلافة، وقتل الخليفة.[4]

---

[1] تبريز: أشهر مدن أذربيجان، وهي مدينة عامرة حسناء ،ذات اسوار محكمة بالأجر والجص، وحلت تبريز منذ ذلك الوقت محل بغداد في الجاه والثراء، واصبحت العراق تحكم حكما مغوليا من هناك، انظر: الحموي، المصدر السابق، مج2، ص13، العبادي، في التاريخ الأيوبي والمملوكي، ص146، حاشية 1.

[2] صار قوبيلاي الخان من قراقورم إلى خان بالق، وهي بكين الحالية، وانصبغت دولة قوبلاي منذ ذلك الوقت بصبغة صينية من دون سائر دول المغول، وعرفت الأسرة الحاكمة، بها باسم يون: yuen: انظر نفسه، ص146، حاشية2.

[3] المقريزي، السلوك، ج1، ص514، الهمذاني، جامع التواريخ، مج2ن ج1، ص332، محمود شاكر، التاريخ الاسلامي، ج7، ص29، الصياد، المرجع السابق، ص298.

[4] اليوبيني، ذيل مرآة الزمان، ج2، ص161، الغامدي، جهاد المماليك، ص113.

يقول الهمذانـي: " فلما علم "بركاخان" بغضب هولاكو قال: " إنه قد دمر جميع مدن المسلمين، وقضى على أسر ملوك الاسلام جميعهم، ولم يميز بين الصديق والعدو، وأعدم الخليفة دون مشورة كبار الأسرة، فلو أمدني الله تعالى لطالبته بدماء لأبرياء "[1]

ولهذين السببين اضطر هولاكو للعودة إلى إيران، وكان في نيته ان يكتفي بما تم فتحه، ولا يترك خلفاً له يكمل برنامجه في الاستيلاء على فلسطين ومصر، غير ان إلحاح الشرقيين وفي مقدمتهم "هيثوم" ملك أرمينية، جعل هولاكو يوافق على ان يترك "كتبغا نوين"، وتحت إمرته عشرة آلاف مقاتل لإتمام هذا المشروع، كما عهد إليه أيضا إدارة شؤون الحكم في سوريا .[2]

وقد عرف عن القائد المغولي "كتبغا " ،انه كان يكن أحسن النوايا للمسيحيين، لا لأنه كان يدين بالمسيحية فقط، بل لأنه فيما يبدوا قد فهم المصلحة من قيام حلف صليبي مغولي،[3] يقف في وجه اللإسلام والمسلمين، وعلى الرغم من أن "بوهيموند السادس"، أمير أنطاكيا كان يشارك "كتبغا" هذا الشعور، فإن الصيبيين في عكا ظلوا ينظرون إلى المغول كبرابرة، وقد أدركوا أنهم لن يسمحوا لهم بإقامة إمارات صليبية مستقلة ،وإنما يريدونهم

---

[1] الهمذاني، جامع التواريخ ، مج2، ج1، ص132.

[2] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص280، الباز العريني، المغول، ص254، الصياد، المرجع السابق، ص298، 299.

[3] الصياد، المرجع السابق، ج1، ص299.

تابعين للخان الكبير، لذلك آثروا المسلمين عليهم ، فكان هذا إيذاناً بانتهاء الحلف الصريح، أو الضمني، بين المغول والصليبيين .[1]

وحدث كذلك ان هاجم احد البارونات المسمى "الكونت جوليان الصيداوي" دورية مغولية وقتل ابن أخى "كتبغا"، فسخط المغول، وتألموا جداً بسبب هذا الحادث، وتوجهوا لتخريب صيدا، فكان هذا أيضا إيذاناً بإنتهاء الحلف الصريح أو الضمني بين المغول والصليبيين.[2]

وفي ظل هذا التنافر الذي نمّ عن خيبة امل مغولية، بعد فشلهم في استمالة الصليبيين الغربيين إلى صفوفهم، لمساعدتهم في التغلب على دولة المماليك المسلمين في مصر، وكان الملك المظفر قطز قد نجح قبل الإصطدام بهم في خلق جوٍ من التجانس والوئام بين عناصر جيشه المختلفة، وغرس في نفوس رجاله روحاً جهادية خالصة لمواجهة العدوان المغولي المرتقب على دولتهم، والذين لم يكن يخفى عليهم ما أحدثه المغول من صنوف الدمار والخراب والهلاك في بلاد الشام.[3]

---

[1] طقوش، تاريخ المغول، ص161، 261. G roussret :; l'empire de la steppe.p 437.

[2] الصياد، المرجع السابق، ج1، ص299

[3] الغامدي، جهاد المماليك، ص115.

يقول رنسيمان:"... ومن سوء حظ المغول ان توغلهم في فلسطين أثار دولة إسلامية كبيرة ، لم تتعرض للهزيمة، وهي دولة المماليك في مصر، إذ أضحى المماليك وقتئذ من الصلاحية والسلامة ما يجعلهم يقبلون تحدي المغول."[1]

والمعروف عن هؤلاء المماليك انهم كانوا من أصل تركي، قدموا إلى غربي آسيا نتيجة السبي في الحروب أو الشراء، وكانت بلاد ما وراء النهر والقبجاق مصدرا اساسيا لجلب الرقيق الأبيض التركي،[2] واضطر الأيوبيين إلى الاستعانة بهم، فكانوا يشترونهم بالأموال، ويجعلونهم نواة جيوشهم، وماهي إلا فترة وجيزة حتى نشأ بين زعماء هؤلاء الصنائع جيل جديد، استطاع ان يستأثر بتلك البلاد في عام 648هـ/ 1251م[3].

وأضحى العنصر التركي ركناً هاما في المجتمع الاسلامي، منذ العصر العباسي الثاني (232-334هـ/847-946م) ، فقامت الدويلات المستقلة ذات الاصول التركية والفارسية في كنف الخلافة العباسية ،بعد أن دب فيها الضعف، وغدا الاتراك وسيلة الخلفاء للقضاء على هذه الحركات الاستقلالية، وبخاصة عمَّال الأطراف الذين استقلوا بولاياتهم.[4]

---

[1] رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص532.

[2] طقوش، المرجع السابق، ص158.

[3] الصياد، المرجع السابق، ص300.

[4] طقوش، تاريخ الأيوبيين، ص391.

نتج عن تطور الاحداث السياسية المتسارعة، التي شهدتها منطقة الشرق الادنى الإسلامي منذ سنة 656هـ-1258م، فبات سيف الدين قطز يدرك إدراكاً تاما أن بقاء دولته الفتية يتوقف على اجتياز ذلك الامتحان الصعب، والمتمثل في الغزو المغولي للماليك الإسلامية، الذي استثرى خطره[1]، ففي يوم 24 ذي القعدة 657هـ-1259م، قبض سيف الدين قطز على الملك المنصور وعلى اخيه قافان وأمهما، واعتقلهم في احد ابراج القلعة، فكانت مدة حكم المنصور سنتين وثمانية أشهر، وثلاثة أيام.[2]

وهكذا اكتملت رحلة المملوك صوب العرش، وصار سلطاناً على الديار المصرية، وجلس على سرير الملك بقلعة الجبل في نفس اليوم، واتفق الحاضرون على توليته[3]، "...فاتفقوا على اقامة الامير سيف الدين قطز المعزي، لأنه كبير البيت، ونائب الملك وزعيم الجيش، وهو معروف بالشجاعة والفروسية، ورضي به الامراء الكبار والخوشداشية، وأجلسوه على سرير الملك، ولقبوه بالمظفر" [4].

يقول ابن تغري بردي واصفاً السلطان سيف الدين قطز: "السلطان المظفر سيف الدين قطز، ثالث ملوك الترك بالديار المصرية...، تسلطن بعد خلع ابن استاذه الملك

---

[1] على محمد الصلابي، السلطان سيف الدين قطز ومعركة ومعركة عين جالوت، ط1، مؤسسة إقرأ 2009، القاهرة، ص108.

[2] ابن تعري بردي، النجوم، ج7، ص67، النويري، نهاية الأرب، ج27، ص300.

[3] قاسم عبده قاسم، السلطان المظفر سيف الدين قطز، بطل معركة عين جالوت، دار القلم، ط1، دمشق، 1998، ص90.

[4] بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، ص26، 27.

المنصور علي ابن الملك المعز، ..وذلك بعد ان عظمت الأراجيف بتحرك المغول نحو البلاد الشامية وقطعهم الفرات، وهجمهم بالغارات على البلاد الحلبية..."[1]

والواقع ان السلطان قطز تولى السلطنة في ظروف لا يحسد عليها حاكم، إذ كان مطلوبا منه ان يستعد لصد الخطر المغولي، وفي سبيل تحقيق ذلك كان عليه أن يعمل على لم الشمل، وجمع الكلمة واتحاد الصفوف بين العرب في الشام ومصر، وكان عليه ايضا ان يبذل الجهود الجبارة لكي يحول دون اتصال أمراء الشام بالمغول، خصوصا بعد ان سمع ان أبناء الأسرة الأيوبية، يقدمون فروض الخضوع والطاعة لهولاكو، وقبلوا على أنفسهم خيانة بلادهم. [2]

عمل السلطان سيف الدي قطر على توحيد الجبهة الداخلية لدولته، وضمان الهدوء الداخلي، ثم توجه إلى بلاد الشام،[3] " خاصة لما علم بقدوم نجدة من عند هولاكو إلى الملك الناصر بدمشق، فخاف من عاقبة ذلك، وكتب خطاباً: يترقف فيه، ويقسم بالإيمان أنه لا ينازعه في الملك ولا يقاومه، وانه نائبا عنه بديار مصر، ومتى حل بها أقعده على الكرسي، وقال فيه أيضا: وإن اخترتني خَدمتك، وإن اخترت قدمت ومن معي من العسكرة

[1] ابن تعري بردي، النجوم، ج7، ص67.

[2] الصياد، المرجع السابق، ج1، ص300، 301.

[3] قاسم عبده قاسم، السلطان المظفر، ص94.

نجده لك على القادم عليك، فإن كنت لا تأمن حضوري، سيرت إليك العساكر صحبة من تختاره"، فلما قدم على الملك الناصر كتاب قطز اطمأن."[1]

وهكذا نجح السلطان سيف الدين قطز في جولته الأولي- قبل ان يخوض المعركة ضد المغول – في خلق تعاون وثيق بين الشام ومصر، وتوحيد جيوشهما لصد المغول، وقد سارعت البقية الباقية من أمراء الشام ممن أبت عليهم شجاعتهم ان يستسلموا للمغول، فاتجهوا إلى مصر يتطلعون إليها، وينتظرون على يدها الخلاص، ويُبدون استعدادهم للوقوف معا صفا واحدا ،في وجه العدو المشترك لإنقاذ الشرق الإسلامي من خطر المغول.[2]

<u>المبحث الثالث: مقدمات المعركة:</u>

دخلت العلاقات بين المغول والمماليك مرحلة حرجة، عندما ارسل هولاكو قبل أن يبرح الشام سنة 658هـ/1259م ، رسله يحملون رسالة إلى السلطان سيف الدين قطز، تتضمن كل معاني التهديد والوعيد، يدعوه فيها إلى الاستسلام[3].

---

[1] المقريزي، السلوك، ج1، ص508، منصور عبد الحكيم، السلطان سيف الدين قطز بطل عين جالوت وقاهر المغول، دار الكتاب العربي، القاهرة، ص162، 163.

[2] الصياد، المرجع السابق، ج1، ص301، 302.

[3] محمود السيد، التتار والمغول، ص129.

جاء في هذه الرسالة:

" من ملك الملوك شرقاً وغرباً الخان الأعظم بإسمك اللهم باسط الأرض ورافع السماء، يعلم الملك المظفر قطز الذي هو من جنس المماليك الذين هربوا من سيوفنا[1]، إلى هذا الإقليم يتمتعون بأنعامه، ويقتلون من كان سلطانه بعد ذلك، يعلم الملك المظفر وسائر امراء دولته وأهل مملكته بالديار المصرية وما حولها من الأعمال، اننا جند الله في أرضه، خلقنا من سخطه، وسلّطنا على من أحلَّ عليه غضبه، فسلموا غلينا اموركم تسلموا، قبل ان ينكشف الغطاء فتندموا، وقد عرفتم اننا خربنا البلاد، وقتلنا العباد، فلكم منا الهرب، ولنا خلفكم الطلب، فما لكم من سيوفنا خلاص، خيولنا سوابق، وسيوفنا قواطع، وقلوبنا كالجبال، وعددنا كالرمال، ومن طلب حربنا ندم، ومن قصد اماننا سلم، فإن أنتم لشرطنا وأوامرنا اطعتم فلكم مالنا، وعليكم ما علينا، فقد أعذر من أنذر، وقد ثبت عندكم اننا كفرة، وثبت عندنا انكم الفجرة، فأسرعوا إلينا بالجواب قبل أن تضرم الحرب نارها، وترميكم بشرارتها، فلا يبقى لكم جاه ولا عز، ولا يعصمكم منا جبل ولا حرز، فما بقي لنا مقصد سواكم، والسلام علينا وعليكم، وعلى من اتبع الهدى، وخشي عواقب الردى، وأطاع الملك الأعلى"[2].

---

[1] يشير هنا غلى أصل السلطان قطز محمود بن مودود، وامه وأخت السلطان جلال الدين خوارزمشاه، وأبوه ابن عم السلطان جلال الدين منكبرتي، وكان قد أسر في حروب المغول، وبيع في دمشق للسلطان الملك المعز، ثم انتقل إلى القاهرة، أنظر: ابن تعري بردي، النجوم، ج7، ص67، حاشية2، الصياد، المرجع السابق، ج1، ص302، ح2.

[2] المقريزي، السلوك، ج1، ص515.

ثم كتب:

ألا قل لمصرها هلاون قد أتى بجد سيوف تنتضى وبواتر

يصير اعز القوم منا أذلة ويلحق اطفالاً لهم بالأكابر.[1]

فلما وصل رسل هولاكو وتليت الرسالة، استدعى السلطان قطز الأمراء وشاورهم في الأمر، فقال ناصر الدين ميمري: " إن هولاكو خان فضلاً عن انه حفيد جنكيزخان، وابن "تولوي" واخو "منكوخان"، فإن شهرته وهيبته في غنى عن الشرح والبيان، وإن البلاد الممتدة من تخوم الصين إلى باب مصر كلها في قبضته الآن، وقد اختص بالتأييد السماوي، فلو ذهبنا إليه لطلب الامان فليس في ذلك عيب و عار، ولكن تناول السم بخداع النفس واستقبال الموت امران بعيدان عن حكم العقل، إنه ليس بالإنسان الذي يطمأن إليه، فهو لا يتورع عن احتراز الرؤوس، وهو لا يفي بعهده وميثاقه، فإنه قتل فجأة خورشاه والخليفة حسام الدين عكه، وصاحب إربل، بعد ان أعطاهم العهد والميثاق، فإذا ما سرنا إليه فيكون مصيرنا هذا السبيل."[2]

فقال قطز: "والحالة هذه، فإن كافة بلاد ديار بكر وربيعة والشام ممتلئة بالمناحات والفجائع، وأضحت البلاد من بغداد حتى الروم خرابًا يباباً، وقضى على جميع ما فيها من

---

[1] ابن أيبك الدواداري، الدرة الزكية، ج8، ص48.

[2] الهمذاني، جامع التواريخ ، مج2، ج1، ص311، 312.

حرث ونسل، فخلت من الازواج والأبقار والبذور، فلو اننا تقدمنا لقتالهم، وقمنا بمقاومتهم، فسوف تخرب مصر خراباً تاماً كغيرها من البلاد، وينبغي ان نختار مع هذه الجماعة التي تريد بلادنا واحدا من ثلاثة: الصلح او القتال او الجلاء عن الوطن، اما الجلاء عن الوطن فأمر متعذر، ذلك لانه لا يمكن ان نجد لنا مفراً إلا المغرب، وبيننا وبينه مسافات بعيدة" [1].

فاجاب ناصر الدين قيمري "وليس هناك مصلحة أيضا في مصالحهم، إذ انه لا يوثق بعهودهم"[2]، وهنا أثمر ذلك الحوار بإجماع بقية الأمراء على تفويض الأمر إلى المظفر قطز، حيث قالوا له [3] " ليس لنا طاقة ولا قدرة على مقاومتهم ، فمّر بما يقتضيه رأيـك"[4] .

فسارع السلطان قطز إلى إعلان الجهاد ضد المغول، وقال لمن حوله " إن الرأي عندي ان نتوجه جميعاً إلى القتال، فإذا ظفرنا فهو المراد، وإلاَّ فلن نكون ملومين أمام الخلق " [5].

---

[1] الهمذاني جامع التواريخ،مج2،ج1، ص312.

[2] نفسه، ص312.

[3] الغامدي، جهاد المماليك، ص17.

[4] الهمذاني، جامع التواريخ، مج2، ج1، ص 312.

[5] نفسه ،ص313

فاتفق الأمراء بعد ذلك، ثم اختلى السلطان قطز بالظاهر بيبرس البندقدار الذي كان أميراً للأمراء وشاوره في الأمر، فقال بيبرس: "إني أرى أن نقتل الرسل، ونقصد "كتبغا" متضامنين، فإن انتصرنا او هزمنا ، فسوف نكون في كلتا الحالتين معذورين "[1].

استحسن السلطان قطز رأي الظاهر بيبرس، فقام باستدعاء رسل هولاكو، واستقبلهم استقبالاً جافا إيذانا بإعلان الحرب عليهم، ثم قبض عليهم، وكانوا أربعة، فوسّط[2] واحداً بسوق الخيل تحت قلعة الجبل، ووسّط آخر بظاهر باب زويلة، ووسّط الثالث بباب النصر، ووسّط الرابع بالريدانية، وعلقت رؤوسهم على باب زويلة، وابقى السلطان قطز على صبي من الرسل، وجعله من جملة مماليكه،[3] وأمر بالسير للجهاد[4] .

وقد شجعه على اتخاذ هذه الخطوة عاملان:

<u>الأول:</u> وجد من الصعب على نفسه أن تخضع مصر أيضاً لمشيئة كافر مستبد، ورأى هو وجنوده ان الموت مع العزة خيرا لهم من الحياة مع الذلة، وان الخلود في تقديس

---

[1] الهمذاني، جامع التواريخ، مج2، ج1، ص 312.

[2] التوسط: هو ان يضرب الشخص بالسيف ضربة تقطعه إلى نصفين، وكان هذا النوع من الاعدام شائعا بمصر في العصور الوسطى، انظر: مختار العبادي، في التاريخ الايوبي، ص149، حاشية 4.

[3] المقريزي، السلوك، ج1، ص515.

[4] الهمذاني، جامع التواريخ ، مج2، ج1، ص313.

الكرامة البشرية والسمو بها إلى الاستقلال والحرية، فإن عجزوا عن إحرازهما في الأرض، ففي جنة الشهداء المستبسلين متسع للمجاهدين .[1]

الثاني: أدرك ان الظروف قد أصبحت ملائمة، وأن "كتبغا" بجيشه الذي لا يزيد عن عشرة آلاف جندي بعد رحيل هولاكو بمعظم الجيش، لم يكن ليستطيع أن يحتفظ بفتوحاته إلا عن طريق تحالفه مع الصليبيين، الذين لم ولن يتحالفوا معه، وبذلك أصبحت الفرصة مواتية للوقوف امام المغول وقفة موفقة، بل صار الامل كثيرا في الانتصار عليهم.[2]

وفي هذه الأثناء اراد السلطان قطز ان يقطع كل مجال للتردد في الخروج لمواجهة المغول، فأصدر اوامره إلى ولاة الاقاليم المصرية بجمع الجيوش،[3] وحث الناس على الخروج للجهاد في سبيل الله، ونصرة دين رسول الله صلى الله عليه وسلم، وطالب الولاة بإزعاج الأجناد في الخروج للسفر، ومن وُجد منهم قد اختفى يضرب بالمقارع، وسار حتى نزل بالصالحية، وتكامل عنده العسكر، فطلب الامراء وتكلم معهم في الرحيل، فأبو كلهم عليه وامتنعوا عن الرحيل فقال لهم: " يأأمراء المسلمين ! لكم زمان تأكلون اموال بيت

[1] الصياد، المرجع السابق، ج1، ص305

[2] نفسه، ص305.

[3] الغامدي، جهاد المماليك، ص120.

المال، وانتم للغزاة كارهون، وانا متوجه، فمن اختار الجهاد يصحبني، ومن لم يختر ذلك يرجع إلى بيته، فإن الله مطلع عليه، وخطيئة حريم المسلمين في رقاب المتأخرين".[1]

وأمام هذا التصميم الذي ابداه السلطان قطز لمواجهة المغول، والذي أعقبه تحليف من وافقه من الامراء على المسير، ومن ثم إصدار اوامره إلى قواته بالمسير لملاقاة العدو، مهما كانت الظروف ،حيث عبر عن ذلك بقوله " أنا ألقي المغول بنفسي" فلما رأى الامراء مسير السلطان ساروا على كره .[2]

هكذا كان الخوف من المغول قد جعل مهمة السلطان سيف الدين قطز أكثر صعوبة، لأن بعض الأمراء رأوا أن لا فائدة من محاربة هذا العدو الرهيب، وأرادوا النكوص على أعقابهم، وكان لخطبته الحماسية وإصراره على القتال، أثره الواضح في رفع الروح المعنوية لجنوده.[3]

---

[1] المقريزي، السلوك، ج1، ص515.

[2] نفسه، ص515.

[3] قاسم عبده قاسم، السلطان المظفر، ص113.

تمكن السلطان سيف الدين قطز من استقطاب وحدات جيش الملك الناصر يوسف الايوبي، من الناصرية والشهرزورية[1]، عندما وصلوا غلى غزة، كما ضم إلى قواته من تبقى من القوات الخوارزمية ،وقوات امير الكرك الأيوبي.[2]

ونتيجة لتغير الظروف السياسية، وجد امراء المماليط البحرية الذين غادروا مصر إلى بلاد الشام وآسيا الصغرى، منذ أيام المعز أيبك، خوفاً من ان ينالهم ما نال أقطاي يومئذ، وأن واجبهم يقضي عليهم الوقوف غلى جانب السلطان قطز ومساندته، وخاصة بعد انتشار المغول في مدن الشام الكبرى، واستسلام الناصر يوسف ،ومعظم الامراء الايوبيين لهم، وتهديدهم الديار المصرية، فأخذوا يَفدون على القاهرة وعلى رأسهم بيبرس البندقداري.[3]

يقول النويري: "وأرسل الأمير ركن الدرين بيبرس –المذكور– الامير علاء الدين طيبرس الوزيري إلى السلطان الملك المظفر، يستأذنه في الحضور إلى خدمته، –وهو ومن

---

[1] الشهرزورية: نسبة غلى شهرزور، وهي كورة واسعة من الجبال بين إربل وهمذان، احدثها زور ابن الضحاك، ومعنى شهر بالفارسية المدينة، أنظر: الحموي، معجم البلدان، مج3، ص375.

والشهروزية هم الامراء الذين هجروا بلادهم وانتقوا إلى بلاد الشام، هربا من هولاكو، وعددهم ثلاثة ىلاف فارس، أنظر: طقوش، تاريخ المغول، ص163، حاشية1.

[2] ابن سباط، المصدر السابق، ج1، ص391، النويري، نهاير الأرب، ج29، ص301.

[3] طقوش، تاريخ المغول، ص163.

معه- ويلتمس إيمانه لهم ،فأجاب الملك المظفر إلى ما طلب -فتوجه من غزة بمن معه- وكان وصولهم إلى القاهرة في الثاني والعشرين من ربيع الأول سنة 658هـ".[1]

فركب السلطان قطز للقائهم، وأنزل الامير ركن الدين بيبرس بدار الوزارة، وأقطعه قصبة قليوب بخاصة، فأثار الأمير ركن الدين عليه بحرب المغول وقوى عزائمه على ذلك.[2]

وبذلك أضحى المماليك كتلة متراضية، وأضحى السلطان قطز من الصلاحية والسلامة مما جعله يتحدى المغول، وكسب الجولة الاولى قبل أن يخوض المعركة.[3]

وكانت الخطة التي رسمها السلطان قطز لقائده بيبرس تتلخص في أن يزحف بجيوشه لاستطلاع أخبار المغول، ودراسة مواقفهم وخططهم ،وهو شيء جديد لم يشاهد من قبل في حروب المسلمين ضد المغول، إذ كان امراء المدن الاسلامية ، يكتفون بتقوية الحصون عندما تصلهم تهديدات المغول، ويؤثرون السلامة في الدفاع من وراء الأسوار، دون أن ينتبهوا إلى أنهم قد اوقعوا أنفسهم في فخ لا نجاة منه، اما السلطان قطز فقد

---

[1] النويري، نهاية الأرب، ج29، ص301.

[2] نفسه، ص301.

[3] طقوش، تاريخ المغول، ص163

كشفت خطة عن فهمه لفنون الحرب، إذ كان يرى أن الهجوم خير من الدفاع في مقاتلة الأعداء.[1]

تقدم الأمير بيبرس في شعبان 658هـ/1260م، قاصداً غزة، لكي يعرف اخبار المغول،[2] في الوقت الذي كان "كتبغا" قد أقام فيها حامية مغولية تحت قيادة "بيدرا"، وعسكر هو بالقرب من بعلبك.[3]

فأرسل "بيدرا" إلى "كتبغا" يخبره بتحرك جيش مصر، فرد عليه "كتبغا" قائلا: "قف مكانك وأنتظر"، ولكن السلطان قطز داهم "بيدرا" قبل وصول "كيتبغا"، وطارده حتى نهر العاصي"[4].

يقول المقريزي: "...وأمر السلطان قطز الأمير ركن الدين بيبرس، ان يتقدم في عسكر ليعرف اخبار المغول، فسار بيبرس إلى غزة وبها جموع المغول، فرحلوا عند نزوله وملك هو غزة " [5].

---

[1] الصياد، المرجع السابق، ج1، ص306.

[2] طقوش، تاريخ المغول، ص163، قاسم عبده قاسم، السلطان المظفر، ص114.

[3] الصياد، المرجع السابق، ج1، ص306.

[4] الهمذاني، جامع التواريخ، مج2، ج1، ص313.

[5] المقريزي، السلوك، ج1، ص515.

يقول رنسيمان: كان "كتبغا" في بعلبك، فتجهز على الفور للسير إلى وادي نهر الأردن بعد ان يتجاوز بحر الجليل، غير أنه منعه ما حدث من نشوب ثورة المسلمين في دمشق، فتحطمت دور المسيحيين وكنائسهم، واشتدت الحاجة إلى العساكر المغولية لإعادة الأمن إلى نصابه، وفي تلك الاثناء قرر السلطان قطز السير على الساحل الفلسطيني، ثم مضى إلى داخل البلاد، لأقصى الشمال، لتهديد مواصلات "كتبغا"، إذا تقدم نحو فلسطين، ولذا تقرر إيفاد سفارة مصرية إلى عكا، تطلب الإذن باجتياز اراضي الفرنج، والحصول على المؤن الازمة للجيش اثناء مسيره، إذ لم يبذل لهم الفرنج مساعدة حربية فعلية.[1]

يقول المقريزي: " ثم رحل من طريق الساحل على مدينة عكا وبها يومئذ الفرنج، فخرجوا إليه بتقادم وأرادوا أن يُسيروا معه نجدة، فشكرهم وأخلع عليهم، واستحلفهم أن يكونوا لا له و لا عليه، وأقسم لهم أنه متى تبعه منهم فارس أو راجل يريد أذى عسكر المسلمين رجع وقاتلهم قبل أن يلقي المغول."[2]

وهنا نتسائل، لماذا أرفض السلطان قطز تلك المساعدة التي عرضها الصليبيون عليه؟، وللإجابة على هذا، يمكن القول أن قطز كان حريصاً كل الحرص على صبغ حروبه ضد المغول والصليبيين معا بصبغة إسلامية بحتة، كما ان هذا يوحي إلى ان

---

[1] رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص534.

[2] المقريزي، السلوك، ج1، ص516.

السلطام قطز كان مصراً على دحر العدوان المغولي، ومن ثَّم التوجه إلى الساحل الشامي لتطهيره من نير الاحتلال الصليبي، وحرص في الوقت نفسه على ان لا تكون للصليبيين عليه منَّة عند مهاجمتهم .[1]

ويذكر رنسمان أيضاً أن السلطان قطز قاد جيشه على الطريق الساحلي، وعسكر في الحدائق الواقعة خارج عكا عدَّة أيام، وتقررت دعوة عدة امراء لزيارة المدينة، باعتبارهم ضيوف شرف، ومن هؤلاء الأمراء كان الظاهر بيبرس الذي اقترح على السلطان قطز، عقب عودته إلى المعسكر، أنه من اليسير الإستيلاء على الموضع بغتة، غير أن السلطان قطز لم يكن مستعداً أن يكون خائناً، وأنه لا يأمن هجمات المسيحيين الانتقامية، بينما لم ينهزم المغول بعد ، على انه زاد في حيرة الفرنج كثرة زائريهم ولكن سري عنهم وطمأنهم، وما حصلوا عليه من وعد بأن يشتروا بأثمان منخفضة ما يقع في أيدي المسلمين من خيول المغول .[2]

وهكذا أصبحت غزة ملكاً للمسلمين، وتعتبر معركة غزة أولى المعارك التي انتصر فيها المسلمون على المغول، كما يمكن القول أن هذا الانتصار الذي تحقق للمسلمين كان دافعاً قوياً لهم للتقدم إلى الشمال باتجاه عين جالوت، للقاء المغول في موقع أفضل،

---

[1] رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص535، 536، الصياد، المرجع السابق، ج1، ص307، أحمد حطيط، حروب المغول، ص66.

[2] الصلابي، دولة المغول والتتار، ص358، 359.

وخاصة أن تلك الهزيمة التي مني بها جيش الأمير المغولي "بيدار"، لم تقابل بأي اهتمام من القائد المغولي "كتبغا" الذي بقي على جموده، إلى أن وصلت الجيوش الإسلامية إلى عين جالوت .[1]

وقبل الخوض في حوادث معركة عين جالوت، لا باس أن نتعرض، استعداد الطرفان المملوكي والمغولي، خاصة تعداد الجيش والسلاح:

أولاً:الجانب المملوكي:

أ- **تعداد الجيش وخبرته:** كان تعداد الجيش المملوكي، لا يعد ولا يحصى، يقول إبن إياس:" فاجتمع من العساكر مالا يحصى"[2]، ويصفه أبو شامة بقوله:"...فاجتمع معه خلقٌ عظيم.." [3]، وهذا يدل على ان السلطان قطز قد حشد عدداً كبيراً من الجنود، لمواجهة المغول، وكان الجيش المملوكي يتألف من:

1- **الجيش النظامي:** ويتألف من ثلاثة اقسام هي: أجناد الحلقة، وهم قلب الجيش وقوته الضاربة، ويبلغ عددهم في مصر وحدها 24 ألف، وكل ألف منهم بإمرة مقدم،

---

[1] الصلابي،دولة المغول والتتار،ص 358،359

[2] إبن إياس محمد بن أحمد الحنفي المصري، بدائع الزهور في ضائع الدهور، مطابع الشعب، 1960، د، ط، دون بلد نشر، ص79.

[3] أبو شامة،المصدر السابق،ج5،ص317.

اما المماالك السلطانية، فهم إما ينتسبون إلى السلطان القائم، أو السلطان السابق، أو إلى الامراء مقدمي الألوف، ويبلغ عددهم نحو 16 ألف لهؤلاء المماليك التابعين لأمرائهم، ويقدر عددهم نحو سبعة آلاف، فيصل المجموع نحو 50 الف من الضباط، ومراتب النظاميين.[1]

2- **الجيش القبلي:** ويتألف من القبائل العربية في مصر، يذكر ابو شامة، ان السلطان قطز عندما عزم على مواجهة المغول في عين جالوت، خرجت معه العساكر المصرية، ومن انضوى إليهم من العرب وغيرهم،[2] وخاصة من نواحي ولايتي الشرقية والغربية (الواجهة البحرية)، وقد يصل عدد ما تقدمه إلى نحو 20 ألف، وقبائل التركمان، والأكراد المقيمة في مصر، منذ عهد الأيوبيين او اللاجئة إلى مصر، بعد تعرض مواطنها إلى السيطرة من طرف المغول، وقد بلغ جماعة الشهرزوردية وحدها، وهم اكراد عراقيون نحو 300 مقاتل.[3]

3- **الجيش المتطوع:** وهم المتطوعون من أبناء المدن الذين حثهم السلطان قطز على الجهاد والنفير العام، وأغلب هؤلاء المتطوعة قد اسهموا في حركة الجهاد ضد الصليبيين والمغول، حتى تم تطهير بلاد الشام منهم، ولم يكونوا مقصورين على طائفة الأحداث

---

[1] محمد فتحي الشاعر، مصر قاهرة المغول في عين جالوت، دار المعارف، 1995، ص50، 51.

[2] أبو شامة، المصدر السابق، ص317، الغامدي، جهاد المماليك، ص317.

[3] فتحي الشاعر، المرجع السابق، ص51.

الشهيرة التي كان مقرها مدينة دمشق، بل ضمت هذه الطائفة في العهدين الايوبي والمملوكي، اعداد كبيرة من الفقهاء والعلماء ورجال الدين .[1]

وبقايا الجيوش المحلية في بلاد الشام، وهي المعروفة بعساكر الشام، وتضم عدداً من الضباط والمراتب، الذين كانوا في الخدمة العسكرية لبعض الحكومات المحلية في تلك البلاد، والذين اضطروا إلى الانسحاب لمصر، قاعدة الدولة المركزية آنذاك،[2] ويحصيهم إبن شاهين :"بنحو 24 الف مقاتل"،[3] ومن المحتمل ان بضعة آلاف من هذا العدد اتيحت لهم فرصة الإنسحاب إلى مصر، والانضمام إلى جيشها، منهم من كان بخدمة الملك المنصور صاحب حماه، وأخيه الأفضل علي .[4]

ويمكن القول أن قوام الجيش المصري قد بلغ حوالي 20 ألف فرد، غالبيتهم من أبناء المجتمع المصري المتطوعين.[5]

---

[1] الغامدي، جهاد المماليك، ص316.

[2] فتحي الشاعر، المرجع السابق، ص51.

[3] غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، المطبعة الجمهورية، باريس، 1892م، ص105.

[4] فتحي الشاعر، المرجع السابق، ص51.

[5] سامي محمد المرسي، المرجع السابق، ص169، جيمس واترسون، فرسان الإسلام وحروب المماليك، تر: يعقوب عبد الرحمان، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2011، ص108.

وتولى قيادة الجيش المملوكي السلطان سيف الدين قطز،[1] الذي استطاع في وقت وجيز تكوين جيش قوي قادر على الحركة والمواجهة، وساعده القائد بيبرس البندقداري،[2] وتمكن الجيش المملوكي بقيادة السلطان قطز والقائد بيبرس من سحق جيوش المغول في معركة عين جالوت، وقد برهنت هذه المعركة على مدى جسارة وشجاعة القائد بيبرس، خاصة وانه فعليا كان في كل الاوقات في قلب القتال، إذ بسببه تحقق النصر للجيش المملوكي، وللدلالة على مدى ما كان يكنه بيبرس من اهمية لدوره وللجيش بصفة عامة في هذه المعركة ،انه خلد ذكرى هذا الانتصار بإقامة نصب تذكاري في أرض المعركة .[3]

ب- السلاح: لما قامت الدولة المملوكية في ظروف عصيبة، ممثلة في ذلك الصراع الذي كان دائراً بين القوى الإسلامية، والقوى الصليبية، والذي لم تكد نهايته تقترب، حتى فوجئ الشرق الإسلامي، بحركة أخرى أشد هولا وأقسى وقعاً، هي حملات المغول عليه، فقد كان على سلاطين المماليك الذي وجدوا أنفسهم امام خطرين في وقت واحد، أن يهتموا بالحرب وشؤونها والسلاح المستخدم فيها.[4]

---

[1] الذهبي، دول الاسلام، ج2، ص177.

[2] ساهر رافع، قطز قاهر التتار، العالمية للكتب والنشر، ط1، مصر، 2013، ص26، محمود شاكر، المرجع السابق، ج7، ص31.

[3] ساهر رافع، الظاهر بيبرس، ص38، 38.

[4] الغامدي، جهاد المماليك، ص317.

وكان لدور المشاة، فضلاً -عن عددهم- اكبر من دور امثالهم في الجيش المغولي، ومن عددهم بنسبة غير يسيرة ،وكانت تقاليد الفروسية المملوكية تحتم وجود عدد من الاتباع لكل فارس ،ومن الطبيعي أن يكون هؤلاء الاتباع مسلحين، بالإضافة إلى سائر المشاة من المسلحين بالسيوف، والرماح والبلط و الدبابيس، أما الخيالة فكانوا يمثلون القوة المدرعة والسريعة في آن واحد، ومن ناحية أخرى كانوا يستخدمون الجياد العربية المعروفة بقابليتها الفائقة على الحركة.[1]

ثانيا:الجانب المغولي:

أ- **تعداد الجيش وحجمه:** يذكر ابن العبري أن هولاكو لما رحل عن الشام، ترك القائد "كتبغا" ومعه عشرة آلاف فارس من العسكر،[2] وهذا العدد يقل كثيرا عن عدد أفراد الجيش المملوكي، ونحن نشك في هذا التقدير، لأن قائد الجيش المغولي "كتبغا"، كان يحمل أعلى رتبة عسكرية مغلولية وهي "نويان"، ولا تناط به إلى المهمات الكبرى، ويتلقى اوامره من هولاكو نفسه، وهو مع ذلك صديقه وصهره، فلا يعقل أن يتولى قائد بهذه الرتبة، والمنزلة قيادة جيش صغير ،بهذا العدد.[3]

---

[1] فتحي الشاعر، المرجع السابق، ص53.

[2] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص279، 280.

[3] فتحي الشاعر، المرجع السابق، ص47.

وبذكر ابن تغري بردي، "ان القائد "كتبغا" جمع من في الشام من التتار وغيرهم، وقصد محاربة المسلمين، ويذكر أيضاً وعظم الحرب، وثبت كل من الفريقين من كثرة التتار"،[1] وهذا يدل على ان عدد الجيش المغولي كان اكبر مما ذكره ابن العبرى.

كما يشير رنسيمان أن مشاركة عناصر غير مغولية في جيش المغول، بقوله "...وصحب خيالة المغول، كتائب كرجية وأرمينية..."[2]

واختلفت الآراء حول تعداد الجيش المغولي في معركة عين جالوت، فيذكر المؤرخ فايد عاشور بقوله "... فجمع التتار الذين كانوا قد تفرقوا في بلاد الشام، وازداد عددهم عن الثلاثين ألف مقاتل، وقصدوا محاربة المسلمين"[3].

وكان الخيالة النظاميون في جيش "كتبغا" من القوات التي أفرزت بالأصل من قوات جنكيزخان في اواسط آسيا، وإنها لم تصل إلى بلاد الشام إلا بعد خوضها معارك عديدة، واختراقها أراضي واسعة ومتنوعة التضاريس والشعوب، وقضاء نحو ثماني سنوات كاملة – على الأقل– في التعامل مع جيوش إسلامية، بما في ذلك التعرف على طرق قتالها وخططها، وترتيبها، وكانت في معظمها تقوم على حصار المدن والقلاع واقتحامها، لا

---

[1] ابن تغري بردي، النجوم، ج7، ص73.

[2] رنسيمان، الحروب الصليبية، ج3، ص536.

[3] فايد حماد عاشور، العلاقات السياسية بن المماليك والمغو في الدولة المملوكية الاولى، دار المعارف بمصر، 1972، ص51.

الإشتباك في ميادين القتال الفسيحة، ومن الواضح أن دور المهندسين العسكريين والفعلة من منجنيقيين، ورماة، ونقّابين، وناصبي جسور، ورادمي خنادق، يبدوا أكثر بروزا في تلك المعارك، بينما يقل دورهم أو يتلاشى في معارك تجرى في ميادين قتال فسيحة، ومع ذلك فقد أظهر المغول، في عدد من المعارك خبرة واسعة بفنون المناورة، وبخاصة لمناورة ضرب الجناح، حيث استخدموها بنجاح في معركة سمرقند 617هـ-1220م، ومعركة دجيل 656هـ-1258م.[1]

ب- **السلاح:**

عرف عن المغول عند تحرك الجيش، يحمل الجنود كل ما يحتاجونه من أسلحة وغذاء، حتى الإبر والخيوط كانوا يحضرونها لإستعمالها عند الحاجة، ولا تخلوا جعبة الجندي المغولي من عدد كبير من أوتار القسي، ومعها إبرة وشمع لإصلاحها، ومبرد لسن أطراف النبال، ويضع المغول أسلحتهم وأمتعتهم في جعبات من الجلد، يمكن نفخها ليستعينوا بها على اجتياز الأنهار.[2]

تميز الجيش المغولي باعتماده على كتاب الخيالة في مناوراته المختلفة ،وكان الجواد المغولي صغيراً في حجمه، ولكنه يتميز عن بقية أجناس الخيل بسرعته الفائقة، وصبره

[1] فتحي الشاعر، المرجع السابق، ص49.

[2] الصياد، المرجع السابق، ج1، ص362.

وصلابته، وللجندي خمسة جيّاد بدل، وكان الرمح، وهو سلاح الخيالة والمشاة على حد سواء، يتميز بالقصر بالنسبة للرماح العربية، كما كان ضمن الجيش المغولي حاملوا السيوف الهراوات، والرماح والدبابيس، وناقلوا المعدات والأرزاق.[1]

وتولى قيادة الجيش المغولي، القائد "كتبغا"، بتكليف من هولاكو، وكان "كتبغا" يدين بالمسيحية، وفضله هولاكو على غيره من أمراء المغول الكبار الذين كانوا يسيرون في ركابه، ولهم اليد الطولى في تدمير قلاع الإسماعيلية، واقتحام بغداد، ومدن اقليم الجزيرة والشام.[2]

وعرف عن القائد" كتبغا " انه كان عظيماً لدى المغول، ويعتمدون على رأيه وشجاعته وتدبيره، وكان بطلاً شجاعاً مقداماً، خبيراً بالحروب وافتتاح الحصون، والاستيلاء على الممالك، وهو الذي فتح معظم بلاد العجم والعراق، وكان هولاكو يثق به، ولا يخالفه فيما يشير إليه، ويتبرك به.[3]

---

[1] فتحي الشاعر، المرجع السابق، ص50.

[2] الغامدي، جهاد المماليك، ص114.

[3] الباز العريني، المغول، ص260، 261.

المبحث الرابع: حوادث معركة عين جالوت:

عندما علم القائد المغولي "كتبغا" بهزيمة "بيدرا"، صار كأنه بحر من اللهب بسبب الغيرة والغضب وأقبل معتمداً –إلى أقصى حد– على قوته وسطوته[1]، مدفوعاً بدافع الانتقام واثقاً من نفسه ،مؤمنا بأن الجيش المغولي لا يمكن أن يُغلب.[2]

اما السلطان قطز كما ذكرنا سابقا، فقد خرج من مصر بجيشه لملاقاة المغول، "وكان بصحبته الملك المنصور صاحب حماة، وكان الأتابك فارس الدين أقطاي، كل الأمور مفوضة إليه،[3] وسيّر السلطان قطز إلى صاحب حماة، وهو بالصالحية: يقول له: لا تحتفل في مد سماط، بل كل واحد من أصحابك يفطر على قطعة لحم في صولقه[4]، وسافر السلطان بالعساكر من الصالحية ووصل غزة والقلوب وجلة"[5].

---

[1] الهمذاني، تاريخ المغول، مج2، ج1، ص313.

[2] الصياد، المرجع السابق، ج1، ص308.

[3] عندما خرج السلطان قطز من مصر، ترك الاتابك فارس الدين اقطاي المستعرب، نائبا عنه في مصر، أنظر: سحر السّيد، المرجع السابق، ص256.

[4] الصولق: عبارة عن حقيبة كبيرة يعلقها الملوك في الجانب الايمن من حياصته التي يشدها على وسطه: انظر: ابن تغري بردي، النجوم، ج7، ص72، حاشية1.

[5] ابو الفداء، المختصر، ج7، ص245، ابن تغري بردي، النجوم، ج7، ص72.

اجتمع السلطان قطز بالأمراء وحضهم على القتال، وذكرهم بما وقع بأهل الأقاليم من القتل والسبي والحريق، وخوّفهم وقوع مثل ذلك، وحثهم على استنقاذ الشام من المغول ونصرة الاسلام والمسلمين، وحذرهم عقوبة الله، فضجوا بالبكاء وتحالفوا على الاجتهاد في قتال المغول ودفاعهم عن البلاد.[1]

والواقع ان هذه الكلمة التي ألقاها السلطان قطز، أثارت حماس المقاتلين، وألهبت مشاعرهم، فصمموا على التفاني في الجهاد ضد المغول، إلى آخر رمقٍ من حياتهم.[2]

وأما "كتبغا" مقدم المغول على عسكر هولاكو، لما بلغه خروج السلطان قطز، كان بالبقاع، فاستدعى الملك الاشرف، "موسى منصور صاحب حمص" وقاضي القضاة محي الدين، واستشارتهم في ذلك ،منهم من أثار بعدم الملتقى والاندفاع بين يدي السلطان قطز إلى حين قدوم المدد من هولاكو، ليقوى على ملتقي الجيش المصري، ومنهم من أثار بغير ذلك، وتفرقت الآراء، فاقتضى رأي "كتبغا" على الملتقى، وجمع من في الشام من المغول وغيرهم، وقصد محاربة المسلمين، وبصحبته الملك السعيد، ابن الملك العزيز عثمان.[3]

---

[1] المقريزي، السلوك، ج1، ص516.

[2] طقوش، تاريخ المغول، ص163.

[3] ابن تغري بردي، النجوم، ج7، ص73، البونيني، ذيل مرآة الزمان، ص35، الذهبي، تاريخ الاسلام، ج48، ص61، ابن كثير، البداية والنهاية، ج17، ص401.

تقدم الجيش المملوكي باتجاه نهر الأردن بقيادة السلطان قطز، الذي أمر القائد بيبرس ان يسير أمامه ويناوش المغول، ليُضلهم عن تحركات الجيش الرئيسي خلفه، ويستدرجهم إلى عين جالوت،[1] فسار حتى لقي طليعة المغول، فكتب إلى السلطان يعلمه بذلك، فوافاه السلطان في عين جالوت.[2]

وفي يوم 25 رمضان 658هـ/1260م، إلتقى الجيشان المملوكي والمغولي، في عين جالوت، ودارت المعركة بين الطرفين،[3] "والتقى الجمعان وفي قلوب المسلمين وهمٌ عظيم من المغول"[4] ،وقد أدرك السلطان قطز أن جيشه أكبر عددا من جيش المغول، فأخفى قواته الرئيسية في التلال القريبة.[5]

سار "كتبغا" بجيشه حتى نزل بالقرب من عين جالوت، وصعد القائد بيبرس إلى احد التلال ورأى الجيش المغولي، وجهز البريدية في طلب السلطان قطز وقلق وقال: "إنْ وليَّنا

---

[1] بلدة تقع إلى الشمال الغربي من مدينة بسيان، على مسافة 10 كلم، على نهر الجالود، بجوار عين ماء، يطلق عليها الاسم نفسه، ويذكرها السكان المحليون باسم عين جالود، انظر: ابن تغري بردي، النجوم، ج7، ص73، حاشية 3.

[2] المقريزي، السلوك، ج1، ص516.

[3] الصياد، المرجع السابق، ج1، ص309.

[4] المقريزي، السلوك، ج1، ص516.

[5] طقوش، تاريخ المغول، ص164.

كسرنا الإسلام، فجعلوا يقهقرون رؤوس خيلهم حتى نزلوا عن التل إلى الخلف، وضرب المغول حلقة على التل، وتحيز القائد بيبرس بعسكره ،فلم تمض ساعة حتى جائته خمسمائة من فرسان المسلمين، ثم بعد ساعة اخرى لحقتها خمسمائة أخرى، اما المغول فاشتغلوا أيضاً بأخذ أهبتهم واستعدادهم للمعركة.[1]

وقع "كتبغا" في فخ السلطان قطز، يقول الهمذاني، "...وكان قطز قد عبأ الجيش في كمين، وأعده خير إعداد ثم ركب هو بنفسه، وثبت مغ نفر قليل من الجند، وقابل "كتبغا" مع عدة آلاف من الفرسان، كلهم من اهل الحرب والمراس في عين جالوت، فقذف المغول سهامهم وحملوا عل المصريين، فتراجع قطز ولحقت بجنوده الهزيمة"[2] ، وانكسرت مسيرة المسلمين كسرة شنيعة .[3]

فألقى السلطان المظفر قطز خوذته على الأرض وضرخ بأعلى صوته "واسلاماه"، فحمل المسلمون على المغول حملة رجل واحد،[4] والسلطان يشجعهم ويُحسن إليهم الموت،

---

[1] الذهبي، تاريخ الاسلام، ج48، ص61.

[2] الهمذاني،جامع التواريخ،مج2، ج1،ص313.

[3] الذهبي، تاريخ الاسلام، ج48، ص61، ابن تغري بردي، النجوم، ج7، ص73.

[4] المقريزي، السلوك، ج1، ص516، الغامدي، جهاد المماليك، ص123.

وهو يَكُرُ بهم كرة بعد كرة ،حتى نصر الله الاسلام وأعزة، وانكسر المغول وولوا الأدبار على أقبح وجه بعد أن قتل معظم أعيانهم".[1]

يقول الهمذاني "...وأغار المصريون على جنود المغول، وقاتلوهم قتالاً مستميتاً، من الفجر حتى منتصف النهار، ثم تعذرت المقاومة على جيش المغول، ولحقت به الهزيمة آخر الامر"[2].

ويقول ابو الفداء: "...فانهزم المغول هزيمة قبيحة، وأخذتهم سيوف المسلمين، وقتل مقدمهم "كتبغا"، واستوسر ابنه، وتعلق من سلم من المغول برؤوس الجبال، وتتبعهم المسلمون، فأفتوهم وهرب من سلم منهم إلى الشرق..."[3]

وكان "كتبغا" يضرب يميناً وشمالاً غيرة وحميَّة، وكان يكر على أعدائه، فرغب جماعة من اتباعه في الهرب، ولكنه لم يستمع لهم وقال: " لامفر من الموت هنا، فالموت مع العزة والشرف خير من الهرب مع الذل والهوان، وسيصل رجل واحد، صغيراً أو كبيراً، من أفراد هذا الجيش إلى حضرة الملك، ويعرض عليه كلامي قائلاً: أن "كتبغا" لم يشأ ان

---

[1] ابن تغري بردي، النجوم، ج7، ص73.

[2] الهمذاني، تاريخ المغول، مج2، ج1، ص314.

[3] ابو الفداء، المختصر، 37، ص245.

يتراجع، وقد كلله الخجل، فضحى بحياته الغالية في سبيل واجبه، ينبغي ألاَّ يشق على الخاطر المبارك نبأ فناء جيش المغول، وليتصور الملك ان نساء جنوده لم يحملن عاماً واحداً، وأن جياد قطعانه لم تلد المهور، فليدم إقبال الملك، وما دامت نفسه الشريفة آمنة وسالمة، فغنها تكون عوضاً لكل مفقود، إذ أن وجودنا، وعدمنا نحن العبيد والأتباع أمر سهل يسير".[1]

وكان المؤرخين المسلمين منصفين، إذ اعترفوا اعترافاً صريحاً كاملاً، بما يتصف به القائد المغولي "كتبغا،" من صفات المحاربين الشجعان، وبما أبداه من ضروب البطولة المنقطعة النظير في كامل المعارك التي اشترك فيها إلى أن وقع أخيرا في أسر المماليك، فكانت نهائية على أيديهم.[2]

فيقول عنه اليونيني: "... وكان مهيأً مطاعاً في جنده لا يجرؤون على مخالفته أو الخروج عن امره ،وكان يردعهم عن كثير من أفعالهم، وكان إذا أمن احداً وكتب له أماناً كان أقرب إلى الوفاء به من غيره من المغول، وهذا على ما فيه من الغدر.."[3]

---

[1] الهمذاني، تاريخ المغول، مج2، ج1، ص314.

[2] الصياد، المرجع السابق، ج1، ص309، 310.

[3] اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج2، ص34.

ويصفه الهمذاني بقوله: " ورغم ان جنوده تركوه وحده، فقد ظل يكافح ألف رجل إلى أن كبابه جواده في نهاية الأمر فأسر"[1]

وبعد ذلك حُمل إلى السلطان قطز مكبلاً فقال له: "أيها الرجل الناكث العهد .. ها انت – بعد ان سفكت كثيرا من الدماء البريئة، وقضيت على الأبطال والعظماء بالوعود الكاذبة، وهدمت البيوتات العريقة، بالأقوال الزائفة المزورة، قد وقعت أخيراً في الشرك"، فرد "كتبغا" بقوله: "فأنا اذا قتلت على يدك فإني أعلم أن ذلك من الله لا منك، فلا تخدع بهذه المصادقة العاجلة، ولا بهذا الغرور العابر، فإنه حين يبلغ حضرة هولاكوخان نبأ وفاتي، سوف يغلي بحر غضبه ،وستطأ سنابلك خيل المغول البلاد من أذرابيجان حتى ديار مصر، وستحمل رمال مصر في مخالي خيولهم إلى هناك، إن لهولاكوخان ثلاثمائة ألف فارس، مثل "كتبغا"، فافرض انه نقص واحد منهم."[2]

فقال له السلطان قطز، "لا تفخر إلى هذا الحد بفرسان توران ،فإنهم يزاولون اعمالهم بالكر والخداع لا بالرجولة، والشهامة مثل رستم بن داستان"، فرد عليه "كتبغا": "إنني كنت

---

[1] الهمذاني، جامع التواريخ، مج2، ج1، ص314

[2] الهمذاني، جامع التواريخ، مج2، ج1، ص314، 315، ابن تغري بردي، النجوم، ج7، ص74، حاشية 1.

عبداً للملك ما حييت، ولست مثلك ماكراً وغادراً وقائلا لمولاه: "فلا كان رأس، ولا جسد للشرير الذي يقتل مليكه...،"" بادر بالقضاء علي بأسرع ما يمكن حتى لا أسمع تأنيبك"[1].

يقول المقريزي: "فأيده الله بنصره "ويعني السلطان قطز" وقتل كتبغا مقدم المغول"[2].

ويقول اليونيني "...وأما "كتبغا" فلم يفر ولم يكن الفرار من عادته، فثبت وقاتل إلى ان قتل وعجل الله بروحه إلى النار.."[3].

ويقول النويري: "...وقتل "كتبغ"ا فيمن قتل، وانهزم من سلم من المغول..."[4]

ويقول بيرس المنصوري: "....وصدموا "كتبعا" وجموعه صدمة كانت لصدورهم حاطمة ولظهورهم قاصمة، ولأركانهم قاصمة هادمة، فكانت الكسرة عليهم، وقتل "كتبغا" في معركتهم..."[5].

---

[1] الهمذاني، تاريخ المغول، مج2، ج1، ص315، 316.

[2] المقريزي، السلوك، ج1، ص516.

[3] اليونيني، ذيل مرية الزمان، ج2، ص34.

[4] النويري، نهاية الارب، ج29، ص303.

[5] بيبرس المنصوري، التحفة المملوكية في الدولة التركية، تاريخ دولة المماليك البحرية في الفترة من 648 711هـ، تقديم عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة 1987م، ص43، 44.

مما سبق نستنتج ان رشيد الدين الهمذاني قد انفرد برواية الحوار الذي دار بين "كتبغا" والسلطان قطز، فيذكر الطريقة التي قتل بها، فيقول: " فأمر السلطان قطز بقتله ففصلوا رأسه عن جسده،"[1] وقد قيل أن الذي قتل "كتبغا" هو الامير جمال الدين أقوش الشمسي"[2].

وطارد المصريون المغول في جميع انحاء الشام ،حتى شاطئ النهر (الفرات) ،ثم نهبوا معسكر "كتبغا"، وأسروا النساء والأطفال والأتباع، وقتلوا العمال وحكام الولايات، ما عدا عمال دمشق، الذين كانوا قد لاذوا بالفرار عندما علموا بالخبر تلك الليلة.[3]

وليس أدل على تفاصيل معركة عين جالوت وأسرارها من رواية "صارم ابن أزبك عبد الله الأشرفي"[4]، الذي وقع أسيراً في يد المغول إبان غزوهم لبلاد الشام، وقبل الخدمة في صفوفهم وحارب معهم في تلك الواقعة، فروايته لها قيمتها لا بصفة شاهد عيان للموقعة

---

[1] الهمذاني، جامع التواريخ، مج2، ج1، ص316.

[2] ابن كثير، البداية والنهاية، ج17، ص401، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج48، ص62.

[3] الهمذاني، جامع التواريخ، مج2، ج1، ص316.

[4] بدأ صارم الدين أزبك حياته مملوكا عند الملك اشرف موسى صاحب حمص، وشغل وظائف إدارية في الشام، وعاش ببلاد المغول مدة من الزمن، وتوفي حوالي سن الخمسين، فبراير 1281م، شوال 679هـ، بعد أن أعطانا معلومات دقيقية عن المغول، وصورا حية من عاداتهم، تضمنها التاريخ الذي كتبه قرطاي العزي الخازنداري وهو أيضا موظف مملوكي شغل وظائف امير دمشق، وحاجب حلب، ونائب طرابلس، توفي سنة 734هـ 1332م، فوق الستين، والجزء الخاص باخبار صارم الدين أزبك في تاريخ قرطاي العزي، مخطوط بمكتبة الفاتيكان (626، AR) وقد نشره العالم الإيطالي: "Levi Della Vida" تحت عنوان، "غارة التتار على سوريا في 1260م، كما رواها شاهد عيا، ويوجد هذا النص في كتاب كنز الدرر وجامع الغرر، لعبد الله ابن أيبك، أنظر: أحمد مختار العبادي،في التاريخ الأيوبي والمملوكي، ص153، حاشية2.

فحسب، بل للدور الذي لعبه فيها، كما يتضح من النص حيث يقول فيه:[1] " لما أخذ هولاكو حلب، جهز "كتبغانوين" إلى ديار مصر، عاد طالبا للشرق، ثم إنه طلبني، وانعم عليَّ أنعام كثيرة، وردني إلى الشام، وقال لي يا صارم أنت تعلم ما فعلته معك من الخير بخلاف اساتذتك الذي ربوك، وانأ خائف على أولادي الذين سيرتهم الى مصر، لقلة خبرتهم بالبلاد، وأريدك أن ترجع وتكون معهم وتدلهم على المصالح، فانت أخبر ببلادك، وكتب معي كتاباً لأولاده بأن لا يخرجوا لي من خلاف، فلما رديت وجدت المغول مجتمعين على نهر الأردن، والمسلمين قد خرجوا لملتقاهم، فلما رأوني المغول أقبلوا نحوي وترجلوا، وقبلوا عيني،كونهما قريبتي العهد من نظر الخان، ثم أني أنفذت غلامي صفة أنه جاسوس من عندنا، بإشارة "كتبغانوين" وأمرته في الباطن أن يجتمع بالملك المظفر من جهتي، ويهون عليه امر المغول، ويعرفه أن يقوي الميمنة الإسلامية، وان يكون الملتقى عند طلوع الشمس، وقلت: عرفهم طلبي ورنكي، وانهم ساعة يحملوا عليّ انهزمت فإن المغول يتبعوني في الهزيمة، فكان ذلك بعون الله عز وجل."[2]

---

1 سحر السيد، دراسات في تاريخ مصر، ص258.

2 الداوداري أبو بكر عبد الله بن أيبك،كنز الدرر وجامع الغرر، الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية، تحقيق أولرخهارمان، قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني للآثار بالقاهرة، دون طبعة 1971، ج1، ق8، ص56، 57.

وقد أورد القلقشندي رسالة فريدة على لسان السلطان المظفر قطز إلى الملك المنصور نور الدين[1] باليمن ، يبشره فيها بهزيمة المغول، والرسالة قطعة أدبية في وصف المعركة من إنشاء القاضي محي الدين بن عبد الظاهر[2]، ويعترف القلقشندي بأنه تلقفها من أفواه بعض الناس، كان قد عثر عليها في بعض المجاميع فحفظها منه[3]،ومما جاء فيها:

"أعز الله تعالي أنصار المقر الشريف العالي، الممولوي، السلطاني، الملكي المنصوري، وأعلى مناره، وضاعف اقتداره، تعلمه أنه لما كان النصف من شهر رجب، فتح الله تعالي بنصر المسلمين على أعداء الدين، ...ففي أذن الدهر من وقعه صمم، وفي عرنين البدر من نقعه شمم، ترفعه رواة الأسل عن الأسنّه، ويسنده مجّر العوالي عن مجر الأعنه، اما النصر الذي شهد الضرب بصحته، والطعن بنصيحته، فهو أن المغول خذلهم الله تعالى استطاعوا على الأيام، وخاضوا بلاد الشام، واستنجدوا بقبائلهم على الإسلام، فأقلعت بهم طرائق الضلال،وسارت مراكب امانيهم في بحر الآمال، فتلك آمال خائبة، ومراكب للظنون عاطبة، وأقلعوا في البحر بمراكبه، والبر بمواكبه، وساروا وللشيطان فيهم

---

[1] لعله الملك المنصور نور الدين عمر بن علي سلطان الدولة الرسولية باليمن: أنظر: مختار العبادي، في التاريخ الايوبي المملوكي، ص282، حاشية3.

[2] صاحب ديوان الإنشاء أيام السلطان قطز، وبيبرس، وقلاوون، والأشرف خليل، توفي سنة 1292، وله كتاب تشريف الأيام والعصور في سيرة المنصور، تحقيق مراد كامل (القاهرة 1961)، انظر: المرجع نفسه، ص282، حاشية 4.

[3] سحر السيد، دراسات في تاريخ مصر، ص261، العبادي، في التاريخ الأيوبي والمملوكي، ص282.

وساوس، تغرهم أمنية الظنون الحواس، فما وسوس الشيطان كفراً، إلا وأحرقه الإيمان بكوكب،وعساكر المسلمين مستوطنة في مواطنها جاذبة عقبانها...ولم تزل أخبار المسلمين تنتقل إلى الكفار ،وأخبار الكفار تنقل إلى المسلمين، ....إلى ان تراءت العين بالعين، واضطرم نار الحرب بين الفريقين، فلم ترى إلا ضرباً يجعل البرقِ نِظْوَا ...واقتنصت آساد المسلمين المشركين إقتناصاً، ورأى المجرمون النارفظنوا أنهم مواقعوهاولم يجدوا عنها مناصاً،فلا روضة إلا درع ولاجدول إلا حسام ،ولا غمامة إلاّ نقع ولا وبل إلا سهام، ولا مدام إلا دماء ولا نغم إلا صهيل ...وقتل من المشركين كل جبار عنيد ،ذلك بما قدمت أيديهم".[1]

ويذكر الهمذاني ردة فعل هولاكو لما بلغه نبأ وفاة "كتبغا"، وعلم بحديثه في ذلك الموقف، أسف أسفاً شديداً على وفاته، واشتعلت نيران غضبه وقال: "أين أجد خادماً آخر مثله يبدي مثل هذه النوايا الطيبة، ومثل هذه العبودية ساعة هلاكه..."، وقد شمل بعطفه من بقي من عقبه وأعزهم وأكرمهم.[2]

"وفور ورود الخبر بانهزام المغول إلى دمشق ليلة السابع والعشرين، وحملت رأس "كتبغا" مقدم المغول إلى القاهرة، ففر الزين الحافظي ونواب المغول في دمشق، وتبعهم أصحابهم، فامتدت أيدي أهل الضياع إليهم ونهبوهم، فكانت مدة استيلاء المغول على دمشق سبعة أشهر وعشرة أيام"[3].

---

[1] القلقشندي، صبح الأعشر، ج7، ص360، 362.

[2] الهمذاني، تاريخ المغول، مج2، ج1، ص316.

[3] المقريزي، السلوك، ج1، ص517.

"فسارع المسلمون إلى الانتقام من العناصر التي كانت تتعاون مع المغول، وقتلوا فخر الدين محمد بن يوسف بن محمد الكنجي في جامع دمشق، وكان من أهل العلم، لكنه كان فيه شر، وكان رافضياً خبيثاً انظم إلى المغول، وقتلوا أعوان المغول، منهم ابن الماسكيني، وابن النفيل وغيرهما، وتوجهوا إلى دور النصارى ينهبونها ويأخذون ما استطاعوا منها"[1] .

"واحرقوا كنيسة مريم، وهموا بنهب اليهود ، فنهب منهم قليل ثم كفوا عنهم لانهم لم يصدر منهم ما صدر من النصارى"[2]، وعيَّد المسلمون على خبر عظيم.[3]

بعد ذلك تابع السلطان قطز سيره بالجيش حتى دخل دمشق دخول الظافر المنتصر،[4] يقول ابت تغري بردي: " ثم وصل الملك المظفر قطز إلى دمشق مؤيداً منصوراً، فانجبرت بذلك قلوب الرعايا وتضاعف شكرهم لله تعالى، والتقاه أهل دمشق..."[5]، ولكنه في غمرة هذا الترحيب، ووسط هذا الابتهاج، لم ينس السلطان قطز واجباته، بل بادر إلى عقاب

---

[1] ابن تغري بردي، النجوم، ج7، ص75، الذهبي، تاريخ الاسلام، ج48، ص62.

[2] أبو شامة، المصدر السابق، ج5، ص319، الحافظ الذهبي، العبر، ج3، ص288.

[3] ابن العماد، المصدر السابق، مج7، ص503.

[4] الصياد، المرجع السابق، ج1، ص312.

[5] ابن تغري بردي، النجوم، ج7، ص76، المقريزي، السلوك، ج1، ص517.

الخونة وعملاء المغول، وأسرع إلى مكافأة الأبطال العرب من اهل الشام ،الذين بذلوا جهوداً مشكورة في سبيل مواجهة الخطر المغولي.[1]

وفي هذا المعنى قال بعض شعراء دمشق:

هلك الكفر في الشام جميعاً   واستجد الاسلام بعد دحوضه

بالمليك المظفر الملك الأر   وع سيف الإسلام عند نهوضه

ملك حائنا بعزم وحزم   فاعتززنا بسمره وبيضه

أوجب الله شكر ذاك علينا   دائماً مثل واجبات فروضه[2]

وفي نصرة السلطان المظفر قطز، يقول الشيخ شهاب الدين أبو شامة:

غلب التتار على البلاد فجاءهم   من مصر تركي يجود بنفسه

بالشام أهلكهم وبدد شملهم   ولكل شيء آفة من جنسه[3]

---

[1] الصياد، المرجع السابق، ج1، ص312، شوقي ابو خليل، عين جالوت بقيادة الملك المظفر قطز، دار الفكر، ط1، 2005، دمشق، ص85.

[2] ابن الوردي، المصدر السابق، ج2، ص201، ابن الداوداري، المصدر السابق، مج8، ص51.

[3] ابن تغري بردي، النجوم، ج7، ص76.

وبدخول السلطان قطز دمشق، أعلنت سائر بلاد الشام من الفرات إلى حد مصر خضوعها له، ما عدا إمارة الكرك التي كانت في ذلك الوقت في يد الملك المغيث الأيوبي، ثم أخذ يرتب أمور الشام وعيّن عليها النواب، ووزع الإقطاعات على الأمراء[1]، واستناب الأمير علم الدين سنجر الحلبي في دمشق، ومعه الأمير مجير الدين أبو الهجاء بن عيسى بن خشر الأزكشي الكردي، وبعث إليه الملك الأشرف موسى – صاحب الشام نائب هولاكو ببلاد الشام– يطلب الأمان فأمنه، وعيّن المظفر علاء الدين علي بن بدر الدين لؤلؤ صاحب سنجار إلى حلب نائباً بها، وأقر الملك المنصور على حماة وبارين، وأعاد عليه المعرَّة، ورتب الأمير شمس الدين أقوش البرلي العزيزي اميراً بالساحل وغزة، وأمر بقتل حسين الكردي الطبرادار، فشنق لأنه دل على الملك الناصر.[2]

وقد استعدت القاهرة لاستقبال السلطان قطز، وأخذت المدينة زخرفها وازينت، ليرى القائد العظيم ثمرة انتصاره[3]، فغادر دمشق يوم الثلاثاء السادس والعشرين من شوال 658هـ اكتوبر 1260م، في طريقه إلى مصر، وفي تلك الأثناء بلغه تنكر الأمير ركن الدين بيبرس، لعدم حصوله على حلب التي كان قد وعده بها بعد طرد المغول منها، وأوجس السلطان قطز خيفة منه، وأخذ كل منهما يضمر للآخر سوءاً، واتفق بيبرس مع جماعة من

---

[1] الغامدي، جهاد المماليك، ص126.

[2] المقريزي، السلوك، ج1، ص518.

[3] الصياد، المرجع السابق، ج1، ص312.

أصحابه على قتل السلطان المظفر غيلة وهو في طريقه إلى مصر، فلما وصل إلى القصير[1]، ولم يبق بينه وبين الصالحية إلا مسافة بسيطة، فسمح لعسكره بالتقدم إلى الصالحية، وبقي هو مع بعض خواصه بالقصر فخرج للصيد، وتبعه بيبرس ومعه جماعة من اتباعه فقتلوه في السابع عشر من ذي القعدة 658هـ /اكتوبر 1260م.[2]

يقول المقريزي: "فلما رتب السلطان أحوَّال النواب والولاة والشادين ببلاد الشام، خرج من دمشق يريد مصر، بعدما كان قد عزم على المسير إلى حلب، فثناه عن ذلك ما بلغه من تنكر الأمير بيبرس وغيره عليه، فإنه قد عزم على القيام بمحاربته، وسبب ذلك ان الأمير بيبرس كما سأل السلطان ان يوليه نيابة حلب، فلم يرض فتنكر عليه ...فخافه السلطان وأضمر له السوء، وسار إلى جهة مصر، وبلغ بيبرس، فاحترس كل منهما من الآخر، وعمل على القبض عليه، وحدث بيبرس جماعة من الامراء في قتل السلطان"[3]

ويقول ابن الوردي: " فلما وصل إلى القطية بطرف الرمل وبينه وبين الصالحية مرحلة، وقد سبق الدهليز والعسكر إلى الصالحية، قامت أرنب بين يديه، فساق وساقوا عليها، وأبعدوا فتقدم إليه أنص وشفع عند قطز في إنسان فأجابه إلى ذلك ، فأهوى ليقبل

---

[1] القصير: بينها وبين عيذاب ثمانية أيام، وبينها وبين قوس خمسة أيام، وكان فيها مرفأ سفن اليمن، والقصير مدينة وميناء على البحر الاحمر، إزدهرت في عصر البطالسة باسم "برنيس" ويربطها بالأقصر طريق معبد: أنظر: النويري، نهاية الأرب، ج29، ص305، حاشية 1.

[2] الغامدي، جهاد المماليك، ص128.

[3] المقريزي، السلوك، ج1، ص519.

يده وقبض عليها، فحمل عليه بيبرس البندقداري، وضربه بالسيف، واجتمعوا عليه ورموه عن فرسه، ثم قتلوه بالنشاب"[1]

وكان مقتله في شهر ذي القعدة سنة 658هـ، فكانت دولته احدى عشر شهرا، وصار الأمر إلى الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري بعده، ولقب بالملك الظاهر.[2]

"وحمل السلطان قطز بعد ذلك إلى القاهرة، فدفن بالقرب من زاوية الشيخ تقي الدين قبل تعمر، ثم نقله الحاج قطز الظاهري إلى القرافة ودفن قريبا من زاوية ابن عيود"[3]

وهكذا كانت النهاية المأساوية للبطل السلطان سيف الدين قطز، وبغض النظر عن التفاصيل الصغيرة التي اختلفت فيها المصادر التاريخية، فالواضح ان فكرة اغتيال السلطان، وتنفيذها كانت بيد الامير ركن الدين بيبرس البندقداري ،ورفاقه المقربين.[4]

وعليه يمكن القول أن ذلك الإنتصار العظيم الذي حققه المماليك في عين جالوت، وما أعقبه من طرد المغول نهائياً من بلاد الشام، يعتبر من الاحداث الحاسمة ليس في تاريخ مصر والشام ،ولا في تاريخ الامم الإسلامية بمفردها، وإنما في تاريخ العالم بأسره، إذ

---

1 ابن الوردي، المصدر السابق، ج2، ص203.

2 بيبرس المنصوري، المصدر السابق، ص45.

3 المقريزي، السلوك، ج1، ص520،521.

4 قاسم عبده قاسم، السلطان المظفر، ص155.

ان ذلك الانتصار لم ينقذ العالم الإسلامي وحده، بل انقذ العالم الأروبي والمدينة الاوروبية من شر لم يكن لأحد من ملوك أروبا وقتئذ قبل بدفعه، فلو تم للمغول اكتساح الأراضي المصرية، والنفاذ إلى بلاد المغرب الإسلامي، حيث الصحراء الكبرى، التي هي الطريق التقليدي المعروف لدى الغزاة والفاتحين، الذين قاموا بغزو أروبا من الجنوب في العصور المختلفة، لتمكنوا من سلوكه إلى أروبا عبر جزيرة صقلية وجبل طارق.[1]

ومهما يكن من أمر، فإن انتصار المسلمين في معركة عين جالوت، قد دل دلالة قاطعة على ان الإيمان بالله والوطن، كفيل بأن يحقق النصر على الغزاة المعتدين مهما بلغت قوتهم، واشتد بطشهم، وإنه لحري بنا في هذا المقام أن نرفع رؤوسنا اعزازاً وفخراً بالجنود المصريين والسوريين البواسل وعلى رأسهم السلطان قطز، محطم المغول.[2]

المبحث الخامس: نتائج المعركة.

من الثابت تاريخياً ان معركة عين جالوت إحدى المعارك الفاصلة في العصور الوسطى، ولها آثارها ونتائجها المتعددة في التاريخ وأهمها:[3]

---

[1] الغامدي، جهاد المماليك، ص130 131.

[2] الصياد، المرجع السابق، ج1، ص313.

[3] محمد فتحي الشاعر، المرجع السابق، ص64.

1–كانت بمثابة سد منيع حال دون تقدم المغول إلى مصر، وقضت على الخرافة القائلة أن المغول قوم لا يغلبون، ورغم أن الهزيمة لم تلحق بشخص هولاكو، إلا أنها كانت ‘على أية حال ضربة قاصمة حاسمة، انزلها المصريون بجيوش المغول، والأمر الذي لا شك فيه أن تلك الهزيمة، بالإضافة إلى قتل القائد المغولي "كتبغا"، لتعد صدمة عنيفة أصابت هولاكو، فإنه عندما بلغه نغي قائده الكبير تأثر تأثراً شديداً[1]، وقد أراد أن يرسل الجنود مرة ثانية إلى الشام ومصر لينتقم لمقتل "كتبغا"، ولكن الظروف لم تكن تسمح في ذلك الوقت، بسبب وفاة "منكوخان" والخلاف الذي ظهر بينه وبين أقاربه، ولهذا عدل عن هذه الفكرة.[2]

2– ان انتصار المماليك انقذ المسلمين والإسلام من أشد ما تعرضوا له من أخطار، فلو أن المغول نفذوا إلى مصر فما بقي في العالم الإسلامي، من الشرق إلى الغرب، دولة إسلامية قوية، فعلى الرغم من أن المسلمين في آسيا كانوا من وفرة العدد ما لم يكن في وسع المغول إبادتهم، غير انهم لم يألفوا عنصراً حاكماً قوياً، ولو تحقق النصر "لكتبغا" المسيحي، لازداد عطف المغول على المسيحيين، فبلاد العراق وإيران، التي كانت أكبر معقل للإسلام إزاء الفرنج، أضحت بعد سقوط بغداد، مركزاً لبلاط مغولي، شديد العطف على المسيحيين وأضحى البطريك النسطوري، بعد زوال الخلافة، من أهم رجال الدولة

---

[1] الصياد، المرجع السابق، ج1، ص314.

[2] الهمذاني، تاريخ المغول، مج2، ج1، ص317.

المغولية، وصار له سلطان ونفوذ كبير، اما دمشق التي امتنعت على بلدوين الثاني، ولويس السابع، فقد أعلنت خضوعها للقائد المغولي المسيحي "كتبغا"، وإذ احس سكانها المسيحيون بمساندة المغول لهم استطالوا على المسلمين، فحولوا مسجداً إلى كنيسة، وأضحت بلاد الشام يقسمها المغول والصليبيون، فلو تيسر للمغول الانتصار في معركة عين جالوت ،لأمتد سلطانهم إلى ما شاءت إرادة خانهم له من الحدود،[1] ولواصلوا زحفهم إلى ليبيا وبلاد النوبة ولأسترد الفرنج بيت المقدس، وبذلك كان سيتضائل شأن الإسلام، ويتغير مجرى تاريخ الامم الإسلامية جمعاء.[2]

يقول رنسيمان: " فما أحرزه المماليك من انتصار، أنقذ الإسلام من أخطر تهديد تعرض له، فلو ان المغول توغلوا إلى داخل مصر، لما بقي للمسلمين في العالم دولة كبيرة، شرقي بلاد المغرب، ومع أن المسلمين في آسيا كانوا من وفرة العدد ما يمنع استئصال شأفتهم، فإنهم لم يعودوا يألفون العنصر الحاكم..."[3].

---

[1] العريبي، المغول، ص262، 263.

[2] الصياد، المرجع السابق، ج1، ص315.

[3] رنسيمان، الحروب الصليبية، ج3، ص537، 538.

3-وثمة اهمية اخرى كبيرة لانتصار المماليك في هذه المعركة، فقد تم لهم القضاء نهائيا على المعارضة الأيوبية لهم ،وأعادوا الوحدة التي بين مصر والشام، بعد ان أدى ضعف أبناء البيت الأيوبي وتنازعهم إلى تمزيق رباط الوحدة ،التي اجهد كل من نور الدين محمود وصلاح الدين نفسه في بنائها قبل ذلك، والتي كان لا بد من استمرارها لمواجهة الاخطار التي احدقت بالمسلمين في الشرق الادنى، ولكن تقاعس أمراء البيت الأيوبي عند صد المغول وحلفائهم، بل تواطؤ بعضهم مع المغول، واشتراكهم معهم في عين جالوت ضد إخوانهم المسلمين، كل ذلك أفقد بني أيوب أي حق شرعي في الملك، وجعلهم يبدون في نظر الناس بصورة قوية متداعية غير جديرة بحكم المسلمين.[1]

وهكذا يمكننا القول انه بانتصار المماليك في عين جالوت حصلوا على ما كان ينقصهم من مجد لا بد منه، لتثبيت أركان دولتهم، فنسي الناس أصلهم غير الحر، وتناسوا انهم في حقيقة أمرهم مغتصبوا العرش من سادتهم الأيوبيين، ولم يعد الناس يذكرون إلا شيئا واحداً، وهو ان المماليك أنقذوهم من المغول، وان بقاء المماليك في الحكم إنما هو ضرورة لابد منها ،للمحافظة على كيان المسلمين في الشرق الأدنى، وفي ضوء هذه الحقيقة يمكننا ان نقول ان معركة عين جالوت كانت بمثابة الحد الفاصل للصراع بين

[1] الغامدي، جهاد المماليك، ص133.

الأيوبيين والمماليك، فجاءت هذه المعركة إيذاناً بغروب شمس دولة بني أيوب، وارتفاع نجم دولة المماليك.[1]

ومما تجب ملاحظته كذلك، ان نصرة عين جالوت كانت قد سبقتها نصرة سلبية ليس للمماليك انفسهم فيها فضل، وهي ان المقاومة الايوبية التي ظلت تعارض قيام دولة المماليك،وتلح في المطالبة بعرش مصر دونها، وقد انهارت امام الغزو المغولي، وبدا على ملوك الأيوبيين ضعف وتخاذل ،في الوقت الذي ابدى فيه المماليك ثباتاً وصلاحية للبقاء.[2]

4-أخذ المسلمون درسا في الاتحاد والتآزر، فعندما كان يظهر خطر المغول، وتشتد وطأتهم على الشام، كانوا يسارعون إلى تحصين انفسهم بالتضامن، ويسيرون قدما في سبيل الجهاد، حتى استطاعوا تحرير ديارهم من المغول، واستعادوا مكانتهم التقليدية وسط أمم العالم، باعتبارهم رسل الإنسانية ومنقذيها، إذْ أن خطر المغول عمّ البلاد الاسلامية، وامتد إلى أروبا الشرقية، وكان هولاكو وخلفاؤه يفكرون في القيام بغزوا أروبا كلها وتخريبها، وذلك بعد استيلائهم على منطقة الشرق الإسلامي،[3] وهكذا دافع المسلمون عن مصر

---

[1] سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي، في مصر والشام، دار النهضة العربية، ط2، القاهرة، 1976م، ص37.

[2] أحمد مختار العبادي، قيام دولة المماليك الاولى في مصر والشام، ص168.

[3] الصياد، المرجع السابق، ج1، ص316، 317.

والشام، وخلّصوا العالم الاوروبي والمدينة الاوروبية من شر لم يكن لأحد من ملوك أروبا وقتئذ طاقة على دفعه.[1]

فانتصار المسلمين قلب خطط المغول رأسا على عقب، ووقف حائلاً دون غزوهم أروبا ،وبهذا جعل أهلها يدركون أن أبناء الشرق الاسلامي، قادرون على حماية انفسهم بأنفسهم، وأن في وحدة المسلمين وعزتهم كسباً هائلا لمجموعة الأمم العالمية، يضم عضو فعال إليها لديه من الإمكانيات ما يكفل خدمة البشرية، ودفع حضارتها في مدارج الرقي والازدهار.[2]

5- كما ان هذا الانتصار العظيم بعث روحا جديدة في المسلمين، لا سيما مسلمي فارس الذين ارتفعت روحهم المعنوية، وأخذوا يصمدون امام مناورات المسيحيين، وينافسوهم في تبؤ مركز الصدارة في دولة المغول بإيران، وصارو يشرحون للمغول تعاليم الدين الإسلامي، حتى كللت مساعيهم بنجاح باهر، أثمر عن اعتناق المغول في غرب آسيا للدين الإسلامي.[3]

---

[1] فتحي الشاعر، المرجع السابق، ص65.

[2] الصياد، المرجع السابق، ج1، ص316، 317.

[3] الغامدي، جهاد المماليك، ص134.

يقول رنسيمان: "...فما حدث من ازدياد قوة العنصر الاسلامي، واضعاف العنصر المسيحي لم يلبث ان أغوى المغول الذين بقوا في غرب آسيا على اعتناق الإسلام، وعجلت هذه المعركة بزوال الإمارات الصليبية..."[1]

6-توطدت العلاقات بين الحكام المغول الذين اعتنقوا الإسلام في القبجاق، وبين سلاطين المماليك في مصر، وساعد ذلك على انتشار الإسلام بين سكان تلك المناطق، وتوثقت اواصر الصداقة بين كبير القبيلة الذهبية في القبجاق، وهو "بركة بن جوجي بن جنكيزخان"[2] واستقبل بركة عدة سفارات من قبل السلطان المملوكي في مصر، ولم يكن الخان وحده هو المسلم، بل كان نساؤه ورجال حاشيته مسلمين، وكان لكل سيدة ولكل امير إمام ومؤذن، وكانت مدارس تحفيظ القرآن الكريم للصبيان كثيرة، وقد تزوج "بركة" ابنة السلطان بيبرس (1260-1277م)، ومن هذا الزواج ولد اول ابن لبركة، وهو الملك السعيد خان محمد، والمسمى في الوقت نفسه ناصر الدين بركة خان.[3]

---

[1] رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص538.

[2] بركة بن جوجي بن جنكيز خان المغولي، ملك القبجاق وصحراء سوارق، وهي مملكة متسعة إلى الغاية توفي سنة 665هـ، وقد اسلم، وكان يحب العلماء والصالحين، وكان يناصح الملك الظاهر ويعظمه: انظر: ابن تغري بردي، الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق فهيم محمد شلتوت، دار الكتب المصرية، ط2، القاهرة، 1998، ج1، ص189، ابن كثير، البداية والنهاية، ج17، ص471.

[3] بارتلود، تاريخ الترك، ص197، فتحي الشاعر، المرجع السابق، ص66.

7- إن الاهمية الكبرى لهذه المعركة انا نصر لجيوش لازالت في دور التأسيس، تتلمس مختلف الوسائل التي تدعم بها اركانها، فجاء انتصار المماليك في تلك الواقعة خدمة كبرى لهذه الدولة الناشئة، وعاملا من العوامل المؤسسة لها، إذ اخذ العالم الإسلامي ينظر إلى الدولة المملوكية نظرة كلها إجلال وعطف، وروايات المؤرجين في هذه المعركة التي تجاوزت نتائجها الخاطفة كل آمال المسلمين، تشهد بفضل مصر ودولة المماليك.[1]

فيروي الخزرجي "...ثم تقدمت العساكر والجنود فحطت في الجحون، ولم تزل إلى أن قضى ما يجب عليه من الوقوف بعرفة، فوقف في ناية الصخرات ،وطلعت اعلامه الشريفة وأعلام صاحب مصر، فقال له الامير عز الدين محمد بن احمد بن الإمام، هلا أطلعت أعلامك يا مولانا السلطان، قبل أعلام المصريين، فقال له أترانى أؤخر اعلام ملك كسر المغول، بالأمس، وأقدم اعلامي لأجل حضوري..."[2]،وكان ذلك سنة 659هـ، وهذا التصريح يدل على ان دولة المماليك في مصر قد اكتسبت عطفا ونفوذا في العالم نتيجة لهذا النصر.[3]

---

[1] العبادي، قيام دولة المماليك، ص168.

[2] الخزرجي علي بن الحسن، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تصحيح، محمد سبسيوني عسل، د.ت، ط.ط، جامعة كمبردج، 1911، ج1،ص124.

[3] العبادي، قيام دولة المماليك، ص168.

يقول أبو الفداء في نفس الموضوع: "...وتضاعف شكر المسلمين لله تعالى على هذا النصر العظيم، فإن القلوب كانت قد يئست من النصرة على المغول، لاستيلائهم على معظم بلاد الإسلام ،ولأنهم ما قصدوا إقليما إلا فتحوه، ولا عسكر إلا هزموه، فابتهجت الرعايا بالنصرة عليهم..."[1]

وبذلك تكون مصر قد لقنت الشرق الإسلامي مرة اخرى درسا في إخلاصها لوطنها الإسلامي الاكبر، وأثبتت لأبناء الامة الإسلامية، ان أهلها جزء لا يتجزأ منهم، وانها تضحي بكل ما تملك في سبيل إعزازهم ومجدهم.[2]

حيث وجد المغول حينما أغاروا على سورية في النصف الاخير من القرن الثالث عشر في مقاومة المماليك، وشجاعتهم حاجزا يتعذر اقتحامه، وانضمت عدة قبائل إلى الجيوش المصرية فساعدتها على نيل النصر، ولم يتردد بيبرس الذي هو من أشهر ملوك المماليك البحرية في الظهور سياسيا محنكا، كما كان قائدا ممتازا.[3]

8-ومن نتائج انتصار المماليك في عين جالوت، ان احتفظت مصر بما لها من حضارة ومدنية، فلم تترض لما تعرضت له بغداد من الخراب والدمار، وتحطيم كل ما

[1] ابو الفداء، المختصر، ج3، ص245.

[2] الصياد، المرجع السابق، ج1، ص320.

[3] فتحي الشاعر، المرجع السابق، ص66.

كانت تزخر بغداد بالفنون والعلوم والآداب، بينما كانت أوربا تتردى في الجهل، فأضحت القاهرة المركز الجديد للإسلام، إذ هرع إليها عدد كبير من العلماء المسلمين، وأضحوا باعثا لآفاق جديدة للإسلام، وما حدث زمن السلطان بيبرس من احياء للخلافة العباسية، هيأ لمصر أن تصير لها الزعامة والقيادة في العالم الإسلامي.[1]

يقول بروكلمان: "…. وهكذا يتعين علينا أن نذكر فضله العظيم على مصر، لما جنبها من ويلات الغزو المغولي الذي عطل التطور الهادئ في دنيا الإسلام كلها، ما خلا الديار المصرية..."[2]

إن انتصار المماليك في عين جالوت لا يعني ان خطر المغول قد زال من الشام نهائيا، إذ الواقع انهم ارتدوا إرتدادا مؤقتا دون ان يفقدوا الامل في معاودة الهجوم، ولهذا تكررت غاراتهم على بلاد الشام بين حين وآخر طمعا في امتلاكها، وقد حدث هذا طوال حكم المغول في إيران الذي كانت تقابله فترة حكم المماليك في مصر والشام، ولكن استطاعت مصر بفضل حكامها من المماليك في عهد بيبرس وخلفائه ،ان تقف لهذه المحاولات بالمرصاد، فردت الاعداء المرة تلو المرة خائبين مدحورين.

---

[1] العربيني، المغول، ص263.

[2] بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص366.

وهكذا نجحت الامة الإسلامية على يد المصريين والسوريين في الاحتفاظ بالأراضي المقدسة، ودرء خطر المغول والصليبيين عنها، ونحن نقول صراحة ان مصر وحدها هي التي تحملت العبء الاكبر في الدفاع عن المنطقة الاسلامية والعربية، والقضاء على اخطر عدوين هددا هذه المنطقة وهما الصليبيين والمغول.[1]

[1] الصياد، المرجع السابق، ج1، ص320.

خاتمة

خاتمــــــــــة

بعد انجاز هذا البحث الموسوم ب: المغول والعالم الإسلامي من القوة الى الانهزام، في عين جالوت،خلصت الى مجموعة من النتائج ،اجملها فيما يلي:

- يعد القرن السادس الهجري الثاني عشر ميلادي،فترة ظهور المغول،ولم يكن لهم وجود قبل هذه الفترة،بل كانت هناك مجموعة من القبائل المتناثرة ،وسميت بقبائل التتار .
- هناك إختلاف كبير بين قبائل التتار وقبائل المغول، وأن الأولى هي الاقدم في الظهور ،ثم توحدا سوياً على يد جنكيزخان،مع ان أصلهم واحد وهوالاصل التركي.
- اعتنق المغول معتقدات دينية عديدة ،وآمنوا بإله واحد وهو المتحكم في كل شيء،واتبعوا الديانة الشامانية،والديانة البوذية،والوثنية ،والمجوسية، وكان هناك تنافس كبير بين المسيحية والإسلام ، لاستمالة المغول إليها.
- كان للمغول رسوم وتقاليد وآداب ،تتفق وحياتهم الفطرية البسيطة ،الخالية من التكليف والتعقيد،وتتمثل أساسا في المأكل والملبس والمسكن،التى تميز بها المغول عن غيرهم لخصوصية المواد الطبيعية التى اعتمدوا عليها في هذا المجال.
- لتنظيم الحياة العامة لدى المغول،وضع جنكيزخان قانون الياسا،وهو يشبه الدستور، يحتوي على مجموعة من القوانين الصارمة التى تضبط العلاقة بين أفراد المغول،والجيش بمختلف رتبه ومهامه.

خاتمـــــــــة

- إستطاع جنكيزخان وفي فترة وجيزة ،توحيد القبائل المغولية،وتنصيب نفسه خانا على المغول سنة 1206م،بعد أن خاض حروبا عديدة ضد القبائل المتمردة.
- بعد أن أخضع جنكيزخان جميع قبائل المغول والتتار، بدأ في استحداث تنظيمات عسكرية وإدارية تسهل عليه مهمة الحكم وإدارة البلاد وقيادة الجيوش .
- اتبع المغول نظام الجوسسة والدعاية الحربية ،لادخال الرعب والفزع لدى أعدائهم ،بمجرد سماع قدومهم،ومبالغتهم في إظهار قوتهم والتنكيل بأعدائهم.
- كان العالم الإسلامي قبيل الغزو المغولي ،يعاني من تردي الأوضاع السياسية، إذ تفككت الدولة السلجوقية ،وقام على انقاضها عدّة دويلات كان أكبرها الدولة الخوارزمية ،ثم دخلت هذه الدويلات في صراع مستمر مع بعضها البعض ، واستطاعت الدولة الخوارزمية أن تمد نفوذها على المشرق الإسلامي،ودخلت في صراع مع الخلافة العباسية ، ترتب عليه استنزافاً للموارد البشرية والاقتصادية، وانشغل المسلمون بقتال بعضهم البعض،وانصرفوا عن التوحد والجاهد ضد الخطر الخارجي،وكذلك ماحصل من الدولة الخوارزمية من ظلم وسفك لدماء المسلمين.
- استغل اتباع الطائفة الاسماعيلية تردي الاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية في العالم الاسلامي،وبدؤوا في نشر مذهبهم ،وعرف عنهم بأنهم محاربون أشداء، بثوا الرعب في النفوس،وعاثوا في الارض فسادا،وقاوموا سلاطين السلاجقة ،والخلفاء العباسيين،وكان العداء كبير بينهم وبين المسلمين،وعرفوا كذلك

باغتيالاتهم السرية ،واستهدافهم للسلاطين والخلفاء وقادة الجيوش،وهو ماساهم فيضعف المسلمين سياسيا وعسكريا.

- كانت الخلافة العباسية في هذه الفترة ضعيفة من الناحية السياسية، وأصبحت منحصرة في العراق العربي وخوزستان ، ولم تعد قادرة على بسط سلطانها على ما جاورها من الأقاليم ، ولم يبق لها إلا النفوذ الروحي فقط، وأدى النزاع بين السلطان الخوارزمي والخليفة العباسي الى استنزاف القوى في كلتا الدولتين ،بحيث أنه سهل على المغول اكتساحهما بعد ذلك.

- كانت بلاد الشام ومصر بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي ،بيد خلفائه السلاطين الأيوبيين ،وكانوا منقسمين على أنفسهم، ينافس بعضهم بعضاً، ويحقد الواحد منهم على الآخر، ليس لهم رابطة تجمعهم، وكانوا منشغلين بصد الحملات الصليبية، فلما شن المغول غاراتهم على المشرق الإسلامي، كان من الطبيعي أن يقف حكام وسلاطين هذه المنطقة في حالة عجزٍ تام عن مدّ يد العون الى اخوانهم في الشرق ، ووقفوا ينتظرون ما سيحل بهم.

- كانت الدولة الخوارزمية بمثابة السد المنيع بين المغول والمشرق الاسلامي، وبسقوطها أصبح الطريق مفتوحاً أمام المغول ،دون ان ننسى دور السلطان الخوارزمي في غزو المغول لدولته،بقتله تجار جنكيزخان ،وشدة رده على رسالته وعدم تسليم من تسبب في ذلك.

خاتمـــــــــة

- أدرك المغول عندما كانوا يفكرون في غزو الخلافة العباسية ،أن طائفة الإسماعيلية ستكون شوكة في ظهورهم ،وأنها قد تحول بينهم وبين تحقيق أطماعهم في السيطرة على القسم الغربي من العالم الاسلامي،واعمالهم الاجرامية وظلمهم للمسلمين الذين كانوا تحت حكم المغول ،جعل هؤلاء يشكونهم الى "منكوخان"، ليتخلصوا من شرهم وفساده، وأمام هذه الاسباب زحف المغول على قلاع هذه الطائفة وقضوا على أتباعها.
- بعد سقوط الدولة الخوارزمية والطائفة الاسماعيلية ،جاء الدور على الخلافة العباسية ،والتى وصفت وشبهت عشية الغزو المغولي"بالامبراطورية الرومانية من قبل ،وقد اصبحت كعليل على فراش الموت، فانتهز اللصوص فرصة مرضه للاجهاز عليه،والانقضاض على ميراثه"،بالاضافة الى اعتلال الإدارة ،وشغب الموالي،وتطاولهم على الخلافة، كان له أعظم أثر في وهن السلطة المركزية ،مما سهل غزو المغول ،وفتح لهم الطريق الى بغداد.
- أدى ضعف شخصية الخليفة العباسي المستعصم بالله ،واعتماده على غيره في الرد على مراسلات هولاكو والتفاوض معه ،الى تسريع غزو المغول لبغداد،ودور وزيره ابن العلقمي في ذلك.
- أشارت أغلب المصادر الاسلامية الى خيانة ابن العلقمي،وتدخله في أمر محاصرة بغداد لصالح المغول، وتحريضه على قتل الخليفة العباسي، وسبب ذلك هو حادثة

نهب الكرخ ،وتخريب مشهد الامام موسى الكاظم ،على يد ابي بكر بن الخليفة المستعصم ،وما تبع ذلك من قسوة وإهانة لحقت بالشيعة ،فتأثر الوزير الشيعي تأثرا كبيرا ،وصمم على ان يساعد هولاكو في الاستيلاء على بغداد،والقضاء على الخلافة ،لذلك كان يرسل الرسل سرً الى هولاكو ليطلعه على ضعف الخليفة ،ويهون من شأنه ، وليسهل لهم مهمة غزو بغداد.

- يعد سقوط بغداد،وزوال الخلافة العباسية التى استمرت قائمة أكثر من خمسة قرون، من أكبر الوقائع التي حدثت في التاريخ، وكان لهذا الحدث أسوأ الأثر في نفوس المسلمين جميعاً.
- أدى سقوط بغداد الى بهجة وفرحة المسيحيين،وهللوا لهولاكو وزوجته المسيحية،كما شجع النساطرة وباركوا عمل هولاكو هذا،وكأن غزو بغداد حملة صليبية نسطورية.
- بعد سقوط بغداد توجه هولاكو مباشرة الى بلاد الشام ،حيث استولى على حلب ودمشق،وعمّ الرعب والخوف سائر أرجاء بلاد الشام،وهرب الناس بإتجاه الأراضي المصرية.
- أدى سقوط بلاد الشام إلى التلاحم بين المغول والمسيحيين الشرقيين، الذين ازداد عددهم في الجيش المغولي، وشاركوا في إقتحام مدن الشام ،حيث تطاولوا على المسلمين واعتدوا على مقدساتهم .

خاتمـــــــــــة

- عرف عن السلطان سيف الدين قطز انه كان حكيما وقائدا بارعا،وفور توليه حكم مصر ،رفع الروح المعنوية للحكام الايوبيين ،ودعاهم الى التضامن والتآزر ضد العدو المشترك،كما سارع الى خلق تعاون وثيق بين الشام ومصر ،وتوحيد جيوشهما لصد الغزو المغولي.
- ارسل هولاكو الى السلطان قطز سنة 658هـ-1259م،رسالة تحمل كل معاني التهديد والوعيد ،يدعوه فيها الى الاستسلام ،وتقديم فروض الطاعة للمغول،إلا ان السلطان قطز اختار المواجهة والجهاد في سبيل الله.
- استعد الطرفان للمعركة ،وتفاوتت الاستعدادات بين المماليك والمغول،والشئ الملاحظ أن كلا الطرفان لم يدخر قوة إلا واعتمد عليها في هذه المعركة.
- تعتبر معركة غزة ،أولى المعارك التي انتصر فيها المسلمون على المغول،وهذا الانتصار حفزهم للمشاركة بقوة في معركة عين جالوت ،وتحقيق الانتصار الاكبر.
- تعد معركة عين جالوت من المعارك التاريخية الهامة، حيث لقي المغول لأول مرة في تاريخهم هزيمة حاسمة،وتعرض جيشهم للدمار ،على يد المماليك.
- كانت هذه المعركة ضربة قاسية ألحقها المماليك بالمغول،ويعد مقتل القائد "كتبغا" صدمة أثابت هولاكو ،وتأثر تأثرا ديدا لما بلغه خبر مقتل قائده.
- سيطر المماليك بعد معركة عين جالوت،على بلاد الشام كلها حتى نهر الفرات،وحققوا وحدة بلاد الشام ومصر.

خاتمـــــــــة

- بث النصر في عين جالوت روحاً جديدة في المسلمين ،وخاصة مسلمي إيران الذين كانوا تحت الحكم المغولينفقوى موقفهم ،وصمدوا أمام تحديات النصارى ، كما نافسوهم على تبوّء الزعامة والصدارة في دولة المغول الالخانيين.
- توطدت العلاقة بين المماليك وبين الحكام المسلمين من المغول في بلاد القبجاق، وتحالف الفريقان ضد عدوهما المشترك المتمثل في أسرة هولاكو بإيران.
- إن ما حققه المماليك من انتصار في عين جالوت ،أنقذ المسلمين من أشّد ما تعرضّوا له من أخطار،فلوا ان المغول انتصروا وتوغلوا داخل مصر ،لوصلوا الى بلاد المغرب الاسلامي، وسقط العالم الاسلامي نهائياً.
- أدى إنتصار المماليك في عين جالوت الى فشل سياسة الصليبيين في الشرق الأدنى القاضية الى التحالف مع المغول ضد المسلمن،وادى كذلك الى تعجيل زوال الإمارات الصليبية في الشام.
- وفي الاخير نقول ان العلاقات بين العالم الاسلامي والمغول منذ ظهورهم الى غاية انهزامهم ،تميزت بالا استقرار والحروب الدائمة ،القائمة على حب سيطرة المغول وتوسعهم على حساب ممتلكات المسلمين .
- كما اننا لاننكر الدور الذي لعبه حكام المغول بعد اعتناقهم للإسلام في ارسائه، والمساهمة في الحضارة الاسلامية ،وهو ما يمكن ان يتم البحث فيه اكثر من طرف الباحثين.

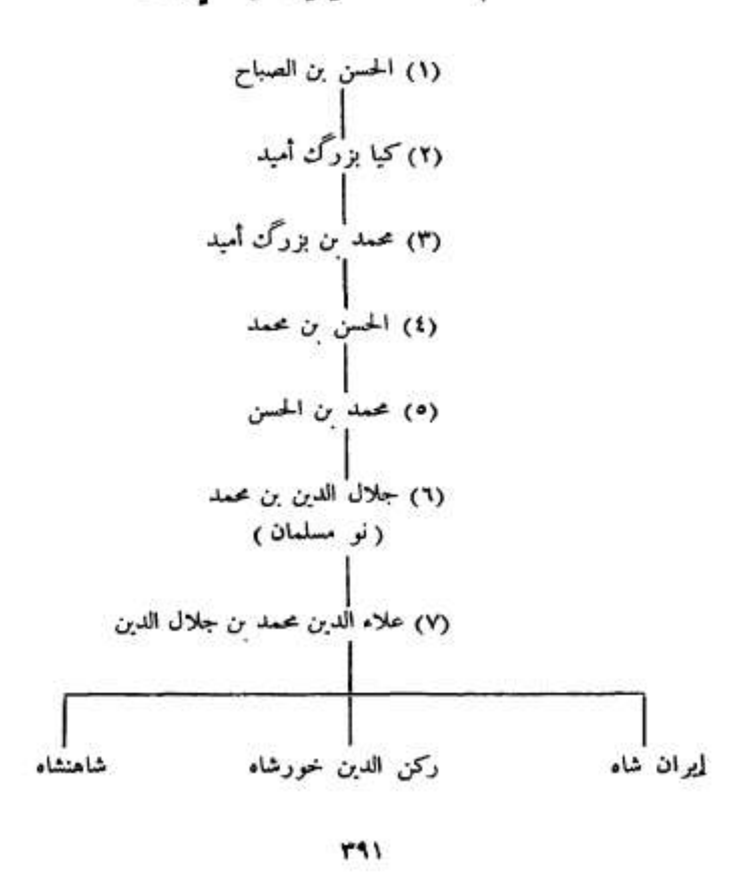
الملاحق

الملحق رقم :01



الصياد ،المرجع السابق،ص421.

الملحق رقم :02



الصياد ،المرجع السابق،ص 391.

الملحق رقم:03



أحمد حافظ حمدي،الدولة الخوارزمية والمغول،ص317.

الملحق رقم :04



سامي بن عبد الله بن احمد المغلوث،اطلس تاريخ العصر المملوكي،مكتبة العبيكان،ط1،2013،الرياض،ص 24

الملاحق

الملحق رقم 5-زحف المغول نحو قلاع الاسماعيلية



المغلوث،المرجع السابق ،ص27

الملاحق

الملحق رقم :.06.زحف المغول نحو بغداد وسقوط الخلافة العباسية.



الملغوث،المرجع السابق،ص29

الملحق. رقم:.07 .زحف المغول نحو حلب



الملغوث،المرجع السابق،ص39

الملحق رقم :.08..معركة عين جالوت



المغلوث ،المرجع السابق،ص 47

الملحق رقم 09 :الرسائل المتبادلة بين هولاكو والخليفة العباسي المستعصم بالله قبيل الغزو المغولي لبغداد سنة 656هـ[1]

بلغ هولاكوخان الدينور فى التاسع من ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وستمائة قاصدا بغداد، ثم قفل راجعا ومضى إلى همدان ،فى الثانىعشر من شهر رجب من تلك السنة . وفى العاشر من رمضان أرسل إلىالخليفة رسولا يتهدده و يتوعده قائلا : « لقد أرسلنا إليك رسلنا وقت فتح قلاع الملاحدة ، وطلبنا مددا من الجند ، ولكنك أظهرت الطاعة ولم تبعث الجند . وكانت آية الطاعة والاتحاد، أن تمدنابالجيش عند مسيرنا إلى الطغاة ؛ فلم ترسلإلينا الجند، والتمست العذر . ومهما تكن أسرتك عريقة ، و بيتك ذا مجد تليد . . .

شعر :

فإن لمعان القمر قد يبلغ درجة ،

يخفى معها نور الشمس الساطعة .

ولابد أنه قد بلغ سمعك على لسان الخاص والعام ، ماحل بالعالم والعالمين على يد الجيش المغولى ، منذ عهد جنكيزخان إلى اليوم ، والذل الذى حاق بأسر الخوارزمية والسجلوقية وملوك الديالمة والأتابكة وغيرهم ،ممن كانوا ذوى عظمة وشوكة ،وذلك بحول الله القديم الدائم ، ولم يكن باب بغداد مغلقا فى وجه أية طائفة من تلك الطوائف ،واتخذوا منها قاعدة ملك لهم . فكيف يغلق فى

وجهنا رغم مالنا من قدرة وساطان؟ ولقد نصحناك من قبل . والآن نقول لك: احذر الحقد والخصام ، ولاتضرب المخصف بقبضة يدك ، ولاتلطخ الشمس بالوحل فتتعب .

ومع هذا فقد مضى ما مضى ؛ فإذا أطاع الخليفة فليهدم الحصون ، ويردم الخنادق، ويسلم البلاد لابنه ، ويحضر لمقابلتنا ، وإذا لم يرد الحضور ، فليرسل كلا من الوزير وسليما نشاه والدواتدار؛ ليبلغوه رسالتنا دون زيادة أونقص .فإذا استجاب لأمرنا فلن يكون من واجبنا أن نكن له الحقد ، وسنبقى له على دولته وجيشه ورعيته . أما إذا لم يصغ إلى النصح ، وآثر الخلاف والجدال ، فليعبئ الجند ، وليعين ساحة القتال ؛ فإننا متأهبون لمحاربته ، وواقفون له على استعداد. وحينما أقود الجيش إلى بغداد، مندفعا بسورة الغضب ، فإنك لو كنت مختفيا فى السماء أوفى الأرض ..

شعر :

– فسوف أنزلك من الفلك الدوار ،
وسألقيك من عليائك إلى أسفل كالأسد .
– ولن أدعَ حيا فى مملكتك . . . ،
وسأجعل مدينتك وإقليمك وأراضيك طعمة للنار.

فإذا أردت أن تحفظ رأسك وأسرتك ؛ فاستمع لنصحى بسمع العقل والذكاء ، وإلا فسأرى كيف تكون إرادة الله » .

وبعدما بلغ الرسل بغداد وبلغوا الرسالة ، أوفد الخليفة شرف الدين بن الجوزى، وكان رجلا فصيحا ومعه بدر الدين محمود وزنكى النخجوانى [1] بصحبة الرسل ، وأجاب قائلا : « أيها الشاب الحدث ! ... المتمنى قصر العمر، ومن ظن نفسه محيطا ومتغلبا على جميع العالم مغترا بيومين من الإقبال ، متوهما أن أمره قضاء مبرم وأمر محكم . لماذا تطلب منى شيئا لمن تجده عندى .

شعر :

كيف يمكن أن تتحكم فى النجم وتقيده ،

بالرأى والجيش والسلاح .

ألا ليعلم الأمير أنه من الشرق إلى الغرب ، ومن الملوك إلى الشحاذين ، ومن الشيوخ إلى الشباب ممن يؤمنون بالله ويعملون بالدين ، كلهم عبيد هذا البلاط وجنود لى. إننى حينما أشير بجمع الشتات ،سأبدأ بحسم الأمور فى إيران، ثم أتوجه منها إلى بلاد توران ، وأضع كل شخص فى موضعه. وعندئذ سيصير وجه الأرض جميعه مملوءا بالقلق والاضطراب .غير أنى لا أريد الحقد والخصام ، ولا أن أشترى ضرر الناس وإيذاءهم ، كما أننى لا أبغى من وراء تردد الجيوش، أن تلهج ألسنة الرعية بالمدح أو القدح؛ خصوصا وأننى مع الخاقان وهولاكو خان، قلب واحد ولسان واحد .وإذا كنت مثلى تزرع بذور المحبة فما شأنك بخنادق

رعيتي وحصونهم . فاسلك طريق الود، وعد إلى خراسان . وإن كنت تريد الحرب والقتال . . .

شعر :

ـ فلاتتوان لحظة ولاتعتذر ،

إذا استقر رأيك على الحرب .

ـ إن لى ألوفا مؤلفة من الفرسان والرجالة ،

وهم متأهبون للقتال .

وإنهم ليثيرون الغبار من ماء البحر وقت الحرب والطعان .

وعلى هذا النحو بلغ الرسالة ، وصرف الرسل مع بعض التحف والهدايا .

[1] الهمذاني ،جامع التواريخ ،مج 2،ج1،ص268،269،270.

الملحق رقم 10:رسالة هولاكو إلى السلطان قطز سنة656ه[1]

"من ملك الْمُلُوك شرقاً وغرباً القان الْأَعْظَم بِاسْمِك اللَّهُمَّ باسط الأَرْض وَ ا رفِع السَّمَاء يعلم الْملك المظفر قطز الَّذِي هُوَ من جنس المماليك الَّذين هربوا من سُيُوفنَا إِلَى هَذَا الإقليم يتنعمون بإنعامه وَيقْتلُونَ من كَانَ بسلطانه بعد ذَلِك .يعلم الْملك المظفر قطز وَسَائِر أُمَ ا رء دولته وَأهل مَمْلَكَته بالديار المصرية وَمَا حولهَا من الْأَعْمَال أَنا نَحن جند الله فِي أرضه خلقنَا من سخطه وسلطنا على من حل بِهِ غَضَبه .فلكم بِجَمِيعِ الْبِلَاد مُعْتَبر وَعَن عزمنا مزدجر فاتعظوا بغيركم وَأَسْلمُوا إِلَيْنَا أَمركُم قبل أَن ينْكَشف الغطاء فتندموا وَيعود عَلَيْكُم الْخَطَأ .فَنحْن مَا نرحم من بَكَى وَلَانرق لمن شكا وَقد سَمِعْتُمْ أننا قد فتحنا الْبِلَاد وَطَ هِرْنَا الأَرْض من الْفساد وقتلنا مُعظم الْبِلَاد فَعَ ليْكُم بالهرب وعلينا بِالطَّلَبِ .فَأَي أَرض تأويكم وَأي طَرِيق تنجيكم وَأي بِلَاد تحميكم .فَمَا من سُيُوفنَا لاص وَلَا من مهابتنا مناص .فخيولنا سوابق وسهامنا خوارق وسيوفنا صواعق وقلوبنا كالجبال وعددنا كالرمال .فالحصون لدينا لَا تمنع والعساكر لقتالنا لَا تَنْفَع ومطركم علينا لا يسمع فإنكم أكلتم الح ا رم ولا تعفون عند الكلام وخنتم العهود والأيمان وَفَشَا فِيكُم العقوق والعصيان .فأبشروا بالمذلة والهوان فاليوم تُجْزونَ عَذَاب الْهون بِمَا كُنْتُم تستكبرون فِي الأَرْض بِغَيْر الْحق وَبِمَا كُنتُم تفسقون وَسَيعْلَمُ الَّذين ظلمُوا أَي مُنْقَلب يَنْقَلِبُون فَمن طلب حربنا نَدم وَمن قصد أماننا سلم .فَإِن أَنْتُم لشرطنا ولأمرنا أطعتم فلكم مَا لنا وَعَلَيْكُم مَا علينا وَإِن خالفتم هلكتم فَلَا تهلكوا نفوسكم بِأَيْدِيكُمْ.فقد أعذر من أنذر وَقد ثَبت عنْدكُمْ أَن نَحن الْكَفَرَة وَقد ثَبت عندنَا أَنكُمْ الفجرة وَقد سلطنا عَلَيْكُم من لَهُ الْأُمُور الْمقدرَة وَالْأَحْكَام الْمُدبرَة فكثيركم عندنَا قَلِيل وعزيزكم عندنَا ذليل وَبِغير الإهانة لملوككم ما عندنَا سَبِيل .فَلَا تطلوا الْخطاب وأسرعوا برد الْجَواب قبل أَن تضرم الْحَرْب نارها وترمى نحوكم شِ ا ررهَا فَلَا تَجِدُونَ منا جاهاً وَلَا ع ا ز وَلَا كَافِيا وَلَا حرْ ا ز .وتدهون منا بأعظم داهية وتصبح بِلَادكُمْ مِنْكُم خَالِيَة . فقد أنصفنا إِذْ ا رسلناكم وأيقظناكم إِذْ حذ رناكم فَمَا بَقِي لنا مقصد سواكم، وَالسَّلَام علينا وَعَلَيْكُم وعَلى من أطَاع الْهدى وخشي عواقب الردى وأطاع الْملك الْأَعْلَى.

ألا قل لمصرها هلاون قد أتى بحد سيو، تنت يصير أعز القوم منا أذلة ويلحق أطفالا لهم بالأكابر

[1] المقريزي ،السلوك ،ج1،ص514،515.

الملاحق

الملحق رقم: 11.مخطط معركة عين جالوت



الملغوث،المرجع السابق،ص48

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

1. –القرآن الكريم
2. ابن أبي حديد، حملات الغزو المغولي للشرق، تر، مختار جبلي، دار لامارتون، باريس،1940.
3. ابن الأثير عز الدين علي ابن محمد بن عبد الكريم، الكامل في التاريخ،ر،ج،محمد يوسف الدقاق، دارالكتب العلميةط4،بيروت،2004،مج10
4. ابن الجوزي أبي الفرج عبد الرحمان علي ابن محمد،المنتظم في تاريخ الملوك والامم،تح،محمد عبد القادر عطا،مصطفى عبد القادر عطا،ط1،دار الكتب العلمية،لبنان،1992م، ج17.
5. ابن الدقماق صارم الدين بن محمد بن يدمر العلائي، نزهة الأنام في تاريخ الإسلام، تحقيق، سمير طباره، المكتبة العصرية ط1، بيروت، 1999.
6. ابن العبري غريغوريوس أبي الفرج جمال الدين الملطي ، تاريخ الزمان، تر، اسحاق ارملة، دار المشرق، بيروت 1986 .

7. ابن العبري غريغوريوس ابي الفرج جمال الدين الملطي، تاريخ مختصر الدول، دار الأفاق العربية ،ط1،القاهرة ،2001م

8. ابن العماد شهاب الدين ابي الفلاح عبد الحي بن احمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي المعروف ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تحقيق، محمود الأرناؤوط، دار بن كثير، ط1، دمشق، 1991، مج7

9. ابن العميد المكين جرجس أبي الياس ابن ابي المكارم النصاري،أخبار الأيوبيين، د،ط، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة .

10. ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة تحقيق، مهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م.

11. ابن الكازوني، ظهر الدين علي بن محمد البغدادي، مختصر التاريخ، من أوّل الزمان الى منتهى دولة بني العباس، تحقيق، مصطفى جواد، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة بغداد 1970.

12. ابن إياس محمد بن أحمد الحنفي المصري، بدائع الزهور في ضائع الدهور، مطابع الشعب، 1960.

13. ابن أيبك الداوداري أبو بكر عبد الله ، كنز الدرر وجامع الغرر، الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية، تحقيق أولرخهارمان، قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني للآثار بالقاهرة، دون طبعة 1971، ج1، ق8.

14. ابن تغري بردي جمال الدين أبي المحاسن يوسف الاتابكي ،النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،دار الكتب العلمية ،ط1،لبنان،1992م،ج7

15. ابن تغري بردي، الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق فهيم محمد شلتوت، دار الكتب المصرية، ط2، القاهرة، 1998، ج1.

16. ابن الجوزي سبط شمس الدين أبي المظفر بن عبد الله، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تح، ابراهيم الزيبق دار الرسالة العالمية، ط1، سوريا، 2013م، ج22.

17. ابن خلدون عبد الرحمان محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاهدهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة العلمية للمطبوعات، بيروت، 1391هـ/ 1971م، ج5.

18. ابن خلدون عبد الرحمان، العبروديوان المبتدأ و الخبر، تحقيق، سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، 2000، ج5.

19. ابن خلدون، الخبر عن دولة التتر،تاريخ المغول من كتاب العبر،تح،أحمد عمراني،دار الفرابي،ط1،بيروت،2013.

20. ابن خلكان ابي العباس شمس الدين احمد بن ابي بكر، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان(607هـ-681م)، تح، احسان عباس، دار صادر، بيروت،مج5.

21. ابن سباط حمزة احمد بن عمر المعروف ،تاريخ ابن سباط، تحقيق، عمر عبد السلام تدمري، جروس برس ، ط1، طرابلس، 1993، ج1.

22. ابن شاهين الظاهري غرس الدين خليل ، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، المطبعة الجمهورية، باريس، 1892م.

23. ابن شداد بهاء الدين ، النوادر السلطأنية والمحاسن اليوسفية ، او سيرة صلاح الدين ، تح جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، ط2، 1994، القاهرة.

24. ابن عرب شاه،فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، تحقيق حسن عاصي، دار المواسم بيروت، 1995.

25. ابن فضلان أحمد بن العباس بن راشد بن حماد، رسالة ابن فضلان، تحقيق سامي الدهان، مطبوعات المجمع العلمي الغربي بدمشق.

26. ابن كثير الحافظ عماد الدين ابي الفدا اسماعيل البداية والنهاية، تحقيق، عبد الله بن عبد الرحمان التركي، هجر للطباعة، مصر، ط1، 1999م.

27. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، الطبعة الخامسة، لبنان، 1992، مج6،

28. ابن نظيف الحموي، التاريخ المنصوري، تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، تح، ابو العيد دودو، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1990.

29. ابن واصل جمال الدين محمد بن سالم (ت 697هـ)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق ومراجعة حسنين وسعيد عبد الفتاح عاشور، مركز تحقيق التراث بدار الكتب والوثائق القومية، مصر، د،ت، ج4.

30. ابن واصل، جمال الدين محمد، مفرج الكروب في اخيار بني ايوب،تح،جمال الدين الشيال،دار الكتب والوثائق القومية ،المطبعة الأميرية ،1957،ج1.

31. أبو الفداء عماد الدين اسماعيل ،المختصر في أخبار البشر، تحقيق محمد زينهم غرب وآخرون، دار المعارف، القاهرة ط1، ج1

32. أبو الفداء عماد الدين اسماعيل،التبر المسبوك في تواريخ الملوك، تحقيق محمد زينهم محمد غرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1995.

33. ابو شامة شهاب الدين عبد الرحمان بن اسماعيل ابن ابراهيم ابن عثمان المقدسي الدمشقي الشافعي،كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ،تع،ابراهيم شمس الدين،دار الكتب العلمية ،لبنان،ج4

34. الاصطخري أبي اسحاق ابراهيم بن محمد بن الفاسي الكرخي(346 هـ/ 957 م)،المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، 2004.

35. الاصفهاني ابي عبد الله محمد بن محمد بن حامد، الفتح القسي في الفتح القدسي،دار المنار، ط1،القاهرة ،2004.

36. الأصفهاني عماد الدين بن محمد بن حامد، دولة آل سلجوق، تح، يحي مراد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2004

37. البلاذري احمد بن يحي بن جابر ابن داود، فتوح البلدان، تح، شوقي ابو خليل، وزارة الثقافة،1997، دمشق.

38. بن طباطبا محمد بن علي، الفخري في الأداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر لبنان.

39. ابن يعقوب عسكرية أبي علي أحمد بن محمد ، تجارب الامم وتعاقب الهمم، تج، سيد كسروى منى، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003م.

40. بيبرس المنصوري ركن الدين الدوادار، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق، دونالد، س، رينتشاردز، ط1، بيروت، 1998.

41. بيبرس المنصوري، التحفة المملوكية في الدولة التركية، تاريخ دولة المماليك البحرية في الفترة من 648 711هـ، تقديم عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانبة، ط1، القاهرة 1987م.

42. تح،صدقي جميل العطار،دار الفكر،د،ط،لبنان،2005.

43. الجهشياري أبي عبد الله محمد بن عبدوس، الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقاد وآخرون، ط1، مطبعة مصطفى الباني، القاهرة.

44. الجويني علاء الدين عطا ،تاريخ فاتح العالم"جهنكشاي"،ط1،تح،محمد بن عبد الوهاب القزويني،تر،السباعي محمد السباعي،المشروع القومي للترجمة،القاهرة،2007،مج1،مج3

45. الحافظ الذهبي أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان التركماني، سير أعلام النبلاء، تح، حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، ط1، بيروت، 2004، ج1.

46. الحسيني صدر الدين أبي الحسن علي بن أبي الفوارس ناصر بن علي، أخبار الدولة السلجوقية، تحقيق، محمد إقبال لاهور، 1933.

47. الحنبلي ابن عماد الدين ، شذرات الذهب في أخيار من ذهب، تج، محمد الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط1، بيروت، 1991، مج 6.

48. الخزرجي علي بن الحسن، العقود الؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تصحيح، محمد سبسيوني عسل، د.ت، ط.ط، جامعة كمبردج، 1911، ج1.

49. الخطيب البغدادي الحافظ ابي بكر احمد بن علي بن ثابت، تاريخ مدينة السلام، تح، بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي،2001، بيروت، مج1.

50. الدنيوري أبي حنيفة احمد بن داود، الاخبار الطوال، تح، محمد سعيد الرافع، ط1، مطبعة السعادة، مصر ،1911.

51. الذهبي الحافظ ، العبر في خبر من غبر ،تح،ابو هجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول،دار الكتب العلمية،ط1،بيروت،1985، ج3.

52. الذّهبي شمس الدين ابي عبد الله بن احمد ابن عثمان، دول الإسلام ،تح،حسن اسماعيل مروة،ط1،دار صادر بيروت،1999،ج2 .

53. الذهبي شمس الدين محمد ابن احمد ابن عثمان ،تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام ، تحقيق عبد السلام تدمري، ط1،دارالكتاب العربي، لبنان، 1997م.

54. الراوندي محمد على بن سليمان، راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمة، فؤاد عبد المعضي الصياد، وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2005.

55. السبكي تاج الدين أبو نصر علي بن عبد الكافي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفاتاح محمد الحلو، دار الإحياء للكتب العربية، مصر 1383هـ/ 1964م، ج1.

56. السيوطي جلال الدّين عبد الرحمان بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، تحقيق، أحمد ابراهيم زهوة، سعيد بن أحمد العبدروسي، دون طبعة، دار الكتاب العربي، بيروت، 2010م.

57. الشهرستاني ابي الفتح محمد عبد الكريم ابن ابي بكراحمد، الملل والنحل،

58. الطبري أبي جعفر محمد جدير، تاريخ الأمم واللوك، اعتنى به، أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية.

59. الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، القاهرة.

60. الغساني الملك الأشرف ، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق، شاكر محمود عبد المنعم، دار البيان، بغداد 1975، ج1.

61. القرماني احمد بن يوسف ، اخبار الدول وأثار الاول في التاريخ، تحقيق، احمد حطيط وفهمي سعد، دار عالم الكتاب، بيروت، 1992، مج2.

62. القزويني، زكرياء بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، دإر صادر، بيروت.

63. القلانسي ابو يعلي حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي ، تاريخ دمشق (470هـ_555هـ/ 1077_1160م)، تح، سهيل زكار، التكوين للتأليف والترجمة، د، ط، 2007،ج1.

64. القلقشندي أبو العباس أحمد ابن علي,قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان،تح،ابراهيم الابياري،ط2،دار الكتب اللمصري،القاهرة،1982م.

65. القلقشندي أبي العباس بن علي بن ابي اليمن القاهري الشافعي (821هـ/1418م)،صبح الأعشى ى في صناعة الأنشا، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة، القاهرة، 1998م ج4،

66. ماركوبولو، رحلات ماركوبولو،تر،عبد العزيز جاويد،ط2،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1995،ج1

67. الماوردي ابي الحسن علي ابن محمد ابن حبيب البصري،الأحكام السلطانية ،تح،احمدجاد،دار الحديث ، القاهرة،2007.

68. المسعودي أبي الحسن بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مراجعة، كمال حسن مرعي، ط1، المكتبة العصرية، بيروت 2005، ج5.

69. مسكويه ابي علي احمد بن محمد ابن يعقوب،تجارب الأمم وتعاقب الهمم ،تح،سيد كسروي حسن،ط1،دار الكتب العلمية ،لبنان،2003م، ج1.

70. المقريزي تقي الدين ابي العباس، احمد بن علي بن عبد القادر العبيدي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنأن، ط1، 1997م، ج1.

71. المقريزي تقي الدين أحمد بن علي عبد القادر (766–845هـ)، والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار والمعروف بالخطط المقريزية،

تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998م، ج3.

72. البنداري الفتح ابن على، سنا البرق الشامي،تح، فتيحة النبراوي، مكتبة الخانجي، 1979، مصر.

73. النسوي محمد بن أحمد، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، نشر وتحقيق، حافظ حمدي، دار الفكر الغربي، القاهرة، 1953.

74. النويري شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب ، نهاية الأدب في فنون الادب،تح،نجيب مصطفى فوّاز وحكمت كشلي فوّاز،دار الكتب العلمية ،ط1،لبنان،2004، .

75. الهمذاني رشيد الدين فضل الله ،جامع التوريخ، تاريخ خلفاء جنكيز خان من أوكتاي قآن إلى تيمور قآن، ترجمة فؤاد عبد المعطي الصياد، دار النهضة العربية، بيروت، 1983.

76. الهمذاني رشيد الدين فضل الله ،جامع التواريخ ،تاريخ خلفاء جنكيزخان من أوكتاي قان الى تيمون قان،تر،فؤاد عبد المعطي الصياد،ت،ق،يحيالخشاب

77. الهمذاني رشيد الدين فضل الله: جامع التواريخ (تاريخ غازان خان)، دراسة وترجمة فؤاد عبد المعطي الصياد، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 1998.

78. الوطواط رشيد الدين ، حدائق السحر في دقائق الشعر، المركز القومي للترجمة، 2009، ق1.

79. الوطواط رشيد الدين ، مجموعة رسائل، تر، محمد أفندي فهمي، مطبعة المعارف، مصر، ط1، 1315 هـ.

80. ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت 1988.

81. اليعقوبي أحمد بن يعقوب بن جعفر بن رهب ابن واضح، تاريخ اليعقوبي، تح، عبد الأمير مهنا، شركة الأعلمي للمطبوعات، لبنان، ط1، 2010.

82. اليونيني قطب الدين أبى الفتح محمد بن أحمد بن قطب الدين ، ذيل مرآة الزمان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ط1، الهند، 1954م، مج1، ج1.

ثانيا:المراجع:

1-المراجع باللغة العربية.

- إبراهيم أيوب، التاريخ العباسي، السياسي والحضاري، ط1، الشركة العالمية للكتاب، لبنان 1989.
- أبو السعود صلاح ، الشيعة، النشأة السياسية والعقيدة الدينية، مكتبة الناقدة، ط2، القاهرة، 2004.
- ابو حديد محمد فريد ، صلاح الدين الايوبي وعصره، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1992.
- اسماعيل ليلى عبد الجواد ، تاريخ الايوبيين والمماليك في مصر والشام، دار الثقافة العربية، د، ط، د،س،ن.
- أيوب محمد شعبان ، آخر أيام العباسيين،الخلافة العباسية منذ سيطرة السلاجقة حتى سقوط بغداد،مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة،ط1،القاهرة،2013،ج3.
- الباز العريني،المغول،د،ط،دار النهضة العربية،1981م.

المصادر والمراجع

- بخيت رجب محمود ،تاريخ المغول،وسقوط بغداد،ط1،مكتبة الإيمان ،القاهرة،2010م.
- بدر مصطفى طه ،محنة الاسلام الكبرى أو زوال الخلافة العباسية من بغداد على أيدي المغول ،ط2،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1999م.
- بدوي عبد الرحمان ، مذاهب الإسلاميين، دار العلم للملايين، بيروت،1، 1997.
- بن عمو سمير ، أل، موت، أو ايديولوجيا الإرهاب الفدائي، ط2، 1996.
- البهجي إيناس حسن ، دولة المماليك البداية والنهاية، دار التعليم الجامعي، ط1، الاسكندرية، 2015.
- البيومي محمد رجب ، صلاح الدين الايوبي، قاهر العدوأن الصليبي، دار القلم، دمشق.
- التونجي محمد،بلاد الشام إبان الغزو المغولي ،ط1،دار الفكر العربي ،بيروت،1998م.
- ثروت عكاشة ،إعصار من الشرق –جنكيزخان–ط5،دار الشروق،

المصادر والمراجع

- جنيكزخان عبد العزيز ، تركستان قلب آسيا، د،ط، الجمعية الخيرية التركستانية، د،س،ن.
- حامد زيان غانم زيان، اليصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية زمن الحروب الصليبية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1983م، القاهرة.
- حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، العصر العباسي الاول في الشرق ومصر والمغرب والاندلس، ط14، دار الجيل، بيروت، متبة النهضة الغربية القاهرة، ج2،ج3
- حسن إبراهيم حسن، علي إبراهيم حسن، النظم الإسلامية، مكتبة النهضة الإسلامية، القاهرة.
- حسنين عبد النعيم محمد، ايران والعراق في العصر السلجوقي، دار الكتاب العربي، ط1ن بيروت، 1982.
- حمدي أحمد حافـــظ، الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي،دار الفكر العربي،مصر ،1950 .

المصادر والمراجع

- حمدي احمد حافظ،الدولة الخوارزمية والمغول،غزو جنكيزخان للعالم الاسلامي ،وآثاره السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية، د،ط،دار الفكر العربي،د،ت،ط،ب،ن.
- حمدي عبد المنعم محمد حسين، دراسات في تاريخ الايوبيين والمماليك، المعرفة الجامعية، القاهرة 2000م.
- حنيش عبد المنعم محمد ، ايران والعراق في العصر السلجوقي، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص 140.
- الخالدي اسماعيل عبد العزيز ،العالم الاسلامي والغزو المغولي،ط1،مكتبة الفلاح ،الكويت ،1983
- الخشت محمد عثمان ، حركة الحشاشين، تاريخ وعقائد أخطر فرقة سرية في العالم الإسلامي، دار النصر للطباعة، القاهرة 1988.
- خصباك جعفر حسين ،العراق في عهد المغول الايلخانيين(656-736هـ/1258-1335م)الفتح ،الادارة،الاحوال الاقتصادية،الاحوال الاجتماعية ،ط1،مطبعة العاني،بغداد،1968م.

المصادر والمراجع

- الخطيب علي بن حسن الهاشمي ، تاريخ الأنبار تح ونشر المؤسسة الإسلامية للبحوث والمعلومات، ط1، 2008.
- خلف محمد محمود ،بلاد ماوراء النهر في العصر العباسي،132-261هـ/750-872م،الهيئة المصرية العامة للكتاب،2014.
- الدوري عبد العزيز ، العصر العباسي الأول، دار الطليعة، لبنان، ط1، 1988.
- رافع ساهر ،جنكيزخان،الدار العالمية للكتب والنشر،ط1،مصر ،2012.
- زيان حامد زيان غانم ، الصراع السياسي والعسكري بين القوى الاسلامية زمن الحروب الصليبية،دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1983، القاهرة.
- سالم عبد العزيز ، دراسات في تاريخ العرب، العصر العباسي الأول، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 1993، ج3.
- ساهر رافع، قطز قاهر التتار، العالمية للكتب والنشر، ط1، مصر، 2013،
- ساهر رافع، هولاكو، الدار العالمية للكتب والنسر، ط1، مصر، 2013م.
- السلطان عبد اللطيف بن علي ، المزدكية هي أصل الاشتراكية، ط1974.

المصادر والمراجع

- السيد محمود ، التتار والمغول مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية مصر، 2004.
- السيد محمود ، دول آسيا الوسطى والأطماع الغربية، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، د،ط، 2003.
- الشاعر محمد فتحي ، مصر قاهرة المغول في عين جالوت، دار المعارف، 1995.
- شاكر محمود ، الدولة العباسية، المكتب الاسلامي، ط6، بيروت، 2000م.
- شبارو محمد عصام، السلاطين في المشرق العربي، دار النهضة العربية، لبنان، 1994.
- شوقي ابو خليل، عين جالوت بقيادة الملك المظفر قطز، دار الفكر، ط1، 2005، دمشق.
- الصاوي محمد الصاوي،جنكيزخان فاتح العالم،ط1،مكتبة النافذة،مصر 2012م.
- صبرة عفاف سيد ، التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، ط1، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، 1987م.

المصادر والمراجع

- صبري سليم ، الاتراك الخوارزميون،في الشرق الادنى،مكتبة الثقافة الدينية،ط1،القاهرة200م.
- صفا محمد أسد الله ، جنكيز خان الوحشي النابغة 1176- 1227م، دار النفائس بيروت، 1408هـ/ 1981م.
- الصلابي على محمد ، السلطان سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت، ط1، مؤسسة إقرأ 2009، القاهرة.
- الصلابي على محمد ، دولة السلاجقة، وبروز مشروع اسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، دار ابن الجوزي، القاهرة.
- الصلابي علي محمد ، صلاح الدين الايوبي،وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، ط2، دار المعرفة، بيروت،2008م، ص168، 169، طقوش، تاريخ الايوبيين.
- الصلابي علي محمد ،دولة المغول والتتار بين الانتشار والانكسار، الدار العالمية للكتب والنشر،ط1،مصر،2010.
- الصياد فؤاد عبد المعطي،المغول في التاريخ ،دارالنهضة العربية للطباعة والنشر،د.ط، بيروت 1980،ج1

المصادر والمراجع

- طقوش محمد سهيل ، تاريخ الايوبيين في مصر وبلاد الشام واقليم الجزيرة، دار النقائض، ط2، ، بيروت، 2008.
- طقوش محمد سهيل ، تاريخ الفاطميين في شمال افريقيا ومصر وبلاد الشام، ط2، دار النقائس، 2007.
- طقوش محمد سهيل، تاريخ الدولة العباسية، ط7، دار النفائس، لبنان، 2009.
- طقوش محمد سهيل،تاريخ المغول العضام والالخانيين،ط1،دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع،لبنان2007م.
- ظهير احسان إلهي ، الاسماعيلية، تاريخ وعقائد ادارة ترجمان السنة، باكستان، د،ط،ت.
- عارف تامر، تاريخ الاسماعيلية، الدعوة والعقيدة، رياض الريس للكتب والنشر، لندن،ط1، 1991، ج1.
- عاشور سعيد عبد الفتاح ، العصر المماليكي، في مصر والشام، دار النهضة العربية، ط2، القاهرة، 1976م،

المصادر والمراجع

- عاشور عبد الفتاح ، الحركة الصليبية، صفحة شرقة من تاريخ الجهاد الاسلامي في العصور الوسطى، مطبعة عبد الكريم حسان ط6، القاهرة 2010،
- العبادي احمد مختار ، في التاريخ الأيوبي والمملوكي، مؤسسة شباب الجامعة، د ط، الاسكندرين، 2010.
- العبادي أحمد مختار ،قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام،دارالنهضة العربية ،د،ط،بيروت ،1986م.
- عدوان أحمد محمد ،موجز في تاريخ دويلات المشرق الإسلامي ،دارعالم،1990.
- عصام الدين عبد الرؤوف، بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة.
- علوان عبد الله ناصح ، صلاح الدين الأيوبي بطل حطين ومحرر بيت المقدس، من الصليبيين(532هـ-589م)،دار السلام، ط1.
- عمران محمود سعيد ، المغول وأوروبا، دار المعرفة الجامعية، القاهرة (قناة السويس).

المصادر والمراجع

- عمران محمود سعيد، المغول والأوروبيون وقضية القوس، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، مصر ، 2003.
- عودات أحمد وآخرون،تاريخ المغول والمماليك،من القرن 7ه،الى 13م،دار الكندي،إربد ،1990م.
- العيدروس، محمد حسن التاريخ السياسي والحضاري للدولة العباسية، ط1، دار الحديث، 2011، القاهرة.
- عير يوسف إبراهيم الشيخ ، أثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصلبيين، ط1، دار المعالي، الأردن 1998.
- غالب مصطفى ، تاريخ الدعوة الإسماعيلية، ط2، دار الأندلس، لبنان، 1965.
- الغامدي على محمد على عودة ، بلاد الشام قبيل الغزو المغولي (589-657ه 1193- 1259م) مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ط1، 1988،
- الغامدي، سقوط الدولة العباسية،دار ابن حذيفة،ط2،الرياض،1983

المصادر والمراجع

- فايد حماد عاشور، العلاقات السياسية بن المماليك والمغو في الدولة المملوكية الأولى دار المعارف بمصر، 1972.
- فايد حماد محمد عاشور، الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين والمغول في العصر المملوكي، ط1، مكتبة جروس برس، لبنان، 1995.
- الفقي عماد الدين عبد الرؤوف: الدول المستقلة في المشرق الإسلامي منذ مستهل العصر العباسي حتى الغزو المغولي (دراسات دول آسيا الوسطى الكمنويلث الجديد)، دار الفكر العربي القاهرة 1944 .
- فهمي عبد السلام عبد العزيز: تاريخ الدولة المغولية في إيران، دار المعارف القاهرة، مصر 1981.
- فوزي فاروق عمر ، الخلافة العباسية عصر القوة والازدهار، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع،الأردن،2009، ج1.
- فوزي فاروق محمد ، الخلافة العباسية، السقوط والانهيار، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2009، ج2.
- قاسم عبده قاسم، السلطان المظفر سيف الدين قطز، بطل معركة عين جالوت، دار القلم، ط1، دمشق، 1998

المصادر والمراجع

- قاسم عبده قاسم، علي السيد علي،الايوبيون والمماليك، التاريخ السياسي والعسكري،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،القاهرة.
- القوصي عطية ، تاريخ الدول المستقلة في المشرق عن الخلافة العباسية، مكتبة دار النهضة العربية، 1993.
- اللبودي حنان مبروك، قيام دولة شاهات خوارزم (470–617 هـ/ 1077–1219م–، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية، 2013.
- محمد السعيد جمال الدين، دولة الاسماعلية في ايران، ط1، المطبعة العصرية، بيروت، 1999.
- محمد بن حسن الديلمي، بيان مذهب الباطنية و بطلانه، مكتبة المعارف، الرياض، دون.ط،ت،ط،ب،ن1993 ..
- محمد حسن نبيلة ، تاريخ الدولة العباسية، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية.
- محمد علي وفاء ، قيام الدولة اليوبية في مصر والشام، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة 1986م.

المصادر والمراجع

- محمد علي وفاء ، الخلافة العباسية في عهد تسلط البوهيين، المكتب الجامعي الحديث، القاهرة.
- محمود أحمد حسن ، أحمد ابراهيم الشريف، العالم الاسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، ط5، القاهرة، د،ت.
- مرجونة محمد عي إبراهيم: المغول والحضارة الاسلامية، رحلة المغول من الاستكبار إلى الانصهار، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط1، 2010.
- المرسي سامي محمد ، المغول، دار العالم العربي، القاهرة، ط1، 2011.
- المشهداني محمد جاسم حمادي ، في محكمة التاريخ ابن العلقمي والطوسي، دا القلم، ط1، دمشق، 2000م.
- المصري حسن مجيب ، صلات بين العرب والفرس والترك، دار الثقافة للنشر، القاهرة، مصر 1421هـ/ 2001م
- منصور عبد الحكيم، السلطان سيف الدين قطز بطل عين جالوت وقاهر المغول، دار الكتاب العربي، القاهرة.

المصادر والمراجع

- مؤنس حسين ،أطلس تاريخ الإسلام ،الزهراء للإعلام العربي ، ط1،القاهرة 1987م.
- ميمنة حسن ، تاريخ الدول البويهية السياسي والاقتصادي والاجتماعي، الدار الجامعية، 1987م.
- النجار رغد عبد الكريم ،إمبراطورية المغول(دراسة تحليلية عن التاريخ المبكر للمغول وتكوين الامبراطورية والصراعات السياسية على السلطة603-766هـ/1206-1365م)ط1،دار غيداء ،الاردن،2012م.
- هلال عادل إسماعيل محمد ، العلاقات بين المغول وأوربا وأثرها على العالم الإسلامي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1997.

2-المراجع المعربة.

- أبرار كريم الله، من هم التتار، ترجمة وتعليق رشيدة رحيم الصيروتي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1994.
- إقبال عباس ،تاريخ المغول ،منذ حملة جنكيزخان ،حتى قيام الدولة التيمورية،تر،عبد الوهاب علّوب،المجمع الثقافي ،الامارات 2000م.

المصادر والمراجع

- ايبو ناديا جمال، الناجون من الغزو المغولي، ترجمة سيف الدين القصير، دار الساقي بالاشتراك مع معهد الدراسات الإسماعيلية، بيروت، 2004م.
- بارتولد شبيولير، المغول في التاريخ، ترجمة يوسف شلب الشام ط1، طلاسم الدراسة والترجمة والنشر، دمشق 1989م
- بارتولد فاسيلي،تأريخ الترك في آسيا الوسطى،تر،أحمد السعيد سليمان،د،ط،الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصر ،1997م.
- براون إدوارد جرانقيل، تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي، تر، ابراهيم أمين الثوارزي، مكتبة الثقافة العربية.
- براون إدوارد جرانقيل، تاريخ ايران بعد الاسلام من بداية الدولة الطاهرية الى نهاية الدولة القاجارية، ترجمه عن الفارسية، محمد علاء الدين منصور، دار الثقاف، القاهرة،1989 .
- برنارد لويس، الحشاشون فرقة ثورية في تاريخ الاسلام، تر، محمد الغرب موسى، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2.
- بيرتولد شبولير،المغول في التاريخ،تر،يوسف شلب الشام ،ط1،دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر،دمشق،1989م.

المصادر والمراجع

- جيمس واترسون، فرسان الإسلام وحروب المماليك، تر: يعقوب عبد الرحمان، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2011.
- برنارد لويس ،الحشيشية الإغتيال الطقوسي عند الاسماعيلية النزارية، ترجمة، سهيل زكار، دار قتيبة للنشر والتوزيع، ط2، دمشق، 2006.
- روكهل وليام وودفيل ،رحلة ويليام الروبريكي للجزء الشرقي من العالم ،د.ط،مجتمع الهالكوت لندن1900.
- ستيفن رنسيمان،تاريخ الحروب الصليبية – الحرب الاولى وقيام مملكة بيت المقدس–تر،السيد الباز العريني،ط1993،3م،ج3.
- علي سيد أمير ، مختصر تاريخ العرب، تر، عفيف البعلبكي، دار العلم للملايين، ط1، بيروت 1961.
- فامبري أرمنيوس ، تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمه وعلق عليه أحمد محمود الساداتي، راجعه وقدم له يحي الخشاب، مكتبة نهضة الشرق، مصر، 1987م.

- كيتشانوف،حياة تيموتشجين(جنكيزخان)الذي فكر في السيطرة على العالم،الشخصية والعصر،تر،طلحة الطيب،جمعة الماجد للثقافة والتراث ،دبي،2005.
- محمد دبير سياقي لسلطان جلال الدين خوارزم شاه في ميزان التاريخ، تر أحمد الخولي، ط1، الهيئة العامة لشؤون المطامع الأمير، القاهرة، 2009.
- نمر محمد عبد الرحمان، محمد صفر الدوسري، تاريخ الدولة العباسية في العصر العباسي الأول، مركز الترجمة والتأليف والنشر، جامعة الملك فيصل 2017.

3- الرسائل الجامعية :

- الزوي امال سليمان عبد الحميد ، الإمبراطورية المغولية في عهد أوكتاي، أطروحة دكتوراه، إشراف، علي حسين الشطشاط، جامعة قار يونس، ليبيا، 2009، 2010.
- العيدي إخلاص محمد سليمان ، المغول كما أرخ لهم عطاء ملك الجويني في كتابه تاريخ جهانكشاي (تاريخ فاتح العالم)، رسالة دكتوراه في تاريخ، إشراف أحمد عبد الله الحسّو، جامعة مؤتة، 2008.

- الغامدي عبدالله سعيد محمد ،جهاد المماليك ضد المغول والصليبين في بلاد الشام،في النصف الثاني من القرن السابع هجري،أطروحة دكتوراه،اشراف،محمدحمدي المناوي،جامعة أم القرى ،المملكة السعودية ،1986.

- النفيعي رحمة بنت حمود بن فطيس ، العلاقات السياسية لدولة إيلخانات المغول (658هـ- 759هـ/ 1260- 1355م)، اطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، إشراف عبد العزيز بن عبد الله السلومي، مكة المكرمة، 2013،

4- المراجع الأجنبية

- Coke Richard : Baghdad the city of peace, London1927.
- D'ohsohh(c) ، Histoire des Mongoles depuis tchinginz-khan jusqu'à pans seconde Timour-lang, partie.livre2.1824.
- Howorth H,H: History of the mongol ,London1876.

- Lane poole .Stanley:History of Egypt in the middle ages ,London1925.
- William of Rubruck :the journey ,in Dawson,the Mongol Mission,first edition ,London,1955.
- Grosset Rene , L'Empier des steppes,paris 1948.

5-الدوريات والمجلات :

- أركان طه عبد، العلاقة بين الخلافة والعباسية والدولة الخوارزمية، في عهد الخليفة الناصر لدين الله (575هـ_622هـ)، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مج5، العدد 15، 2013، جامعة تكريت.
- الداهري صباح عبد الوهاب ،الدولة الغزنوية من خلال نقودها(351-582هـ/962-1186م)،مجلة العلوم الإنسانية ،العدد الثلني عشر ،بغداد،2016.
- غنيمات قاسم محمد وآخرون،قبائل المغول الأولى النشأة والاندماج والتوحيد(612هـ/1218م)المجلة الاردنية للتاريخ والآثار ،مج05،العدد03،الاردن ، 2011م،ص93

- القدحات محمد عبد الله ، موفق المؤرخ ابن الأثير من الخليفة الناصر لدين الله (553_622هـ/ 1158_1225م-، مجلة العصور، لندن، مج 15، ج1، 2004م.

فهرس الموضوعات

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

ملخص:

يسعى الموضوع الى التعريف بالمغول،ويبين أهم نظمهم السياسيـــة والعسكرية ، وتحديد علاقتهم بالعالم الاسلامي منذ ظـــــهورهم سنــة 603هـ/1206م،الى انهزامهم في معركة عين جالوت ،على يد المماليك سنة 658هـ/1260م،وتميزت هذه العلاقة بالحروب والغزو الذي شنه المـــغول على العالم الإسلامي بدء بالقضاء على الدولة الخوارزمية ، والطــائفة الاسماعيلية ،والخلافة العباسية ،وبلاد الشام ،الى أن وصلوا الى بلا مصــر ،وهنا تصدى لهم المماليك والحقوا بهم الهزيمة لأول مرة على يد جيش مسلم ،وبهذا انكسرت شوكتهم ،وتراجعت قوتهم ،دون ان ننسى أوضاع العــــالم العالم الاسلامي قبيل الغزو المغولي ، والتى تميزت بالضعف والانحـــطاط ،ساعدت المغول على تحقيق أهدافهم.

Summary:

The topic seeks to introduce the Mongols, explain their most important political and military systems, and define their relationship with the Islamic world since their emergence in the year 603 H / 1206 m, until their defeat in the Battle of Ain Jalut, at the hands of the Mamluks in the year 658 H / 1260 m. To eliminate the Khwarezmian state, the Ismaili sect, and the Abbasid Caliphate ، And the Levant, until they reached without Egypt, and here the Mamluks confronted them and inflicted their defeat for the first time at the hands of a Muslim army, and with this their thorns were broken, and their power retreated, without forgetting the conditions of the Islamic world prior to the Mongol invasion, which were characterized by weakness and decline, helped the Mongols Achieve their goals .